موسوعة
خزائن العلوم الإسلامية
في ضوء القرآن والسنة

الفقير إلى مولاه
محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الجزء الرابع

الطبعة الأولى
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

موسوعة

خزائن العلوم الإسلامية

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى عفو ربه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

الجزء الرابع

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولي

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

رقم الإيداع: ٣٠٨٥٢ / ٢٠٢١م

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٩٩٧-٢٧١-٨

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

موسوعة

خزائن العلوم الإسلامية

في ضوء القرآن والسنة


بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

الجزء الرابع

ويشتمل على المباحث التالية:

١٩- خزائن الأخلاق

٢٠- خزائن الآداب

٢١- خزائن الأذكار

٢٢- خزائن الأدعية

٢٣- خزائن الحقوق والواجبات

٢٤- خزائن العهود والأمانات

٢٥- خزائن خلق الجن

٢٦- خزائن خلق الإنسان

قال الله تعالى :

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾

[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

١٩ - خزائن الأخـلاق

القسم الأول

وتشتمل على ما يلي :

١ - الخزانة الأولى

٢ - الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤ - الخزانة الرابعة

٥ - الخزانة الخامسة

٦ - الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠ الخزانة العاشرة

١٩-خزائن الأخلاق

القسم الأول

١- الخزانة الأولى

- **أفضل اللباس:**

مَنّ الله على عباده بلباسين :

أحدهما: لباس يواري عوراتهم، ويستر أبدانهم، ويقيهم أذى الحر والبرد، ويتجملون به لربهم ، ولخلقه .

الثاني: لباس آخر أعظم منه، وهو لباس الإيمان والتقوى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾[الأعراف:٢٦] .

وقد جمع الله ﷻ في الأنبياء والرسل أحسن الصفات والأخلاق، ثم فرقها في أممهم ، وجمع الله للنبي ﷺ ما جمع الله من الأخلاق في الأنبياء ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء ، فقال سبحانه عن النبي ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم:٤] .

وقال عن أمته : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾[آل عمران:١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

فالأخلاق العالية ، التي وهبها الله للنبي ﷺ ، فرقها في أمته ، فكان منهم:﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة:١١٢] .

وتجملوا بأحسن الصفات، ونالوا أعظم الثواب، كما قال الله ﷻ عنهم:﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥] .

وأحسن الأخلاق هي الأخلاق الحسنة ، التي اتصف بها النبي ﷺ، ودعا إليها، وتخلق بها ، والشمائل التي كان يتحلى بها ، فقد أكرمه الله ﷻ بذلك ؛ ليكون قدوة لكل مسلم، يتحلى بتلك الصفات ، ويتجمل بها، ويوطن نفسه على اكتسابها ، ويعبد الله بموجبها ، ويخالق الناس بأحسنها، ويدعو الناس إلى التجمل بها: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩-٢٠٠] .

فأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا ، ويدرك المؤمن بحسن خلقه درجة الصائم القائم ، وخيار الناس أحاسنهم أخلاقًا ، وأفضل المؤمنين أحسنهم خلقًا ، ومن هنا كان اكتساب الأخلاق الفاضلة ، خيرًا من اكتساب الذهب والفضة ، وأحسن حلية يتحلى بها المسلم ، ويتعبد لله بموجبها : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَب، والْفِضَّة، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مجُنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». أخرجه البخاري[1].

- **فضل حسن الخلق :**

قال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٢٢).

﴿١٣٦﴾ [آل عمران:١٣٣ - ١٣٦].

وقال الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧٠].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَسِنَكُمْ أَخْلاقًا » . متفق عليه[1] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في مِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ » . أخرجه داود والترمذي بسند صحيح[2] .

وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مجَلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٦)، ومسلم برقم: (٤/ ١٨١٠)، واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه داود برقم: (٤٧٩٩)، والترمذي برقم: (٢٠٠٢).

فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثًا ، قَالَ الْقَوْمُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : أَحْسَنُكُمْ أَخلَاقًا » . أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد بسند صحيح[1] .

- **أحسن الناس أخلاقًا :**

أفضل الطرق وأسهلها وأيسرها للتحلي بالأخلاق الحسنة، هو الاقتداء بالنبي ﷺ، الذي كان خلقه القرآن، وكان أحسن الناس خَلقًا، وخُلقًا، يعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه ، ويحسن إلى من أساء إليه .

وهذه هي أصول الأخلاق ، فعلينا الاقتداء به ﷺ في سائر أحواله ، إلا ما خصه الله به ، فذلك خاص به، لا يشاركه فيه غيره:

كالنبوة ، والوحي ، والنكاح أكثر من أربع زوجات ، وحرمة نكاح نسائه بعده ، وحرمة الأكل من الصدقة ، وعدم الإرث ، ونحو ذلك مما هو معلوم في سنته ، وهو مختص به .

---

(١) صحيح/ أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٠)، وأحمد برقم: (٦٧٣٥).

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

أحسن الطرق وأفضل السبل، للتحلي بالأخلاق الحسنة ، هو الاقتداء بالنبي ﷺ، الذي كان أحسن الناس خَلقًا ، وخُلقًا ، وكان خُلقه القرآن .

- **وذلك بالاقتداء به في ستة أمور:**

في نيته وفكره	وفي توحيده ، وإيمانه	وفي عبادته ودعوته
وفي أقوله الحسنة	وفي أعماله الصالحة	وفي أخلاقه الكريمة

قال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١] .

وقال الله ﷻ : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فالنبي ﷺ أحسن الخلق أخلاقًا ، وآدابًا ، وعبادةً ، ودعوةً ، وإحسانًا .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا ، وَلا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: « إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا » . متفق عليه[1] .

وعن أنس رضي الله عنه قال: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي : أُفٍّ ، وَلاَ : لِمَ صَنَعْتَ ؟ وَلاَ : أَلَّا صَنَعْتَ . متفق عليه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨/ ١١)،واللفظ له ، وأخرجه مسلم برقم: (٤/ ١٧٠٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٣٨)، ومسلم برقم: (٥٢/ ٢٣٠٩)، واللفظ له.

- **كرمه صلى الله عليه وسلم:**

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال الله ﷻ : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة:١٢٨] .

وعن جابر ﷺ قال: مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ ، فَقَالَ: لاَ . متفق عليه[١] .

وعن ابن عباس ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ أجود الناس ، وَكَانَ أجود مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِّ ﷺ أجود بِالخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ. متفق عليه[٢].

وعن أنس ﷺ قال: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ ، قَالَ : فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ . أخرجه مسلم[٣] .

- **حياؤه صلى الله عليه وسلم :**

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ . متفق عليه[٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٣٤)، ومسلم برقم: (٥٦/ ٢٣١١)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦)، ومسلم برقم: (٥٩٦٤) ، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٥٧ / ٢٣١٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦/ ٥٦٦)،واللفظ له ، ومسلم برقم : (٤/ ١٨٠٩).

- **تواضعه صلى الله عليه وسلم :**

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا تُطْرُوني كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ » . أخرجه البخاري[1] .

وعن أنس ﷺ: أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ الله إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا. أخرجه مسلم[2].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « لَوْ دُعِيت إِلَى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لَأَجَبْت ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْت » . أخرجه البخاري[3] .

- **شجاعته صلى الله عليه وسلم :**

عن أنس بن مالك ﷺ قال : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِيْنَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَانْطَلَقَ ناسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ رَاجِعاً ، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوتِ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ : لَمْ تُرَاعُوا ، لَمْ تُرَاعُوا ، قَالَ : وَجَدْنَاهُ بَحْراً ، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ ، قَالَ : وَكَانَ فَرَساً يُبطَّأُ » . متفق عليه[4] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٦١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٦/ ٢٣٢٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٢٤٢٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٨٠٧)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٣٠٧).

وعن علي ﷺ قال: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يومَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلوذُ بِرَسُولِ الله ﷺ ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى العَدُوِّ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يومَئِذٍ بَأساً . أخرجه أحمد بسند صحيح[1] .

- **رفقه صلى الله عليه وسلم:**

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « يَسِّرُوا ، وَلا تُعَسِّرُوا ، وَسَكِّنُوا ، وَلا تُنَفِّرُوا » . متفق عليه[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن أعرابياً بال في المسجد ، فثار إليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ ، أَوْ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » . متفق عليه[3] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « يَسِّرُوا ، وَلا تُعَسِّرُوا ، وَسَكِّنُوا ، وَلا تُنَفِّرُوا » . متفق عليه[4] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « يَا عَائِشَةُ إِنَّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ ، وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ » . متفق عليه[5] .

- **عفوه صلى الله عليه وسلم :**

قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٦٥٤ ، ٢٦٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩)، ومسلم برقم: (٦/ ١٧٣٢)،واللفظ له .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٢٠ و ٦١٢٨)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٩٩/ ٢٨٤).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩)، ومسلم برقم: (٦/ ١٧٣٢)،واللفظ له .

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٢٧). ومسلم برقم: (٧٧ / ٢٥٩٣)،واللفظ له.

خَآئِنَةٍ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة:١٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَينَ أَمْرَينِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً ، فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِه ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله ، فَيَنْتَقِمَ لله بِهَا. متفق عليه[1] .

- **رحمته صلى الله عليه وسلم :**

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وعن أبي قتادة ﷺ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ ، وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي العَاصِ عَلَى عَاتِقِهِ فَصَلَّى ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَ ، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا. متفق عليه[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : « قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قَبَّلت منهم أحداً ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ » . متفق عليه[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٧/ ٢٣٢٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٩٦)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤١/ ٥٤٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٥٦٥١ ،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٥/) ٢٣١٨).

وعن أبي هريرةﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ ، وَالسَّقِيمَ ، وَالكَبِيرَ ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ » . متفق عليه[1] .

وعَنِ المُعْرُورِ بنِ سُوَيْدٍ ، قَالَ: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ ، وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ ، فَقُلْنَا : يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً ، فَقَالَ : إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً ، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: « يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ ، قَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ » . متفق عليه[2] .

وعن أنس ﷺ قال: كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَال لَهُ : « أَسْلِمْ » . فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ ، وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ : أَطِعْ أَبَا القَاسِم ﷺ فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : « الحَمْدُ لله الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ » . أخرجه البخاري[3] .

- **ضحكه صلى الله عليه وسلم:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا رَأَيْتُ النبي ﷺ مُسْتَجْمِعاً قَطُّ ضَاحِكاً حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ . متفق عليه[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٣)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٥/ ٢٣١٨).

(٢) متفق عليه، وأخرجه البخاري برقم: (٣٠)، ومسلم برقم: (١٦٦١)واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٣٥٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري: (٦٠٩٢)، واللفظ له ، وأخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٨٩٩).

وعن جرير ﷺ قال: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ ، وَلا رآني إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي . متفق عليه[1] .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال لي النبي ﷺ: « اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ قال : نَعَم ، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ ، حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيةِ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾[النساء :٤١] .

قال : « حَسْبُكَ الآنَ ، فَالتَفَتُّ إِلَيهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ » . متفق عليه[2] .

وعن عبد الله بن الشِّخِّير ﷺ قال: « رأيتُ رَسُولَ الله ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ البُكَاءِ ﷺ » . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[3] .

وفي رواية للنسائي : « كأزيزِ المِرْجَلِ » أخرجه النسائي [4].

- **غضبه صلى الله عليه وسلم:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: « دخل عَلَيَّ النبي ﷺ، وفي البيت قِرَام فيه صور، فتلوَّن وجهه ثم تناول الستر فهتكه ، وقالت : قال النبي ﷺ : مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ » . متفق عليه[5] .

وعن أبي مسعود ﷺ قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عَنْ صلاة الغداة من أجل فلان مما يُطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله ﷺ قط أشدَّ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٣٥)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٤٧٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٥٠)،واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٠٠).

(٣) صحيح/ وأخرجه النسائي برقم: (٥٤٩) ، وأبو داود برقم: (١٦٣١٢).

(٤) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (١٢١٤).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٠٩)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٩١/ ٢١٠٧).

غضباً في موعظةٍ منه يومئذ، قال: فقال: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ مِنكُم مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ، فَلْيَتَجَوَّزْ فَإنَّ فِيهِمُ المريضَ، وَالكَبِيرَ، وَذَا الحَاجَةِ» .

متفق عليه[1] .

- **شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته :**

قال الله ﷻ : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨] .

وعن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلِي ، وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً فَجَعَلَ الجَنَادِبُ ، وَالفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيْهَا ، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا ، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي » . أخرجه مسلم[2] .

- **انبساطه صلى الله عليه وسلم إلى الناس :**

عن أنس بن مالك ﷺ قال : إنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لأَخٍ لِي صَغِيرٍ : « يَا أَبَا عُمَيرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ » . متفق عليه[3] .

- **زهده صلى الله عليه وسلم :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللهُ ﷺ : « اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ محُمَّدٍ قُوتاً » . متفق عليه[4] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « مَا شَبِعَ آلُ محُمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المدِيْنَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعاً حَتَّى قُبِضَ » . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، وأخرجه البخاري برقم: (٦١١٠)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٦٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٨٥).

(٣) متفق عليه، وأخرجه البخاري برقم: ٦١٢٩،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٠/ ٢١٥٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٦٠) ،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٠٥٥).

وعن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول : « وَالله يَا ابْنَ أُخْتِي إنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إلَى الهِلالِ ثُمَّ الهِلالِ ، ثُمَّ الهِلالِ ، ثَلاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَينِ ، وَمَا أُوْقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ الله ﷺ نَارٌ ، قَالَ : قُلْتُ يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ ؟ قَالَتْ : الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالمَاءُ ، إلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ جِيرانٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ » . متفق عليه[٢] .

وعَنْ عَمْرِو بْنِ الحَارِثِ قال : « مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ دِينَارًا ، وَلا دِرْهَمًا ، وَلا عَبْدًا وَلا أَمَةً ، إلا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا ، وَسِلاحَهُ ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً » . أخرجه البخاري[٣] .

- **عدله صلى الله عليه وسلم :**

عن عائشة رضي الله عنها : أن قريشاً أهمَّهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت وفيه- : فكلَّمه أسامة بن زيد ، فقال رسول الله ﷺ : « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُوْدِ الله ؟ » . ثُمَّ قَام فَاخْتَطَبَ ، ثُمَّ قَالَ : « إنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيهِ الحَدَّ ، وَأَيْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » . متفق عليه[٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٥٤) ،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٩٧٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٥٩)، ومسلم: (٢٨/ ٢٩٧٢)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٤٤٦١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤٧٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٨ / ١٦٨٨).

- **حلمه صلى الله عليه وسلم:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد ؟ فقال : « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَومِكِ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَومَ العَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بنِ عَبْدِ كُلالٍ ، فَلَمْ يجُبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُّ ، فَانْطَلَقْتُ ، وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيْهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ الله عز وجل قَدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوْا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، قَالَ : فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ ، وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الله قَدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيهِمُ الأَخْشَبَينِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يخْرِجَ الله مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً » . متفق عليه[1] .

- **صبره صلى الله عليه وسلم :**

قال الله تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، وَهُوَ يُوعَكُ فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ : إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شَديداً ، فَقَالَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٣١)واللفظ له ، ومسلم برقم: (١١١/ ١٧٩٥).

رَسُولُ الله ﷺ : « أَجَلْ إنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوْعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ » . قَالَ : فَقُلْتُ : ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : أَجَلْ » . متفق عليه[1] .

وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : « شَكَونَا إلَى رَسُولِ الله ﷺ ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا : أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ؟ ، أَلا تَدْعُو لَنَا ؟ فَقَالَ : قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيْهَا ، فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ ، فَيُوْضَعُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مِن دُونِ لحَمِهِ ، وَعَظْمِهِ ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِيْنِهِ ، وَالله لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إلَى حَضْرَمَوْتَ ، لا يخَافُ إلَّا الله ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » . أخرجه البخاري[2] .

- **نصحه صلى الله عليه وسلم :**

كَانَ ﷺ يَقُولُ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » . متفق عليه[3] .

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ : « لا يحِلُّ لمِسْلِمٍ أَنْ يهْجُرَ أَخَاهُ فَوقَ ثَلاثِ ليَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا ، وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ » . متفق عليه[4] .

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ : « إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلا تحَسَّسُوا ، وَلا تجَسَّسُوا ، وَلا تَنَاجَشُوا ، وَلا تحَاسَدُوا ، وَلا تَبَاغَضُوا ، وَلا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إخْوَاناً » . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٦٠)، ومسلم برقم: (٤٥ / ٢٥٧١) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٩٤٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٦٢١) ،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٣٠٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٣٧) ، ومسلم برقم: (٢٦ / ٢٥٦١) واللفظ له.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ : « لا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلا شُهَدَاءَ يَومَ القِيَامَةِ » . أخرجه مسلم[٢] .

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ : « مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الوَجْهَينِ ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ ، وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ » . متفق عليه[٣] .

وكان ﷺ يقول : « المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ، وَلا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ » . متفق عليه[٤] .

وكان ﷺ يقول : « اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ . ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا محَارِمَهُمْ » . أخرجه مسلم[٥] .

وكان ﷺ يقول : « إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ » . أخرجه مسلم[٦] .

وكان ﷺ يقول: «لا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ الله أَعْلَمُ بِأَهْلِ البِرِّ مِنْكُمْ». أخرجه مسلم[٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٤٣ ، ومسلم برقم: (٢٨ / ٢٥٦٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٥ / ٢٥٩٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٧٩)، ومسلم برقم: (١٩٩/ ٢٥٢٦)،واللفظ له .

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٤٢)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٥٨/ ٢٥٨٠).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٥٦ / ٢٥٧٨).

(٦) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ٣٠٠٢).

(٧) أخرجه مسلم برقم: (١٩/ ٢١٤٢).

وكان ﷺ يقول : « لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْراً لِي » . متفق عليه[1] .

وكان ﷺ يقول : « مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ » . أخرجه مسلم[2] .

وكان ﷺ يقول : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً ، أَوْ لِيَصْمُتْ ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله ، وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله ، وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » . متفق عليه[3] .

فهذه أخلاق النبي ﷺ العظيمة، وهذه صفاته الكريمة، فمن كان مستناً فليستن بسيد الخلق أجمعين: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٥١)واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠/ ٢٦٨٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦١/ ٢١٩٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٧٥)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٧).

شمائل النبي صلى الله عليه وسلم :

« كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً، وَأَحْسَنَهُ خَلْقاً، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ ، وَلا بِالقَصِيرِ » . متفق عليه[١] .

و« كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ الله ﷺ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوهُ لِيْفٌ » . متفق عليه[٢] .

و« كَانَ ﷺ إذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ » . متفق عليه[٣] .

و« كَانَ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ» . متفق عليه[٤] .

و« كَانَ ﷺ إذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ » . متفق عليه[٥] .

و« كَانَ ﷺ يُبَاشِرُ نِسَاءَهُ فَوقَ الإزَارِ وَهُنَّ حُيَّضٌ » . متفق عليه[٦] .

و« كَانَ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ » . متفق عليه[٧] .

و« كَانَ ﷺ يُقبِّلُ، وَيُبَاشِرُ، وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لإرْبِهِ » . متفق عليه[٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٤٩) ، ومسلم برقم: (٩٣/ ٢٣٣٧)، واللفظ له

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٥٦)، ومسلم برقم: (٣٨ / ٢٠٨٢)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤١٧٥)، ومسلم برقم: (٥١ / ٢١٩٢) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٦٢)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٧/ ٢٣٢٠).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٤١٨) ، ومسلم برقم: (٢٧٦٩) واللفظ له.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٣)، ومسلم برقم: (٣ / ٢٩٤)،واللفظ له .

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٦٨)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١/ ٢٢٦).

(٨) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٢٧)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٥/ ١١٠٦).

و« كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لا يَطْرُقُ أَهْلَهُ، كَانَ لا يَدْخُلُ إِلَّا غُدْوَةً، أَوْ عَشِيَّةً » . متفق عليه[1] .

و« كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يحُبُّ العَسَلَ ، وَالحَلْوَاءَ ، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ العَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ » . متفق عليه[2] .

و« كَانَ ﷺ لا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا نَهَاراً فِي الضُّحَى ، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالمسْجِدِ ، فَصَلَّى فِيْهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ » . متفق عليه[3] .

و« كَانَ ﷺ مَرْبُوعاً ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ ، لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ » . متفق عليه[4] .

و« كَانَ شَعَرُ رَسُولِ الله ﷺ رَجِلاً ، لَيْسَ بِالسَّبِطِ ، وَلا الجَعْدِ ، بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، وَعَاتِقِهِ » . متفق عليه[5] .

و« كَانَ ﷺ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيحُيِي آخِرَهُ » . متفق عليه[6] .

و« كَانَ ﷺ يحُبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ » . متفق عليه[7] .

و« كَانَ ﷺ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ » . متفق عليه[8] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٠٠)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٨٠/ ١٩٢٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٦٨)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٠ / ١٤٧٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٤٠٠)، ومسلم برقم: (٧٤/ ٧١٦) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٥١)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٩١/ ٢٣٣٧).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٠٥)،واللفظ له ، ومسلم برقم: ٩٤/ ٢٣٣٨).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٠٩٥)، ومسلم برقم: (١٢٩/ ٧٣٩)،واللفظ له .

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢٨)، ومسلم برقم: (٩/ ٥٢٤) واللفظ له.

(٨)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤١٧٥)، ومسلم برقم: (٥١ / ٢١٩٢) واللفظ له.

و« كان ﷺ إذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثاً حَتَّى تُفْهَمَ ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَومٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّم عَلَيهِمْ ثَلاثاً » . أخرجه البخاري[1] .

و« كَانَ ﷺ إذَا اشْتَدَّ البَرْدُ بَكَّرَ بِالصَّلاةِ ، وَإِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ أَبْرَدَ بِالصَّلاةِ » . أخرجه البخاري[2] .

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه : « لقَلَّمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يخْرُجُ إذَا خَرَجَ فِي سَفَرٍ إلَّا يَوْمَ الخَمِيسِ » . أخرجه البخاري[3] .

و« كَانَ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ ، فَإِذَا أَرَادَ الفَرِيْضَةَ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ » . أخرجه البخاري[4] .

و« كَانَ رَسُولُ الله ﷺ رَحِيماً رَفِيقاً » . أخرجه البخاري[5] .

و« كَانَ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » . أخرجه البخاري[6] .

و« كَانَ ﷺ إذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ، وَعَلا صَوتُهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ : صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ » . أخرجه مسلم[7] .

و« كَانَ ﷺ إذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ » . أخرجه مسلم[8] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٩٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٨٦٤).
(٣) أخرجه البخاري برقم: (٢٩٤٩).
(٤) أخرجه البخاري برقم: (٤٠٠).
(٥) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٢).
(٦) أخرجه البخاري برقم: (٢١١).
(٧) أخرجه مسلم برقم: (٤٣/ ٨٦٧).
(٨) أخرجه مسلم برقم: (٤٤/ ٢٥٣).

و« كَانَ ﷺ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ » . أخرجه مسلم[1] .

و« كَانَ ﷺ يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيْحٌ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ » . أخرجه مسلم[2] .

و« كَانَ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيهِ بِالمُعَوِّذَاتِ». أخرجه مسلم[3] .

و« كَانَ ﷺ يَذْكُرُ الله تَعَالَى عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ » . أخرجه مسلم[4] .

و« كَانَ ﷺ رَجُلاً سَهْلاً » . أخرجه مسلم[5] .

و« كَانَ ﷺ يُوجِزُ فِي الصَّلاةِ وَيُتِمُّ » . أخرجه مسلم[6] .

و« كَانَ ﷺ لا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ ، أَو الغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ » . أخرجه مسلم[7] .

و« كَانَ ﷺ رَحِيماً رَفِيقاً » . أخرجه مسلم[8] .

و« كَانَ ﷺ يَتَخَلَّفُ فِي المَسِيرِ ، فَيُزْجِي الضَّعِيفَ ، وَيُرْدِفُ ، وَيَدْعُوْ لهُمْ » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[9] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٧/ ٢٥٣١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٣/ ٧٧٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٥٠/ ٢١٩٢).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١١٧/ ٣٧٣).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (١٣٧/ ١٢١٣).

(٦) أخرجه مسلم برقم: (١٨٨/ ٤٦٩).

(٧) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٦/ ٦٧٠).

(٨) أخرجه الإمام مسلم برقم: (٢٩٢/ ٦٧٤).

(٩) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٦٣٩).

و« كَانَ ﷺ إِذَا اكْتَحَلَ اكْتَحَلَ وِتْراً وَإِذَا اسْتَجْمَرَ اسْتَجْمَرَ وِتْراً » . أخرجه أحمد بسند صحيح[1] .

و« كان ﷺ تعجبه الريح الطيبة » . أخرجه أحمد ، وأبو داود بسند صحيح[2] .

و« كَانَ ﷺ إِذَا دَعَا لأَحَدٍ بَدَأَ بِنَفْسِهِ » . أخرجه أحمد ، وأبو داود بسند صحيح[3] .

و« كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ القَمِيْصُ » . أخرجه أبو داود ، والترمذي بسند صحيح[4] .

و« كَانَ ﷺ إِذَا أَرَادَ الحَاجَةَ أَبْعَدَ ». أخرجه أحمد ، والنسائي بسند صحيح[5] .

و« كَانَ ﷺ يَلْبَسُ النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ ، وَيُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ بِالوَرْسِ ، وَالزَّعْفَرَانِ » . أخرجه أبو داود ، والنسائي بسند صحيح[6] .

و« كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ خَاتِمُ فِضَّةٍ يَتَخَتَّمُ بِهِ فِي يَمِينِهِ » . أخرجه النسائي بسند صحيح[7] .

و« كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لا يَتَوَضَّأُ بَعْدَ الغُسْلِ » . أخرجه الترمذي ، والنسائي بسند صحيح[8] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٧٤٢٦).
(٢) صحيح/ أخرجه داود برقم: (٤٠٧٤)، وأحمد برقم: (٢٥٠٠٣).
(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢١١٢٦)، وداود برقم: (٣٩٨٤).
(٤) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٧٦٤)، وداود برقم: (٤٠٢٥).
(٥) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (١٦)، وأحمد برقم: (١٥٦٩٨).
(٦) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: ٥٢٤٤)، داود برقم: (٤٢١٠).
(٧) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٥١٩٧).
(٨) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٠٧) ، والنسائي برقم: (٢٥٢).

و« كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَوَضَّأُ بِالمُدِّ ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ » . أخرجه أبو داود ، والنسائي بسند صحيح[1] .

و« كَانَ ﷺ يَبِيْتُ اللَّيَالِيَ المُتَتَابِعَةَ طَاوِياً ، وَأَهْلُهُ لا يَجِدُوْنَ عَشَاءً ، وَكَانَ عَامَّةُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيْرِ » . أخرجه أحمد ، والترمذي بسند صحيح[2] .

و« كَانَ ﷺ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ ، أَوْ بِثَوْبِهِ ، وَغَضَّ بِهَا صَوْتَهُ » . أخرجه أبو داود ، والترمذي بسند صحيح[3] .

و« كَانَ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ ، وَيُطِيلُ الصَّلَاة ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ ، وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ ، وَالمسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الحَاجَةَ » . أخرجه النسائي بسند صحيح[4] .

و« كان ﷺ إذا رَاعَهُ شيء قال : هُوَ الله رَبِّي لا أُشْرِكُ بِهِ شَيئاً » . أخرجه النسائي بسند صحيح[5] .

و« كَانَ ﷺ لا يُسْأَلُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ أَوْ سَكَتَ » . أخرجه الحاكم بسند صحيح[6] .

و« كَانَ ﷺ إِذَا مَشَى مَشَى مجْتَمِعًا لَيْسَ فِيهِ كَسَلٌ » . أخرجه أحمد ، والبزار بسند صحيح[7] .

---

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٣٤٧)، داود برقم: (٩٢).
(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٦٠)، أحمد برقم: (٢٣٠٣).
(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٧٤٥)، وأبو داود برقم: (٥٠٢٩).
(٤) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (١٤١٤).
(٥) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٣٣٥).
(٦) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم: (٢٥٩١).
(٧) صحيح/ أخرجه البزار برقم: (٢٣٩١)، وأحمد برقم: (٣٠٣٤).

و« كَانَ ﷺ كَانَ يخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ » . أخرجه أحمد ، والبخاري في الأدب المفرد بسند صحيح[1] .

و« كَانَ ﷺ رَحِيماً ، وَكَانَ لا يَأْتِيهِ أَحَدٌ إِلَّا وَعَدَهُ ، وَأَنْجَزَ لَهُ إِنْ كَانَ عِنْدَه » . أخرجه البخاري في الأدب المفرد بسند حسن[2] .

و« كَانَ كَلامُ رسول الله ﷺ كَلاماً فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ » . أخرجه أبو داود بسند حسن[3] .

و« كَانَ ﷺ لا يَنَامُ إِلَّا وَالسِّوَاكُ عِنْدَهُ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ » . أخرجه أحمد بسند حسن[4] .

فهذه شمائل النبي ﷺ، وهذه أقواله، وهذه أفعاله، وهذه أخلاقه .

فمن كان يرجو لقاء ربه، فليقتد به، ويسير على هديه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٨] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٤٩٤٧)، والبخاري في الأدب المفرد برقم: (٥٠٤٨).

(٢) حسن/ أخرجه البخاري برقم: (٢١٢) في الأدب المفرد.

(٣) حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٨٣٩).

(٤) حسن/ أخرجه أحمد برقم: (٤٨٧٢).

٢- الخزانة الثانية

- **فقه حسن الخلق :**

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وقال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين والأجر والدرجة.

والخلق: هو بذل المعروف، وكف الأذى، واحتمال الأذى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣- ١٣٤].

وإنما يدرك العبد ذلك بثلاثة أشياء :

بالعلم .. والجود .. والصبر .

فالعلم : يرشد الإنسان إلى مواقع بذل المعروف، والفرق بينه وبين المنكر، ووضع الشيء في موضعه ، فلا يضع الغضب موضع الحلم ، ولا العكس ، ولا يضع الإمساك موضع البذل ، ولا العكس: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء:٢٩] .

بل يعرف مواقع الخير ، والشر ، ومراتبها ، وموضع كل خلق أين يضعه ؟ ، وأين يحسن استعماله ؟ .

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة:٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحديد:٢٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

أما الجود فيبعث الإنسان على المسامحة بحقوق نفسه ، ودفع المزيد عند أداء حقوق غيره ، فالجود قائد جيوش الخير كلها .

وكان النبي ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ . متفق عليه[1]

والصبر يحفظ عليه استدامة ذلك ، ويحمله على الاحتمال ، وكظم الغيظ ، وكف الأذى ، وعدم مقابلة الإساءة بمثلها ، وهو أكبر العون على كل مطلوب :﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة:٤٥] .

فبهذه الثلاثة تحصل تزكية النفوس ، وتهذيبها ؛ لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى ، ومعية من تحبه ، فإن المرء مع من أحب .

وحسن الخلق بذل الجميل ، وكف القبيح ، والتخلي عن الرذائل ، والتحلي بالفضائل : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٩٠٢)، ومسلم برقم(٩/ ٥٢٤) .

- **أركان حسن الخلق:**

حسن الخلق يقوم على أربعة أركان :

الصبر .. والعفة .. والشجاعة .. والعدل .

فالصبر يحمل الإنسان على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم، والأناة، والرفق ، وعدم الطيش ، والعجلة.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران:٢٠٠] .

والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح، من الأقوال والأفعال ، وتحمله على الحياء، وهو رأس كل خير ، وتمنعه من الفحشاء والمنكر من البخل والكذب، والغيبة والنميمة:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠].

والشجاعة تحمله على عزة النفس ، وإيثار معالي الأخلاق ، والشيم ، وعلى البذل ، والندى ، وتحمله على كظم الغيظ ، والحلم .

فبالشجاعة يمسك عنان نفسه، ويمسك بلجامها عن النزغ، والبطش: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه، فلا إفراط ، ولا تفريط ، فيحمله على خلق الجود والسخاء ، الذي هو وسط بين الإمساك والإسراف والتبذير .

ويحمله على خُلق الحياء ، الذي هو وسط بين الذل ، والقحة .

ويحمله على خلق الشجاعة ، الذي هو وسط بين الجبن ، والتهور .

ويحمله على خلق الحلم، الذي هو وسط بين الغضب، والمهانة: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجرات:٩] .

ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة .

- **أركان سوء الخلق:**

أما الأخلاق السافلة فمنشؤها، وبناؤها، يقوم على أربعة أركان :

- الجهل
- والظلم
- والشهوة
- والغضب .

فالجهل : يُري الإنسان الحسن في صورة القبيح ، والقبيح في صورة الحسن ، والنقص كمالاً ، والكمال نقصاً ، والحق باطلاً ، والباطل حقاً ، نعوذ بالله من الجهل وأهله : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنعام:٣٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

والظلم : يحمله على وضع الشيء في غير موضعه ، فيغضب في موضع الرضا ، ويرضى في موضع الغضب ، ويجهل في موضع الأناة ، ويبخل في موضع البذل ، ويبذل في موضع الإمساك ، ويحجم في موضع الإقدام ،

ويقدم في موضع الإحجام، وهكذا: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فاطر:٨] .

والجاهل يلين في موضع الشدة ، ويقسو في موضع اللين ، ويتواضع في موضع العزة ، ويتكبر في موضع التواضع .

والشهوة : تحمله على الحرص والطمع ، والبخل والشح ، والنهمة والجشع ، والذل وعدم العفة ، والدناءات كلها: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

والغضب : يحمله على الكبر والحقد، والحسد والعدوان، والسفه: ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص:٤] .

- **أقسام الأخلاق:**

الأخلاق نوعان :

أخلاقٌ حسنة ممدوحة

أخلاقٌ سيئة مذمومة .

فالخلق الحسن:

هو الأدب والفضيلة، وينتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلاً وشرعاً، كالصدق والصبر، والحلم والإحسان، والعفو والإيثار، والرحمة واللين، ونحوها: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ ۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

والخلق السيئ :

هو سوء الأدب والرذيلة، وينتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلاً وشرعاً، كالكذب والعجلة والجهل، والبخل والرياء، والحسد والظلم والحرص، ونحوها .

والله يأمر بكل حسن من الأقوال والأعمال والأخلاق، وينهي عن كل سيئ من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠].

- **فقه الأخلاق:**

علم الأخلاق في الإسلام يدور حول تنظيم سلوك الإنسان ، وتنبيهه إلى الخير، ليسعي إليه ، وإلى الشر، ليجتنبه ويتركه .

فهو علم يبحث في الأحكام التي تعرف بالفضائل، ليتحلى بها الإنسان، والرذائل ليجتنبها، بهدف تزكية النفس على أساس من الوحي الإلهي: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

وكل خُلق محمود مكتنف بخُلقين ذميمين ، وهو وسط بينهما ، وطرفاه خُلقان ذميمان ، كالجود الذي هو وسط بين خلق البخل والتبذير ، والتواضع الذي هو وسط بين خلق الذل ، والمهانة ، والكبر والعلو .

والنفس إذا انحرفت عن التوسط انحرفت ولا بدَّ إلى أحد الخُلقين الذميمين ، فإن انحرفت عن خلق التواضع انحرفت إما إلى كبر وعلو ، وإما إلى ذل ومهانة وحقارة .

وإذا انحرفت عن خلق الحياء ، انحرفت إلى قحة وجرأة ، وإما إلى عجز وخور ومهانة .

وإذا انحرفت النفس عن خلق الأناة ، والرفق ، انحرفت إما إلى عجلة وطيش وعنف ، وإما إلى تفريط وإضاعة .

وإذا انحرفت النفس عن خلق الصبر ، انحرفت إما إلى جزع وهلع وجشع وتسخط ، ، وإما إلى غلظة كبد ، وقسوة قلب ، وتحجر طبع .

وإذا انحرفت النفس عن خلق الحلم ، انحرفت إما إلى الطيش والترف والحدة والخفة ، وإما إلى الذلة والمهانة والعجز والحقارة .

وإذا انحرفت النفس عن خلق العزة ، التي وهبها الله للمؤمنين ، انحرفت إما إلى كبر ، وإما إلى ذل ، والعزة المحمودة بينهما .

وإذا انحرفت عن خلق الشجاعة ، انحرفت إما إلى تهور وإقدام غير محمود ، وإما إلى جبن وتأخر مذموم .

وإذا انحرفت عن خلق القناعة ، انحرفت إما إلى حرص وطمع ، وإما إلى خسة ومهانة وإضاعة .

وإذا انحرفت عن خلق الرحمة ، انحرفت إما إلى قسوة وغلظة ، وإما إلى ضعف القلب وجبن النفس، كمن لا يقدم على ذبح شاة ، ولا إقامة حد ، أو تأديب ولد .

وصاحب الخلق الوسط مهيب محبوب ، عزيز جانبه ، حبيب لقاؤه ، غزيرة منافعه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

ولا ينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان :

- العفة عما في أيدي الناس
- والتجاوز عما يكون منهم.

قال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

ومعاشرة النبي ﷺ قامت على أصلين :

البساطة .. والحياء .

ومعاشرة الكفار قامت على :

الإسراف .. والفحشاء .. والتبذير .

والخلق ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة ويسر، من غير تقدم فكر أو رويَّة أو تكلف : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨] .

٣- الخزانة الثالثة

- **فقه الأخلاق :**

الأخلاق في الإسلام ربانية المصدر، وكلها مستمدة من الشرع ، وهي ربانية الهدف فكلها يبتغي بها المسلم وجه الله ورضاه ، وهي عبادة من أعظم العبادات : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

منها ما هو مأمورًا به كالصدق والإحسان ، ومنها ما هو منهي عنه كالكذب والبخل ، والمأمور به درجات ، والمنهي عنه درجات ، ففعل المأمور به عبادة ، وترك المنهي عنه عبادة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وقال تعالى :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

ومهما تخلق الإنسان بالأخلاق الحسنة، فإنها ستبقى صورة بلا روح ، طالما لم يُرِد بها صاحبها وجه الله ورضاه ، فليس الغرض من الأخلاق وجود صورتها الخارجية ، وإنما هذه آثارها ، فمصدرها قلبي ، وأصلها صلاح الباطن ، تملك على المسلم قلبه ، ويدفعه إليها إيمانه ، ويزيده الالتزام بها إيمانًا ؛ لأنها عبادة .

فالعدل عبادة مأمور بها ، والإحسان عبادة ، وترك الفحشاء والمنكر عبادة ، وترك المنكرات كلها عبادة ، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ

وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠].

والعدل مع العدو أقرب إلى التقوى ؛ لأنها مسألة عبادية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المائدة:٨] .

فقد يكون هذا العدل سببًا لهداية الكافر ، ومهما حسنت أخلاق الكافر ، فهي هباء منثور ؛ لأنها لم تكن خالصة لوجه اللهﷻ ، وإذا لم تكن خالصة لله ، فإنها ستظهر نفاقاً ، أو لمصلحة ثم تزول ، ويظهر ما وراءها من سوء الخلق ، كما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الفرقان: ٢٣] .

والإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق ، والسمو إلى أعلى الدرجات ، ولكنه يراعي نفسية البشر ، وحاجاتهم وقدراتهم ، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن:١٦] .

ولا يعتبر الخائف، أو المكره ناقضاً للصدق إن كذب؛ لينجو حين لا ينجيه من البطش إلا الكذب، كما قال سبحانه: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾[النحل:١٠٦] .

كما لا يعد الجائع المضطر خائناً للأمانة إن سرق ليأكل ، ولا يعد طيشاً وخروجاً عن خلق الحلم ، إن غضب ، وثار من استُفِز ، واستُغْضِب : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[الشورى:٣٩] .

والأخلاق الإسلامية ، أصيلة في نفس صاحبها ، لا تفارقه في جميع أحواله ، فليست قميصاً يلبسه إذا شاء ، وينزعه إذا شاء ، بل هي لازمة له لزوم النور للشمس ؛ لأنها تعبدية ، يدور صاحبها مع الحق حيث دار ، ويثبت عليها في كل حال : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْٓاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود:١١٢] .

فلا يتغير خُلق المسلم مع الضعفاء والأقوياء، ولا مع الفقراء والأغنياء، ولا يتغير خلقه في حال رضاه وغضبه، ولا في حال فقره وغناه، ولا في حال خلوته وجلوته، ولا في حال سفره وإقامته ، ولا فيما له ولا فيما عليه .

ولا تختلف أخلاقه حين يكون أميراً أو مأموراً ، أو مكرماً أو مظلوماً .

فالمسلم ثابت على أخلاقه التي أمره الله بها ؛ لأنها عبادة يتقرب بها إلى ربه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤- ٣٥].

أما أخلاق الكفار، فهي متقلبة تدور مع المصالح والأهواء، وتدير صاحبها على حسب تقلبها: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج:١١] .

والأخلاق التي جاء بها الإسلام شاملة كاملة ، تغطي جميع جوانب حياة الإنسان ، وتشمل كافة أحواله ، وسائر علاقاته ، فالنبي ﷺ بُعث ليتمم مكارم الأخلاق ، كما قال ﷺ : « إِنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاَقِ » . ، وفي رواية « صَالِحَ الأَخْلاَقِ ».أخرجه أحمد والبخاري في الأدب[1] .

فالمؤمن حسن العلاقة مع ربه ، ومع الناس، وفي بيته، وفي عمله، وفي بيعه وشرائه ، حسن الأخلاق في أكله وشربه، وفي يقظته ونومه، وفي صحته وسقمه ، وفي ظاهره وباطنه ، وفي قلبه ، وجوارحه .

وكل الأخلاق الإسلامية مطلوبة، العدل، والإحسان ، والرحمة، والشدة ، فلا يغلب بعضها على بعض ، ولكل خُلق حالة ومكان .

فإن غلبت على الإنسان صفات القوة والشجاعة والعزة ، فسيجأر الناس إلى الله من عدوانه وجبروته وتكبره ، وإن غلبت عليه صفات العفو والسماحة والسكينة ، ربما رأى فيه الناس الذلة والمسكنة .

وإن غلبت عليه صفات الجرأة والصراحة والنصيحة ، ربما شَكَوا من سوء أدبه، وقلة احترامه .

فالأخلاق الإسلامية مع كمالها متوازنة ، تدعو إلى العزة والتواضع ، كما تدعو إلى الانتصار والعفو .

- **أنواع الأخلاق :**

الأخلاق نوعان :

منها ما هو طبيعة وجبلة يتفضل الله بها على بعض خلقه ، فيجبلهم عليها من غير كسب منهم ، ولا جهد ، كما قال النبي ﷺ لأشج بن عبد القيس : « إنَّ

(١) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب برقم(٢٧٣)، وأحمد برقم(٨٩٣٩).

فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ : الحِلْمُ ، وَالأَنَاةُ » . أخرجه مسلم[1] .

فمثل هذا فضل من الله ومنة على من أوليها .

ومن لم يؤتها مكلف بمجاهدة نفسه حتى يحصل عليها ، وتصبح له خُلقاً مكتسباً بعد الترويض والمجاهدة ، وتنقلب مع الزمن إلى طبع ثابت، وخُلق أصيل ، فهذا هو النوع الثاني، وهو المكتسب الذي يحصل بالتخلق والتكلف حتى يصير ملكة وسجية ، ولذلك قال النبي ﷺ : « وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا لهِ وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » . متفق عليه[2] .

فبالتسامح يصبح سمحاً، وبالتورع يصبح ورعاً للهِ وهكذا في باقي الأخلاق.

اللهم أهدنا لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، وأصرف عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت .

والأخلاق الإسلامية تؤخذ بالتأسي والاقتداء بأهل الأخلاق الفاضلة ، وهكذا تتوارث الأجيال الأخلاق العالية بالنظر إلى أخلاق القرون الأولى الصالحين، ويتوارث الأفراد مكارم الأخلاق بالاقتداء والتأسي بأحاسنهم أخلاقاً .

ولذلك فإن الله لم ينزل كتبه إلا وأرسل معها العامل بها، القائم عليها من رسله، الممتثل لأوامرها، والمتخلق بأخلاقها ؛ ليقتدي به الناس، ويتأسون به، خاصة أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً ، سيدنا محمد ﷺ، الذي كان خلقه

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥/ ١٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٦٩)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٢٤/ ١٠٥٣).

القرآن، وأثنى عليه ربه بكمال خلقه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

فنعم الراكب ، ونعم المركوب ، وشرع لنا الاقتداء به ، والتأسي به في جميع الأحوال ، كما قال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

والأخلاق الإسلامية لا تطلب من الناس بكمها الكبير وكُليتها الشاملة من أول يوم يلج فيه الإنسان باب الهداية، بل لابدَّ من التدرج بتقديم الأهم، والأوجب في الأوامر، واجتناب الأفحش والأخطر في باب المناهي: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[التغابن:١٦] .

فيطالب ابتداء بالصدقة بما تجود به نفسه ، ولا يطالب بالتنازل عن كل ماله ، كما فعل أبو بكر ﷺ ؛ لقوة إيمانه .

وكذلك لا ننتظر منه أكثر من العفو عمن أساء إليه ، أما أن يحسن إلى المسيء ، فتلك مرتبة أعلى ومقام أرفع ، يمكن أن يرتقي إليها بالتربية تدريجياً: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

والقفز إلى معالي الأخلاق ، من العزيمة التي يوفق إليها أهل الهمم الكبيرة ، ولكن أغلب النفوس يربيها التدريج والتدرج ، والأخلاق درجات

متفاوتة، وبحار واسعة ، والناس فيها متفاوتون ، وأحسن الأخلاق ما حسن به صاحبه ، وشرف به حامله .

- **درجات الأخلاق:**

الخُلق على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : أن يعرف العبد مقام الناس، ومقاديرهم ، وجريان الأحكام القدرية عليهم ، وأنهم مقيدون بالقدر، لا خروج لهم عن القدر البتة ، وأنهم محبوسون في قدرتهم وطاقتهم، لا يمكنهم تجاوزها إلى غيرها ، وأنهم موقوفون على الحكم الكوني القدري ، لا يتعدونه ، فيحسن خُلقه معهم : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣- ١٣٤].

وبهذه المعرفة يستفيد العبد ثلاثة أشياء :

أمن الخلق منه .. ومحبة الخلق له .. ونجاة الخلق به .

فالعبد العارف بالله ، إذا نظر إلى الخلق بعين الحقيقة ، لم يطالبهم بما لا يقدرون عليه، فيعفو عنهم ، ويأمنوا من تكليفه إياهم بما لا يقدرون عليه ، فإنه في هذه الحال عاذر لهم ، فيما يجري عليهم من الأحكام ، فيما لم يأمر الشرع بإقامته فيهم ؛ لأنهم إذا كانوا محبوسين في طاقاتهم ، فينبغي مطالبتهم بما يطالب به المحبوس ، وعذرهم بما يعذر به المحبوس .

وإذا بدا منهم في حقك تقصير، أو إساءة ، أو تفريط، فلا تقابلهم به ، ولا تخاصمهم ، بل اغفر لهم ذلك واعذرهم ، نظراً إلى جريان الأحكام عليهم، وأنهم آلة ، وهذا ما يجلب محبتهم له ، ويرشدهم إلى القبول منه ، وتلقي

ما يأمرهم به ، وما ينهاهم عنه، بأحسن التلقي: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة:٥١] .

وقال الله ﷻ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١]

الدرجة الثانية : تحسين خلقك مع الحق سبحانه ، وتحسينه منك ، أن تعلم أن كل ما يأتي منك يوجب عذراً ، وأن كل ما يأتي من الحق يوجب شكراً ، وألا ترى له من الوفاء بداً : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء:١٤٧] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور:٣١] .

فتعلم أيها الإنسان أنك ناقص ، وكل ما يأتي من الناقص ناقص ، يوجب اعتذار العبد منه لا محالة ، فعلى العبد أن يعتذر إلى ربه من كل ما يأتي به من خير، وشر: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

أما الشر فظاهر ، وأما الخير فيعتذر من نقصانه أو تأخيره ، ولا يراه صالحًا لربه ، فهو مع إحسانه معتذر وَجِل ، ولذلك مدح الله أولياءه بالوجل ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] .

والحامل للعبد على هذا الاعتذار أمران :

أحدهما : شهود تقصيره في العمل ، ونقصانه .

الثاني : صدق محبته لربه.

فإن المُحب الصادق ، يتقرب إلى محبوبه بغاية إمكانه وهو معتذرًا إليه ، مستحي منه ، يرى أن قدره فوقه ، وأجل منه .

ويعلم أن كل ما يصدر منه سبحانه إلى عبده نافع عظيم، وأنه يوجب عليه الشكر ، وأنه عاجزًا عن شكره ، ولا يتبين هذا إلا في المحبة الصادقة ، فإن المحب يستكثر من محبوبه كل ما يناله منه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨] .

ويعامل الحق سبحانه بمقتضى الاعتذار من كل ما منه ، والشكر على كل ما من ربه ، وهذا عقدًا لازم لك أبداً ، لا ترى من الوفاء به بداً .

الدرجة الثالثة : الاشتغال بالله ﷻ عن كل ما سواه ، فيتقرب إليه بما يحب من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق، ويستأنس به ، ويستوحش من غيره ، ويتلذذ بعبادته ومناجاته ، ويقف أمام ربه وقوف العبد العاجز المقصر المحتاج، معظماً لربه، حامداً له، مستعيناً به، مستغفراً له، سائلاً له، معتذراً إليه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

- **أصول الأخلاق:**

أصول الأخلاق بالنسبة للنفس ستة :

١- الإخلاص لله في السر ، والعلانية .

٢- والعدل في الغضب ، والرضا .

٣- والقصد في الفقر ، والغنى .

٤- وأن يكون صمتي فكراً .

٥- ونطقي ذكراً .

٦- ونظري عِبراً .

هذا بالنسبة للنفس: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾[الزمر:٢-٣] .

إما بالنسبة للغير فأصول الأخلاق أربعة :

أن أعفو عمن ظلمني .. وأعطي من حرمني .

وأصل من قطعني .. وأحسن إلى من أساء إلي.

قال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وأعظم من تمثلت فيه هذه الأخلاق العظيمة ، سيد الخلق محمد ﷺ ، الذي قال عنه ربه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ ﴾[القلم:٤] .

ومكانة المسلم عند الله عظيمة، وحقه كبير ، فإن في قلبه لا إله إلا الله التي لو وضعت السموات والأرض ومن فيهن في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة،

لمالت بهن ، ومن بدن هذا الإنسان وجوارحه تصدر الأقوال والأعمال والأخلاق التي جاء بها رسول الله ﷺ، فكم وزنه عند الله ؟ وكم قيمته عند مولاه ؟ .

فلهذا المسلم حقوق على أخيه المسلم ، لا بدَّ من معرفتها أولاً ، وأدائها ثانياً ، كما قال النبي ﷺ: « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ » . ، قِيلَ : مَا هُنَّ ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قال: « إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ » . متفق عليه[1] .

فيجب على كل مسلم إكرام كل مسلم ، ولإكرام المسلم أربع درجات :

الأولى : أداء الحقوق حسب أمر الله ورسوله به ، وكيفية أدائها بإعطاء كل ذي حق حقه حسب مكانته، فمنها:

حقوق الوالدين ، والأقربين ، والجيران ، وحقوق الزوج على زوجته ، حقوق الزوجة على زوجها ، وحقوق الحكام على الرعية ، وحقوق الرعية على الحكام ، وحقوق الفقراء على الأغنياء ، وحقوق الأغنياء على الفقراء ، وحقوق العلماء على المؤمنين ، وحقوق المؤمنين على العلماء ، وحقوق الكبار على الصغار، وحقوق الصغار على الكبار، وهكذا.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء:٣٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٢٤٠)، ومسلم برقم(٥/ ٢١٦٢).

الثانية : حسن الخلق ، فعلى المسلم أن يتخلق بالأخلاق التي تخلق بها النبي ﷺ ، سواء كانت أداءً للواجب نحو خالقه بالإيمان به، وتوحيده ، وعبادته ، وطاعته ، أو كانت تتعلق بالمخلوق نفسه ، أو تتعلق بغيره ؛ لتكون هذه الأخلاق سبباً لمحبة الله له ، ومحبة الناس له: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

الثالثة : الإيثار ، وهو درجة الكمال للأخلاق ، وهو أن يفضل الإنسان غيره ، ويقدم حاجة أخيه على حاجته ، وأن يحسن إلى من لا يحسن إليه ، فالله ﷻ مع كونه غنياً قادراً يغفر للعاصين ، ويرزق المؤمنين والعاصين والكافرين ، على حد سواء ؛ لأنه لا رازق غيره ، ولا رب سواه ، ولا أكرم منه : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾ [يونس:/ ٣١-٣٢].

فعلى الإنسان أن يقضي حوائج الآخرين تقربًا إلى ربه قبل أن يقضي حوائجه ، ويخدم خلق الله قبل أن يخدم نفسه ؛ لينال الأجر ، ويكسب محبة الله ، ومحبة خلق الله ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحبون كل مؤمن: ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾[الحشر:٩] .

الرابعة : الإكرام ، ودرجة الإكرام درجة خاصة لا يستحقها غير أهل التقوى من المسلمين .

فالدرجات ثلاث :

الأُوَل لجميع الناس ، أما الدرجة الرابعة ، فهي تخص المؤمنين فقط .

فالمسلم مهما بلغ من الضعف والتقصير لا يمكن إهماله وتركه ، بل نبذل الجهود في إرشاده وتعليمه بالرفق واللين ، والترغيب والترهيب .

فهو كالمريض تجب مداواته ، والعناية به ، حتى يعود إلى صحته ، فالله قد اختاره ، وزينه بالإيمان ، وأكرمه بالإسلام ، وأدخله إلى بيته .

وإذا تغيرت أحواله ، وساءت أخلاقه ، لزم إكرامه ونصحه، فالدين النصيحة ، وترغيبه وإرشاده حتى يعود إلى ربه ، وبالإكرام والتذكير تتغير القلوب ، ثم يتغير عمل الجوارح ، كما يحي الله الأرض بالماء بعد موتها ، كما قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد:١٦-١٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَة ».

متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨/ ١١)،واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (٤/ ١٧٠٦).

٤ - الخزانة الرابعة

- **فقه تغيير الأخلاق :**

التغيير سنةٌ كونية جارية فيها آياتٌ وعبر : ﴿ لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾[الفرقان:٦٢] .

والله يغير في ملكه ما شاء، متى شاء، كيف شاء ، ليلًا ونهارًا، صيفًا وشتاءً، حراً وبرداً، صحةً ومرضًا، راحًة وتعبًا، وحركًة وسكوناً، وآمنًا وخوفًا: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾[النور:٤٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[آل عمران: ٢٦ - ٢٧]

وقد حمّل الله ﷻ الإنسان أمانة تغيير أخلاقه من بين سائر المخلوقات ، ومكّنه من اختيار ما يريد من إيمان وكفر ، وعدلٍ وظلم ، وحقٍّا وباطل : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان:٢-٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الكهف:٢٩] .

والإنسان يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها ، ويكسب أخلاقه من خلالها ، فإن كانت طيبة تذكر بالله واليوم الآخر طابت أخلاقه وأعماله ، وإن كانت سيئة

فيها الفواحش والفجور والشهوات ساءت أخلاقه ، وفسدت أعماله ، ولهذا أمرنا الله ﷻ بلزوم البيئة الصالحة ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

وحذرنا من البيئة الفاسدة كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[الأنعام:٦٨] .

وأصعب ما على الطبيعة الإنسانية تغيير الأخلاق التي طُبعت النفوس عليها ، فهي كالنهر المنحدر الذي إن تُرك أغرق الأرض والعمران، فسكره وحبسه لا يجدي؛ لأنه سيجتمع فيكون إفساده وتخريبه أعظم ، وقطعه من أصل الينبوع متعذر ؛ لأنه كلما سد من موضع نبع من موضع آخر، فلم يزل خطره؛ لكن الأجدى، والأنفع، صرفه عن مجراه المنتهى إلى العمران إلى موضع ينتفعون بوصوله إليه ، ولا يتضررون به ، فصرفه إلى أرض قابلة للنبات، وسقيها به، أجدى وأنفع وأسلم .

إذا تبين هذا فالله العليم الحكيم اقتضت حكمته أن ركب الإنسان ، والحيوان على طبيعة محمولة على قوتين :

قوة غضبية .. قوة شهوانية .

وهاتان القوتان هما الحاملتان لأخلاق النفس وصفاتها ، وهما مركوزتان في جبلة كل حيوان برحمة العزيز العليم ، فبقوة الشهوة يجذب الإنسان المنافع إلى نفسه ، وبقوة الغضب يدفع المضار عن نفسه ، فإذا استعمل الإنسان الشهوة في طلب ما يحتاج تولد منها الحرص .

وإذا استعمل الغضب في دفع المضرة عن نفسه تولد منه القوة والغيرة ، فإذا عجز عن ذلك الضار أورثه قوة الحقد ، وإن عجز عن وصول ما يحتاج إليه، ورأى غيره مستبداً به أورثه الحسد، فإن ظفر بما يحب ويحتاج أورثته شدة شهوته خلق البخل والشح ، وإن اشتد حرصه على الشيء ، واشتدت شهوته له، ولم يمكنه تحصيله إلا بالقوة الغضبية، فاستعملها فيه، أورثه ذلك العدوان ، والبغي والظلم ، ومنه يتولد الكبر والفخر والخيلاء ، فالنهر مثال هاتين القوتين الغضبية، والشهوانية، وهو منصب في جداول الطبيعة، ومجراها إلى دور القلب، وعمرانه يخربها وينفعها، ولا بد:

قال النبي ﷺ: « أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه[1] .

فالنفوس الجاهلة الظالمة تركته ومجراه، فخرب ديار الإيمان ، وهدم عمران الإسلام ، وقلع أشجاره الطيبة ، وأنبت موضعها كل شجرة خبيثة .

وأما النفوس الزكية الفاضلة؛ فإنها رأت ما يؤول إليه أمر هذا النهر فافترقوا ثلاث فرق :

الأولى: أصحاب المجاهدات ، والخلوات ، والتمرينات ، راموا قطعه من ينبوعه ؛ فأبت عليهم حكمة الله ، وما طبع الله عليه الجبلة البشرية ، ولم تنقد له الطبيعة البشرية، فاشتد القتال، وحمي الوطيس، فانقطعوا، ولم يصلوا: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور: ٦٣].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٠٧/ ١٥٩٩).

الثانية: الدين أعرضوا عنه ، وشغلوا نفوسهم بالأعمال ، ولم يجيبوا دواعي تلك الصفات مع تخليتهم إياها على مجراها ، واشتغلوا بتحصين العمران وإحكام بنائه وأساسه؛ فهؤلاء صرفوا قوتهم، وإرادتهم، في العمارة والتحصين ، وأولئك صرفوها في قطع المادة الفاسدة من أصلها خوفاً من هدم البنيان: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء:١١٥] .

والفرقة الثالثة : رأت أن هذه الصفات ما خلقت عبثًا ولا سدى ، وأنها بمنزلة ماء يسقى الورد والشوك ، وأن ما خاف منه أولئك هو سبب الفلاح والنجاة، فرأوا أن الكبر نهر يسقى به العلو والفخر، والبطر والظلم، والشر والعدوان ، ويسقى به علو الهمة والأنفة، والحمية والمراغمة لأعداء الله ، وقهرهم فصرفوا مجراه إلى هذا الغراس: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران:٧٣-٧٤] .

فأبقوه على حاله في نفوسهم ؛ لكن استعملوه حيث يكون استعماله أنفع كالخيلاء، فهي مبغوضة للرب، لكنها في الحرب أمام الأعداء ، وعند الصدقة، محبوبة للرب .

وكذلك خلق الحسد مذموم ؛ لكن صرفه إلى الحسد المحمود ، الذي يوصل إلى المنافسة في الخير الذي يحبه الله، أمر محمود ، كما قال النبي ﷺ: « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » . متفقٌ عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣)، ومسلم برقم: (٢٦٨/ ٨١٦) واللفظ له.

فالأخلاق لها مصرفان :

مصرفُ طاعة، ومصرفُ معصية ، مصرفُ خير، ومصرفُ شر، مصرف حسن، ومصرفٌ سيء، فخلق الحرص من أنفع الأخلاق وأوصلها إلى كل خير ، وشدة الطلب بحسب قوة الحرص ، فلا نقطعها ؛ ولكن نوجهها إلى ما ينفع النفس في معادها ، ويزكيها بالإيمان ، والعبادات ، والطاعات : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى:١٤-١٥] .

فقوة الحرص لا تُذم ، وإنما يذم صرفها إلى ما يضر الحرص عليه من الشهوات والمعاصي ، أو لا ينفع ، وغيره أنفع للعبد منه : ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

وكذلك قوة الشهوة من أنفع القوى للعبد، وأوصلها إلى كماله وسعادته ، فإنها تثمر المحبة ، وبحسب شهوة العبد للكمال ، والاستقامة، يكون طلبه. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

وصدق الشهوة وقوتها وكمالها يحمل المسلم على بيع مشتهى دنيء خسيس بمشتهى أعلى منه، وأجل، وأرفع، من أنواع الطاعات، والحسنات، والجنات، والدرجات: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

وكذلك خلق الشح والبخل لهما مصرفان :

الأول : مصرف محمود نافع للعبد ، يحمله على بخله وشحه بزمانه ووقته ، وأنفاسه أن يضيعها ، ويسمح بها لمن لا يساويه ، ويشح غاية الشح بحظه ونصيبه من الله أن يبيعه، أو يهبه لأحد من الخلق ، ويشح بماله ألا يكون في ميزانه ، وأن يتركه لغيره يتنعم به ، ويفوته هو أجره وثوابه ، فالشحيح بماله المحب له هو الذي يقدمه بين يديه زاداً لمعاده: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص:٧٧] .

الثاني : أما المصرف المذموم فهو من يشح ويبخل بماله ووقته، أن يصرفه فيما يحب الله ورسوله، وهذه قاعدة مطردة في جميع الصفات، والأخلاق : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد:٢١] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

فهذه قاعدة مطردة في جميع الصفات والأخلاق، فالرسل عليهم الصلاة والسلام جاءوا بصرفها عن مجاريها المذمومة، إلى مجاريها المحمودة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢] .

وقال الله تعالى عن الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

فجاءوا بصرف قوة الشهوة إلى النكاح والتسري بدلاً من الزنا والسفاح، فصرفوا قوة الشهوة، ومجرى الحرام، إلى مجرى الحلال الذي يحبه الله ﷻ وجاءوا بصرف قوة الغضب من الظلم والبغي إلى جهاد أعداء الله ورسوله ﷺ، والغلظة عليهم، والانتقام منهم، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم:٩] .

وجاءوا بصرف قوة اللهو والركوب، إلى اللهو والرمي، والمسابقة على الخيل، وركوبها في سبيل الله ، واللهو في العرس والعيد .

وكذلك شهوة استماع الأصوات المطربة اللذيذة لا يذم بل يحُمد ، وقد وقف النبي ﷺ يستمع إلى قراءة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه للقرآن ، وأمر ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن ، فقرأ عليه وسمع ، وتأثر بما سمع وبكى .

وهذا سماع خواص الأولياء ، فلا بدَّ للروح من سماعِ طيب تتغذى به ، وهو سماع القرآن ، وآيات الله المنزلة، فهذا سماع طيب تتغذى به ، ولذا قال سبحانه : ﴿﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ٤] .

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رَسُولُ الله ﷺ: « اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ، قال فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَقْرَأُ عَلَيْكَ ! وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ قال : إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي ، فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[النساء:٤١] . رَفَعْتُ رَأْسِي ، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيل » . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٣٠٦)، ومسلم برقم: (٢٤٧/ ٨٠٠)واللفظ له.

والسماع المذموم سماع المكاء، والتصدية، وألفاظ الخنا، وآلات المعازف .

فهذا غذاء ، وهذا غذاء ، ولكن لا يستوي مَن غذاؤه الحلوى والطيبات والعسل ، ومَن غذاؤه الرجيع ، والميتة، والدم ، وما أُهلَّ به لغير الله : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[المائدة:١٠٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٦٢-١٦٣] .

تزكية النفوس بالتوحيد والإيمان والتقوى أصعب من علاج الأبدان ، ولهذا أرسل الله بها الأنبياء والرسل : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

فمن زكى نفسه بالرياضة، والمجاهدة، والخلوة، التي لم يجيء بها الرسل، فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه ، ويترك الطبيب : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾[النساء:٤٩] .

وقال سبحانه:﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠] .

والأنبياء والرسل هم أطباء القلوب ، والأبدان ، وتزكية النفوس مسلَّم إليهم ، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم ، وعلى أيديهم ، والله ﷻ إنما بعثهم لهذه التزكية ، وولاهم إياها، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ

ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

وقال النبي ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ » . أخرجه أحمد ، والبخاري في الأدب المفرد بسندٍ حسن[1] .

والنفس آية من آيات الله العظيمة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات:٢١] .

وهي موجودة في كل حيوان ، وهي في غاية اللطف والخفة ، موجودة في البدن ، ولكنها لا تُرى ، سريعة التنقل والحركة ، سريعة التغير والتأثر، والانفعالات النفسية، من الهم، والإرادة، والقصد والحب ، والبغض ، ولولاها لكان البدن مجرد تمثال لا حركة فيه ، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة ، كما قال سبحانه : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾** ﴾ [الشمس:٧-١٠] .

وللإنسان مع نفسه حالتان :

الأولى : إما أن يطهر نفسه من الذنوب ، وينقيها من العيوب ، ويرقيها بطاعة الله ، ويعليها بالعلم النافع ، ويرفعها بالعمل الصالح ، فهذا قد زكى نفسه بما يحبه الله ، فهو من المفلحين ، كما قال سبحانه : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾** ﴾ [الشمس:٩] .

الثانية: ان يهمل نفسه، ويتركها تتقلب في شهواتها، ناسية حقوقها وواجباتها: ﴿ **وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾** ﴾ [الشمس: ١٠] .

---

(١) حسن/ أخرجه البخاري برقم: (٢٠٧)، وأخرجه أحمد برقم: (٨٩٣٩).

والناس متفاوتون في الأعمال والأخلاق تفاوتاً كبيراً ، وذلك بحسب تفاوت الإيمان والأعمال ، والأخلاق ومقدارها والنشاط فيها ، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال ، هل هي خالصة لله فتقبل ، وتبقى ، وتنفع صاحبها ؟ أم هي غير خالصة لله فترد ، وتبطل ، وتفني ، وتضر صاحبها ؟ .
فالناس مختلفون ، وأعمالهم وأخلاقهم متفاوتة ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ [الليل:٤] .

ولهذا بين الله ﷻ أن العاملين قسمان ، ولكل قسم عمل وحكم وجزاء في الدنيا والآخرة :

فالقسم الأول : من قام بما أمره الله به من التوحيد ، والإيمان ، وأدى ما أمر الله به من العبادات المالية كالزكوات، والصدقات، والنفقات ، والكفارات ، والعبادات البدنية كالصلاة، والصوم، والمركبة منهما كالعمرة ، والحج ، ونحوهما ، واتقى ما نهى الله عنه من المحرمات ، والمعاصي ، وصدق بلا إله إلا الله وما دلت عليه ، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي .
فهذا يسهل الله عليه أمره ، ويجعله ميسراً له كل خير ، ميسراً له ترك كل شر ؛ لأنه أتى بأسباب التيسير ، فيسر الله له ذلك ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل:٤-٧] .

وأما القسم الثاني : فهو من بخل بما أمره الله به ، فترك الإنفاق الواجب ، والمستحب ، ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله ، واستغنى عن الله ، فترك عبادته ، وطاعته ، ولم يرى نفسه محتاجة إلى ربه الذي لا نجاة له إلا بعبادته ، وطاعته .

وكذب بما أوجب الله على العباد التصديق به من الإيمان ، وما يترتب عليه من الأعمال ، والثواب ، والجزاء .

فهذا ييسره الله للحالات العسرة ، والخصال الذميمة ، بأن يكون ميسراً للشر أينما كان ، مقيضاً له فعل المعاصي ؛ لأنه أتى بأسباب التعسير ، والهلاك ، نسأل الله العافية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل:٨-١٠] .

وأخلاق البشر يمكن تغييرها ، وجرها إلى أن تكون حسنة أو قبيحة ، حسب التذكير والوعظ ، وحسب الإيمان والكفر ، وحسب البيئة الصالحة أو الفاسدة إلا أن بعض النفوس ، والطباع سريعة القَبول ، والتأثر والتأثير ، وبعضها صعب يحتاج إلى معالجة ، وبعضها غير قابل .

كما قال النبي ﷺ: « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ ، قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله للهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » . متفق عليه[1] .

ومن سنة الله ﷻ في عباده أن الناس إذا غيروا ما بأنفسهم ، فانتقلوا من الكفر إلى الإيمان ، ومن معصية الله إلى طاعته ، غيَّر الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء والذلة والشدة ، إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٩)، ومسلم برقم: (١٥/ ٢٢٨٢)واللفظ له.

﴿ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

وكذلك الله ﷻ لا يغير ما بقوم من النعمة والإحسان ورغد العيش، حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ، ومن الطاعات إلى المعاصي ، ومن شكر النعم إلى البطر بها ، فيسلبهم الله عند ذلك إياها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾[الرعد:١١] .

والإسلام كله تغيير العواطف من الأدنى إلى الأعلى ، من المخلوق العاجز إلى الخالق القادر ، ومن الدنيا إلى الدين والآخرة ، ومن الاشتغال بالأموال والأشياء إلى المسارعة للإيمان والأعمال الصالحة ، ومن العادات والتقاليد إلى السنن والآداب الإسلامية ، ومن الدعوة إلى الأشياء إلى الدعوة إلى الله، وإلى امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وجزاء ذلك كله العزة في الدنيا ، والجنة في الآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[الصف:١٠-١٣] .

٥-الخزانة الخامسة

- **فقه حسن الخلق :**

خلق الله ﷻ هذا الإنسان في أحسن تقويم ، وجعله مركباً من جسد وروح ، فالجسد مُدرك بالبصر ، والروح مُدركة بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيأة وصورة ، إما جميلة أو قبيحة .

وخَلْق الإنسان : صورته الظاهرة ، وخُلُق الإنسان : صورته الباطنة .

والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر ، ولذلك عظم الله أمره فقال : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[ص:٧١-٧٢] .

فنبه سبحانه على أن الجسد منسوبًا إلى الطين ، والروح منسوبة إليه سبحانه ، فالخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة ، فإن كانت الأفعال جميلة سميت خُلقاً حسناً ، وإن كانت الأفعال قبيحة سميت خُلقاً سيئاً ، والخُلق الحسن صفة الأنبياء والصديقين ، والخُلق السيئ صفة الشياطين والمجرمين ، والأخلاق السيئة سموم قاتلة ، تهوي بصاحبها إلى القاع ، وتَنظم صاحبها في سلك الشياطين : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] .

وحسن الخُلق هو الاعتدال ، فإذا مال عنه العبد وقع في ضده من سوء الخُلق ، وهذا الاعتدال تارة يحصل بكمال الفطرة منحة من الخالق ﷻ ، وكرامة منه لمن شاء من عباده : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي

فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم:٣٠] .

فكم من صبي يخلقه الله صادقاً ، سخياً ، كريماً ، حليماً .

وتارة يحصل حسن الخُلق بالاكتساب وذلك بحمل النفس على الأعمال الجالبة للخُلق الحسن المطلوب: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[فاطر: ١٨] .

فمن أراد تحصيل خُلق الجود ، فليفعل فعل الجواد من البذل ، ليصير بذلك طبعاً له ، كما أن من أراد أن يكون كاتباً تعاطي فعل الكتابة ، إلا أن ذلك يحتاج إلى تكرار ومداومة ، كما أن نمو القامة والبدن يحتاج إلى وقت .

وكما أن تعاطي أسباب الفضائل يؤثر في النفس، ويغير طباعها ، فكذلك مساكنة الكسل والكسالى يصير عادة ، فيُحرم بسببه كل خير ، وكما لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعات ، فإن دوامها يثمر خيراً، فكذلك لا يستهان بقليل الذنوب، فإن دوامها يجلب شراً: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾﴾[هود:١١٢] .

وكذلك تُكتسب الأخلاق الحسنة بمصاحبة أهل الإيمان والخير والتقوى، وإنما المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف: ٢٨]

والاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس ، والميل عن الاعتدال سقم لها ومرض، والنفس في علاجها كالبدن في علاجه، فكما أن البدن لا يخلق

كاملاً، وإنما يكمل بالتربية بالغذاء، كذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتزكية، وتهذيب الأخلاق بالعلم : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس:٧-١٠] .

وكما أن البدن إذا كان صحيحاً، فشأن الطبيب العمل على حفظ الصحة، وإن كان مريضاً، فشأنه جلب الصحة إليه، كذلك النفس إذا كانت زكية طاهرة مهذبة الأخلاق، فينبغي للعبد أن يسعى لحفظها، وجلب مزيد القوة إليها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

وإذا كانت عديمة الكمال سعى في جلب الكمال إليها ، وكما أن أمراض البدن تعالج بضدها، إن كانت من حرارة فبالبرودة، وإن كانت من برودة فبالحرارة، فكذلك الأخلاق السيئة، التي هي من مرض القلب علاجها بضدها من الأخلاق الحسنة .

فيعالج مرض الكبر بالتواضع، ويعالج مرض الجهل بالعلم، ويعالج مرض البُخل بالكرم، ويعالج مرضى السفه بالحلم، ومرض الظلم بالعدل والإحسان، وهكذا: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وكما أنه لا بدَّ من احتمال مرارة الدواء ، وشدة الصبر عما يشتهي من أجل صلاح البدن ، فكذلك لا بدَّ من احتمال مرارة المجاهدة، والصبر على

مداواة مرض القلب، بل هو أولى، فإن ألم مرض البدن يخلص منه بالموت، وألم مرض القلب يؤلمه قبل الموت، وبعد الموت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ [آل عمران:٢٠٠] .

وكل عضو في الإنسان خلقه الله لفعلٍ خاص ، فعلامة مرضه أن يتعذر منه ذلك الفعل ، فمرض العين تعذر الإبصار ، ومرض الأذن تعذر السماع ، ومرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلقه الله من أجله ، وهو الإيمان بالله والعلم، والحكمة، والمعرفة، وحب الله تَعَالَى، وتعظيمه وعبادته وشكره ، وإيثار ذلك على كل شهوة : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

ولو أن الإنسان عرف كل شيء، ولم يعرف الله سبحانه، فكأنه لم يعرف شيئًا، وعلامة المعرفة حب الله، وتعظيمه فمن عرف الله أحبه، وكبره، وعظمه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩] .

وعلامة العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله الحب له، فمن عرف الله أحبه ، وعظمه، وكبره، وحمده، وشكره، وعلامة المحبة أن لا يؤثر العبد عليه شيئاً من المحبوبات، فمن آثر عليه شيئاً من المحبوبات فقلبه مريض، كما أن المعدة التي تؤثر أكل الطين على أكل الخبز مريضة .

وأمراض القلوب خفية لا يعلمها أكثر الناس فلذلك يغفلون عنها، وإذا عرف الإنسان مرض قلبه، صعب عليه الصبر على مرارة دوائه؛ لأن دواؤه مخالفة الهوى ، والانتقال منه إلى الهدى : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنعام:٧١] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠] .

وإن وجد الصبر لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه، والأطباء هم العلماء بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله ودينه، وشرعه، وإذا كان أكثرهم مرضى، والطبيب إذا كان مريضاً، فقلما يلتفت إلى علاج نفسه فضلاً عن علاج غيره. فلما قل العلماء الربانيون صار الداء عضالاً، واندرس هذا العلم، وأنكر أكثر الناس طب القلوب ومرضها بالكلية، وأقبل الناس على أعمال ظاهرها عبادات ، وباطنها عادات ، لا تزيد إيماناً ، ولا تحجز عن محرم ، فهذا علامة أصل المرض: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾[الماعون:٤-٧] .

وأمراض القلب هي الكفر، والشرك، والنفاقُ، والرياءُ، ومساوئ الأخلاق .

وأما عافية القلب، وعوده إلى الصحة بعد المعالجة، فهو أن ينظر إلى العلة ، فإن كان المرض مثلاً داء البخل فعلاجه بذل المال ، ولكن لا يسرف ويصير إلى حد التبذير ، فيحصل به داء آخر ، بل المطلوب الاعتدال : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الإسراء:٢٩-٣٠] .

وإذا أراد الإنسان أن يعرف الوسط فلينظر إلى نفسه ، فإن كان جمع المال ، وإمساكه، ألذ عنده وأيسر عليه من بذله لمستحقه ، فليعلم أن الغالب عليه خلق البخل، وهو مرض، فليعالجه بالبذل .

وإن كان البذل ألذ عنده، وأخف عليه من الإمساك، فقد غلب عليه التبذير، وهو مرض، فليرجع إلى المواظبة على الإمساك، وهكذا، ولا يزال الإنسان يراقب نفسه حتى تنقطع علاقة قلبه عن المال، فلا يميل إلى بذله، ولا إمساكه .

بل يصير عنده كالماء ، فكل قلب صار كذلك فقد جاء إلى الله سليماً في المقام ، وهكذا بقية الصفات : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

ويجب أن يكون القلب سليماً من سائر الأخلاق السافلة ، مزيناً بالأخلاق العالية ، حتى لا تكون له علاقة بشيء من الدنيا ، حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها، غير ملتفتة إليها، ولا متشوفة إلى أسبابها ، فحينئذ ترجع إلى ربها رجوع النفس المطمئنة، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر:٢٧ -٣٠] .

ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض، فلا جرم أن من استوي على هذا الصراط المستقيم في الدنيا، جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٣] .

ولأجل عسر الاستقامة ، ودوامها، أمر الله العبد أن يقول في كل يوم مرات عديدة في كل صلاة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة : ٦-٧] .

ومن لم يقدر على الاستقامة ، فليجتهد على القرب منها ، فإن النجاة بالعمل الصالح ، فسددوا، وقاربوا، واستقيموا، ولن تحصوا .

قال النبي ﷺ: « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لا يُدْخِلُ أَحَداً الْجَنَّةَ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: وَلا أَنَا، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ ». متفق عليه[1] .

والأعمال الصالحة كالأخلاق الحسنة يصيبها الخلل والنقص ، فليتفقد كل عبد صفاته ، وأخلاقه ، وأعماله ، وأقواله ، وليشتغل بعلاجها تدريجياً ، وليصبر على ذلك ، وشدة مرارته ، فإنه سيحلو كما يحلو الفطام للطفل بعد كراهته له ، فلو رد إلى الثدي لكرهه : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾[العنكبوت:٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾[الحج:٧٨] .

وإذا أراد الله ﷻ بعبده خيراً بصَّره بعيوب نفسه ، فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه ، وإذا عرف العبد عيوبه أمكنه العلاج ، ولكن أكثر الناس جاهلون بعيوبهم ، يرون الصغائر في غيرهم ، ولا يرون الكبائر في أنفسهم ، ولا بدَّ لكل مسلم مع الإيمان والإخلاص ، والعمل الصالح من الأخلاق الحسنة ، فهي التي تحفظ الأعمال الصالحة: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٦٧)واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧٨/ ٢٨١٨).

وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت:٣٤- ٣٥].

فيأتي العبد يوم القيامة بأعمال صالحة كالجبال، وهي من الأعمال المقبولة، ولكن إذا كانت أخلاقه سيئة أكلت هذه الأعمال ، يأتي يوم القيامة وقد شتم هذا، وسب هذا، وقذف هذا، وسرق هذا، وظلم هذا، وغدر بهذا، وقتل هذا ، فماذا يبقى له من الأجر والحسنات إذا أخذ هؤلاء حقوقهم منه؟.

قال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال النبي ﷺ:« أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّار ». أخرجه مسلم[1] .

فالإيمان فريضة، وتعلمه فريضة، والإخلاص فريضة، وتعلمه فريضة، والعمل فريضة، وتعلمه فريضة، والأخلاق فريضة وتعلمها فريضة : ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٩/ ٢٥٨١).

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ ﴾ [فصلت:٣٤-٣٦] .

وأكمل الناس إيماناً أكملهم خُلقاً، ولذلك وصف الله نبيه ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم:٤] .

فيجب علينا الاقتداء به في أقواله وأمثاله وأخلاقه:﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب: ٢١]

وأحسن الناس أخلاقاً هم الأنبياء، والرسل، ثم يليهم من آمن بهم، فقد فرق الله الأخلاق الحسنة في الأنبياء والرسل، ثم جمعها في أفضلهم محمد ﷺ، ثم فرقها في أمة محمد ﷺ، التي هي خير أمة أخرجت للناس .

والناس معادن فيجب الاستفادة من هذه المعادن النفيسة، فأصحاب النبي ﷺ هم خير القرون؛ لأنهم أخذوا الدين، والأخلاق عن النبي مباشرة، فكانت فيهم حياة محمد ﷺ وجُهد محمد ﷺ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾[لبينة:٧ – ٨].

فظهرت في حياتهم أحسن الأخلاق كالإيمان والتقوى ، والصدق والإخلاص، واليقين والتوكل، والرحمة والشفقة، والجود والكرم، والحياء والتواضع، والعدل والإحسان، والمحبة والإيثار، والتعاون على البر والتقوى، وغير ذلك من الصفات والأخلاق التي كانت سبباً في هداية الناس للدين، وجذبهم إليه، ومحبتهم له، فهم أبر الناس قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأقلهم تكلفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

وكانت فيهم صفات مشتركة بينهم، لا يخلو منها واحد منهم أهمها : الإيمان بالله، وتوحيده، وطاعة الله ورسوله، والعبادات التي تزكي النفوس وأعظمها الصلاة، وتعلم العلم الذي تصح به العبادات والمعاملات وتعليمه، والدعوة التي بسببها تنتشر الهداية في الأمة، والكرم الذي بسببه تُقبل النفوس إلى الدخول في الدين، والرحمة التي بسببها تنزل الرحمة عليهم، وعلى الناس، والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، والإخلاص الذي يُقبل به العمل: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة:٥].

ثم مضى زمن فصار الجهاد من أجل الملك والمال فتركه خيار الناس، واشتغلوا بطلب العلم وتعليمه، ثم دخلت الدنيا على طلبة العلم، ودخل فيهم من يطلب العلم لا لله، بل لأمر يريده من جاه، أو مال أو عمل: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥] .

ثم اشتغل أناس من أهل الإيمان بالتزكية، فلازموا المساجد، وتركوا الساحة للشيطان وجنوده، يعيثون في الخلق فسادًا وإضلالًا، ثم دخل فيهم ونافسهم أهل البدع والأهواء، فاشتغلوا بالتزكية الإبليسية، وتبعهم أناس على ذلك، وبذلك انتشرت البدع، وصارت ديناً يُعبد الله به، ويتقرب إليه به : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

ثم ذهبت حقيقة العبادة وروحها، وبقيت في أكثر الأمة صورة العبادة، ثم

خرجت الأخلاق من المعاملات والمعاشرات، وترك أكثرهم الدعوة إلى الله، وأقاموا مكانها الدعوة إلى الأموال، والأشياء: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

فقامت الدنيا، وقعد الدين، وزاد المال، وقل الإيمان، وكثرت الأشياء، وقلت الأعمال، وقعد أكثر الناس على موائد الدنيا، وقاموا عن موائد الآخرة، وتسابق أكثر الناس إلى سنن اليهود، والنصارى، وتركوا سنن الأنبياء، والمرسلين، كما قال النبي ﷺ: « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لاتَّبَعْتُمُوهُمْ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ، آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : فَمَنْ » . متفق عليه[1] .

فخير القرون قرن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، الذين كان فيهم الإيمان، والعبادة ، والدعوة، والتعليم ، والجهاد، ومكارم الأخلاق، ثم يليهم مَن بعدهم فمن سار مع هديهم، ثم مَن بعدهم، ثم خيرهم مِنْ بعدهم من اتصف بصفاتهم، وعمل كأعمالهم، وتخلق بأخلاقهم: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

وقال النبي ﷺ :« خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » . متفق عليه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٨٩)، ومسلم برقم: (٦/ ٢٦٦٩)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٢)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢١٢/ ٢٥٣٣).

٦- الخزانة السادسة

- **علامات حسن الخلق :**

كما أن للمؤمنين علامات ، وللكفار علامات ، وللحي علامات ، وللميت علامات، فكذلك أهل الأخلاق الحسنة لهم علامات ، وأهل الأخلاق السيئة لهم علامات .

أما علامات حسن الخُلق ، فقد يجاهد الإنسان نفسه حتى يترك الفواحش والمعاصي ، ثم يظن أنه قد هذب نفسه ، واستغنى عن المجاهدة ، وليس كذلك، فإن حسن الخُلق هو مجموع صفات المؤمنين التي وصفهم الله بها حين اشترى منهم أنفسهم، وأموالهم فقال في صفاتهم: ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة:١١٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

وقال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾[المؤمنون:١-١١] .

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥] .

وغير ذلك من الصفات ، والأخلاق التي يحبها الله ، وهي مذكورةٌ في القرآن .

ومن صفاتهم التي وصفهم بها رسول الله ﷺ :

محبة الله، ورسوله، ومحبة دينه ، ومحبة المؤمنين، وإكرام الجار ، وإكرام الضيف، والقول الحسن، والعفو، وكف الأذى ، والصبر ، واحتمال الأذى ، وصلة الرحم ، والحلم والأناة، والرفق والسماحة، والعدل والإحسان، والرحمة والشفقة، وحفظ اللسان، والسمع، والبصر .

ومن لم يجد في نفسه هذه الصفات ، أو بعض هذه العلامات ، فليجاهد نفسه حتى تصير صفة له .

وقد بعث الله رسوله محمداً ﷺ متمماً لمكارم الأخلاق ، فكان خلقه القرآن ، وكان أحسن الناس خَلْقاً ، وخُلُقاً ، يأمر بكل خير ، ويكون أسبق الناس إليه ، وينهى عن كل شر ، ويكون أبعد الناس منه ، جمع مع جمال الباطن جمال الظاهر ، فكان قدوة للناس وأسوة للبشرية إلى يوم القيامة في الإيمان ، والعبادات والمعاملات ، والمعاشرات والأخلاق: ﴿ لَقَدۡ

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

وقد أمرنا الله ﷻ بالاقتداء به ﷺ في سائر أحواله، كما قال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

فنقتدي بالنبي ﷺ في جميع أحواله، في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي عبادته ودعوته، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفى أخلاقه الكريمة: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨] .

- **أقسام الأدب في الإسلام:**

كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها له أدب مع الله ، ومع كتابه ، ومع رسوله ، ومع نفسه ، ومع غيره من الخلق .

فأدبه مع الله : يكون بالإيمان بالله، وتوحيده، وتعظيمه، ومحبته، وطاعته، وعبادته، وحمده، وشكره، والتوكل عليه ، والحياء منه: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥].

وأدبه مع كتاب الله: يكون بحسن تلاوته ، وسماعه ، والعمل بما فيه ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وتصديق أخباره ، وحسن تدبره ، وإبلاغه للناس ، والإعراض عما سواه: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾[النساء:١٧٤- ١٧٥] .

وأدبه مع رسول الله ﷺ : يكون بطاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر:٧].

وأدبه مع نفسه : يكون بحملها على تعلم العلم الشرعي ، و طاعة الله ورسوله ، وامتثال جميع أوامر الله على طريقة رسول الله ، وفعل الخيرات ، واجتناب المنكرات : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى:١٤-١٥] .

وأدبه مع غيره : يكون بالعدل والإحسان ، وحسن الخلق ، والتوقير والإكرام ، والإحسان إلى إخوانه المسلمين ، وجيرانه ، ووالديه ، وأقاربه ، وسائر الناس ، وسائر المخلوقات ، فالمؤمن كالغيث أينما حل نفع ، وكالشمس حيث سار أنار ، وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وقال النبي ﷺ: « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ». متفقٌ عليه[1] .

وسئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : تَقْوَى الله ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ : « الْفَمُ ، وَالْفَرْج » .

أخرجه الترمذي وابن ماجه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٢٦)، ومسلم برقم: (٦٥/ ٢٥٨٥)، واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٠٠٤)، وابن ماجة برقم: (٤٢٤٦).

وإذا تحلى الإنسان بهذه الصفات، وهذه الأخلاق، أثمرت له مكارم الأخلاق، ومحبة الله ورسوله للعبد، وكثرت الأجر والثواب، وحفظ الأعمال الصالحة، ومعية الله للعبد، ومحبة الناس له، وجلب الناس إلى الدين، ومحبتهم له، ودخولهم فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

كل عبدًا عليه حقان :

حق الله ﷻ .. وحق للعباد .

فالحق الذي عليه لا بدَّ أن يخل ببعضه أحياناً إما جهلاً أو نسياناً أو تهاوناً ، إما بترك مأمور ، أو فعل محظور ، فأمره الله عز وجل ، بتقوى الله ﷻ .

كما قال النبي ﷺ حين سئل عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ فقال: « تقوى الله و حُسْنُ الخُلُق ». أخرجه الترمذي وأبن ماجة[1] .

والمسلم يعمل، ويخطئ عمداً وسهواً، فأمره بفعل الحسنات التي تزيل السيئات وتمحوها: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود:١١٤] .

وبهذا وذاك يكون قد قضى حق الله من العمل الصالح، وإصلاح الفاسد، ثم قال سبحانه:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣- ١٣٤].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٠٠٤)، وابن ماجة برقم: (٤٢٤٦).

حق الله عبادته وحده لا شريك له، وحق الناس الإحسان إليهم، وكف الأذى عنهم .

وجماع ذلك أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له، وتعطي من حرمك من العلم والمال، وتعفو عمن ظلمك في دم، أو مال، أو عرض، وتحسن إلى من أساء إليك، ومعية الله ونصرته ومحبته تكون لمن اتصف بالصفات الإيمانية كالإيمان، والتقوى، والتوكل، والصبر، والإحسان، وغيرها: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥].

فمن اتصف بهذه الصفات أحبه الله ، وكانت معه نصرة الله ، ومعيته ، واستفاد من قدرة الله ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل:١٢٨] .

فهنا نوعان :

الأول : الصفات الإيمانية، ومن اتصف بها حصلت له نصرة الله، ومعيته، ومحبته كالإيمان، واليقين، والتوكل، ونحوها .

الثاني: الأعمال الإيمانية كالصلاة، والصوم، والحج، ونحوها، فهذه على قسمين :

الأول : أعمال مقبولة، وهي المقرونة بالصفات الإيمانية، كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾[المؤمنون:١-٢] .

الثاني : أعمال غير مقبولة ، وهي الخالية من الصفات الإيمانية ، كما قال سبحانه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون:٤-٥] .

والأعمال التي فيها شرك أو رياء غير مقبولة، والرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ومن يجاهد ليقال جريء، أو يقرأ ليقال قارئ، أو ينفق ليقال جواد، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[التوبة:٥٤] .

والصفات الإيمانية محلها القلب ، والأعمال محلها الجوارح ، وأعمال الجوارح مبنية على ما في القلوب من الإيمان أو عدمه .

وأصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع، وعلو الهمة، وأصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والمهانة والدناءة .

فالفخر، والبطر، والأشر، والظلم، والبغي، والتجبر، والعجب، والخيلاء، والحسد، وإباء قبول النصيحة، وطلب العلم، وحب الرئاسة، والجاه، كلها أمراض قلبية ناشئة من الكبر .

والكذب، والمكر، والخسة، والخيانة، والرياء، والحرص، والخديعة، والطمع، والجبن، والبخل، والعجز والكسل، والفزع، والذل لغير الله، ونحوها، كلها أمراض قلبية ناشئة من المهانة، والدناءة، وصغر النفس؛ فما أجل مكارم الأخلاق ! وما أحسن التحلي بها : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[البقرة:١٣٨] .

وما أعظم أجرها ، وثوابها ، وما أخفها على نفوس الكرام ، وما أثقلها على نفوس اللئام ، وهي بحار مختلفة لا يقدر عليها كل أحد، فهى بحر الصبر ، وبحر التقوى ، وبحر الحلم ، وبحر العفو ، وبحر الإيثار ، وبحر الإحسان ، وبحر الصدق ، وبحر العلم ، وبحر العدل .

فلهذا قَل واردها ، وندر من أبحر فيها ، وهي تقسم كما تقسم الأرزاق والآجال ، ولها أهل، ولضدها أهل، والله أعلم حيث يجعل رسالته: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران:٧٣- ٧٤] .

وقال سبحانه : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

إن العاقل حقاً من أرضى ربه قبل أن يلقاه ، وبني قبره قبل أن يدخله ، وترك الدنيا قبل أن تتركه : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

ومن استطاع أن يتحلى بمكارم الأخلاق ، ويترقى فيها حتى يكون إماماً لحيه ، وإماماً للناس، فليفعل ، فإن له من كل عمل مقتدٍ به من الناس ، كما قال النبي ﷺ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » . أخرجه مسلم[1] .

- **أقسام حسن الخلق:**

حسن الخُلق قسمان :

حسن الخُلق مع الله .. وحسن الخُلق مع الناس .

وقد جمع الله بينهما في قوله سبحانه: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٧٤).

ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦] .

وحُسن الخُلق مع الله : أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله تَعَالَىَ ونواهيه ، يفعل ما أمره الله به ، راضياً به ، فرحاً بأدائه ، مستبشراً بطاعة ربه ، مجتنباً ما نهى الله عنه ، وأن يعلم أن كل ما يكون من نفسه يوجب عذراً ، وأن كل ما يأتي من الله يوجب شكراً ، فلا يزال شاكراً لربه ، معتذراً إليه من تقصيره ، سائراً إليه بين مطالعة منة الله ، وشهود عيب نفسه، فهو ناظر إلى عزة الربوبية ، وإلى ذلة العبودية : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وحُسن الخُلق مع الناس جماعه أمران :

أحدهما: بذل المعروف قولاً ، وفعلاً .

الثاني: كف الأذى قولاً ، وفعلاً .

ففي المعاملات مع الناس يكون سمحاً بحقوقه، لا يطالب بها غيره ، ويوفي ما يجب عليه لغيره منها .

فإن مُرض ولم يعده أحد، أو قدم من سفر فلم يزره أحد، أو ضاف فلم يكرم، أو أحسن فلم يُشكر، أو تكلم فلم ينصت له، أو استأذن فلم يؤذن له، أو خطب فلم يُزوج، وما أشبه ذلك، لم يغضب ولم يعاقب، ولم يتنكر من حاله حال، ولا يقابل ذلك بمثله، بل يؤمن أنه لا يعتد بشيء من ذلك، ويقابل كل ذلك منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب منه إلى البر والتقوى : ﴿

وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت:٣٤-٣٦] .

ثم يكون في إيفاء ما يكون عليه أفضل وأحسن وأجمل ، فإذا مُرض أخوه المسلم عاده ، وإن استمهله في قضاء دين أمهله ، وإن جاء في شفاعة شفعه ، وإن احتاج منه إلى معونة أعانه ، وإن استسمحه في بيع سمح ، ولا ينظر ولا يلتفت إلى سوء معاملته له فيما خلا من قبل .

إنما يتخذ الأحسن إماماً لنفسه ، ويسبق إلى كل فضيلة ، ويأنف من كل رذيلة ، ويتجاوز لإخوانه عن كل سيئة ، ويعفو ويصفح ويتبع السيئة الحسنة تمحها : ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣ - ١٣٤].

وبحسب قوة إيمان العبد، وكمال تصديقه بالجزاء، ومعرفة حسن موعود الله وثوابه، يسهل على العبد تحمل ذلك، والقيام به، ويلذ له الاتصاف به: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وحُسن السمت من أخلاق الأنبياء والصالحين، وهو دليل على كمال الإيمان، ورجاحة العقل، وهو حُسن المظهر الخارجي للإنسان من طريقة الكلام، والصمت، والحركة، والسكون، والدخول، والخروج، وحسن الهيئة، وحسن السيرة العملية بين الناس ، وحسن المعاشرة مع الأهل .

عن البراء بن عازب ﷺ أنه قال: كَانَ النبي ﷺ مَرْبُوعاً ، وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ ، مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْهُ » . متفق عليه[1] .

وحسن الظن بالله تعالى من حسن العبادة .

قال النبي ﷺ: « لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلا وَهُوَ يُّحْسِنُ الظَّنَّ بِالله عز وجل » . أخرجه مسلم[2] .

وعن أبي بكر ﷺ قال: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا، فَقال: مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ باثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا». متفق عليه[3] .

والأخلاق غرائز كامنة، وحُسن الخُلق ميل النفس نحو الأرفق الأحمد الأحسن من الأقوال والأفعال ، والتخلق بأخلاق الشريعة ، والتأدب بآداب الله التي ذكرها الله ﷻ في كتابه ، وفى سنة رسوله .

وإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر محبوه ، وقلّ معادوه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦] .

فسهلت عليه الأمور الصعاب ، ولانت له القلوب الغضاب ، ونبتت على جوارحه المحاب ، وسال لسانه بكل ما لذ وطاب : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٥٦)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٩٣/ ٢٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٢/ ٢٨٧٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٦٥٣)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١/ ٢٣٨١).

فحسن الخلق ذهب بخيري الدنيا بالآخرة ، وخيار الناس أحاسنهم أخلاقاً ، وأحسن البشرية أخلاقاً على الإطلاق سيد الأولين والآخرين ، وسيد ولد آدم ، وسيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ الذي قال عنه ربه مثنيًا عليه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

ولحسن خلقه ﷺ وكمال أدبه، فهو محمود عند الله، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه المرسلين، ومحمود عند أهل الأرض كلهم ، وما فيه من صفات الكمال محمود عند كل عاقل ، وهو أحمد الخلق لربه، فصلوات الله وسلامه عليه .

وهو محمود بما يملأ به الأرض من الهدى والإيمان ، والعلم النافع، والعمل الصالح ، فتح الله به القلوب ، وكشف به الظلمة عن أهل الأرض ، واستنقذهم من أسر الشياطين ، ومن الشرك بالله ، والكفر به ، والجهل به ، ونال أتباعه شرف الدنيا والآخرة : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨] .

أغاث الله به البلاد والعباد ، و أحيا به الخليقة بعد الموت ، فهدى به من الضلالة ، وعلَّم به من الجهالة ، فعرف الناس ربهم و معبودهم، عرَّفهم بربهم ، وعرَّفهم بالطريق الموصل إليه ، وعرَّفهم بما لهم بعد القدوم عليه ، لم يدع حسناً إلا أمرهم به ، ولا قبيحاً إلا نهاهم عنه ، ولم يدع باباً من أبواب العلم النافع المقرب إلى الله إلا فتحه ، ولا مشكلاً إلا بيَّنه وشرحه ، ولا خيراً إلا رغَّب فيه ، ولا شراً إلا حذرهم منه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا

مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة:٢] .

حتى هدى الله به القلوب من ضلالها، أرسله الله رحمة للعالمين، فأي بشر أحق بأن يحمد منه ﷺ ؟.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

فمحمد ﷺ أعلم الخلق ، وأعظمهم أمانة ، وأصدقهم حديثاً ، وأجودهم ، وأسخاهم ، وأصبرهم ، وأعظمهم عفواً ، ومغفرة، ورحمة ، وأعظم الخلق نفعاً للعباد في دينهم ، ودنياهم ، وأشدهم تواضعاً ، وأعظمهم إيثاراً على نفسه ، وأقوم الخلق بما يأمر به ، وأتركهم لما ينهى عنه ، ولما كانت هذه صفاته وهذه أخلاقه ، أمرنا الله ﷻ أن نقتدي به ، كما قال سبحانه : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

٧- الخزانة السابعة

- **فقه مكارم الأخلاق :**

الأدب هو استعمال ما يُحمد وما يحسن من الأقوال ، والأعمال ، ومكارم الأخلاق .

ومكارم الأخلاق هي مجموع الصفات الحسنة التي يتزين بها الإنسان، ابتغاء وجه ربه، ويتميز بها عن غيره، فيحبه الله ، ويحبه الناس بسببها كالإيمان بالله، وكمال الطاعة لله ورسوله ، والعمل بشرعه، والإحسان إلى الناس، وكف الأذى عنهم ، واحتمال أذاهم، واستعمال الأخلاق الكريمة معهم، والصفح عن عثراتهم، وحسن الخلق معهم، وبذل الندى، وترك ما تهوى لما تخشى .

وأن لا يشهد العبد لنفسه فضلاً ، ولا يرى له حقاً ، يعم الناس بفضله، ونصحه ، وبره، كما تعم الشمس بنورها سائر الخلق ، فهم يحبونها لنورها ونفعها ، ومن لا نور فيه ولا نفع فمن ذا يحبه ؟

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

- **ومكارم الأخلاق على ثلاث درجات :**

الأولى : ترك خصومة الخلق ، والتغافل عن زلاتهم ، ونسيان أذاهم ، فلا ينصب نفسه خصماً لأحد غير نفسه ، فلا يخاصم بلسانه ، ولا بقلبه ، ولا يخطر على باله ، هذا في حق نفسه .

وأما في حق ربه فيخاصم لله ، وفي الله ، ويحاكم إلى الله ، وإذا رأى من أحد زلة أظهر أنه لم يرها ؛ لئلا يعرض صاحبها للوحشة ، ويريحه من تحمل العذر أمامه ، ومن أحوج عدوه إلى الشفاعة ، ولم يخجل من قيامه بين يديه معتذراً ، لم يكن له في الفتوة نصيب .

والتغافل عن الزلات أكمل وأرفع من الكتمان مع الرؤية ، وينسى أذية من ناله بأذى ؛ ليصفو قلبه له ، ولا يستوحش من آذاه .

ومن مكارم الأخلاق نسيان إحسانك إلى من أحسنت إليه ، كأنه لم يصدر منك ، وهذا النسيان أكمل من الأول : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾[العصر:١-٣].

الثانية : أن تكرم من يؤذيك ، وتقرب من يقصيك ، وتعتذر إلى من يجني عليك ، وتعطي من حرمك سماحة لا كظماً ، ومودة لا مصابرة ، فتُحسن إلى من أساء إليك ، وتعامله بضد ما عاملك به ، فتنقلب عداوته لك صداقة ، وبغضه محبة ، وأذاه إحساناً ، كما قال سبحانه : ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت:٣٤- ٣٥].

ومن أراد فَهم هذه الدرجة العالية فلينظر إلى سيرة النبي ﷺ مع الناس ، يجدها هذه بعينها ، ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه ، ثم للناس منها بحسب إيمانهم ، ويقينهم ، ومجاهدتهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

ومن مكارم الأخلاق أن يُنزل العبد نفسه مع الناس منزلة الجاني لا المجني عليه ، والجاني خليقٌ بالعذر ، والله سلطه عليك بذنبك ، وإذا علمت أنك بدأت بالجناية ، فانتقم الله منك على يده، كنت في الحقيقة أولى بالاعتذار له ، وتفعل هذا كله عن سماحة نفس ، وانشراح صدر ، لا عن كظم ، وضيق ، ومصابرة ، فإن هذا دليلًا على أن هذا ليس في خلقك ، وإنما هو تكلف يوشك أن يزول إذا فقد سببه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران:٢٠٠] .

الدرجة الثالثة : أن يسير العبد إلى الله على قدم اليقين ، وطريق البصيرة ، والمشاهدة ، ولا يتعلق في سيره بدليل ، فهو لا يفتقر إلى دليل على وجود المطلوب سبحانه، ولا يستغني طرفة عين عن الدليل الذي يوصله إلى المطلوب ، وهو الرسول ﷺ ، فيقتدي بسننه ، وآدابه في جميع أحواله ، لتحصل له محبة الله ، ومغفرة ذنوبه ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران:٣١] .

وأحسن أحوال العبد أن يكون ذاكراً لربه في كل حال ، مقدماً لمحبته على كل محبوب ، ويرجوه ويخافه وحده لا شريك له ، ويتقيه ويخشاه ، والله ﷻ لا يدخل حبه في قلب العبد، حتى يخرج العبد حب غيره من قلبه ، ولا يدخل عظمته في قلبه، حتى يخرج العبد عظمة غيره من قلبه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد:١١] .

- **فقه الخشية:**

خشية الله تحصل بأمرين :

العبادة .. الدعوة .

فالدعوة : كما قال سبحانه عن الأنبياء : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب:٣٩] .

والعبادة : كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة:١٨] .

والعبادة والدعوة قائمة على الأصل ، وهو العلم بالله ﷻ ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩] .

ومن مكارم الأخلاق حسن ظن العبد بربه ، وحسن الظن إنما يكون مع الإحسان ، فإن المحسن حَسَّن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ، ويقبل توبته ، وأما المسيء المصر على الكبائر ، والمعاصي ، والظلم ، فإن وحشة ذلك تمنعه من حسن الظن بربه، فالمسيء مستوحش بقدر أساءته، وأحسن الناس ظناً بربه أطوعهم له: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة:٤٥-٤٦].

فالمؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل ، والفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل ، كما قال سبحانه : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[فصلت:٢٣] .

- **فقه المروءة :**

المروءة هي استعمال كل خُلق حسن ، واجتناب كل خُلق قبيح ، واستعمال ما يجمل العبد ويزينه ، وترك ما يدنسه ويشينه .

وفي نفس كل إنسان ثلاثة دواع متجاذبة :

أحدها: داعٍ يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشياطين من الكبر والحسد ، والبطر والعلو ، والبغي والشر ، والظلم والفساد ، والغش والأذى ، ونحو ذلك : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص:٤] .

الثاني: داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الحيوان ، وهو داعي الشهوة والحرص والطمع: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

الثالث: داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الملائكة من الإحسان والنصح ، والبر والعلم ، والعبادة وحسن الطاعة ، وكمال الاستقامة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات:١٥] .

فحقيقة المروءة بغض الداعيين الأولين ، وإجابة الداعي الثالث ، وقلة المروءة إجابة زينك الداعيين، وترك الثالث: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢].

- **أقسام المروءة:**

المروءة لها ثلاث مراتب

المروءة مع النفس .. والمروءة مع الخلق .. والمروءة مع الحق سبحانه .

الأولى: المروءة مع النفس : تكون بحملها على ما يجمل و يزين ، وترك ما يدنس ويشين ؛ ليصير لها ملكة في العلانية ، فمن أراد شيئاً في سره وخلوته ملكه في جهره وعلانيته ، فلا يفعل خالياً ما يستحي من فعله في الملأ إلا ما حضره الشرع والعقل كالجماع ، والتخلي ، ونحو ذلك .

الثانية : المروءة مع الحق سبحانه بالاستحياء من نظره إليك ، وإصلاح عيوب النفس قدر الإمكان ، فإن الله قد اشتراها منك ، وليس من المروءة تسليم المبيع على ما فيه من العيوب ، وتقاضي الثمن كاملاً.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[التوبة:١١١] .

ما هي صفاتهم؟.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة:١١٢] .

الثالثة : المروءة مع الخلق ، بأن يستعمل معهم الحياء والخلق الجميل ، وحسن الأدب، ومكارم الأخلاق ، ولا يُظهر لهم ما يكرهه هو من غيره .

قال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وحقوق المروءة كثيرة ، وشروطها في نفس الإنسان مع الاستقامة ثلاثة :

الأول : العفة ، وهي نوعان :

العفة عن المحارم .. والعفة عن المآثم .

الثاني : النزاهة ، وهي نوعان :

النزاهة عن المطامع الدنيوية .. والنزاهة عن مواقف الريبة .

الثالث : الصيانة ، وهي نوعان :

١- صيانة النفس بالتزام كفايتها .

٢- وصيانتها عن تحمل المنن من الناس ؛ لأن المنَّة تحدث للعبد ذلة .

- **أما شروط المروءة في الغير فهي ثلاثة :**

المؤازرة : وهي نوعان :

الأول : الإسعاف بالجاه ، ويكون من الأعلى قدراً ، وربما كان أعظم من المال نفعاً ، ومن بخل به فهو أسوأ من البخيل بماله ، والإسعاف في النوائب .

الثانية : المياسرة ، وهي نوعان :

العفو عن الهفوات .

والمسامحة في الحقوق .

قال النبي ﷺ: « رَحِمَ اللهُ رجلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى ».أخرجه البخاري [1] .

الثالثة : الإفضال ، وهو نوعان :

١- إفضال اصطناع : وهو ما أسداه إلى غيره جوداً ، وكرماً .

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٢٠٧٦) .

٢- وإفضال استكفاف : وهو الكف عن السفهاء ؛ لأن ذا الفضل لا يعدم حاسد نعمة يبعثه اللؤم على البداءة بسفهه .

والفرق بين العقل والمروءة ، أن العقل يأمرك بالأنفع ، والمروءة تأمرك بالأجمل : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل:٧٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف:١٩٩] .

والمروءة صدور الأفعال الجميلة الممدوحة شرعاً، وعقلاً ، وعزماً من الإنسان لكافة المخلوقات : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤].

وقال رسول الله ﷺ: « بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ » . متفق عليه[1] .

- **فقه الإيثار :**

الإيثار : أن يؤثر الإنسان غيره بالشيء المحبوب مع حاجته إليه من مالٍ ، أو طعامٍ ، أو مكان :﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحشر:٩] .

وعكس الإيثار الأثرة: وهي استئثاره عن أخيه بما هو محتاج إليه .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦٧) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٥٥/ ٢٢٤٥).

والفرق بين الإيثار ، والأثرة : أن الإيثار تخصيص الغير بما تريده لنفسك ، والأثرة اختصاصك به على الغير .

- **أحوال الإيثار:**

الإيثار له حالتان :

إما أن يتعلق بالخلق .. وإما أن يتعلق بالخالق .

فإن تعلق بالخلق ، فكماله أن تؤثرهم على نفسك ، بما لا يضيع على الإنسان وقتاً ، ولا يفسد عليه حالاً ، ولا يهضم له ديناً ، ولا يسد عليه طريقاً ، ولا يمنع له وارداً ، فإن كان في إيثارهم شيء من ذلك ، فإيثار نفسك عليهم أولى ، فإن المؤمن حقاً من لا يؤثر بنصيبه من الله أحداً كائناً من كان: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الواقعة:١٠-١١] .

فإن الإيثار المحمود الذي أثنى الله على أهله، الإيثار بالدنيا من طعام، ومال، ومسكن، ومركب، ومكان، ونحو ذلك ، لا بالوقت ، والدين ، وما يعود بصلاح القلب ، كما وصف الله الأنصار بذلك ، ومدحهم به بقوله : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحشر:٩] .

والله ﷻ أمر المسلمين بالمسابقة في أعمال البر والخير ، والمسارعة إليها ، والمنافسة فيها ، والقرعة عند التزاحم عليها ، وهذا ضد الإيثار بها: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

فلم يجعل الله الطاعات والقربات محلاً للإيثار، بل محلاً للتنافس والمسابقة، فلا يستحب الإيثار بالقربات؛ لأن الإيثار بها قد يُشعر بالزهد فيها، والاستغناء عنها، وعدم الحاجة إليها: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢] .

وقال سبحانه :﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد:٢١] .

كما أن الإيثار إنما يكون بالشيء الذي يضيق عن الاشتراك فيه كالطعام والشراب ، واللباس والمركب والمجلس ونحو ذلك .

أما أعمال البر والطاعات فلا ضيق على العباد فيها ، فلو اشتركت الألوف المؤلفة في الطاعة الواحدة كالصلاة ، والصوم ، وقراءة القرآن لم يكن عليهم فيها ضيق ولا تزاحم، و وسعتهم كلهم ، وإن قدر التزاحم في عمل واحد ، فإن في العزم والنية الجازمة على فعله من الثواب ما لفاعله .

وأيضاً فالمقصود رغبة العبد في التقرب إلى الله ، والمنافسة في محابه ، والإيثار بهذا التقرب يدل على رغبته عنه ، وعدم المنافسة فيه، وهذا غير مناسب، بل المناسب المسابقة والمسارعة إلى طاعة الله ﷻ في كل حال، وبكل طاعة، كالأنبياء: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

- **وإيثار المحبوب نوعان :**

إيثار معاوضة ومتاجرة .. وإيثار حب وإرادة .

فالأول : يؤثر محبوبه على غيره، طلباً لحظه منه .

والثاني : يؤثره إجابة لداعي محبته ، فإن المحبة الصادقة تدعوه دائماً إلى إيثار محبوبه بكل ما يحب ، فإيثاره هو أجل حظوظه ، فحظه في نفس الإيثار ، لا في العوض المطلوب بالإيثار .

وهذا مطلب عالٍ لا تفهمه إلا النفس اللطيفة المشرقة الورعة ، وأما النفس الكثيفة فلا خبر عندها من هذا ، وما هو بعشها فلتدرج .

والدين كله، والمعاملة كلها، في الإيثار ، فإنه تقديم وتخصيص لمن تؤثره بما تؤثره به على نفسك ، ومن آثر الله على غيره آثره الله على غيره ، والنفس مجبولة على الأثرة لا على الإيثار: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف:٥٣] .

ولكن الذي يسهل على النفس هذا الإيثار أمور :

أحدها : رغبة العبد في مكارم الأخلاق ومعاليها ، فإن من أفضل أخلاق الإنسان وأشرفها وأعلاها الإيثار ، وقد جبل الله القلوب على تعظيم صاحبه ومحبته ، كما جبلها على بُغض المستأثر، ومقته، لا تبديل لخلق الله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

الثاني : النفرة من خلق اللئام ، ومقت الشح ، وكراهته له .

الثالث : تعظيم الحقوق التي جعلها الله لبعض المسلمين على بعض، فهو يرعاها حق رعايتها، ويخاف من تضييعها، ويعلم أنه إن لم يبذل فوق العدل لم يمكنه الوقوف على حده، بل لا بدَّ من مجاوزته إلى الفضل، أو التقصير عنه إلى الظلم، فهو لخوفه من تضييع الحق، والدخول في الظلم يختار الإيثار بما لا ينقصه ولا يضره، ويكتسب به جميل الذكر في الدنيا، وجزيل

الأجر في الآخرة، مع ما يجلبه من البركة، وفيضان الخير عليه:﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[سبأ:٣٩] .

أقسام الأخلاق:

الأخلاق ثلاثة أقسام :

١- خلق الإيثار ، وهو خُلق الفضل .

٢- خلق التسوية ، وهو خُلق العدل .

٣- خلق الاستئثار والاستبداد ، وهو خُلق الظلم .

فصاحب الإيثار محبوب مطاع مهيب ، وصاحب العدل لا سبيل للنفوس إلى أذاه، والتسلط عليه ، ولكنها لا تنقاد إليه انقيادها لمن يؤثرها: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣- ١٣٤].

وصاحب الاستئثار ، النفوس إلى آذاه والتسلط عليه أسرع من السيل في حدوره ، وهل أزال الممالك وقلعها من جذورها إلا الظلم والاستئثار والاستبداد ، فإن أصعب شيء على النفوس هذه الصفات ، فإنه لا صبر لها عليها : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص:٤] .

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: « يا عبادى إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محُرَّمًا فَلاَ تَظَالمُوا » . أخرجه مسلم [1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٥٧٧).

- **مراتب الإيثار:**

الإيثار ضد الشح ، ومراتبه ثلاثة :

أحدها : أن يعطي غيره الأكثر، ويبقى له شيئاً ، فهو الجود .

الثاني : أن لا ينقصه البذل، ولا يصعب عليه ، فهو السخاء .

الثالث : أن يؤثر غيره بالشيء المحبوب مع حاجته إليه، فهو الإيثار، وهو أعلى المراتب .

فهذا الإيثار المتعلق بالخلق .

وأما الإيثار المتعلق بالخالق فهو أجلّ من هذا وأفضل، وهو إيثار حب الله على حب غيره، وإيثار رضاه على رضا غيره، وإيثار خوفه على خوف غيره، وإيثار رجائه على رجاء غيره، وإيثار الذل له سبحانه، والخضوع له والاستكانة، والضراعة والتملق، على بذل ذلك لغيره، وإيثار الطلب منه ، والسؤال له، وإنزال الفاقات به وحده دون غيره : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

فالأول آثر بعض العبيد على نفسه فيما هو محبوب له، وهذا آثر الله على نفسه وغيره من الأغيار، فآثره الله عليها، وترك محبوبها لمحبوب الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ [الزمر:١٧- ١٨] .

علامة هذا الإيثار شيئان :

الأول : فعل ما يحب الله إذا كانت النفس تكرهه وتهرب منه .

الثاني : ترك ما يكرهه الله إذا كانت النفس تحبه وتهواه .

فبهذين الأمرين يصح مقام الإيثار .

ومؤنة هذا الإيثار شديدة؛ لغلبة الأغيار، وقوة داعي العادة والطبع ، ولا تتم سعادة العبد وفلاحه إلا به ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران:٧٣] .

وقال سبحانه : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

فحقيق بالعبد أن يسمو إليه وإن صعب المرتقى ، والذي يسهله على العبد أمور :

أحدها : أن تكون طبيعته لينة منقادة سلسة .

الثاني : أن يكون إيمانه راسخاً، ويقينه قوياً ، فإن الإيثار ثمرة الإيمان .

الثالث : قوة صبره وثباته .

والإيثار ضد الشح ، فإن المؤثر على نفسه تاركًا لما هو محتاج إليه ، والشحيح حريص على ما ليس بيده ، فإذا حصل بيده شح به على غيره ، وبخل بإخراجه .

فالبخل ثمرة الشح، والشح يأمر بالبخل كما قال النبي ﷺ : « وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٦/ ٢٥٧٨).

وقد وصف الله عز وجل الأنصار بالإيثار ، وأخبرهم أنهم سيلقون بعده أثرة فليصبروا، كما قال ﷺ للأنصار: « إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي ، وَمَوْعِدُكُمُ الْحَوْضُ » . متفق عليه[1] .

وقد وقع ما قال ﷺ من استئثار الناس على الأنصار في الدنيا، وهم أهل الإيثار؛ ليجازيهم على إيثارهم إخوانهم في الدنيا على نفوسهم بالمنازل العالية في جنات عدن على الناس .

فتظهر حينئذ فضيلة إيثارهم ، ودرجته ، ويغبطهم من استأثر عليهم بالدنيا أعظم غبطة ، فإذا رأيت الناس يستأثرون عليك مع كونك من أهل الإيثار ، فاعلم أنه لخير يراد بك: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة:٢١٦] .

- **درجات الإيثار :**

الإيثار على ثلاث درجات :

الأولى : أن تؤثر الخلق على نفسك، فيما لا يخرم عليك ديناً ، ولا يقطع عليك طريقاً ، ولا يفسد عليك وقتاً ، كأن تطعمهم وتجوع ، وتسقيهم وتظمأ ، وتريحهم وتتعب ، بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب ما لا يجوز في الدين، ولا يقطع عليك طريق الطلب والمسير إلى الله تَعَالَى، مثل أن تؤثر جليسك على ذكرك لربك، ومثل أن يؤثر بوقته غير ربه، فهذا منهي عنه .

فكل سبب يعود على الإنسان بصلاح قلبه، ووقته، وحاله مع الله، فلا يؤثر به أحداً من الناس، فإن آثر به فإنما يؤثر الشيطان على الله، وهو لا يعلم : ﴿

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٩٣)واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٨/ ١٨٤٥) .

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[الأنبياء:٩٠] .

وقال الله عن المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٦١] .

الثانية : إيثار رضا الله على رضا غيره ، ولو غضب الخلق كلهم ، وهي درجة الأنبياء ، والمرسلين ، وأعلاها لأولي العزم منهم ، وأعلاها لنبينا ﷺ فإنه قاوم العالم كله ، وتجرد للدعوة إلى الله ، واحتمل عداوة القريب والبعيد في الله ، وآثر رضا الله على رضا الخلق من كل وجه ، وصبر على كل ذلك ، ولم يأخذه في إيثار رضا ربه لومة لائم حتى أظهر الله دينه .

وقد جرت سنة الله التي لا تتبدل أن من آثر مرضاة الله على مرضاة الخلق أن يرضى الله عنه ، ويرضى عنه الخلق ، فتنقلب مخاوفه أماناً ، وتعبه راحة ، وبليته نعمة .

ومن آثر مرضاة الخلق على مرضاة الرب، سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس ، خاصة من آثر رضاه من الناس ، ويخذله من جهته ، ويجعل محنته على يديه .

فيعود حامده ذاماً له، ومن آثر مرضاته ساخطاً عليه، وتلك سنة الله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾[الأحزاب:٦٢] .

ورضا الخلق لا مقدور، ولا مأمور، ولا مأثور، فهو مستحيل ، فلأن يسخطوا عليك ، وتفوز برضوان الله ﷻ عنك، أحسن لك من أن يرضوا عنك كلهم ، والله غير راض عنك ، وكل من آثر رضا الله، فلا بدَّ أن يعاديه

أراذل العالم ، وجهالهم ، وأهل البدع ، والفجور منهم ، وأهل الرياسات الباطلة ، وكل من يخالف هديَه: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ [التوبة:٦٢] .

الثالثة : أن ينسب العبد إيثاره إلى الله دون نفسه ، وأنه سبحانه هو الذي تفرد بالإيثار دون الإنسان ، فهو المؤثر حقيقة ، إذ هو المعطي حقيقة ، والمالك لكل شيء ، والمعين لكل أحد: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل:٥٣] .

والناس صنفان :

منهم من يؤثر الدنيا على الآخرة ، ويختار نعيمها المنغص المكدر على نعيم الآخرة ، وهم الكفار : ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [الأعلى:١٦-١٧] .

وقال سبحانه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾ [الإسراء:١٨-٢١] .

ومن يؤثر الآخرة على الدنيا ، ويؤثر نعيمها ، وسرورها الدائم الكامل على نعيم الدنيا الناقص الزائل ، وهم المؤمنون الذين وعدهم الله على أعمالهم الصالحة الجنة كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨] .

والمؤمن العاقل يختار الآخرة؛ لأنها خير من الدنيا في كل وصف مطلوب، وأبقى لكونها دار خلد، وبقاء وصفاء، والدنيا دار فناء وزوال : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وحب الدنيا ، وإيثارها على الآخرة، رأس كل خطيئة ، وذلك ثمرة فساد العقل والقلب : ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى:١٦-١٧] .

وقال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾[فاطر:٥].

٨- الخزانة الثامنة:

- **فقه الحكمة :**

الحكمة هي العلم النافع، والعمل الصالح، والرأي الصائب.

قال الله تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

وكمال العبد متوقف على الحكمة ، إذ كماله بأمرين :

بتكميل قوته العلمية .. و تكميل قوته العملية .

فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق، ومعرفة المقصود به : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد: ١٩] .

وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير ، وترك الشر .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وبذلك يتمكن العبد من الإصابة بالقول والعمل ، وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره ، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك .

فالحكمة معرفة الحق والعمل به ، والإصابة في القول والعمل .

والحكمة نوعان :

علمية .. وعملية .

فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء ، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمراً ، وقدراً وشرعاً .

والعملية: هي وضع الشيء في موضعه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤] .

وقال سبحانه :﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

- **درجات الحمة :**

الحكمة على ثلاث درجات :

الأولى : أن تعطي كل شيء حقه ، ولا تعديه حده ، ولا تعجله عن وقته ، ولا تؤخره عنه ، وهذا حكم عام لجميع الأسباب مع مسبباتها شرعاً وقدراً فللصلاة وقت ومقدار، وللزكاة وقت ومقدار .

فإضاعتها تعطيل للحكمة بمنزلة إضاعة البذر، وسقي الأرض ، وتعدي الحق كسقيها فوق حاجتها ، بحيث يغرق البذر والزرع ويفسد ، وتعجيلها عن وقتها كحصاد الزرع قبل إدراكه وكماله ، وترك الغذاء والشراب واللباس إخلال بالحكمة ، وتعدي الحد المحتاج إليه خروجًا عنها .

وتعجيل الشيء قبل وقته إخلال بالحكمة ، وتأخيره عن وقته إخلال بها كذلك ، فالحكمة إذاً فعل ما ينبغي ، على الوجه الذي ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي .

والله تبارك وَتَعَالَىَ أورث الحكمة آدم ﷺ ، وبنيه ، فالرجل الكامل من له إرث كامل من أبيه ، والناس فيه درجات والتفاوت في ذلك لا يحصيه إلا الله تَعَالَىَ .

وأكمل الخلق في ذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأكملهم أولو العزم نوحٍ، وإبراهيم، موسى ، وعيسي، ومحمد ﷺ ، وأكمل أولي العزم محمد ﷺ ، ولهذا امتن الله عليه وعلى أمته بما آتاهم من الحكمة، كما قال سبحانه: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ [البقرة:١٥١] .

وكل خُلق ، وكل أمر ، وكل حركة ، وكل سكون ، وكل موجود ، مرتبط بهذه الصفة ، وكل نظام في الوجود قائم على هذه الصفة ، وكل خلل في الوجود ، والتصرفات، فسببه الإخلال بها ، فأكمل الناس أوفرهم من الحكمة نصيباً ، وأنقصهم ، وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثاً .

الحكمة لها ثلاثة أركان :

العلم .. والحلم .. والأناة .

وآفاتها وأضدادها : الجهل، والطيش، والعجلة ، فلا حكمة لجاهل ، ولا طائش ، ولا عجول .

الدرجة الثانية: أن تشهد نظر الله في وعده، وتعرف عدله في حكمه، وتلحظ بره في منعه، فتعرف عدله في وعيده، وإحسانه في وعده، وكُلًاهما قائم بحكمته، كما قال سبحانه: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠ ﴾ [الأنعام:١٦٠] .

وكذلك تعرف عدل الله في أحكامه الشرعية ، وأحكامه الكونية الجارية على الخلائق ، فإنه لا ظلم فيها ، ولا حيف، ولا جور ، وإن أجراها على أيدي الظلمة فهو أعدل العادلين ، ومن جرت على يديه فهو الظالم، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء:٤٠] .

وكذلك تعرف بره في منعه ، فإنه سبحانه هو الجواد الذي لا ينقص خزائنه الإنفاق ، وما منع مَن منعه فضله إلا لحكمة كاملة في ذلك : ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ ﴾[العنكبوت:٦٢] .

فإن الله ﷻ هو الجواد الحكيم، وحكمته لا تناقض جوده، فهو سبحانه حكيمًا خبير، لا يضع بره وفضله إلا في موضعه ووقته، بقدر ما تقتضيه حكمته: ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ ﴾[الشورى:٢٧] .

ولو علم الله في الكفار خيراً وقبولاً لنعمة الإيمان ، وشكراً له عليها ، ومحبة لها ، واعترافاً بها ، لهداهم للإيمان .

ولهذا لما قالوا للمؤمنين : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الأنعام:٥٣] .

فالله سبحانه ما أعطى إلا بحكمته ، ولا منع إلا بحكمته ، ولا هدى إلا بحكمته ، ولا أضل إلا بحكمته: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾[الجمعة:١].

الثالثة : أن تصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم ، وهي البصيرة التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر واضحاً جلياً: ﴿

قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام:١٠٤] .

والفِراسة : نور يقذفه الله في قلب عبده المؤمن، يفرق به بين الحق والباطل، والمؤمن والمنافق ، والصادق والكاذب .

والفِراسة على حسب الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً، فهو أحدُّ فراسة، ومن غضّ بصره عن الحرام، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بالمراقبة، وظاهره بإتباع السنة، ولسانه بدوام ذكر الله، وتعود أكل الحلال، واجتنب الحرام، لم تكد تخطئ له فِراسة .

وللفِراسة سببان :

أحدهما : جودة ذهن المفترس ، وحدة قلبه ، وحسن فطنته .

الثاني : ظهور العلامات ، والأدلة على المتفرس فيه .

فإذا اجتمع السببان لم تكد تخطئ للعبد فراسة ، وإذا انتفيا لم تكد تصح له فِراسة ، وإذا قوي أحدهما وضعف الآخر ، كانت فراسته بَين ، بَين .

- **معاني الحكمة** :

الحكمة في القرآن وردت على عدة أوجه :

الأول : صفة من صفات الله ﷻ، والمراد بها إيجاد الأشياء على غاية الإحكام والدقة ، كما قال سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران:١٨] .

الثاني : القرآن الكريم ، كما قال سبحانه : ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [يس:١-٢] .

الثالث : السنة النبوية ، كما قال سبحانه : ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ ﴾ [البقرة:١٢٩] .

الرابع : الموعظة ، كما قال سبحانه : ﴿ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ٥ ﴾ [القمر:٥] .

الخامس : العلم والفقه ، كما قال سبحانه : ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

السادس : النبوة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣ ﴾ [الزخرف:٦٣] .

السابع : الفهم، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢ ﴾ [لقمان:١٢] .

فسبحان الحكيم العليم، الذي فتق الأرض بالنبات، وفتق الحبة عن الشجرة ، وفتق ظلمة الليل عن ضوء النهار، وفلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة .

هو الحكيم الذي كما اقتضت حكمته ورحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمداً ، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم ، كذلك اقتضت رحمته وحكمته أن لا يتركهم في ظلمة الجهل والغي ، بل هداهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وأخراهم : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ

رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

فما أسعد النفوس التي تأخذ به ، وما أشقى النفوس التي تعرض عنه إلى حكم الجاهلية: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة:٤٩-٥٠] .

والله سبحانه جعل سعادة العباد في معاشهم ومعادهم بالدين .

فيا سعادة من عرف ربه ، وعرف الطريق الموصل إليه ، وعرف حكمته ورحمته وإحسانه إلى خلقه وعمل بموجب ذلك : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

فالله عز وجل حكيم عليم، كما أنه البر الرحيم الودود المحسن، فهو الملك الحكيم العدل، فلا تناقض حكمته رحمته، بل يضع رحمته وبره وإحسانه موضعه، ويضع عقوبته وعدله وانتقامه وبأسه موضعه، وكلاهما مقتضى عزته وحكمته: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر:٢٢-٢٤] .

وهو العزيز الحكيم، فلا يليق بحكمته أن يضع رضاه ورحمته موضع العقوبة والغضب، ولا يضع غضبه وعقوبته موضع رضاه ورحمته، كما قال

سبحانه: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم:٣٥ - ٣٦] .

وقال سبحانه :﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣] .

وقال سبحانه :﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الملك:٢٢] .

وقد فطر الله قلوب العباد على استقباح وضع العقوبة والانتقام في موضع الرحمة والإحسان ، وكذلك وضع الإحسان والرحمة والإكرام موضع العقوبة والانتقام .

فما بال بعض العقول والفطر لا تشهد حكمة الرب البالغة، وعزته وعدله في وضع عقوبته في أولى المحال بها ، وأحقها بالعقوبة ، وهم الكفار الذين كفروا بالله ونعمه ودينه، والمشركون الذين أشركوا مع الله غيره من خلقه .

فهذه المحال لو أوليت النعم لم تحسن بها ولم تلق، ولظهرت مناقضة للحكمة .

فهكذا نعم الله لا تليق، ولا تحسن، ولا تجمل، بأعداء الله الصادين عن سبيله ، الساعين في خلاف مرضاته ، الذين يعطلون ما حكم به ، ويسعون في أن تكون الدعوة لغيره ، والحكم لغيره ، والطاعة لغيره: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٦:] .

والذين يحبون ما يبغض الله، ويدعون إليه ، ويبغضون ما يحب الله ، وينفِّرون الناس عنه ، ويوالون أعداءه ، وأبغض الخلق ، و يظاهرونهم على الله وعلى رسوله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ٥٥ ﴾[الفرقان: ٥٥] .

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ ﴾[الأنفال:٣٦].

الله عزيزٌ حكيم ، فهو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه ، وهو العزيز الغالب القاهر لكل ما سواه : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ ﴾[الجمعة: ١] .

فاقتضت عزته سبحانه أن يقهر أعداء رسله ودينه، لأنه القاهر الذي لا يغلبه شيء ، واقتضت حكمته سبحانه أن يؤلف بين قلوب المؤمنين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان، الذين نصروا الرسول ﷺ ، وأن يوحد كلمتهم ويجعلهم كرجلٍ واحد ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ ﴾[الأنفال:٦٢-٦٣] .

والمسلم أفقه الناس ، والكافر أجهل الناس ، والمسلم حكيمٌ ؛ لأنه يعلم أنه إن أطاع الله دخل الجنة ، وإن عصاه دخل النار ، وإن قاتل في سبيل الله نصره الله ، وإن قُتل في سبيل الله سار إلى الجنة ، يبيع أيامه المحدودة ، وأمواله المعدودة ؛ ليشتري بها رضوان الله ، والنعيم الأبدي ، فهو متقدمٌ في

الميدان لا يهزم أبدًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴾[التوبة:١١١] .

وقال سبحانه:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأحزاب:٧١] .

أما الكافر فلا فقه عنده ، ولا حكمة، لأنه كالبهيمة ليس له مبدأ يُقاتل عليه فسرعان ما يُهزم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ ﴾[الأنفال:٣٦].

وإذا التقى من لا فقه عنده، بمن عنده فقه عن الله، فالغلبة للفقيه ، ولهذا وصف الله الكفار بأنهم لا يفقهون وأخبر أن المسلم الواحد يهزم عشرة من الكفار لهذا الفقه ، وهذه المعرفة، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦ ﴾ [الأنفال:٦٥-٦٦].

فالإيمان بالله ، والتوكل عليه ، وحسن معرفته، يولد في الإنسان أكبر طاقة جسدية وروحية .

والحكمة التي خلق الله السموات والأرض، والخلائق من أجلها، هي أن يبتلي خلقه في شيء واحد، هو إحسان العمل لله الذي خلق هذا الكون، لا كثرة العمل، فقد بين الله ذلك في القرآن والسنة، كما قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ

ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[هود:٧] .

وقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف:٧] .

وقال الله ﷻ : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك:١-٢] .

ولعظم هذه المسألة أرسل الله جبريل إلى محمد ﷺ في صورة أعرابي؛ ليعلمه، ويعلم أمته هذا العلم العظيم، وهو مراقبة الله في كل حالٍ، وفى كل عمل؛ ليكون ذلك واعظاً، ودافعًا؛ لحسن العمل، فقال النبي ﷺ:« الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ» . أخرجه مسلم(١) .

ولا تكاد تقلب ورقةٍ في المصحف ، أو تقرأ آية من القرآن إلا وجدت فيها هذا الزاجر الأعظم ، وهذا الواعظ الأكبر ؛ لأجل إحضاره في ذهن كل مسلم ؛ ليكون مستعداً لكل طاعة، مجتنباً لكل معصية، إذا علم أن ربه عليم، سميع، بصير، قريب، خبير، ولهذا كثر هذا الواعظ في القرآن بعد كل أمر، أو نهيٍ، أو خبر.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[لقمان: ٢٧ - ٢٨] .

وقال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات: ١٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥/ ٩).

- **حكمة خلق الخلق :**

خلق الله جميع الخلائق ؛ لحكمٍ عظيمة أهمها :

الأولى: عبادة الله ﷻ تسخيرًا ، أو اختيارًا فالتسخير ، كما قال الله ﷻ: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٣- ٤٤] .

و قال ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج:١٨] .

والتخيير كما قال سبحانه عن الجن ، والأنس : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

وقال سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الكهف:٢٩- ٣٠] .

الثانية : إقامة البراهين على أن الله وحده ، هو الخالق المستحق للعبادة دون سواه ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦ -٨] .

وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

فالله حكيم عليم في خلقه، وأمره .

الثالثة : إعلام خلقه بكمال قدرته ، وإحاطة علمه بكل شيء كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢] .

الرابعة : ابتلاء الخلق بالأمر والنهى ؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملًا ، ثم يجازيهم حسب أعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر كما قال سبحانه : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك:١-٢] .

وقال ﷻ : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٦-٨] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [النجم:٣١] .

الخامسة : بيان عظمة رحمة الله وفضله وكرمه وإحسانه إلى خلقه فبعد أن خلق خلقه ، خلق لهم أرزاقهم ، وأوصلها إليهم، ليبين لهم أن الله وحده

الخالق الرزاق ، الكريم اللطيف بعباده ، وأنّهم فقراء إليه، فيرون عظمته، وجميل إحسانه ، فيعبدوه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس:/ ٣١-٣٢].

والله ﷻ هو الحكيمُ العليم لا يأمر العبد إلا بما فيه صلاحه ، ولا ينهاه إلا عما في فعله فساده ، وليميز بذلك بين من يطيعه، ومن يعصيه ، فالأوامر كالواجبات والمستحبات ، والنواهي كالمحرمات والمكروهات .

فالمأمور به من أنواع الطاعات، بمنزلة الغذاء الذي هو قوام البدن، والمنهي عنه بمنزلة السُم الذي فيه هلاك البدن ، ومن تيقن هذا طابت نفسه بعبادة ربه، وتوحيده، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

وإذا ضعف الإيمان مال الإنسان إلى الحيل والبدع ، وتساهل في الأوامر والنواهي ، وجمع بين نفاق الشرائع ، ونفاق العقائد ، وزلت به قدمه إلى النار : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٢] .

وقال سبحانه: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

- **مقصود الولايات في الاسلام:**

مقصود الولايات في الإسلام هو الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وهذا هو الذي أنزل الله به كتبه ، وأرسل به رسله ، وشرف به هذه الأمة فقال سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وهو واجب على كل مسلمٍ قادر ، ومدار الولايات كلها على الصدق في الأخبار ، والعدل في الأحكام ، وكل وال يحقق هذه المقاصد بحسب ولايته .

فمن الولاة من يكون بمنزلة الشاهد المؤتمن ، والمطلوب منه الصدق ، كصاحب الديوان الذي وظيفته حفظ الأموال، وصرفها إلى مستحقيها .

ومنهم العريف والنقيب الذي وظيفته إخبار ولى الأمر بالأحوال في مملكته، والمطلوب منه الصدق ، وعلى ولي الأمر أن يتبين الأحوال من جهته لئلا يقع في مظلمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾[الحجرات: ٦] .

ومنهم من يكون بمنزلة الآمر المطاع ، والمطلوب منه العدل مثل الأمير ، والقاضي ، والمحتسب : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾[ص:٢٦] .

فالمطلوب في كل ولاية الصدق في الأخبار ، والعدل في الأحكام ، كما قال سبحانه : ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥ ﴾[الأنعام:١١٥] .

صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الأحكام .

والله ﷻ حكيمٌ عليمٌ أخفى اثنين في اثنتين :

الأولى: أخفى رضاه في طاعته ، وأخفى سخطه في معصيته .

الثانية: أخفى أولياءه في عباده .

فلا تعلم في أي طاعةٍ يرضى الله عنك ، ولا تعلم في أي معصية يسخط الله عليك ، ولا يعلم أولياءه من أعدائه إلا هو سبحانه : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ ﴾[النجم:٣٢] .

ولحكمٍ عظيمة أخفى الله أمورًا، وأظهر أخري .

فأظهر المخلوقات، وأخفى نفسه ، وأظهر الدنيا، وأخفى الآخرة ، وأظهر قيمة الأموال والأشياء ، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة ، وأظهر الأجساد، وأخفى الأرواح ، وأظهر السنن الكونية، وأخفى القدرة الإلهية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام:٨٣] .

- **فقه الحكمة:**

الحكمة هي إصابة الحق في الأمور .

والحكمة هي العلم ، والناس فيها أربعة أقسام :

الأول : من أتاه الله الحكمة فقضى بها ، وعمل بها في نفسه ، وعلمها الناس ، فهذا خير الأقسام كما قال النبي ﷺ : « لا حَسَدَ إِلا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » . متفق عليه[1] .

الثاني : من أتاه الله الحكمة فعمل بها في نفسه ، ولم يعلمها الناس ، فهذا خير ، لكنه ناقص دون الذي قبله .

الثالث : من أتاه الله حكمة، فلم يعمل بها في نفسه ، ولم يعلمها غيره .

فهذا خاسرٌ يشبه اليهود الذين علموا الحق ، وعرفوه ، واستكبروا عنه ، وهو شر الأقسام .

الرابع : من لم يؤتيه الله الحكمة إطلاقاً، أو أتاه الحكمة، وضل عنها كالنصارى، فهو جاهل، فهذا محرومٌ، لكنه أحسن حالاً ممن أوتى الحكمة، ولم يعمل بها: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٣ -٧٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣١٦)، ومسلم برقم: (٢٦٨/ ٨١٦)واللفظ له .

وقال سبحانه: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

- **حكمة خلق الجن ، و الإنس :**

خلق الله الجن والإنس ؛ لعبادته وحده لا شريك له ، وعبادة الله هي طاعته بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وهذا هو الذي خلق الله العباد من أجله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

ما خلقنا الله لنأكل، ونشرب، ونلبس، ونسكن، ونتمتع ، وإنما هذه كلها وسائل نأخذ منها ما حل الله لنا، أما الغاية الكبرى فهي عبادة الله ﷻ وحده، فمن لم يعبد الله ، أو عبد مع الله غيره ، أو لم يعبد أحدًا فقد أضاع ما خلق من أجله : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢] .

والله ﷻ هو الحكيم العليم في خلقه وأمره وشرعه، وقد ورد في القرآن والسنة أشياء مبهمة لم تُبين، والحكمة امتحان الخلق؛ ليتبين الحريص من الكسلان، والراغب من المُعرض، ويحرص الناس على العمل، ويجتهدوا في التحري والمواظبة؛ لعلهم يدركون الخير ، ويعمرون الأوقات والقلوب

بما يسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

فمن ذلك أن الله ﷻ الحكيم العليم أخفى ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان من أجل أن يحرص الناس على العمل في كل الليالي رجاء هذه الليلة .

وأخفى الله سبحانه ساعة الإجابة في يوم الجمعة ؛ ليحرص المسلم على العمل الصالح في ذلك اليوم كله .

وأخفى الله ساعة الإجابة في كل ليلة ؛ ليحرص المسلم على العمل الصالح في كل ليلة، ففي الليل ساعةٌ أخفاها الله ﷻ؛ ليتعبد الناس في تلك الليلة .

وأخفى الله سبحانه الاسم الأعظم في أسمائه الحسنى، وبين النبي ﷺ أن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، ولكن لم يبينها؛ ليتعبد المسلم، ويدعو، بجميع أسماء الله الحسنى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

وأخفى الله شعب الإيمان؛ لنحرص على تتبعها في القرآن والسنة، ثم نعمل بها.

وأخفى الله الباقيات الصالحات؛ ليتقرب المسلم إلى ربه بكل عملٍ صالح: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الكهف:٤٦] .

لهذا ينبغي للعالم الرباني ، الذي يعلم الناس الخير ، إذا ذكر لهم الأبواب الممنوعة في الدين، أن يفتح لهم الأبواب الجائزة، وإذا رغبهم في الأعمال الصالحة، أن يحذرهم من الأعمال السيئة، وإذا ذكر لهم أوصاف الجنة، ليرغبهم في الطاعات، فيتبع ذلك بأوصاف النار، ليحذرهم من المعاصي .

حتى يخرج الناس من هذا إلى هذا، ويشتغلوا بالحلال عن الحرام، وبالطاعات عن المعاصي، كما قال سبحانه: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء :١٣-١٤] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ ﴾[البقرة:٢٧٥] .

وقال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾[البقرة:١٠٤] .

فهذه طريقة القرآن والسنة التي كلها حكمة في بيان الحق والباطل ، وبيان الخير من الشر ، وبيان الحلال من الحرام ، وبيان الطاعات من المعاصي ، وترغيب الناس في الفضائل ، وتحذيريهم من المساوئ : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣- ١٣٤].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠].

- **حكمة بعث الأنبياء ، والرسل :**

بعث الله جميع الأنبياء والرسل إلى الناس بثلاثة أمور :

الأول: التعريف بالله ﷻ، وبأسمائه، وصفاته؛ وأفعاله، ليحبه الناس ، ويكبروه ، ويوحدوه ، ويحمدوه ، ويعبدوه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] .

الثاني: بيان الطريق الموصل إلى رضاه : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٣] .

الثالث: بيان مال الناس بعد القدوم على ربهم يوم القيامة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩-١٠] .

وبعث الله جميع الأنبياء والرسل إلى الناس؛ ليقوموا بعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، وذلك من رحمة الله بعباده.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦] .

ولتحقيق ذلك كان الأنبياء والرسل يقوموا بأمرين :

الأول : تعليق القلوب بالله وحده ، وذلك بالإيمان بالله : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

الثاني : تعليق الأجساد بالله ، وذلك بأنواع العمل الصالح، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾[الحج: ٧٧] .

فالعمل الصالح لا ينفع، إلا إذا كانت هناك علاقة بالله بالإيمان، والعلاقة بالله لا تنفع إلا إذا ظهرت ثمرتها بالعمل الصالح، والصحابة لما أسلموا القلب والجسد لله رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعزهم وجعل الممالك والأموال تحت أقدامهم.

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾[النور:٥٥] .

فبالإيمان والعمل الصالح يحصل الأمن ، وتُفتح بركات السموات والأرض في كل شيء، كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[الأنعام:٨٢].

وقال سبحانه:﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾[الأعراف: ٩٦].

- **حكمة الإخفاء في الشريعة :**

أظهر الله بعض الأشياء لحكمة، وأخفى البعض الآخر لحكمة .

فالله حكيم عليم، أخفى رضاه في الطاعات؛ ليرغب العباد في الكل، وأخفى غضبه في المعاصي؛ ليحذروا من جميع المعاصي .

وأخفى الإجابة في الدعاء ؛ ليدعوا بكل الأدعية ، وأخفى الاسم الأعظم في الأسماء ؛ ليدعوه بجميع الأسماء الحسنى ، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس؛ ليحافظ المسلم على الكل ، وأخفى الموت ؛ ليخاف العبد في كل وقت ، فيسارع إلى الخيرات والطاعات .

وأخفى وليه من الناس ؛ حتى يعظموا الكل ، وأخفى قبول التوبة ؛ ليواظب العبد على التوبة في كل وقت ، وأخفى ساعة الإجابة من يوم الجمعة ؛ ليجتهد العبد بالدعاء في كل اليوم ، وأخفى ليلة القدر من رمضان ؛ ليجتهد المسلم في الطاعات في كل ليالي رمضان ، وأخفى الأرزاق المقسومة ؛ ليجتهد العبد في طلب الرزق ، ويمتثل لأمر الله في الكسب ، والإنفاق .

وأخفى الباقيات الصالحات في الطاعات ؛ ليجتهد العبد في جميع أنواع الطاعات .

وأظهر سبحانه المخلوقات وأخفى نفسه، وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة، وأظهر قيمة الأموال والأشياء، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة، وأظهر سنته، وأخفى قدرته، وأظهر الأجساد، وأخفى الأرواح، وأظهر البشر والحيوان، وأخفى الملائكة، والجان : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨] .

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

٩- الخزانة التاسعة

- **فقه حُسن الخُلق :**

الدين كله مجموع في أمرين :

الأول: حسن الخلق مع الخالق ، بتوحيده والإيمان به وتقواه ، وحمده وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

الثاني: حُسن الخلق مع المخلوق بالإحسان إليه ، وكف الأذى عنه .

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء: ٣٦] .

وقد مدح الله رسوله ﷺ بحُسن الخلق ، فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

ولا يمكن تحصيل الصفات الطيبة، إلا أن يتعرض الإنسان لضدها، فيحسن إلى من أساء إليه، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٩٩] .

والذي يعيش لنفسه ، ومع نفسه، يصعب عليه تحصيل هذه الصفات ، والذي يعيش لربه ، ويخالط الناس ؛ لنصحهم وتوجيههم إلى ربه ، يسهل عليه تحصيلها كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

فيحسن العبد إلى غيره من الناس، من أجل الله؛ لأن الله يقول: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

وهكذا ، ويخلص إلى الله في أعماله كلها ؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وعلامة الإخلاص :

أن يستوي عند الإنسان مدح الناس ، وذمهم ، ولا يطلب على عمله أجرًا إلا من الله ، ولا يطلب عليه شاهدًا إلا الله ، وأن تكون عبادته في الخفاء ، أقوى منها العلانية .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥]

- **صفة المدح :**

آفات المدح :

للمدح آفات كثيرة منها :

منها أنه يحدث كبرًا ، وإعجابًا في الممدوح .

ويُعمي الممدوح عن عيوبه ، فلا يشمر للتفتيش عنها ، وإزالتها عن نفسه .

ويظن بنفسه خيرًا ، فلا يجتهد في الإكثار من الطاعات ، والقربات .

والناس عند المدح ، والذم أربعة أقسام :

الأول: من يفرح بالمدح، ويشكر عليه، ويغضب من الذم، ويحقد على من ذمه.

الثاني : أن يفرح باطنه بالمدح، لكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور ، ومتعظ باطنه من الذم، ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن معاقبته ، وهذا من النقصان، ولكنه بالإضافة إلى ما قبله كمال .

الثالث : أن يستوي عند الإنسان مدح الناس وذمهم ، فلا يغمه الذم ، ولا يسره المدح .

الرابع: وهي أعلى الدرجات، أن يكره المدح، ويمقت المادح؛ لعلمه أن ذلك فتنة له، ويحب الذام؛ لعلمه أنه مهدٍ إليه عيوبه، ومرشده إلى التوبة إلى ربه .

ولهذا أمرنا النبي ﷺ يحثو التراب في وجوه المداحين، كما قال النبي ﷺ: « إِذَا رَأَيْتُمُ المُدَّاحِينَ ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ ». أخرجه مسلم[1] .

- **صفة الغضب :**

يهيج الغضب في الإنسان ، إذا استقبح من المغضوب عليه عملًا من الأعمال ، واعتقد في نفسه كونه قادرًا ، واعتقد في المغضوب عليه كونه عاجزًا عن الدفع عن نفسه ، فمن كان واقعاً في ظلمات عالم الأجسام اغتر بظواهر الأمور فانتقم منه، أما من انكشف له نور من عالم الغيب ، زال عنه الغضب ؛ لمعرفته بربه، وحسن ظنه به ، وحسن تدبيره وحكمه .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ٣٠٠٢).

فالمؤمن العارف يعلم أن المغضوب عليه ، خلق الله فيه داعية لذلك الفعل فلا سبيل له إلى تركه ، فعند ذلك يزول عنه الغضب .

وأما اعتقاد كونه قادرًا ، وكون المغضوب عليه عاجزًا ، فيتذكر أنه كم أساء في العمل لله ، والله قادر عليه ، ولكنه تجاوز عنه ؛ لعله يتوب إليه ، ويتذكر أن المغضوب عليه كما أنه عاجز في يد الغضبان ، فكذلك الغضبان عاجز بالنسبة لقدرة الله .

ويتذكر أنه إذا أمضى الغضب كان شريكًا للسباع المؤذية، وإن ترك الانتقام، واختار العفو ، كان شريكًا للأنبياء والأولياء: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥] .

وأن يتذكر أنه ربما كان الضعيف قادرٌ عليه ، فانتقم منه ، وإذا عفا كان ذلك إحسانًا منه إليه ، فيحسن إليه ، وبهذه الوجوه يزول الغضب ، ويحصل العفو : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[الأعراف:٢٠١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت: ٣٦] .

- **أقسام الأخلاق :**

الأخلاق تنقسم إلى قسمين :

١- أخلاق محمودة ، يحبها الله .

٢- أخلاق مذمومة ، يبغضها الله .

فالأخلاق المحمودة : كالرحمة ، والصبر ، والصدق ، ونحو ذلك .

والأخلاق المذمومة: كالعُجب، والكبر، والجزع والظلم، ونحو ذلك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠].

- **صفة العجب :**

العجب هو : استعظام النعمة ، والركون إليها ، مع نسيان إضافتها إلى المنعم سبحانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣] .

وعجب الناس أنواع :

١- فمن الناس من يعُجب بصحته ، وقوته ، وحسن صورته .

٢- منهم من يعُجب بعقله ، وفطنته ، وذكائه .

٣- منهم من يعُجب بعلمه .

٤- منهم من يعُجب بعبادته .

٥- منهم من يعُجب بنسبه .

٦- منهم من يعُجب بماله .

وميزان التفاضل بين الناس هو التقوى فقط: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات: ١٣] .

وثمرة هذا العجب أن تجد أن هذا الإنسان مستبد برأيه ، محتقر لغيره ، معرض عن سماع رأى ما سواه ، وقد نهى الله ﷻ عن كل ذلك ، فقال : ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾ ﴾[الإسراء:٣٧-٣٨] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[لقمان:١٨-١٩] .

والعُجب هو الدرجة الأولى في سُلم الكبر : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة: ٣٤] .

وذلك أن إبليس أعُجب بعبادته ، واستكبر على آدم ، فلم يرى السجود له ، حيث : ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾[الإسراء:٦١]

ومن أعُجب بنفسه ، احتقر غيره ، كما احتقر إبليس آدم ﷺ .

والعُجب يختلف عن الكبر ، فالكبر له ثلاثة أركان :

مُتكبر .. ومُتكبر به ، من مال أو جمال .. ومُتكبر عليه ، وهو ما سوى المتكبر من الناس .

وقد نهى الله ﷻ عن الكبر ، وتوعد المستكبرين بالعذاب الأليم : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠] .

والعُجب له ركنان فقط :

مُعجب .. مُعجب به فقط .

وكلاهما ذميم ، وشر ، نعوذ بالله من الكبر ، والمستكبرين .

- **وعلاج العُجب بأربعة أمور هي :**

الأول : أن يرى الإنسان أن التوفيق وجميع النعم من الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣] .

وبذلك يشتغل بالذكر ، والشكر لربه ، ولا يعُجب بنفسه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

الثاني : أن ينظر إلى صنوف النعمة التي أنعم الله بها عليه ، وبذلك يشتغل بشكر الله عليها ، ويستقل عمله ، ولا يعُجب به : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٤]

الثالث : أن يخاف ألا يتقبل ربه منه عمله ، فإذا خاف ربه ، لم يعُجب بنفسه : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة:٢٧] .

الرابع : أن ينظر في ذنوبه التي أذنب قبل ذلك ، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته ، قل عجبه : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٦٠] .

- **صفة الجزع :**

من الأخلاق السيئة : الجزع ، والجزع من مراكب الشيطان ، التي يحمل بها الإنسان من رياض الطمأنينة والسكينة ، ثم يكبه في بحار الحيرة والأحزان والأوهام ، حتى يضيق عليه حياته: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المعارج:١٩-٢٢] .

والمؤمن إذا أصابه بلاء ، يركب مركب الصبر ، ويمشي في بحر الرضا والتسليم ، ويترقى إلى درجة الحمد ، والشكر : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا

كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة:٥١] .

وقال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١] .

فالمؤمن إذا أصابه كرب وبلاء ، يصبر ، ثم يرضى ويُسَلم ، ثم يحمد ويشكر حتى يصل إلى محيط الفرج والطمأنينة والرضا : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢ -٢٣] .

وأسباب الجزع كثيرة منها :

تذكر المصيبة ، حتى لا ينساها الإنسان ، وتصورها في كل وقت حتى لا تغرب عنه .

ومنها : كثرة الشكوى ، وبث الجزع ، ومن فعل ذلك فإنه من ربه يستغيث ، ومن قضائه يتبرم ، وعن ثوابه يرغب : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج:١١] .

ومنها : الأسف وشدة الحزن والحسرة ، فلا يرى من مصابه خلفًا ، ولا يجد لمفقودة بدلًا ، فيزداد بالأسف حزنًا .

ومنها : اليأس من شر مصابه، وإدراك طلبه، فلا يبقى له صبر، ولا يتسع له صدر .

ومنها : رؤية أهل النعمة ، والسلامة ، وأنه خُص من بينهم بالرزية ، ولو نظر إلى من شاركه في الرزية ؛ لهان عليه الأمر ، وهان عليه الصبر ، وحان منه الفرج : ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٦] .

والجزع ، والهلع ، فطرة في الإنسان ، وقد أرشدنا الله ﷻ إلى طريق التخلص منها بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ﴾[المعارج:١٩-٢٢] .

- **فقه حُسن الخلق :**

قيمة الإنسان عند الله بصفاته ، لا بذاته ، ولا بنسبه ، ولا ماله .

فمن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة ، دخل الجنة ، ورضي الله عنه ، ولو كان عبدًا حبشيًا : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢ ﴾ [التوبة:٧١-٧٢] .

فمن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة دخل الجنة ، ورضي الله عنه ، ولو كان عبدًا حبشيًا ، ومن جاء بالنسب والحسب والمال بدون الإيمان دخل النار ، ولو كان غنيًا ورشيًا : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤ ﴾[النساء: ١٤].

وقال سبحانه : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝٥٥ ﴾[التوبة:٥٥] .

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[العصر:١-٣].

وسر الأمر في حُسن الخُلق أمران :

اعتبار حال القائل .. واعتبار حال الفاعل .

أما اعتبار حال القائل : فإن جواهر النفوس البشرية مختلفة .

قال النبي ﷺ: « النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَب ، والْفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا ، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مجُنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ » أخرجه مسلم . (١) .

والنفوس لها حالتان :

الأولى: في حال النقصان تنتهي إلى غاية البلادة والمهانة والندالة ، واستيلاء حب المال واللذات ، والشهوات والغضب عليها : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ۝١٢﴾[محمد:١٢] .

وقال سبحانه : ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾[الفرقان: ٤٤] .

وقال سبحانه : ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾[الأعراف:١٧٩] .

واليهود باءوا بغضب على غضب ، فالغضب الذي باءوا به أنهم كفروا بما عرفوا من الحق .

والغضب السابق ، أنهم استكبروا عن الحق إذا كان لا تهواه أنفسهم .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦٠/ ٢٦٣٨).

والغضب الثالث بسبب قتلهم الأنبياء، وتكذبيهم لهم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾[البقرة:٨٩-٩١] .

وقال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾[البقرة: ٨٧] .

فهذه أحوال أهل النقصان العلمي ، والعملي .

أما في جانب الكمال ، فتنتهي النفوس إلى غاية القوة والجلالة في القوة العلمية ، والعملية .

ففي القوة العلمية قال الله سبحانه لرسوله ﷺ : ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[النساء:١١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران: ٧٩] .

وفي القوة العملية ، وصفه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم:٤] .

وقوله سبحانه: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٨٩ ﴾[التوبة:٨٨-٨٩] .

فكانت حياة النبي ﷺ العلمية والعملية نورًا على نور ، وروحه كأنها من جنس أرواح الملائكة ، لا تنقاد لشهوة ، ولا تميل لدواعي الغضب ، ولا تتأثر من حب المال والجاه ، ومن استعلت روحه على جسده لم تلتفت إلى هذه الشهوات ، ولم تمل إليها ، فهذا اعتبار حال القائل .

وأما اعتبار حال الفاعل : فمن عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب ، فإن جميع الحوادث الأرضية ، والعلوية ، مستندة إلى الأسباب الإلهية ، فيعلم أن الحذر لا يدفع القدر ، فمن فاته مطلوبُ لن يغضب ، وإن حصل له محبوبُ لم يأنس ، بل يأنس بربه ودينه والعمل بشرعه : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾[يونس:٥٨] .

وقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

ومتى كان كذلك لم ينازع أحدًا في طلب شيء من لذات الدنيا وطيباتها ، ولا يغضب على أحد بسبب فوت شيء من مطالبها عليه ، ومتى كان الإنسان كذلك ، كان حسن الخُلق مع ربه ، وحسن الخُلق مع خلقه .

فالدين ركنان :

الأول : عبادة الحق .

الثاني : الإحسان إلى الخلق ، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾[الإسراء:٢٣] .

ولما كان ﷺ أكمل البشرية في هذه الصفات الموجبة لحسن الخلق مع الخالق ، والمخلوق ، لا جرم كان أكمل الخلق في حُسن الخُلق ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال ﷻ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

- **صفة الكبر :**

عقوبات الكبر :

أول من استكبر وتعاظم إبليس لعنه الله ، والجان هو إبليس ، وهو أبو الجن ، كما أن آدم أبو البشر ، خلق الله إبليس من النار ، بل من أشدها وهي نار السُموم الشديدة الحرارة ، ومن مارج من نار وهو اللهب الذي لا دخان فيه ، وكان من أعبد الجن ، فرفع إلى السماء ؛ ليتعبد مع الملائكة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الحجر:٢٧] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾[الرحمن:١٥] .

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: « خُلِقَتْ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » . أخرجه مسلم(١) .

فأول من استكبر وتعاظم إبليس ، فلعنه الله وأهبطه من السماء إلى الأرض ، صاغرًا ، ذليلًا ، مدحورًا ، كما قال سبحانه لإبليس : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[الأعراف: ١٢-١٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٩٦) .

وقال الله ﷻ : ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[الأعراف:١٨] .

والمتكبر لا يمكن أن ينال ما أراد من العظمة والرفعة ، وإنما يعاقبه الله بنقيض قصده من الذلة ، والصغار ، والهوان ، فهو كمن هو على الجبل ، يرى الناس صغارًا ، وهم يرونه صغيرًا : ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ﴾[غافر:٥٦] .

ومن عقوبات الكبر : أنه سبب لصرف صاحبه عن فهم آيات الله ، كما قال سبحانه : ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] .

والكبر سبب للشواء في النار، كما قال سبحانه : ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الزمر:٦٠] .

والمتكبر لا يحبه الله ﷻ : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[النحل:٢٣] .

والكبر من أعظم الآفات والشرور كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾[غافر:٢٧] .

وقد توعد الله المتكبر بالعذاب الأليم : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] .

ومن تكبر عن أوامر الله ، وعلى خلق الله ، طبع الله على قلبه ، كما قال سبحانه : ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ ﴾[غافر: ٣٥] .

- **صفة التواضع :**

التواضع سبيل الفوز والسعادة والراحة والطمأنينة في الدنيا ، والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[القصص:٨٣] .

ومن تواضع من أجل الله رفعه الله في الدنيا والآخرة ، والنفس الأمارة بالسوء تخدع الإنسان ، وتقول له : إنك إذا عفوت عمن اعتدى عليك ، فقد ذللت أمامه ، وإذا تواضعت نزلت ، ولكن الأمر بالعكس ، فمن تواضع لله رفعه ، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًا .

والتواضع له معنيان :

الأول : أن تتواضع لله بالعبادة ، تخضع لامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

الثاني : أن تتواضع لعباد الله ؛ من أجل الله ، لا خوفًا منهم ، ولا رغبة فيما عندهم ، وكلاهما سبب لرفعة الإنسان في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٥] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ » . أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ٢٥٨٨).

والعفو عن أخطاء الغير عليك من مكارم الأخلاق ، فمن جنى عليك وظلمك في نفسك أو مالك أو أهلك ، فلك الحق أن تنتقم منه ، كما مدح الله ﷻ أوليائه فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الشورى:٣٩] .

ولك أن تأخذ بحقك ، ولكن الصبر على ذلك ، والعفو عن الناس أفضل وأرفع مقامًا عند الله ، وعند الناس ، وأعز لك في الدنيا والآخرة : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النحل:١٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور:٢٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

١٠- الخزانة العاشرة

- **فقه صلة الرحم :**

صلة الرحم من العبادات التي أمر الله بها ، ورَغب فيها : ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾[الأنفال: ٧٥] .

وصلة الأرحام وهم الأقارب تكون بما جرى به العرف ؛ لأنه لم يبين في الكتاب والسنة ، نوعها ، ولا جنسها ، ولا مقدارها ، فما جرى به عرف المسلمين أنه صلة فهو الصلة ، وما تعارفوا عليه أنه قطيعة فهو قطيعة .

وصلة الأرحام فضلها عظيم ، فمن أراد أن يصله الله فليصل رحمه ، ومن أراد أن يقطعه الله ، فليقطع رحمه : ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾[النبأ:٢٦] .

وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل كان الله له أوصل ، وكل ما وصل أو قصر جاءه من الثواب أو العقاب بقدر ما عمل .

عن أبي هريرة ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ ، فَقَالَتْ : هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، قَالَ : فَذَلِكَ لَكِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُول الله ﷺ : اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ : فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ، وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ». متفق عليه[١] .

عن أبي هريرة ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ :« إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ اللهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ » . أخرجه البخاري[٢] .

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم(٤٨٣٠)، ومسلم برقم(٢٥٥٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٥٩٨٨).

وعن أنس بن مالك ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ». متفق عليه [1] .

وقطيعة الرحم من أعظم الذنوب ، وقد توعد الله قاطع الرحم بالنار ، كما قال النبي ﷺ : « لاَ يَدْخُل الجَنَّةَ قَاطِعٌ » . متفق عليه[2] .

والمؤمن حقًا يصل من قطعه ، ويعطي من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويحسن إلى من أساء إليه : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤].

والواصل للرحم هو الذي إذا قُطعت رحمه وصلها ، فتكون صلته لله لا مكافئةً لعباد الله ، ولا من أجل أن ينال بذلك مدحًا عند الناس : ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠] .

وليس الواصل بالمكافئ الذي إذا وصله أقاربه وصلهم .

قال النبي ﷺ : « لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ ، وَلَكِنْ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا » . أخرجه البخاري[3] .

وصلة الرحم باب من أبواب الجنة :

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ : « يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : مَا لَهُ مَا لَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : أَرَبٌ مَا لَهُ ؟

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم(٥٩٨٦)، ومسلم برقم(٢٠/ ٢٥٥٧) واللفظ له.

(٢)متفق عليه: أخرجه البخاري برقم(٥٩٨٤)، ومسلم برقم(١٩/ ٢٥٥٦)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٩٩١).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : تَعْبُدُ اللهَّ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ » . متفق عليه[1] .

- **فقه الحسد :**

الحسد والكبر من أعظم الصفات التي نهى الله ﷻ عنها ، لما تسببه من الضرر على النفس وعلى الغير ، وقد أمر الله ﷻ بالاستعاذة من شر الحاسد إذا حسد، فقال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ [الفلق/ ١-٥] .

وقد أخبر الله عن أهل الكتاب أنهم حسدوا النبي ﷺ على بعثته لهذه الأمة ، فقال عنهم سبحانه : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [النساء:٥٤ -٥٥] .

والحسد أن يكره الإنسان ما أنعم الله به على غيره من مالٍ ، أو جاه ، أو علمٍ أو نحو ذلك ، وأشده أن يتمنى زوال نعمة الله على غيره .

ولا فرق بين أن تكره ما أنعم الله به على غيرك ليعود إليك هذا الشيء ، أو ليرتفع عن أخيك وإن لم يعد إليك .

والحسد من خصال اليهود، فمن حسد فهو متشبه بهم، كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء:٥٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٩٦) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٢/ ١٣).

ومن مفاسد الحسد الكبرى أن فيه تشبه بأخبث وأنجس وأخس خلق الله اليهود الذين قالوا على الله غير الحق ، وقتلوا الأنبياء ، وتركوا دين الله ﷻ ، ويدل على خبث نفس الحاسد ، وأنه لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وفى الحسد اعتراض على قدر الله ، وكراهيته لما قضاه من قسمة النعم بين خلقه : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف:٣٢] .

وكلما أنعم الله على عباده بنعمة التهبت نار الحسد في قلب الحاسد ، وصار دائمًا في حسرة وغم ، لأن نعم الله على العباد لا تحصى ، والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

والحسد يُقعد الإنسان عن العمل النافع ، ويجعله منطويًا على نفسه ، ليس له هم إلا تتبع نعم الله على العباد .

والحسد ينبع من نفس شريرة ، أنانية ، تريد أن يكون كل شيء لها ، والحسد لا يمكن أن يغير شيئًا مما قضاه الله ﷻ أبدًا ، فيظل الحاسد دائما في هم وغم ، وقد يتدرج الحاسد إلى أن يكون من أهل العيون الذين يؤذون الناس بأعينهم ، والعائن عليه من الإثم والوبال بقدر ما ضر العباد .

والحسد يؤدى إلى تفرق المسلمين ؛ لأن الحاسد مكروه مبغض عند المسلمين ، فهذه عشرة مفاسد كلها في الحسد .

- **فقه البخل والشُح :**

البخل والشُح خلقان ذميمان ، فالبخل هو منع ما يجب وما ينبغي بذله ، والشح هو الطمع فيما ليس عنده ، والبخل بما عنده .

والشُح أشد من البخل، لأن الشحيح يطمع فيما عند الناس، ويمنع ما عنده عن الناس: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر:٩].

والبخيل يمنع ما عنده مما أوجب الله عليه من زكاة ، ونفقة ، ومما ينبغي بذله مما تقتضيه المروءة ، و لا فلاح للإنسان إلا بالتخلص من هذا ، وهذا ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾[الحديد:٢٤] .

وكل أحد بخل بما يجب بذله من مالٍ أو علمٍ أو جاه ، واستغنى بنفسه ولم يعمل بأوامر بالله ، وكذب بالحق ، فإن الله ييسره للعسرى ، وتعسر عليه الأمور التي تسهل على المتقي ، فلا تسهل عليه الطاعات والنفقات ، وتثقل عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ، ويتعسر عليه كل خير ، ويسهل عليه كل شر، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾[الليل:٨-١٠] .

وأما المسلم المصدق بالحق ، المعطى لما يجب بذله ، فإن الله ييسر عليه جميع الأمور في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾[الليل:٥-٧] .

والشُح : هو الطمع في حقوق الغير ، وهو سببًا للهلاك : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر:٩] .

- **فقه الظلم :**

الظلم : هو العدوان على الغير .

والظلم نوعان :

ظلمٌ في حق الله .. وظلمٌ في حق العباد .

والظلم في حق الله يكون بالكفر به، وجعل شريك له في أسمائه، وصفاته، وعبادته، وأعظم الظلم كله الشرك بالله .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[لقمان:١٣] .

وظلم العباد نوعان :

ظلمٌ بترك الواجب لهم .. وظلمٌ بالعدوان عليهم .. وكلاهما محرم : ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾[الفرقان: ١٩] .

فمثال ترك الواجب لهم، كما قال النبي ﷺ: « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ». متفقٌ عليه(١) .

ومثال العدوان عليهم أخذ أموالهم ، والكلام في أعراضهم ، كما قال النبي ﷺ : « مَنْ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنْ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ » . متفقٌ عليه(٢) .

وقال النبي ﷺ : « وَاللهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لا يُؤْمِنُ، فقال الصحابة: من هو يَا رَسُولَ اللهِ خاب، وخسر ؟ قَالَ : جَارٌ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ ». أخرجه البخاري (٣) .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٠٠)واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٣/ ١٥٦٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٥٢)، ومسلم برقم: (١٣٧/ ١٦١٠)، واللفظ له .

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٦).

- **صفة الكبر والعجب :**

الكِبر .. والعُجب ، من الصفات الذميمة .

فالكبر هو : الترفع باعتقاد الإنسان نفسه أنه كبير ، وأنه فوق الناس ، وأن له فضلاً عليهم .

والعجب: أن يرى الإنسان عمل نفسه، فيعجب به، ويستعظمه، ويستكبره.

فالإعجاب يكون في العمل ، والكبر يكون في النفس ، وكلاهما خلقٌ مذموم .

والكبر نوعان :

كبرٌ عن الحق .. كبرٌ على الخلق .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان:١٨-١٩] .

والكبر من كبائر الذنوب ، والمتكبر له حالتان :

الأولى : من كان في قلبه كبر عن الحق ، وكراهية له ، فهذا كافرٌ مخلدٌ في النار : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [محمد:٩] .

وقال تعالى :﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] .

الثانية : من كان في قلبه كبر على الخلق ، ولم يستكبر عن عبادة الله ، فهذا يعذب على ما حصل من كبر على الخلق ثم إذا طُهر دخل الجنة .

عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : « لا يَدْخُلُ الجْنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ، قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يحُبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : إِنَّ اللهَّ جَمِيلٌ يحُبُّ الجْمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الحْقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن عبد الله قال ، قال رسول الله ﷺ : « لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، ولا يَدْخُلُ الجْنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرياءٍ » . أخرجه مسلم[2] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤٧ / ٩١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٤٨/ ٩١).

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

١٩- خزائن الأخـــــلاق

القسم الثاني

ويشتمل على ما يلي :

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

١٩ - خزائن الأخلاق

القسم الثاني

١ - الخزانة الأولى

- **فقه حُسن الخُلق :**

حُسن الخلق من البر الذي أمر الله به، بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾[المائدة:٢] .

وحُسن الخلق نوعان :

الأول: حُسن الخلق في عبادة الله .

الثاني: حُسن الخلق في معاملة عباد الله .

فحُسن الخلق في عبادة الله ، أن يتلقي المسلم أوامر الله بصدر منشرح ، وبنفس مطمئنة ، ويفعل ذلك بانقياد تام بدون تردد ، ولا شك ، ولا تسخط ، ولا كراهية ، فيصلي ويزكي ، ويصوم ويحج ، ويعبد الله بانقياد وتسليم، ومحبة وتعظيم لربه ، ويعبد الله مستناً بسنن رسوله ﷺ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾[النساء:٦٥] .

وفي معاملة الناس ، يقوم المسلم ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، ونصح الأمة ، وحسن المعاملة، وهو في كل ذلك منشرح الصدر، واسع البال: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ

وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤].

وأما أهل الفسوق ، فأنهم لا يترددون في الآثام ، بل لقلة إيمانهم يفعلونها بانشراح : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾[فاطر:٨] .

وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ عَنِ الْبِرِّ ، وَالإِثْمِ فَقَالَ: « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» . أخرجه مسلم[1] .

وحُسن الخلق أحسن لباس يلبسه الإنسان، وهو صبغة الله: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨] .

وهو أفضل ثروة في الدنيا ، والآخرة ، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة .

وحُسن الخلق له ركنان :

الأول: حُسن الخلق مع الله .

الثاني: حُسن الخلق مع عباد الله .

فحُسن الخلق مع الله هو الرضا بحكمه ، شرعًا وقدرًا ، فإذا قدر الله على العبد مكروهًا، رضي بذلك وسلم وصبر ، وإذا حكم الله عليه بأمر أو حكم شرعي رضي وسلم، وانقاد لشريعة الله ، فهذا حُسن الخلق مع الله: ﴿ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤/ ٢٥٥٣).

قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج:٣٤- ٣٥] .

أما حُسن الخلق مع الخلق ، فيكون بكف الأذى ، وبذل الندى ، وطلاقة الوجه، وحسن الظن، فهذا حسن الخلق مع الخلق: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

والنبي ﷺ أحسن الخلق أخلاقاً، وقد أوتيهم معًا، ولهذا قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] .

فنعم الراكب ، ونعم المركوب، فصلوات الله وسلامه عليه .

وحُسن الخلق يكون مع كل الناس ، وكل الخلق ، لكن الأهل أولى بحسن الخلق من غيرهم ، كما قال النبي ﷺ : « خَيْرُكُمْ، خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» . أخرجه الترمذي بسند صحيح(١) .

فعليك بمحاسن الأخلاق ، وعليك بالزهد والورع والتواضع .

- **فقه الزهد والورع والتواضع:**

فالزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة ، والورع ترك ما يضر في الآخرة ، فالزهد أعلى من الورع، فكل زاهدٍ ورع، ولا عكس .

فالأمور ثلاثة :

منها ما ينفع في الآخرة .. منها ما يضر في الآخرة .. منها ما لا يضر، ولا ينفع .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٨٩٥).

والزهد أخذ ما ينفع في الآخرة، وترك ما يضر، وترك ما لا ينفع ولا يضر: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾[الكهف: ٢٨] .

ويجب على المسلم أن يتواضع لربه ، ولإخوانه المسلمين .

والتواضع للناس بحسب درجاتهم ، فيجعل الإنسان من هو أصغر منه مثل ابنه ، ومن هو أكبر منه مثل أبيه ، ومن هو مثله مثل أخيه : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤ ﴾[الجمعة:٤] .

فينظر إلى من هو أكبر منه ، نظرة إكرام وإجلال ، وينظر إلى من هو دونه ، نظرة إشفاق ورحمة ، وينظر إلى من هو مثله ، نظرة مساواة ، فلا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[فاطر: ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[الحجرات: ١٣] .

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ﴾ [آل عمران:٧٣- ٧٤] .

وقال تعالى :﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ» . أخرجه مسلم(١) .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ٢٥٨٨).

والبشر وطلاقة الوجه من مكارم الأخلاق التي أمر الله ورسوله بها ، فإذا عملت عملًا صالحًا ، فبشر نفسك ، فأنه سيقبل منك إذا اتقيت الله فيه ؛ لأن الله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[المائدة:٢٧] .

وإذا دعوت الله ، فبشر نفسك أن الله يستجيب لك ؛ لأن الله يقول : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر: ٦٠] .

فبشر نفسك بكل خير ، وبشر غيرك بكل خير ، وأدخل عليه السرور تؤجر وتسعد وتسر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥ – ٤٦] .

وعن أنس أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا ، وَلاَ تُنَفِّرُوا» . متفق عليه(١) .

ويحرم على الإنسان أن ينفر الناس من الدين ، أو من الأعمال الصالحة، بقوله أو فعله ، بل يجب عليه أن يشجعهم ويرغبهم ، ويلين قلوبهم، ويلين لهم : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وقال تعالى :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

فيجب على المسلم أن يلين لإخوانه المسلمين ولا يغضب ، فالغضب جمرة يلقيها الشيطان في قلب الإنسان ؛ ليفرق بين المسلمين ، فيغلي القلب ،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩)واللفظ له، ومسلم برقم: (٨/ ١٧٣٤).

وتنتفخ الأوداج ، وتحمر العين ، ثم ينفعل الإنسان ، ويفعل شيئًا يندم عليه ، من كسر ، أو قتل ، أو ضرب ، أو نحو ذلك من المضار .

والغضب خلق ذميم ، يجر الإنسان إلى فعل ما يندم عليه ، فينبغي للمسلم ألا يكون سريع الغضب ، يستثيره أي شيء ، بل يكون حليمًا ، متأنيًا ، مطمئنًا ، وبهذا يكون محسنًا إلى نفسه ، وإلى غيره .

عن جرير عن النبي ﷺ قال: « من يحرم الرفق، يحرم الخير». أخرجه مسلم[1] .

وعن عائشة زوجة النبي ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ ، وَلا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ ». أخرجه مسلم[2] .

وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ: أَوْصِنِي يا رسول الله، فقال: « لاَ تَغْضَبْ، فقال: زدني، فقال: لاَ تَغْضَبْ، فقال: زدني، فقال: لاَ تَغْضَبْ ».أخرجه البخاري[3].

كل شيء لا يتم، ولا يكمل، إلا بتنقيته من الشوائب، وتكميله بالفضائل، فالتكميل بالفضائل نصف، والتنقية من الرذائل نصف آخر، ولهذا قال النبي ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ » . أخرجه مسلم[4] .

وذلك يشمل الطهور بالماء ، وطهور التيمم ، وطهارة القلب من الشرك والشك ، والغل والحقد ، والحسد والرياء ، ونحو ذلك مما يجب التطهر

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٤/ ٢٥٩٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٨/ ٢٥٩٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦١١٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١/ ٢٢٣).

منه حساً ومعنىً، فالطهور شطر الإيمان ، والنصف الثاني هو التحلي بالأخلاق الفاضلة، والإعمال الصالحة ، وبالطهارة من الرذائل، وبالتحلي الفضائل، يكمل الإيمان، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

- **فقه السلام:**

ومن مكارم الأخلاق ، وما يجلب المحبة بين الناس، إفشاء السلام، كما قال النبي ﷺ: « لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ ». أخرجه مسلم[1] .

فالمسلم مأمورٌ بإفشاء السلام على كل من لاقاه ممن يستحق السلام، سواء عرفه ، أو لم يعرفه ، و الذي يستحق أن يُسلم عليه هو المسلم الذي لا يحل هجره ، المسلم الذي سلم قلبه وقالبه لربه ، فعبد الله وحده لا شريك له .

أما الكافر، فلا يبدأ بالسلام، لأنه لا يستحقه .

وصيغة السلام على الواحد: السلام عليك ، وإن كانوا جماعة رجال ، فيقول : السلام عليكم ، وإن كن جماعة نساء قال :السلام عليكن ، حسب المخاطب .

والسلام تحية ودعاء ، فتشعر أنك إذا قلت لجماعة :السلام عليكم ، بأن الله يسلمهم من كل الآفات، آفات الذنوب، وآفات القلوب، وآفات الأجسام ، وآفات الأعراض ، ومن كل آفة ، وبلية .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩٣/ ٥٤) .

والله هو السلام جل جلاله، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر: ٢٣] .

فكل سلامةٍ من السلام جل جلاله، أكرم الله بها عباده ، وكل أمنٍ من المؤمن جل جلاله :﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾ ﴾[قريش: ١-٤] .

ولو قلت في رد السلام: أهلًا ، ومرحبًا ، بدل السلام ما أجزأك، لأنها تحية، وتهنئة، ليس فيها دعاء .

والسلام سنة ، ورد السلام واجب بمثله أو بأحسن منه، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[النساء: ٨٦] .

وينبغي للمسلم إذا سلم عليه احد أن يرد عليه بأحسن منها ، أو مثلها .

والأحسن ثلاثة أنواع :

الأول: الأحسن نوعاً :

فإذا قال له المسلم : السلام عليكم ، رد عليه بقوله : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، ولا يكتفي بأهلًا ، أو مرحبًا .

الثاني : الأحسن كمية:

فإذا قال له: السلام عليكم، رد عليه بقوله: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الثالث: الأحسن كيفية:

فإذا سلم عليك أحدٌ بصوتٍ واضح مرتفع، فرد عليه بمثل ذلك وإذا سلم عليك وقد أقبل إليك بوجهه فرد عليه كذلك ولا تصعر خدك له : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[النساء: ٨٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[لقمان: ١٨-١٩] .

- **فقه الغيبة والنميمة:**

الغِيبة والنميمة من الأخلاق السيئة التي نهى الله ورسوله عنها ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الحجرات:١١-١٢] .

والغيبة ذكرك أخاك بما يكره ، والنميمة نقل الكلام السيئ بين الناس للإفساد بينهم .

والغيبة والنميمة من كبائر الذنوب التي لا تكفرها الصلاة ، ولا الصدقة ، ولا الصيام ، ولا غيرها من الأعمال الصالحة ، فتبقى على الموازنة ؛ لأنها حق لأدمي، سيأخذه إن لم يسامح .

والغيبة تكون في غيبة الإنسان بالكلام فيه بما يكره ، فإن كان ذلك كذبًا فقد اغتبته وبهته ، فإن كان ذلك في وجهه سُمي ذلك سبًا وشتمًا ولا يُسمى غيبة ، فالغِيبة ذكرك أخاك بما يكره على وجه السب في غيبته .

أما إذا كانت الغيبة للنصح والبيان ، فلا بأس بها ؛ لأن فيها بيان الحق الواجب .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟ قَالُوا : اللهُ ، وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ، قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ» .

أخرجه مسلم[1] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « المُسْتَبَّانِ مَا قَالاَ فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ » . أخرجه مسلم[2] .

وما يكرهه الإنسان يشمل :

العيب الجسدي .. والعيب الخُلقي .. والعيب الخَلقي .. والعيب الديني .

فالجسدي كما لو اغتبته بأنه أعرج ، أو أعور ، أو أسود ، أو قصير ، ونحو ذلك من الأوصاف .

والخُلقي كما لو اغتبته ، بأنه ليس بعفيف مثلًا .

والديني كأن تقول أنه مبتدع ، أو لا يصلي مع الجماعة .

وتزداد الغِيبة والنميمة قبحًا وإثمًا بحسب ما تؤدي إليه ، فغيبة العامي من الناس ، ليست كغيبة الملك ، أو الأمير ، أو العالم ، أو ما أشبه ذلك ممن

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٠/ ٢٥٨٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٨/ ٢٥٨٧).

لهم شأن ؛ لأن غيبة ولاة الأمور أشد من غيبة من ليس له أمر ، فغيبة ولاة الأمر تسقط مهابتهم عند الناس، وتسبب الفوضى، وليس فيها فائدة .

وغيبة العالم تشكك الناس في علمه وأمانته ، فيسقط من أعين الناس ولا يقبلوا قوله ، وهذه جناية على العلم الشرعي الذي يحمله .

والعجيب أن من يغتاب ولاة الأمور والعلماء ، لا يأتي بحسناتهم مع أنه يعلم أن الله أمر بالقسط، والعدل، كما قال سبحانه: ﴿ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجرات: ٩] .

ولا تجدهم في الغالب يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر؛ لأنهم مشغولون بسقطات الناس، وزلاتهم، وهذه أمراض في بعض الناس ، يتتبع العورات والسقطات والزلات، ويشيعها بين الناس، فيضطرب الأمن، ويحصل الخلاف وتحصل الفتن .

فعلينا أن نجتنب الغيبة والنميمة؛ لأنها نقص في حسناتنا، وزيادة في حسنات من نغتاب: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء:٣٦] .

وقال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الحجرات:١١] .

الغِيبة من كبائر الذنوب ، لما فيها من كشف العورات والسوءات والزلات، ومن تتبع عورة أخيه؛ ليفضحه، تتبع الله عورته ، لكن الغيبة إن كانت للنصح والبيان فلا بأس بها ، كما لو أردت أن تعامل فلانًا ، فلا بأس أن تسأل عنه

غيرك ، فإذا أجابك هذا الغير بما فيه من خيرٍ أو شر ، فلا يعتبر غيبة له ؛ لأن هذا من باب النصح والبيان ، لا من باب بيان العيب والفضيحة .

وكذلك الفاسق إذا ذكرنا فسقه على وجه العيب والسب فإن هذا غِيبة ، وإذا ذكرناه على وجه النصيحة والتحذير منه ، فلا بأس به بل قد يجب .

أما الكافر فلا غيبة له، فإن كان له أقارب من المسلمين، فلا نغتبه، لئلا نسؤهم .

والأسباب المبيحة للغيبة :

أن الغيبة من كبائر الذنوب، ولا تباح إلا لغرض صحيح ، لا يمكن الوصول إليه إلا بها .

وهو ستة أسباب :

الأول : التظلم ، فيجوز للمظلوم أن يقول لقادرٍ على إنصافه ، ظلمني فلان بكذا ، وكذا .

الثاني : الاستفتاء ، فيقول للمفتي ظلمني أبي، أو أخي، أو ابني، أو جاري، أو زوجي بكذا ، فهل له ذلك ؟ .

الثالث : الاستعانة على تغيير المنكر ، فيقول الإنسان لأخيه لمن يعلم قدرته على إزالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره عنه ؛ لأن هذا من التعاون على البر والتقوى .

الرابع : تحذير المسلمين من الشر ، ونصحهم مثل جرح المجروحين من رواة الحديث ، أو الشهود في القضاء ، أو المشاورة في مشاركة إنسان ، أو مصاهرته ، أو مجاورته ، فلا بأس من ذكر المساوئ ، بنية النصيحة لأخيه ،

أو يكون مثلًا مهملًا في عمله ، لا يقوم به على الوجه الأكمل ، ونحو ذلك من الأسباب .

الخامس : أن يكون مجاهرًا بفسقه ، أو بدعته ، فيجوز ذكره بما يجاهر به ، من باب النصيحة ، لا من باب الفضيحة ؛ لأنه لا غيبة لفاسق .

السادس : التعريف ، كما لو كان الإنسان معروفًا بلقب : كالأعمش ، والأعرج ، والأصم ، فلا بأس من تعريفهم به ، على وجه التعريف لا التنقص ، ولا السخرية :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات:١١-١٣] .

والنميمة هي نقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم ، وهي من كبائر الذنوب ، لما تسببه من الفساد ، والفرقة بين الناس ، فإن كان من باب النصيحة فلا بأس ، كأن يحذره من فلان ، ويقول أنه يقول فيك كذا ، وكذا ؛ ليحذره منه : ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ ﴾[القلم: ١٠-١١] .

وقال رَسُولَ اللهِ ﷺ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ» . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٠٩)، ومسلم برقم: (١٦٩/ ١٠٥)واللفظ له.

فالغِيبة والنميمة معصية عظيمة ، لكن إذا دعت الحاجة والمصلحة إلى نقل كلام الناس، إلى ولاة الأمور؛ لدفع مفسدة، أو حصول مصلحة ، فإنه لابد من نقله إليهم ؛ لتردع ولاة الأمور أهل الشر والفساد ؛ ولأنه من باب التعاون على البر والتقوى ، وقد قال سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة: ٢] .

وأما إذا لم يكن فيه مصلحة ، ولا دفع مفسدة ، فإنه لا ينبغي نقل الكلام إلى ولاة الأمور ، لما يسببه من العدوان ، والكراهية بين ولاة الأمور ورعيتهم ، وحصول الشر، وظهور الفتن : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾[المائدة: ٢] .

٢- الخزانة الثانية

- **فقه الكذب :**

الصدق من الأخلاق المحمودة ، والكذب من الأخلاق المذمومة .

والكذب هو الإخبار بخلاف الواقع ، والكذب من كبائر الذنوب .

وهو أنواع :

الأول : الكذب على الله ورسوله بأن يقول قال الله وقال رسوله كذا وهو لم يقل، أو يفسر كلام الله ورسوله بغير ما أراده الله ورسوله ، فهذا أعظم أنواع الكذب ، وعقوبته النار يوم القيامة .

وأكثر الناس كذبًا على رسول الله ﷺ هم الرافضة والمشركون : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[الأنعام:١٤٤] .

وقال النبيَّ ﷺ : « مَن كَذَب عليّ مُتعمِّدًا فليتبوَّأْ مَقْعَدَهُ من النار» . متفق عليه[1] .

الثاني : الكذب على الناس ، وهو نوعان :

الأول : كذب النفاق، بأن يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، وهذا أخطر أنواع الكذب، بعد الكذب على الله ورسوله، وصاحبه مخلدُ في النار إن مات ولم يتب منه، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ۖ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٩١)، ومسلم برقم: (٣/ ٣)واللفظ له .

فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦] .

الثاني : الكذب في الحديث بين الناس ، كأن يقول قلت لفلان كذا وهو لم يقل ، أو قال فلان كذا وهو لم يقل ، أو يتكلم في أمر لا يعلمه، فهذا حرام وهو من علامات النفاق ، كما قال النبي ﷺ : « آية المنافقِ ثلاثٌ : إذا حدَّث كذَب ، وإذا وعدَ أخلفَ ، وإذا اؤتمِنَ خانَ » . متفق عليه(١) .

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْن عَمْرٍو أن النبي ﷺ قال :« أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إذا اؤتمُِن خَان، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عليه(٢).

- **درجات الكذب** :

الكذب يتضاعف جرمه بحسب ما يؤدي إليه من المفاسد والأضرار ، فالكذب على الله ورسوله أعظم أنواع الكذب .

ويليه كذب النفاق وهو إظهار الإسلام، وإبطان الكفر .

والكذب في المعاملات أشد من الكذب في مجرد الأخبار ؛ لأن الكذب في المعاملات يمحق البركة ، وما كسبه الإنسان بالكذب سُحت لا خير فيه ، ولحم نبت على السحت النار أولى به ؛ ولأنه مبني على الكذب ، والكذب على الأمراء والعلماء أعظم من الكذب على العامة ، والكذب كله محرم ؛ لأنه يهدي إلى الفجور : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ [الصف: ٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٥)واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٧/ ٥٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٦/ ٥٨).

وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ صَدِيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ كَذَّابًا ». متفق عليه[1] .

والكذب كله محرم ، ويباح الكذب في ثلاثة أحوال :

١- في الحرب بين المسلمين والكفار .

٢- في الإصلاح بين الناس .

٣- وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها ، إذا لم يتضرر بذلك أحد .

فكل مقصود محمود ، يمكن تحصيله بدون الكذب يحرم الكذب فيه ، وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب ، ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحًا ، كان الكذب مباحًا ، وإن كان واجبًا ، كان الكذب واجبًا ، كإنقاذ معصومٍ من ظالم يريد قتله ظلمًا ، والأحوط في ذلك كله أن يوري في كلامه .

- **من الأخلاق السيئة :**

السخرية بالناس ، والغدر بهم، والبغي عليهم ، والفخر عليهم .

فيحرم على المسلم احتقار غيره من الناس وازدرائه، والسخرية به والاستهزاء به، والحط من قدره؛ لما فيه من العدوان على أخيك المسلم،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٤)، ومسلم: (١٠٥/ ٢٦٠٧) واللفظ له .

الذي يجب أن تحبه وتحترمه وتوقره ؛ لأنه مؤمن بالله، والسخرية تنافي الإيمان وتنقصه ، ومحبته من مقتضيات الإيمان .

كما قال النبي ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يحُبَّ لِأَخِيهِ مَا يحُبُّ لِنَفْسِهِ » .

متفق عليه[1] .

وقد حرم الله على الرجال ، والنساء جميع أنواع السخرية بالناس .

والسخرية أنواع :

فقد تكون السخرية من هيئة هذا الإنسان ، وقد يسخر من طوله أو قصره ، أو ضخامته أو نحافته ، أو بياضه أو سواده ، وقد يسخر بكلامه ، وتقليد كلامه استهزاءًا به ، وقد يسخر بأهله أو عشيرته ، وقد يسخر في معاملته الناس ، وقد يسخر بمشيته ، أو سيارته، ونحو ذلك مما لا يمكن حصره ، وفي كل ذلك ظلمٌ لأخيك المسلم :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾[الحجرات:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ﴾[الهمزة:١-٦] .

وقال النبي ﷺ : « حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَكُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧١/ ٤٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٢/ ٢٥٦٤).

- **حكم الغدر :**

الغدرُ خيانة الإنسان غيره في موضع الاستئمان ، فالوفاء بالعهد من مقتضيات الإيمان ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء:٣٤] .

والغدر ينافي الإيمان وينقصه ، فيجب على الإنسان الوفاء بالعهد ويحرم عليه الغدر، لما فيه من الظلم والعدوان وإنكار الحقوق، وينصب للغادر ديوان تحت مقعدته يوم القيامة، فيرتفع بين الناس قدر غدرته؛ ليعلم الناس به.

والغدر من صفات المنافقين ، والغدر من كبائر الذنوب ، لما فيه من ظلم ، وأكل أموال الناس بالباطل .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ » . متفق عليه[1] .

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو أن النبي ﷺ قال :« أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إذا اؤتمِن خَان، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عليه[2].

- **حكم الفخر والبغي:**

الفخر أن يمدح الإنسان نفسه ، ويفخر بما أعطاه الله من نعمة ، سواءً كانت نعمة المال ، أو العلم ، أو الجاه أو الولد ، أو قوة البدن ، وما أشبه ذلك فخرًا وعلوًا على الناس، فهذا لا يجوز .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٥) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٧/ ٥٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٦/ ٥٨).

وأما التحدث بنعم الله على وجه إظهار نعمة الله على العبد مع التواضع لله فهذا محمود ، لقوله سبحانه : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾[الضحى: ١١] .

وقال الله تعالى :﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[لقمان: ١٨] .

- وأما البغي فهو العدوان على الغير ، بأن يعتدي على بدن الإنسان ، أو ماله ، أو أهله ، أو مقامه ، ونحو ذلك، وهو محروم: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأعراف: ٣٣] .

والبغي محرم، لما فيه من ظلم وعدوان، وانتهاك حرمة أخيه المسلم:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠].

فيجب على المسلم أن يتواضع لله، ويتواضع للحق، ويتواضع للناس، والفخر كذلك محرم، لما فيه من الغلو والتعاظم، وقد نهى الله عن تزكية النفوس على وجه الفخر، فقال سبحانه: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾[النجم: ٣٢] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[الشورى/ ٤١-٤٣] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[لقمان: ١٨] .

- **حكم مدح الإنسان غيره :**

مدح الإنسان لغيره من الناس له أحوال :

الأولى : أن يكون في مدحه خيرًا ، وتشجيعًا له على الأخلاق الحميدة ، فهذا لا بأس به ؛ لأنه تشجيع له على الكرم والإحسان إلى الغير ، بل هو حسن ليستمر على ما هو عليه ، وهو من التعاون على البر والتقوى ، كما قال سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة: ٢] .

الثانية : أن يمدحه ليتبين فضله بين الناس ؛ ليحترموه لما له من الأفعال الجميلة ، كما فعل النبي ﷺ مع أبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : أَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ » . أخرجه مسلم[1] .

وقال النبي ﷺ لعمر : « مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا ، إِلا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ » . متفق عليه[2] .

الثالثة : أن تمدح غيرك ، وتغلو في إطرائه ، وتصفه بما لا يستحق ، فهذا محرم ؛ لأنه كذب وخداع ، وهو ضرر على المادح والممدوح : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩﴾[النساء:٤٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨٧/ ١٠٢٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٨٥)، ومسلم برقم: (٢٢/ ٢٣٩٦).

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾[النجم:٣٢] .

الرابعة : أن تمدحه بما هو فيه ، لكن تخشى أن الممدوح يغتر بنفسه ، ويزهو ويترفع على غيره، فهذا محرم لا يجوز؛ لأنه سبب لحصول المحرم، كما قال النبي ﷺ: « إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ ». أخرجه مسلم (١) .

والمادح هو : الذي يمدح غيره أحياناً، ومن مدح غيره بحق فالأفضل أن يقول أحسبه كذلك ، وحسيبه الله ، ولا أزكي على الله أحدًا .

والمداح هو : الذي يكثر من مدح غيره ، كلما جلس عند إنسان كبيرٍ ، أو أميرٍ، أو عالمٍ، أو قاضٍ، وأمثالهم، قام يمدحه، فهذا حق أن يحثى في وجهه التراب ، والمداح غير المادح ، ولكل واحد حكمه .

عن المقتاد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ » . أخرجه مسلم(٢) .

فعلى المسلم أن يجتنب هذه الصفات السيئة ، ولا يغلو في مدح إخوانه ، ولا يعجب بقوته ولا بعلمه ، ولا بماله ، ولا بذكائه ، ولا بعقله ، والغالب أن الإنسان إذا أعجب بذلك فإنه يهزم ويخذل بإذن الله .

إن أعجب بعمله ضل ، وإن أعجب بكثرته هُزم ، وإن أعجب بعقله تاه ، وإن أعجب بقوته خذل ، فيجب على الإنسان ألا يعجب بنفسه ، ولا بقوة من قواه ، بل يستعين بالله ، ويفوض أمره إليه ، حتى يتم له ما يريد: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ٣٠٠٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ٣٠٠٢).

عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾[التوبة: ٢٥ – ٢٧] .

- **صفة أولياء الله ، وصفة أولياء الشيطان :**

أولياء الله هم الذين آمنوا بالله، واتقوه، واستقاموا على دينه ، فأولياء الله يؤمنون بالله ، ويتقونه ، ويقومون بطاعته على الوجه الأكمل ، ولا يزكون أنفسهم، ولا يغرون الناس، ولا يخدعونهم بهذه الدعوة، ولا يدعون أنهم أسياد أو أولياء :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت: ٣٠-٣٢] .

فكل إنسان يوزن بعمله وإيمانه ، فإن كان مدعي الولاية ، عمله مبنيًا على الإيمان والتقوى فإنه ولي الله ، وإلا فليس بولي، كما قال سبحانه : ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾[النجم:٣٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[يونس:٦٢-٦٤].

وعلامات محبة الله وولايته كثيرة ، وأظهرها ما يلي:

الأولى: أولياء الله، وأهل محبته وطاعته ، هم أهل الإيمان والتقوى فالإيمان بالقلب، والتقوى بالجوارح ، فمن ادعى الولاية ، ولم يتصف بهذين

الوصفين فهو كاذب : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[يونس:٦٢-٦٣] .

الثانية: إتباع الرسول ﷺ ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران:٣١] .

الثالثة : الذلة للمؤمنين، وعدم محاربتهم أو إيذائهم ، والعزة على الكافرين فيقفون في وجوههم في الجهاد في سبيل الله ؛ لتكون كلمة الله هي العليا ، لأنهم لا يخافون في الله لومة لائم ، مهما لامهم أحد على ما قاموا به من دون الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[المائدة:٥٤-٥٦] .

- **والفرق بين أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان ما يلي :**

أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون الذين يحبون ما أحب الله ، ويبغضون ما أبغض الله ، ويرضون بما يرضى الله ، ويسخطون مما يُسخط الله ، ويأمرون بما أمر الله ورسوله به ، وينهون عما نهى الله ورسوله عنه ، ويفعلون ما أمر الله ورسوله به ، ويجتنبون ما نهى الله ورسوله عنه ، ويتبعون الرسول ﷺ ظاهراً وباطنًا : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥] .

وقال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات: ٧-٨] .

والناس متفاضلون في ولاية الله ﷻ بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، ومتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق : ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:٢٥٧] .

وأولياء الله على طبقتين :

الأولى : سابقون مقربون: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠ – ١١] .

الثانية : أصحاب يمين مقتصدون .

والجنة درجات متفاضلة تفاضلًا عظيمًا ، وأولياء الله هم المؤمنون المتقون، وهم متفاضلون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم ، وأولياء الله ليسوا معصومين، قد يخطئون في بعض أمور الدين، جهلًا أو نسيانًا .

أما الأنبياء فيجب الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله ؛ لأنهم معصومون ، وتجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ، أما غيرهم فلا يطاعوا في كل شيء ،

بل يعرض ما جاء به أحدهم على الكتاب والسنة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء: ٥٩] .

وقال الله تعالى :﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ ﴾[يونس:٦٢-٦٤] .

أما أولياء الشيطان وهم الذين أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن، وخالفوا الكتاب والسنة، فهؤلاء جنود إبليس وأولياء الشيطان، وهؤلاء أخسر الناس في الدنيا و الآخرة: ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾[النساء: ٣٨].

وقال الله تعالى :﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦ ﴾[الكهف: ١٠٣- ١٠٦] .

وقال الله تعالى :﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠ ﴾[النحل: ٩٨-١٠٠] .

وأولياء الشيطان قد تكون لهم خوارق من الشياطين ، يفتنون بها الناس ويخدعونهم ، كما يكون ذلك للكفار والمشركين ، وأهل الكتاب وأهل البدع : ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ٢٢٣ ﴾[الشعراء: ٢٢١-٢٢٣] .

٣- الخزانة الثالثة

- **فقه حُسن الخُلق :**

مقصود الله ﷻ من خَلقه تحصيل الأسماء والصفات التي يحبها ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف:١٨٠] .

ثم عبادته بموجب تلك الصفات ، وعدم الالتفات لأحد سواه ، فلا نشغل أنفسنا بغيره ، فهو الصمد الذي تكفل بقضاء جميع الحاجات لجميع الخلق ، في كل مكان وزمان .

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

وقد اجتهد النبي ﷺ ثلاثة وعشرين سنة على الصحابة رضي الله عنهم، حتى جاءت فيهم الصفات التي يحبها الله ، ثم جاء بهم إلى الحج ؛ لتظهر صفاتهم فيما بينهم ، وتظهر فيما بينهم وبين ربهم .

فموسم الحج والعمرة ، وصلاة العيدين وصلاة الجمعة ، والصلوات الخمس جماعة ، ومناسبات الزواج والأفراح وغيرها ، كلها أماكن لإظهار الصفات الحسنة، كم عندي من الإيمان ؟ كم عندي من الصبر ؟ كم عندي من التوكل ؟ كم عندي من اليقين ؟ وكم عندي من الإكرام ؟ وكم عندي من العلم والحلم، والإيثار والعفو والإحسان؟، وهكذا .

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٤].

والصفات التي يحبها الله هي: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

وهي كذلك ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[الأحزاب:٣٥].

فلا تنفع الطاعة بدون إيمان وتقوى ، فالتي تصوم وتصلي وتؤذي جيرانها، هي في النار ، **فلابد من هاتين العلامتين** :

- تقوى الله
- وحُسن الخُلق .

وذلك يحتاج إلى مجاهدة مستمرة ، ينال بها الإنسان الهداية إلى تلك الصفات والأخلاق العالية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت: ٦٩].

ولهذا أثنى الله على رسوله بحُسن الخُلق ، بقوله سبحانه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: ٤].

وقال النبي ﷺ : « اتَّقِ اللهَّ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تمَحْهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » . أخرجه الترمذي (١) .

وقيمة الإنسان بصفاته لا بذاته ، والناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، وخيارهم أحسنهم أخلاقًا ، والله ﷻ أعطانا الدين، وأعطانا العمر ؛ لنحصل الصفات التي يحبها من :

الإيمان ، والتقوى، والكرم، والعلم ، والحلم، والعمل، والعفو، والرحمة، والإحسان، وغيرها من الصفات الحسنة .

وتزداد قيمة الإنسان ، بحسب ما يتحلى به من الصفات في جميع الأحوال ، وأعظم هذه الصفات الإيمان بالله ، واليقين على ذاته ، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والتوكل عليه ، والصبر ابتغاء مرضاته : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن: ١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

والله وحده هو المستحق للعبادة ، وكل ما سواه مخلوق ، وكل مخلوق لا يستحق أن يكون إلهًا ؛ لأنه في الأصل ما كان شيئًا حتى يفعل شيئًا .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٩٨٧)، وأحمد برقم: (٢١٥٢٦).

لأن كل مخلوق فيه أربع صفات نقص أساسية ، وهي :

أنه ضعيف .. فقير .. عاجز .. محُتاج .

فكل مخلوق محتاج إلى الله في إيجاده وحياته، وإمداده وبقائه، والمحتاج يتوجه إلى الغني سبحانه ، فإذا توجه إلى محتاج مثله، زادت حوائجه .

قال الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

والشرك بالله خطير، وظلم عظيم، لأن المشرك يتجه إلى ما سوى الله ﷻ، وما سوى الله عز وجل لن يغني عنك شيئًا .

والإيمان عظيم؛ لأن المؤمن يتجه إلى العظيم، الذي بيده كل شيء: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾[الملك: ١] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾[التغابن: ١٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢ ﴾ [الإسراء: ٢٢] .

مذمومًا : لا حميد لك ، مخذولًا : لا ناصر لك .

- **فقه مكارم الأخلاق:**

بعث الله رسوله محمدًا ﷺ؛ ليتمم مكارم الأخلاق .

والسخاء حسن لكنه في الأغنياء أحسن، والصبر حسن لكنه في الفقراء والمرضى أحسن، والورع حسن لكنه في العلماء أحسن ، والعدل حسن

لكنه في الأمراء أحسن ، والحياء حسن لكنه في النساء أحسن ، والتواضع حسن لكنه من الأمير ، والعالم ، والكبير أحسن ، والكرم حسن لكنه من الفقير أحسن ، والقبح قبيح لكنه من الغني أقبح .

فأخفض نفسك لربك، وتواضع للمؤمنين يرفعك الله درجات ، وأخفض أهل الشرك والمعاصي والفجور: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[المجادلة:١١] .

ومن له أيادٍ بيضاء في نصرة الإسلام، ونفع المسلمين، ونصرة المظلومين، وإظهار الدين، وتعليم الأحكام ، فمن السنة الثناء عليه، ورفع مقامه ، وقد وصف النبي ﷺ أصحابه بما اشتهروا به من الفضائل ومكارم الأخلاق ونوه بذكر فضائلهم .

فقد وصف خالدًا بأنه سيف الله، وأبا عبيدة بأنه أمين هذه الأمة، والزبير بن العوام بأنه حواري هذه الأمة ، وعمر لو كان نبي بعده لكان هو ، وأبا بكر بأخ ، ولو كان متخذًا خليلًا لأتخذه ، كما قال النبي ﷺ : « أَرْحَمُ أُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهَم فِي دِينِ اللهَّ عُمَرُ ، وأقضاهم عليٌّ ، وَأَصْدَقُهَم حَيَاءً عُثْمَانُ ، وأَفْرَضُهُم زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَعْلَمُهَا بِالحَلالِ ، وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، ولِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بن العَوامْ ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ » . أخرجه الترمذي[1] .

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٧٩١).

- **آفة الكبر :**

الكبر من أخلاق إبليس، وبسبب كفره وكبره؛ لعنه الله وطرده: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

والمؤمن متواضع لربه، ومتواضع لخلقه، مستسلم لمولاه .

والكبر في خمس كلمات مهلكات: أنا، ولي، ونحن، وعندي، وبيدي .

فإبليس قال لربه عن آدم: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢] .

فأهلكه الله وطرده ولعنه وأبعده .

وفرعون قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات: ٢٤] .

فأغرقه الله وجنوده في البحر .

وقوم بلقيس قالوا : ﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النمل: ٣٣] .

فأذلهم الله ﷻ ، كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٥-١٧] .

والمشركون قالوا :﴿ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سبأ: ٣٥] .

فأهلكهم الله، وأظهر دينه، وأعز رسوله ﷺ .

وفرعون قال: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: ٥١] .

فأغرقه الله بالماء ، الذي قال : أنه يجري من تحته .

وقارون قال : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨] .

فخسف الله به وبداره الأرض .

فهذه كلها لله وحده، وليس للخلق فيها نصيب .

- **فقه الجمال :**

التجمل مشروع في الإسلام، والله جميل يحب الجمال ، والحُسن والجمال كما هو محبوب طبعًا ، فهو مأمور به شرعًا، فالله جميل يحب الجمال .

لكن الجمال وفق الحدود والقيود الآتية :

أولًا : عدم التشبه بالكفار ، لأن النبي ﷺ يقول : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » . أخرجه داود وأحمد [1] .

ثانيًا : عدم تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، كما قال النبي ﷺ : « لَعَنَ اللهُ المُتَشَبِهِينَ مِنَ الرّجالِ بالنّسَاءِ ، وَالمُتشبِهاتِ مِن النّسَاءِ بالرّجَالْ ». أخرجه الترمذي وابن ماجة [2] .

ثالثًا : عدم الإسراف، والتبذير، كما قال ﷻ : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١] .

---

(١) صحيح/ أخرجه داود برقم: (٤٠٣١)، و أحمد برقم: (٥١١٤).

(٢) صحيح/ أخرجه ابن ماجه برقم: (١٩٠٤) ، والترمذي برقم: (٢٧٨٤).

وقال الله ﷻ : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الإسراء:٢٦-٢٧] .

رابعًا : عدم التكبر والخيلاء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[لقمان:١٨] .

خامسًا : عدم تغيير خلق الله ، كما قال الله ﷻعن الشيطان : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾[النساء: ١١٩] .

سادسًا : اجتناب ما فيه شهرة من لباس وغيره ، كما قال النبي ﷺ : « مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ لَباس مَذَلَّةٍ ». أخرجه أحمد وابن ماجة [1] .

سابعًا : عدم الغش ، والتدليس ، كما قال النبي ﷺ : « مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا » . أخرجه مسلم[2] .

والجمال الذي يحبه الله عام في الأقوال، والأعمال، والأخلاق وغيرها .

قال الله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[البقرة:١٣٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل: ٩٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج: ٧٧] .

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٣٦٠٧) ، وأحمد برقم: (٥٦٦٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠٢).

وأحسن الجمال أن تتجمل لله بالتوحيد، والإيمان، والتقوى ؛ لأن الله جميل يحب الجمال ، والجمال يكون بالأقوال والأعمال والأخلاق واللباس : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

والجمال أحسنه ما كان لله ﷻ، وذلك بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتخلق بالأخلاق التي يحبها الله كما قال سبحانه: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١١٢] .

٤- الخزانة الرابعة

- **فقه أخلاق :**

الأخلاق جمع خُلق ، والخُلق هو الطبع والسجية ، والأخلاق للأرواح كالأعضاء للأبدان ، فالخُلق صورة الإنسان الباطنة ، والخَلق صورة الإنسان الظاهرة : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[الإنسان:٢-٣] .

فالخَلق مختص بالأجسام والأشكال والصور المدركة بالبصر ، والخُلق مختص بالقيم والسجايا والطباع المدركة بالبصيرة : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[الإسراء:٨٥] .

والله سبحانه خالق الأبدان والأرواح : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر:٦٢] .

وخلق سبحانهالإنسان في أحسن تقويم ، وجعله قابلًا للحق والباطل ، والإيمان والكفر ، والطاعات والمعاصي : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾[التغابن:٢] .

وقال الله ﷻ : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[الإنسان:٢-٣] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾[الكهف:٢٩] .

وكما أن الثياب جعلها الله تستر الأبدان، كذلك جعل الله الأخلاق ساترة للقلوب : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾[الأعراف:٢٦] .

وأساس الأخلاق كلها هو التوحيد والإيمان والتقوى ، وكما أن ثياب الأبدان تكون باختيار الإنسان وقدرته فبعضهم يلبس اللباس الحسن ، وبعضهم يلبس الرديء ، فكذلك القلوب قابلةٌ للأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة : « أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ» . متفقٌ عليه(١) .

واللباس الحسن، والخلق الحسن، جميلٌ في نفسه ، وجميلٌ في غيره ، ومحبوب عند الله ، وعند الناس : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾[البقرة:٢٢٢] .

واللباس السيئ، والخلق السيئ، قبيح في نفسه، وقبيح في غيره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾[الحجرات:١١-١٢] .

والله سبحانه جميل يحب الجمال كله ، وينهى عن القبيح كله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[النحل:٩٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٧/ ١٥٩٩).

وقال سبحانه : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٩٩] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[المائدة: ٢] .

فالإيمان أحسن شيء ، وأحسن ثمراته التقوى ، والأخلاق الحسنة، والأقوال الحسنه، والأعمال الحسنة مع الحق سبحانه بعبادته وحده لا شريك له ، ومع الخلق بالعدل والإحسان ، وهذه محبوبات الرب من الخلق : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة:١١٢] .

وقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان:٦٣-٦٤] .

وقيمة الإنسان بصفاته وأخلاقه ، لا بذاته ولا ماله ولا نسبه، فالإنسان من كان، وحيث كان، ليست قيمته بطوله وعرضه ، ولا لونه وشكله ، ولا نسبه وجاهه ، ولا غناه وفقره، إنما قيمته وقدره بإيمانه وأعماله الصالحة وأخلاقه

الحسنة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[الحجرات: ١٣] .

والله سبحانه لا ينظر إلى الأبدان والأموال وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ اللهَّ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » . أخرجه مسلم(١) .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ ﴾ [سبأ:٣٧] .

ويقول النبي ﷺ : « لَا فَضْلَ لا أبيض على أَسْوَدَ ولا لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ خُلق مِنْ تُرَابٍ ». أخرجه الترمذي (٢) .

فالأخلاق الحسنه كلها ثمرة الإيمان والعمل الصالح، وإيمانٌ وأعمال دون خُلق، كشجرة لا ظل لها ولا ثمرة : ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥ ﴾[العنكبوت:٤٥] .

والأخلاق الحسنة أحسن الحلل التي يلبسها المسلم، يعبد الله بموجبها ، و يخالق الناس بها من الإيمان والإحسان ، والصدق والصبر ، والعدالة والأمانة ، والحياء والعفة ، والتعاون والتناصر، واللين والرأفة ، والحلم والتواضع :﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ ﴾[البقرة:١٣٨] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٤/ ٢٥٦٤).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٨٩٠).

وقد جمع الله ﷻ مكارم ومحاسن الأخلاق في أنبيائه ورسله، ثم جمعها في أفضلهم ، وسيدهم ، وآخرهم، حتى اثني الله عليه، بقوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال ﷻ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وأثنى الله ﷻ على أهل الأخلاق الحسنة ، و وعدهم بالأجر ، والفلاح ، والسعادة في الدنيا ، والآخرة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

وقال الله ﷻ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى:١٤-١٥] .

الأخلاق الحسنة هي مناطُ بقاء الأمم وسعادتها وأمنها : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢].

والأخلاق السيئة هي أساس فساد الأمم ، وشقائها ، وهلاكها : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

وقال الله ﷻ: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

فالإيمان والعمل الصالح هو السبب الوحيد للسعادة للأفراد، والمجتمعات، والأمم، وما سوى ذلك فهو الهلاك والخسارة، في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[العصر:١-٣].

والأخلاق الحسنة ، واجتناب الأخلاق السيئة، من أعظم أسباب النجاة ، ودخول الناس في الإسلام ، ولهذا مدح الله رسوله ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ ﴾[القلم:٤] .

وقوله ﷻ : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨ ﴾[التوبة:١٢٨] .

ودعانا للاقتداء به ﷺ في أقواله وأعماله وأخلاقه ، فقال سبحانه : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢١ ﴾[الحديد:٢١] .

وقال الله ﷻ: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥٨ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

وكل إنسان سوف يُسأل عن أقواله وأعماله وأخلاقه ، وسوف يحُاسب عليها ، فيُثاب على الحسن منها ، ويعُاقب على السيئ منها .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٦ ﴾[الإسراء:٣٦] .

وسوف يحُاسب على ما صدر منه من حسنٍ أو قبيح ، أو قليل أو كثير.

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

فلكل شيء سجل عند الله: ﴿ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١ ﴾[الطور:٢١] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤ ﴾[الإسراء:١٣-١٤] .

ويقول النبي ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » . متفقٌ عليه[1] .

فلا نتكلم إلاَ بما عاقبته خير، ونسكت عن كل شيء يضرنا ، ويضر غيرنا، كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهَّ لَا يُلْقِي لهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سبعين خريفاً » . أخرجه البخاري[2] .

والمسلم حمال للصفات التي تنفعه وتنفع غيره ، فعلى كل مسلمًا ومسلمة الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر ؛ ليشيع في الأمة الحق والفضائل ، ويرحل عنها الباطل والرذائل: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤ ﴾[آل عمران: ١٠٣-١٠٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٣٦)واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧٤/ ٤٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٧٨).

وقال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ ». أخرجه مسلم [١] .

والنية هي مدار التكليف، وكل عمل غير مقرون بنية، فلا ثواب فيه كما قال النبي ﷺ : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفقٌ عليه[٢] .

وكل قولٍ، أو عملٍ، أو خلقٍ، لا يراد به وجه الله فهو باطل : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الفرقان: ٢٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾[النور:٣٩] .

وأقوال الإنسان وأعماله وأخلاقه مقرونة بالجزاء، سواءً كان ذلك في الدنيا أو الآخرة ، ولهذا أكثر الله في القرآن من ذكر الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، فخيار الناس وهم المؤمنون والمؤمنات جزاؤهم عظيم عند الله في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِى الْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

وماذا أعد الله لهم في الآخرة ؟ .

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة: ٧٢] .

وقال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[البقرة:٢٥] .

وبماذا وعدهم الله في الدنيا ؟ .

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣] .

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر:١٠] .

وأما شرار الناس ، وهم الكفار والفجار والفساق فجزاؤهم الشقاء والخسارة والعذاب في الدنيا ، والآخرة .

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[التوبة: ٦٨] .

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[النساء:٥٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢ ﴾[الحج:١٩-٢٢] .

وأما جزاؤهم في الدنيا ، فالمعيشة الضنك .

قال الله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١١٣ ﴾[النحل:١١٢-١١٣] .

والمؤمن الحق يعبد الله حقًا بأقواله وأعماله وأخلاقه ؛ لعلمه بأن ربه رقيب عليه، رحيم به، لطيف به، محسن إليه.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النساء: ١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ ﴾[الملك:١٣-١٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧ ﴾[الحج: ٧٧] .

- **فقه تزكية النفوس :**

المطلوب تزكية النفوس بالتوحيد والإيمان والأخلاق الحسنة ، وتطهيرها من الشرك والنفاق والرياء والأخلاق السيئة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧-١٨].

فلابد من المجاهدة ؛ لتربية النفس على ما يحبه الله ويرضاه ، وإبعادها عما يسخطه الله ويكرهه : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

وقال الله ﷻ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى:١٤-١٥] .

فنجتهد على النفس؛ لتنتقل من النفس الأمارة، إلى النفس اللوامة التي تلوم صاحبها على فعل المعاصي ، وعلى التقصير في الطاعات كما قال سبحانه : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾[القيامة: ١ -٢] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣] .

ثم نجتهد عليها ؛ لتنتقل من النفس اللوامة، إلى النفس الملهمة التي ألهمت حب الإيمان ، والأعمال الصالحة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

ثم نجتهد عليها؛ لتنتقل من النفس الملهمة، إلى النفس المطمئنة التي تطمئن بذكر الله وعبادته، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ

أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾الرعد:٢٨ -٢٩] .

ثم نجتهد عليها ؛ لتنتقل من النفس المطمئنة، إلى النفس الراضية عن ربها وعبادته ، وبما قدر الله لها ، وعليها : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[الفجر:٢٧-٢٨] .

ثم نجتهد عليها ؛ لتنتقل من النفس الراضية، إلى النفس المرضية ، التي رضي الله عنها ، وقبل إيمانها وأعمالها : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[الفجر:٢٧ -٣٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

ثم نجتهد عليها ؛ لتنتقل من النفس المرضية، إلى النفس التقية الزكية الصافية النقية : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[السجدة:٢٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٩-١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾[يونس:٦٢-٦٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

فهذه سبعٌ نفوس أدناها الأمارة بالسوء ، وأعلاها التقية الزكية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله ﷻ : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[المائدة:٨٨] .

وقال الله ﷻ : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾[المجادلة: ٩] .

وقال الله ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢] .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها .

٥- الخزانة الخامسة

- **فقه التعبد لله بأسمائه وصفاته وأفعاله :**

أفضل أحوال العبد أن يقف بين يدي ربه خائفًا منه ، راجيًا لثوابه ، متوكلًا عليه، محبًا له، وأن يقف بين يديه جل جلاله بالتعظيم له، والحب له، والذل له .

وأعظم من عبد الله هم الأنبياء والرسل خاصة سيدهم وأفضلهم وآخرهم محمد ﷺ الذي أثني عليه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

الأولى: يقف العبد بين يديه بصفة الخوف، وهو ناشئ عن معرفة ربه بصفات الجلال، وشدة الانتقام والبطش : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[الحجر:٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

الثانية : الرجاء ، وهو ناشئ عن معرفة سعة رحمة الله ، وإنعامه على عباده : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤]

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[البقرة:٢٩] .

وقال الله ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[غافر:٧] .

الثالثة: التوكل ، وهو الناشئ عن معرفة تفرد الرب بالضر والنفع ، والخفض والرفع ، والعطاء والمنع : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣] .

الرابعة: المحبة ولها سببان :

الأول : معرفة إحسان الله ، وإنعامه على عباده : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ - ٢٢]

الثاني : معرفه جمال الله، وجلاله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢- ١٠٣] .

الخامسة : الحياء من الله ، وهو ناشئ عن معرفة نظر الله إلينا ، واطلاعه علينا ، فيستحى العبد من ربه أن يسكن في ملكه ، ويأكل من رزقه ، ويعصيه بنعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

السادسة : المهابة و الإجلال ، وهو ناشئ عن معرفة صفات جلال الله ، وكبريائه : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر: ٦٧] .

والناس في ذلك على مراتب :

مراتب الخائفين والراجين دون مراتب المحبين ، ومحبة الله الناشئة عن معرفة الجمال أفضل من المحبة الناشئة عن معرفة الإنعام ؛ لأن محبة الجمال نشأت عن معرفة جمال الإله ، ومحبة الإنعام نشأت عن ما صدر منه من الإنعام .

والتعظيم والإجلال أفضل من الكل؛ لأنهما نشأتا عن معرفة جلال الله ، وجماله : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ -٢٤] .

ولحضور هذه المعارف الكبرى في القلوب رُتب:

أعلاها : أن تكون ساكنة في القلوب من غير سعى في استحضارها ، وهذا ثابتٌ للنبيين ، والمرسلين : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

وقال الله ﷻ عن الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

الثانية : أن يستحضرها العبد باستجوابها ، واستذكارها حتى تحضر ، وترجع إليها أحوالها اللائقة بها .

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

والناس في ذلك رُتب :

فمنهم من تستمر عليه هذه المعارف ، فتسمو به الأحوال الناشئة عنها ، وهذا دأب الأولياء : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[يونس:٦٢-٦٤] .

ومنهم من تنقطع عنه بعد استحضارها ؛ لغلبه الشهادة على الغير ، وهذه حالة أكثر الخلق .

الثالثة : من لم تحضره هذه المعارف ، والأحوال الناشئة عنها إلا بسبب خارج، و هؤلاء رتب ، فمنهم من تحضره هذه المعارف وأحوالها عند سماع القرآن أو تلاوته .

ومنهم من تحضره هذه المعارف ، والأحوال عند سماع الوعظ والتذكير ، وهؤلاء في الرتبة الثانية بعد أهل السماع القرآني .

ومنهم من تحضره هذه المعارف والأحوال عند سماع الحدي والأشعار ، وهذه أدنى المراتب المشروعة ، وما سوى ذلك من ألوان السماع محرم ، كسماع أهل الطرب والمعازف والملاهي :﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨].

والسماع المشروع يختلف باختلاف السامعين، وما يسمعون، وهم أقسام:

الأول : العارفون بالله ، وهؤلاء يختلف سماعهم باختلاف أحوالهم .

فمن غلب عليه الخوف أثر فيه سماع المخوفات كأن يسمع عن جلال الله وكبريائه وشدة بطشه ، وعن النار وأهوالها ، فيبكى ويتألم لذلك .

وخوف العارف أقسام :

أحدها : خوف العقاب من الله .

الثاني : خوف فوات الثواب .

الثالث : خوف فوات الأُنس ، والقرب من الله ، وهذا أفضل الخائفين ، وأفضل السامعين : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

القسم الثاني : من غلب عليه الرجاء ، وهذا يتأثر قلبه عند السماع لأنواع رحمة الله ، وأنواع نعيم الجنة : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة:١٦٣] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢] .

فإن كان رجاؤه للأنس والقرب كان سماعه أفضل سماع الراجين ، وإن كان رجاؤه للثواب، فهذا في الرتبة الثانية .

القسم الثالث: من غلب عليه الحب وهؤلاء قسمان :

١ - من غلب عليه حب الله، لكمال ذاته ، وجمال أسمائه وصفاته وأفعاله ، فهذا يؤثر فيه السماع عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة:٢٥٥] .

وقال الله ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥] .

والثاني : من أحب الله ؛ لإنعامه عليه ، وإحسانه إليه ، فهذا يؤثر في سماع إنعام الله وإحسانه ، وإكرامه : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤]

والقسم الرابع : من غلب عليه تعظيم الله ، وإجلاله .

فهذا أفضل الأقسام الثلاثة، إذ لاحظ له في سماعه لنفسه، فإن النفس تتضاءل وتتصاغر للعظيم، والكبير، والكريم ، وما تقدم واقفون مع ربهم من وجه ، ومع أنفسهم من وجه .

وتختلف أحوال السامعين بحسب المسموع منه .

فالسماع من الأولياء أقوى تأثيرًا من السماع من الجهلة والأغبياء ، والسماع من الأنبياء أشد تأثيرًا من السماع من الأولياء ، والسماع من رب الأرض والسماء أشد تأثيرًا في النفوس من السماع من الأنبياء .

فهذا هو السماع المشروع الذي يحصل من التأثر والتأثير ، والإكرام والإنعام : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧-١٨].

- **أخلاق القلوب:**

زينة القلوب بالإيمان والتقوى ، والتخلق بالأخلاق الحسنه التي يحبها الله ﷻ، ومن أخلاق القلوب:

الأول: الرضا، وهو سكون النفس إلى سابق القضاء من غير نكير على الله بما قضى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١] .

الثاني : الصبر، وهو حبس النفس عن الجزع مما يكره، والرضا جزء منه؛ لأنه سكون لما جرى به القدر ، لكن إن كان المقضي به خيرًا كالطاعات رضي بالقضاء والمقضي به ، وإن كان المقضي به شرًا كالمعاصي رضي بالقضاء ، وكره المقضي به كالمريض يرضى برأي الطبيب ، لكنه يكره الدواء المر الذي وصفه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

فالمؤمن يصبر على القضاء ، ويرضى بما قدره الله ، ويحمد الله على ذلك ، فهذه ثلاث درجات : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن:١١]

الثالث : التوبة، وهي أقسام :

١- التوبة من ترك الواجبات .

٢- التوبة من فعل المحرمات .

٣- التوبة من ترك التطوعات .

٤-التوبة من فعل المكروهات .

٥- التوبة من الشبهات .

٦-التوبة من الإسراف في المباحات ، والشهوات .

٧- التوبة من رؤية التوبة ، أو رؤية العمل الصالح ، أو الإدلاء به .

فلا اعتماد في النجاة إلا على الله وحده : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

وقال النبي ﷺ : « لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ : وَلا أنا ، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُّ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » . متفقٌ عليه[1] .

الرابع: الزهد، وهو خلو القلب عن التعلق بما سوى الله، ولو كان الزاهد غنيًا.

والزهد أقسام :

١- الزهد في الحرام .

٢- الزهد في المكروه .

٣- الزهد في الشبهات .

٤- الزهد في المباحات ، والشهوات إلا ما تدعو إليه الحاجة

٥- الزهد في رؤية الزهد .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٦٧)، ومسلم برقم: (٧٦/ ٢٨١٦) واللفظ له .

وليس الغنى بمنافٍ للزهد، وأيهما أفضل حال الأغنياء، أما حال الفقراء ، والجواب أن الناس أقسام :

فمنهم من يستقيم على الغنى ، وتفسد أحواله عند الفقر، فهذا غناه خير له من فقره .

ومنهم من يستقيم على الفقر ، ويفسده الغنى ، فهذا فقره خير له من غناه .

ومنهم من يستقيم على هذا وهذا .

فإذا استغنى قام بجميع وظائف الغنى من شكر الله وحمده ، والبذل والإحسان إلى خلقه ، وإن افتقر قام بجميع وظائف الفقر من الرضي، والصبر، والتضرع : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف: ٢٨] .

وسر القسمة بين الخلق أن الله ﷻأرحم الراحمين جعل لكل واحد من المسلمين الفقراء ، والأغنياء، درجة عالية في الجنة ، يصل إليها الفقير برضاه وصبره ، ويصل الغنى إليها بشكره وإنفاقه .

وكذا الكفار الفقراء والأغنياء لهم درجات في النار ، فالفقير يصل إليها بسخطه وجزعه ، والغنى يصل إليها باستعمال ما أعطاه الله في معصيته ، والله حكيم عليم : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧﴾[الروم:٣٧] .

وقال الله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٦٢﴾[العنكبوت:٦٢] .

وقال الله ﷻ : ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الشورى:١٢] .

الخامس: الخضوع ، والخشوع لله، لما يرى العبد من عظمة جلال الله وكبريائه ، وعظيم نعمه وإحسانه ، ورؤية ضعفه هو ، وتقصيره عن امتثال أوامره .

السادس : تعظيم ما عظم الله من الافتقار والذل والمسكنة والخضوع لله، وتحقير ما حقر الله من الدنيا وأسبابها ، فالغنى بالمعارف والأحوال أفضل و ألذ من الغنى بالجاه و الأموال ، والقربة لأجل الله استيطانٌ ؛ لأن العبد إذا كان عند سيده، فهو في أفضل الأوطان .

السابع : الإكثار من ذكر الله ﷻ بالقلب ، واللسان ، والجوارح ، فإن ذلك يثمر أحسن الأحوال ؛ لأن كل طاعة مقرونة بالطمأنينة ، وحسن الثواب : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾الرعد:٢٨ - ٢٩] .

والأنبياء لا يدانيهم أحد في المعارف والأحوال والأعمال ، ولا يدانيهم كذلك أحد في أداء الأعمال من صلاة ، أو صوم ، أو صدقة ، أو ذكر ، أو دعاء، فالأنبياء أفضل من كثير من تلك الأعمال من غيرهم، لما في قلوب الأنبياء من كمال الإيمان والتقوى ، وكمال المعرفة ، وكمال التعظيم ، والإجلال لله ، وكمال الخضوع ، والخشوع، حتى كأنهم ينظرون إلى ربهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٩٠] .

ولما في أعمال غيرهم من النقص والإخلال ، وأكثر الناس خاسرون ، وأقلهم الرابحون ، فمن أراد أن يعرف خسرانه وربحه ، فليعرض نفسه على القرآن والسنة، فإن وافقها فهو الرابح، وإن خالفهما، فهو الخاسر : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[العصر: ١-٣] .

فمن رجح في ميزان الشرع فهو من أولياء الله، ومراتب الراجحين درجات ، ومن خف في ميزان الشرع ، فأولئك هم أهل الخسران، ومراتب الخسران درجات ، أخسها مراتب الكفار والمشركين والمنافقين ، ثم مراتب أهل الكبائر ، ثم مراتب أهل الصغائر : ﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ۝١٣٢ ﴾[الأنعام: ١٣٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ۝١٦٣ ﴾[آل عمران: ١٦٢- ١٦٣] .

٦- الخزانة السادسة

- **فقه الكرم :**

الله عز وجل هو الكريم الأكرم ، وهو أكرم الأكرمين ، وكل ما خلق من كرمه ، وكرم الله لا أول له ولا أخر ، ولا بداية له ، ولا نهاية: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل:٤٠] .

وقال الله ﷻ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[العلق:١-٥] .

وكل كرم في الناس، فمن كرمه سبحانه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

وأكرم خلقه أنبياؤه ورسله، وأكرمهم على الإطلاق سيدهم وأفضلهم وآخرهم محمد ﷺ الذي قال عنه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

وأكرم الناس بعد الأنبياء هم المؤمنون، فالمؤمن كريم بوقته، كريم بماله، كريم بنفسه، كريم بعلمه ، يؤثر غيره على نفسه : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٦١-١٦٣] .

وإذا أكرمك الكريم جل جلاله بالإيمان والأعمال الصالحة ، فكن كريماً على الناس بما أعطاك الله، فالله أعطاك من فضله لتعطى ، وأكرمك لتكرم ،

وهداك لتهدى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران:٧٣ -٧٤] .

فكن أيها المسلم كريمًا على الناس بما أعطاك الله .

فالله سبحانه كريم : ﴿ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[النمل:٤٠] .

وكتابه كريم : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾[الواقعة:٧٧-٧٨] .

ورسوله كريم وثوابه كريم : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

وأكرم الناس هو المؤمن التقي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات: ١٣] .

- **صفات الكريم:**

الكريم حقًا من إذا أُعطى شكر ، وإذا أبتلى صبر ، وإذا أذنب استغفر ، الكريم حقًا من يخشى الله في السر والعلانية ، ويعدل عند الغضب والرضا، ويقتصد في الفقر والغنى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨] .

الكريم من الناس حقًا من إذا أعطى أغنى ، وإذا سُئل أعطى ، وإذا عاهد وفى ، ولا يبالى كم عطي ، ولمن أعطى .

الكريم حقًا من وصل من قطعه، وأعطى من حرمه، وعفا عمن ظلمه ، وأحسن إلى من أساء إليه : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٦].

الكريم حقًا من اتقى الله ، ففعل ما أمره الله ورسوله به، واجتنب ما نهى الله ورسوله عنه : ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾ [الليل: ٤-١٠] .

الكريم حقًا من بذل الندى، وكف الأذى، وصبر على البلى .

الكريم حقًا من كان صمته فكرًا ، ونطقه ذكرًا ، ونظره اعتبارًا .

الكريم حقًا من إذا أحسنت إليه شكرك، وإذا هجرته وصلك، وإذا مرضت عادك، وإذا غبت عنه سأل عنك ، وإذا مت شهد جنازتك : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠] .

الكريم حقًا من إذا سألته حاجة لام نفسه لماذا تركت أخي ، ونسيته حتى لجأ إلى سؤالي، لماذا لم اسأل عنه قبل أن يسألني .

هل أنت كريم، وهل أنت عبد الكريم؟ وهل أنت من أهل المكارم؟: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ

سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة:٧١-٧٢] .

- **فقه الحلم :**

الله عز وجل هو الملك الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى، هو الحليم الذي لا أحلم منه ، الذي خلق الحلم في كل حليم ، ووهبه إياه وأكرمه به: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه: ٨] .

هو الحليم الذي حلمه لا أول له ولا آخر، ولا بداية له ولا نهاية: ﴿ ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء: ٤٤] .

والحلم جوهرة عظيمة، و درة نفيسة ، وخُلق عظيم، يعطيه الحليم جل جلاله من يشاء من عباده ؛ لأنه يعلم أن له درجة عظيمة في الجنة لا يصل إليها إلا بصفة الحلم : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[النور: ١٩] .

فإذا أراد الله أن يعطيك هذه الجوهرة العظيمة ، واجهك بسفيه من الناس يقول فيك ما ليس فيك، ويؤذيك بلسانه ويده، كأن يقول لك: يا كذاب ، يا خائن ، يا منافق ، يا غشاش ، يا سفيه وذلك ؛ ليظهر فيك ربك عبودية الحلم على من سبك ، وسفهك ، وشتمك: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف: ١٩٩] .

وأحلم الخلق سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ ، الذي أثني عليه ربه ، بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم:٤] .

كن أيها المسلم حليمًا على من أسمعك ما تكره ، حليمًا على من أخذ منك ما تحب ، حليمًا على من فعل بك سوءاً ، حليمًا على من اتهمك بما ليس فيك ، حليمًا على من كذبك، حليمًا على من سخر منك ، حليمًا على من أخطأ في حقك، حليمًا على من أساء إليك : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

وأستر هفوات إخوانك المسلمين، واغفر الزلات، واصبر على الكريهات، واصفح عن المؤلمات : ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢ ﴾[النور:٢٢] .

وقال النبي ﷺ: « اتَّقِ اللهَّ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » أخرجه الترمذي وأحمد . (١) .

إذا فعلت هذا يحبك الله، ويحبك الناس، وتكون أعبد الناس : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾ [مريم:٩٦] .

وقال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤ ﴾[التغابن: ١٤] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٩٨٧)، وأحمد برقم: (٢١٥٢٦).

ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦] .

احلم على الجار إذا أصابك منه مكروه ، واحلم على السفيه إذا نقص من قدرك ، أو نال من عرضك ، واحلم واصبر على كل من آذاك ، فإن الله سيدافع عنك، وينصرك على من عاداك: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة :١٥٥-١٥٧] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٧-١٢٨] .

وليكن حظ المؤمن منك أن تحسن إليه ، وتمدحه بما فيه ، وتحلم عليه ، وإن لم تنفعه ألا تضره ، وإن لم تمدحه ألا تذمه ، وأن تدخل السرور عليه ، وتؤثره بما لديك ، وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤] .

٧- الخزانة السابعة

- **فقه الصدق :**

الصدقُ هو مطابقة الخبر للواقع ، والصدقُ يكون في الأقوال والأفعال والنيات ، فالأقوال ما يقوله الإنسان إن طابق الواقع فهو صدق ، وإن خالف الواقع فهو كذب .

والصدق في الأفعال أن يكون الإنسان باطنه موافق لظاهره ، بحيث إذا عمل عملًا يكون موافقًا لما في قلبه .

فالمرائي ليس بصادق ؛ لأنه يظهر للناس أنه مخلص، وهو كاذب .

والمشرك ليس بصادق ؛ لأنه يظهر للناس أنه موحد ، وهو كاذب .

والمنافق ليس بصادق ؛ لأنه يظهر الإيمان ، وليس بمؤمن .

والمبتدع ليس بصادق ؛ لأنه يظهر الإتباع ، وليس بمتبع .

فمن صدق الله في قلبه ، وقوله ، وعمله ، كتبه الله من الصادقين ، ونال أجر الصادقين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة: ١١٩] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣] .

مواطن الصدق:

- الصدق يكون بالقصد
- ويكون بالقول
- ويكون بالفعل .

الأولى: الصدق بالقصد:

أن يقصد الإنسان بعبادته وجه الله وحده، ولا يقصد غيره : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

فإن قصد غير الله كان مشركًا ، والله غني عنه وعن شركه ، كما قاله سبحانه في الحديث القدسي : « أنا أغْنى الشُّركاء عن الشِّركِ ، مَنْ عَمِل عَمَلا أشرك فيه مَعي غيري تركتهُ وشِرْكَهُ» . أخرجه مسلم[1] .

الثاني : الصدق بالقول :

أن يكون الإنسان صادقًا فيما يخبر به ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

وقال النبي ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ صَدِيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ كَذَّابًا » . متفق عليه[2] .

الثالث: الصدق بالفعل :

ويكون بمتابعة النبي ﷺ في كل ما جاء به من أخبار وأحكام.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران: ٣١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٦/ ٢٩٨٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٤)، ومسلم: (١٠٥/ ٢٦٠٧)واللفظ له .

وجزاء الصادقين رضوان الله، ودخول الجنة يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ ﴾[المائدة: ١١٩] .

والتجسس هو : أن يتبع الإنسان أخاه ؛ ليطلع على عوراته .

والتجسس مُحرم، سواء كان تجسس بنفسه ، أو عن طريق التسجيل ، أو عن طريق الهاتف ، أو غير ذلك ، لما في من ذلك من الاطلاع على عورات الناس بدون إذنهم ، وحصول الأذية لهم ، وحصول البغضاء بينهم .

والظن أكذب الحديث ، وقد نهى الله ورسوله عنه ؛ لما فيه من الكذب ، لكن الظن المبني عن القرائن لا بأس به ؛ لأنه من طبيعة الإنسان إذا وجد قرائن قوية ، توجب حسن الظن ، أو سوء الظن ، فإنه يعمل بها ، أما الظن المجرد عن القرائن ، فهذا هو المحرم ؛ لما يحصل به من الفساد والإثم والعداوة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨ ﴾[الأحزاب:٥٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[الحجرات: ١٢- ١٣] .

- **منزلة الصدق :**

الصدق من أعظم منازل العبودية ، فأعظم الدرجات في الدنيا والآخرة ، إنما ينالها العبد بسبب الصدق ، ولهذا أمر الله ﷻ بلزوم بيئة الصدق في كل

مكانًا وزمان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

والصديقية أول مرتبة بعد النبوة ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[النساء: ٦٩ -٧٠] .

والخير كله في الصدق ، والشر كله في الكذب : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴿٢١﴾ ﴾[محمد:٢١] .

والإسلام كله قائم على الصدق، فأركان الإسلام، وأركان الإيمان، وأركان الإحسان، وأركان الأخلاق ، وأركان المعاملات ، كلها أساسها الصدق ، كما قال سبحانه: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[البقرة/ ١٧٧] .

ومن لم يكن صادقًا ، فلابد أن يكون كاذبًا : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ ﴾[الأحزاب:٢٣-٢٤] .

وقال الله عز وجل:﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٨﴾ ﴾[الأحزاب:٨] .

فالمنافق كذاب؛ يظهر ما لا يُخفي، له علانية مقبولة، وله سريرة ممقوتة.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة:٦٧-٦٨] .

والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فالمؤمن صادق مع نفسه، صادق مع ربه، صادق مع رسوله، صادق مع الناس:﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب: ٣٥] .

ولا ينجو يوم القيامة إلا من كان صادقًا في إيمانه وأقواله وأعماله : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾[المائدة:١١٩] .

فبالصدق يدخل الناس الجنة ، كما قال النبي ﷺ : « فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِيقًا » . متفق عليه[1] .

والصدق هو الإسلام ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الزمر:٣٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٤)، ومسلم: (١٠٥/ ٢٦٠٧) واللفظ له .

- **درجات الصدق:**

الصدق له ثلاث حالات :

الأولى: صدق باللسان .

الثانية: صدق في العمل .

الثالث: صدق في الحال .

فصادق اللسان ، من كان كلامه مطابقًا للواقع .

وصادق العمل ، من كان فعله مطابقًا لقوله .

وصادق الحال ، من كان ما في قلبه مطابقًا لما في لسانه ، وما في لسانه مطابقًا لما في قلبه .

ومن صدق في طلب الحق ، وصدق في تعلم العلم ، وصدق في دعوة الناس إلى الله ، فسيهديه الله لما طلبه من الله صادقًا : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩]

والصدق لا نحصل على حقيقته ، إلا بقوة الطلب ، وشدة الابتلاء : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العنكبوت:٢-٣] .

والمؤمنون قسمان :

منهم من صدق فيما عاهد الله عليه، فأصبح مستقيمًا على جميع أوامر الله عز وجل .

ومنهم من بدل وغير ، كما قال سبحانه : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ

ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾﴾[الأحزاب:٢٣-٢٤] .

فالصادق مستقيم حال الصحة، وحال المرض ، والمنافق مستقيم حال الصحة، مخالف حال المرض ، يبدي للناس خلاف ما في قلبه .

- **مقامات الصدق:**

مقامات الصدق خمسة :

مدخل الصدق : وهو أن يكون دخول الإنسان في هذا العمل لله ، وبالله مستعينًا بالله ، مبتغيًا بذلك وجه الله ، ممتثلًا لأمر الله ، حسب أمر الله : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾﴾[الإسراء:٨٠] .

فالدخول في العمل سهل ، لكن الخروج أصعب ، فقد يدخل الإنسان في تجارة ، أو دراسة ، أو زواج ، مدخل صدق ، لكنه لما أصبح في داخل هذا العمل، وعلا شأنه، واتسعت تجارته، خرج كاذبًا: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾﴾[الإسراء:٨٠] .

فالعبرة بالخروج ، لا بالدخول فقط .

ولسان الصدق: هو من تكلم عن الحق، عن الآخرة، عن الفضيلة، عن الخير، فهذا لسان الصدق، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الشعراء:٨٤] .

وقدم الصدق : أن يثبت المسلم على دينه ، ويفعل كل ما يحبه ربه ويرضاه : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ ﴾[يونس:٢] .

ومقعد الصدق :

هو الجنة مع رؤية الرب سبحانه ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

فمدخل الصدق : التوبة ، ومخرج الصدق : الثبات على التوبة حتى يلقى الله ، ولسان الصدق الذي تكلم بالحق لا يعرف غيره ، وقدم الصدق المكانة والمنزلة الرفيعة بحسب السبق إلى كل عملاً صالح .

ومقعد الصدق هو أعلى مراتب الجنة، والصدق هو الوفاء لله بالعمل الصالح: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الرعد:١٩- ٢٠] .

والناس في العمل درجات ثلاث :

الأولى : أعلاها أن تكون أعمالك أكثر من أقوالك .

والثانية : أن تكون أعمالك كأقوالك .

والثالثة : وهي أدناها، أن تكون أقوالك أكثر من أعمالك .

والصدق موافقة السر للنطق، والصدق استواء السر والعلانية ،.

وأعظم الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة ، والله يدافع عنك بحسب قوة صدقك ، والصدق كلمة الحق عند من تخافه وترجوه ، والصدق ألا تأخذك في الله لومة لائم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة: ١١٩] .

٨- الخزانة الثامنة

- **فقه العزة :**

العزة كلها لله تبارك وتعالى وحده، فهو العزيز الذي لا يغلب، وليس شيء منها عند أحدًا سواه: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾[يونس: ٦٥] .

فمن كان يريد العزة فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره، وهو الله ﷻ .

إن القبائل والعشائر والجاه والسلطان، والأموال والعلوم ، كل هذه ليست مصدراً للعزة ، فإن العزة لله جميعاً ، وإذا كانت لهؤلاء قوة ، فمصدرها الأول هو القوى الذي وهب القوة لكل قوى ، ووهب الرحمة لكل راحم ، ووهب العلم لكل عالم: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر:٢١] .

وإذا كانت لهم منعة فواهبها الله ، فمن كان يريد العزة فليأخذها من المصدر الأول ، لا إلى الآخذ المستمد من هذا المصدر: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران: ٨] .

ليأخذ من الأصل الذي يملك وحده كل شيء، يملك العزة، ويملك الرحمة ، ويملك القوة: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾[يونس:٦٥] .

فهذه الحقيقة إذا استقرت في القلب استطاع هذا القلب أن يقف أمام الدنيا كلها عزيزاً ، كريماً ، ثابتاً ، شامخاً ، متكلاً على ربه ، فلن يحني رأسه

لمخلوق متجبر ، ولا لعاصفة طاغية ، ولا لقوة من قوى الأرض جميعاً : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣] .

والعزة لا تنال إلا بطاعة الله ، وتكون بالقول الطيب ، والعمل الصالح : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر:١٠] .

فالقول الطيب الذي يصعد إلى الله في عُلاه ، والعمل الصالح الذي يرفعه الله إليه، ويكرمه بهذا الارتفاع، ومن ثم يكرم صاحبه، ويمنحه العزة والاستعلاء، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] .

والعزة العليا حقيقة تستقر في القلب، قبل أن يكون لها مظهر في دنيا الناس ، حقيقة تستقر في القلب، فيستعلي بها المسلم على كل أسباب الذلة ، والانحناء لغير الله ؛ لأنه عرف العزيز ، وعرف أن كل ما سواه فهو ذليل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨] .

حقيقة يستعلي بها على نفسه أول ما يستعلي ، يستعلي بها على شهواته المذلة ، ورغائبه القاهرة ، ومخاوفه ومطامعه من الناس .

ومن استعلى على هذه، فلن يملك أحد وسيلة لإذلاله وإخضاعه، فإنما تُذل الناس شهواتهم ورغباتهم ، ومخاوفهم ومطامعهم ، ومن استعلى عليها فقد استعلى على كل وضع ، وعلى كل شيء ، وعلى كل إنسان مهما كان ،

وهذه هي العزة الحقيقية ذات القوة ، والاستعلاء ، والسلطان :﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾[المنافقون:٨] .

إن العزة ليست عناداً جامحاً يستكبر على الحق ، و يتشامخ بالباطل ، وليست طغياناً فاجراً يضرب في عتو وتجبر وإصرار ، وليست اندفاعاً باغياً يخضع للنزوة، ويذل للشهوة ، وليست قوة عمياء تبطش بلا حق ، ولا عدل ، ولا صلاح .

كلا ، إن العزة التي يتحلى بها المسلم، والتي أكرمه الله بها، استعلاء على شهوات النفس ، واستعلاء على القيد والذل ، واستعلاء على الخضوع الخانع لغير الله، ثم هي خضوع لله وخشوع ، وخشية لله وتقوى ، ومراقبة الله في السراء والضراء:﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾[الحجرات:١٥] .

ومن هذا الخضوع ترتفع الجباه ، ومن هذه الخشية تصمد لكل ما يأباه ، من هذه المراقبة لا تعني إلا برضاه ، هذه هي العزة، وذاك طريقها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾[المنافقون:٨] .

والذين يمكرون السيئات طلباً للعزة الكاذبة ، والغلبة الموهومة ، وقد يبدو في الظاهر أنهم أغنياء ، وأنهم أعزاء ، وأنهم أقوياء ، ولكن القول الطيب هو الذي يصعد إلى الله ، والعمل الصالح هو الذي يرفعه إلى الله ، و بهما تكون العزة حقاً .

فأما المكر السيئ قولاً وعملاً، فليس سبيلاً إلى العزة ، ولو حقق القوة الطاغية الباغية في بعض الأحيان ، إلا أن نهايته إلى البوار ، وإلى العذاب

الشديد : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[الروم:٦] .

وإن أمهل الكافرين بالسوء ، حتى يحين الأجل المحتوم في تدبير الله المرسوم : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾[فاطر:١٠] .

والعزة كلها في عبادة الله وحده لا شريك له ؛ لأنها تذكر العبد دائماً بأنه متساوٍ أمام الله مع أكبر خلقه في الدنيا ، وأعلاهم شأنًا .

وأنه وهو يصلي مع غيره ، ويصوم معه ، ويحج معه ، ويذكر الله معه ، ويتلو القرآن معه ، ويؤدي الطاعات كلها معه ، سواءً بسواء ، هذا من جانب .

ومن جانبًا آخر، فأنا أعبد الله الذي لا يتركني أبدًا، إذا أردت أن أقف بين يديه تطهرت، واتجهت إلى القبلة، وقلت: الله أكبر، فأعظمه، وأكبره، وأحمده، وأشكره، وأسأله، وأستغفره ثم أقدم التحية له وأنصرف؛ لأنه العزيز الذي لا أعز منه، القوى الذي لا أقوى منه، الكريم الذي لا أكرم منه:﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت:٤٥] .

وعظماء الدنيا إذا أردت من أحدهم شيئًا، فدون ذلك عقبات وعقبات، فإذا تجاوزت تلك العقبات، وتمت المقابلة، وأردت أن تشرح ما جئت لأجله، فقد لا يستمع إليك، فيقوم هذا العظيم واقفاً؛ لينهي المقابلة والمناقشة معك.

انظر إلى هذا كله ترى حجم الذلة ، و الإهانات التي تمر بها في مقابلة واحدة ، لمخلوقٍ واحد .

ثم انظر إلى عبوديتك لله سبحانه ، وأنت الذي تحدد الزمان والمكان ، فالله موجود دائماً ؛ لتدعوه بما تريد، في أي وقت تريد ، والله يستمع إليك ، ويجيب دعوتك، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

والله سبحانه هو الغني عن كل ما سواه، لا يمل حتى تمل أنت، فلو ظللت طول الليل تنادي مولاك وتدعوه ، فالله معك يستمع إليك، حتى تمل أنت، وتتوقف عن الدعاء .

بل هو جل جلاله العزيز ، الكريم ، الرحيم الذي ينزل كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر ، ويقول لك هل من داع فاستجيب له ؟ هل من مستغفر فاغفر له ؟ هل من سأل فأعطيه؟ .

إذا فحسب نفسي عزًا أنني عبد العزيز يحتفي بي بلا مواعيد ، ويضاعف لي أجور عملي ، ويكرمني بالدخول عليه ، والوقوف بين يديه كل وقت ، وفي أي مكان ، أطلب ما أريد ، واستغفره من كل ذنب ، وأسأله كل خير ، فأي عزة للمؤمن فوق هذا في الدنيا؟.

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٨] .

والعزة في الآخرة أعظم ، وأكبر، حيث النعيم المقيم في الجنات، ورضوان رب الأرض والسموات: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢] .

والله تبارك وتعالى هو العزيز الكامل في عزته، له عزة القوة، وعزة العلو، وعزة الامتناع، وعزة القهر ، والغلبة لكل الكائنات ، فهو العزيز الذي يهب العزة لمن يشاء من عباده: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾[يونس:٦٥] .

والعزيز من العباد من يحتاج إليه الناس في أهم أمورهم، وهي الحياة الأخروية، والسعادة الأبدية، وهذه رتبة الأنبياء والرسل ، ويشاركهم في العز من ينفرد بالقرب من درجتهم كالخلفاء والعلماء ، وعزة كل واحد منهم بقدر علو مرتبته في الاستقامة ، وبقدر عنائه في إرشاد الخلق ، وبذل الوقت والنفس من أجل دعوتهم إلى الله، ودلهم على الطريق إلى العزيز جل جلاله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المنافقون: ٨]٠ .

- **أقسام العزة:**

العزة نوعان :

- عزة محمودة .
- وعزة مذمومة .

ووجه ذلك أن العزة لله ، ولرسوله، وللمؤمنين، هي الدائمة الباقية ، وهي العزة الحقيقية: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المنافقون:٨] .

فالله سبحانه هو العزيز ، وعزه سبحانه هو المصدر لكل عزة ، وعز الرسل والمؤمنين مستمد من عِزِّ الله ﷻ ، وعلى هذا فالعز كله لله ، والعزة التي عند الإنسان لا تكون فضيلة محمودة إلا إذا استظلت بظل الله ، واحتمت بحماه .

أما عزة الكفار المذكورة في قوله سبحانه: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ ﴾ [ص:٢] .

فهذه العزة هي التعزز ؟؟؟ والصنم، وهو في الحقيقة ذلة ؛ لأنه تَشَبُّعٌ من الإنسان بما لم يعطى ؛ لأن كل عز ليس بالله فهو ذل ، كما يتعزز الكفار بالآلهة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢ ﴾[مريم:٨١-٨٢] .

٩- الخزانة التاسعة

- **فقه المحبة :**

المحبة ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيراً من ذاتٍ، أو قولٍ ، أو فعلٍ ، أو خُلق .

وحقيقتها ابتهاج القلب ، وسروره بربه ؛ لرؤية كماله ، وجلاله ، وجماله ، ونعمه ، وإحسانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢- ١٠٣] .

وحب الله ورسوله ﷺ فرض ، والناس فيه متفاوتون ، وتفاوتهم بحسب معرفتهم بربهم ، وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونعمه وإحسانه :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وأسعد الخلق في الدنيا والآخرة أقواهم وأشدهم حباً لله تَعَالَىَ .

أما في الدنيا : فأنسهم به ، ولذتهم بمناجاته ، وعبادته .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤] .

وأما في الآخرة: فبالقدوم عليه سبحانه ، والأنس برؤيته ، ودوام رضاه ، وسماع كلامه .

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبة بعد طول شوقه ، ودوام مشاهدته، من غير منغص، ولا مكدر، ومن غير رقيب، ولا مزاحم، ومن غير خوف انقطاع: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢- ٢٣] .

إلا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب، وقوة الحب على قدر المعرفة، فكلما ازدادت المحبة ازداد العمل، ثم ازدادت اللذة، ثم ازداد الثواب: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢] .

وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن ؛ لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة ، لكنه يختلف قوة وضعفاً بحسب المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

فإذا عرفتم الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمة إنعامه وإحسانه، أحببتموه ، وإذا أحببتموه عبدتموه ، وتقربتم إليه بما يحبه ويرضاه كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

وقوة الحب لله تحصل بأمرين :

أحدهما : قطع علائق الدنيا ، وإخراج حب غير الله من القلب ، فإن القلب مثل الإناء ، إذا امتلأ بشيء لم يتسع لغيره :﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ

مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

الثاني : معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة آلائه وإحسانه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام:١٠٢] .

- **أقسام المحبة:**

المحبة ضربان :

أحدهما : محبة طبيعية ، وذلك يكون من الإنسان والحيوان كحب الطعام والشراب ونحوهما من المحبوبات .

الثاني : محبة اختيارية ، وذلك مختص بالإنسان .

والمحبة الاختيارية ضروب كثيرة، وأفضلها وأعظمها حب الله، وحب رسوله ﷺ ، وحب دينه ، وشرعه ، وحب المؤمنين ، والمتحابين في الله .

والعبودية معقودة بالمحبة ، بحيث متى انحلت المحبة لله انحلت العبودية .

فإن العبودية حقًا هي عبادة الله ﷻ بكمال الحب ، وكمال التعظيم ، وكمال الذل لله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١- ٢٢] .

والمرء مع من أحب، وإذا غُرست شجرة المحبة في القلب ، وسقيت بماء الإخلاص ، والمتابعة للمصطفى ﷺ ، أثمرت أنواع الثمار ، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا

تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤] .

ولا يزال سعي المحب صاعدًا إلى حبيبه لا يحجبه دونه شيء : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾[فاطر:١٠] .

- **الأسباب الجالبة لمحبة الله:**

الأسباب الجالبة للمحبة هي :

١- قراءة القرآن بالتدبر .

٢- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض .

٣- دوام ذكر الله على كل حال باللسان ، والقلب ، والجوارح .

٤- إيثار محاب الله على محاب العبد من أنواع العبادات ، والطاعات .

٥- مطالعة القلب لأسماء الله، وصفاته، وأفعاله، فمن عرف الله أحبه لا محالة: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

٦- مشاهدة بر الله ، وإحسانه ، ونعمه الباطنة ، والظاهرة ، فكل ذلك داع إلى محبته : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس: ١٠١] .

٧- وكذا انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى ، والخلوة بالله وقت النزول الإلهي حين يبقى ثلث الليل الآخر وذلك لمناجاته ، وتلاوة كلامه ،

وذكره ، وتعظيمه ، وحمده ، واستغفاره : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[الإسراء:٧٩] .

٨- ومجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطيب ثمرات كلامهم، ومباعدة كل سبب يحول بين القلب، وبين الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾[السجدة: ١٥-١٧] .

- **علامات صحة محبة الله :**

علامات محبة الله ﷻ كثيرة منها :

امتثال أوامره .. واجتناب نواهيه .. وعبادته .. وامتثال أمره في كل حال : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

ومن علامات محبته : إتباع رسوله ﷺ في كل ما جاء به : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾[آل عمران:٣١] .

ومن علامات محبة الله ﷻ :

الذل للمؤمنين .. والشدة على الكافرين .. والجهاد في سبيل الله .. وعدم الخوف إلا من الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾[المائدة/ ٥٤] .

والناس جنس واحد، تجمعهم الإنسانية ، وهم إما أن يكونوا فضلاء ، أو نقصاء .

فالفضلاء تجب محبتهم؛ لموضع فضلهم، وحسن تقواهم، والنقصاء تجب رحمتهم لأجل نقصهم، فينبغي لمحب الكمال أن يكون رحيماً بجميع الناس ، متحنناً عليهم ، رؤوفاً بهم ، متوداً إليهم ، خاصة الملك والراعي ، فإن الملك لا يكون ملكاً ما لم يكن محباً لرعيته رؤوفاً بهم ؛ لأنه بمنزلة رب الدار :﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[العصر/ ١-٣].

والمحبة والعدل من أسباب نظام الناس، ولو تحاب الناس، وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا بها عن العدل ، فالعدل خليفة المحبة ، يُستعمل حيث لا توجد المحبة ، ولهذا عظَّم الله المنة بإيقاع المحبة بين المسلمين ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٦٣ ﴾[الأنفال: ٦٢-٦٣] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠٣ ﴾[آل عمران: ١٠٣] .

ومحبة العبد لله يدعيها كل أحد ، لكن ينبغي ألا يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان ، وخداع النفس ، مهما ادعت محبة الله ، ما لم يمتحنها بعلامات تدل عليها .

فالمحبة شجرة طيبة في القلب ، أصلها ثابت، وفرعها في السماء ، وثمارها تظهر على القلب واللسان والجوارح ، وتدل تلك الآثار عليها كدلالة الدخان على النار ، ودلالة النور على الشمس .

ومن علامات محبة العبد لله : حب لقاء الله ، فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب مشاهدته ولقاءه ، وأن يكون العبد مؤثراً لما يحبه الله ، على ما يحبه هو، في ظاهره وباطنه ، فلا يزال مواظباً على طاعة الله ، ومتقرباً إليه بالنوافل ، وطالباً عنده مزايا الدرجات ، كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه .

وأن يكون مولعاً بذكر الله تَعَالىَ ، لا يفتر عنه لسانه ، ولا يخلو عنه قلبه ، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب:٤١-٤٣] .

فعلامة حب الله :

حب ذكره ، وحب كلامه ، وحب رسله ، وحب كل ما ينسب إليه ، وكل ما يحبه من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق .

ومنها أنسه بالخلوة بالله ، ومناجاته تعالى ، وتلاوة كتابه ، والمواظبة على التهجد كالأنبياء والرسل: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء :٩٠] .

ومنها ألا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله ﷻ ، ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تَعَالىَ ، وطاعته .

ومنها أن يتلذذ بطاعة الله تَعَالىَ ، ويتنعم بها ، ولا يستثقلها ، بل يفرح بها :﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٨] .

ومنها أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله ، رحيماً بهم ، شديداً على جميع أعداء الله ، وعلى كل من يقارف شيئاً مما يكرهه الله ، كما وصف الله رسوله والمؤمنين بقوله :﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾[الفتح: ٢٩] .

ومنها أن يكون في حبه خائفاً متضائلاً تحت الهيبة والتعظيم ، والخشية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك:١٢] .

- **أقسام المحبة:**

المحبة نوعان :

أحدهما: محبة نافعة .. الثاني: محبة ضارة .

فالمحبة النافعة ثلاثة أنواع :

١- محبة الله ﷻ .

٢- ومحبة في الله .

٣- ومحبة لما يعين على طاعة الله ، واجتناب معصيته .

والمحبة الضارة ثلاثة أنواع :

١- المحبة مع الله .

٢- ومحبة ما يبغضه الله .

٣- ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله ، أو تنقصها .

قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[التوبة:٢٤] .

فهذه ستة أنواع من المحبة النافعة، والضارة، عليها مدار محاب الخلق .

فمحبة الله تعالى أصل المحاب المحمودة ، وأصل الإيمان والتوحيد ، والنوعان الآخران تبع لها .

والمحبة مع الله أصل الشرك، والمحاب المذمومة، والنوعان الآخران تبع لها، ولا عيب على الإنسان في محبة زوجته وعشقه لها ، إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له ، من محبة الله ورسوله ، وزاحم حبه حب الله ورسوله .

فكل محبة زاحمت حب الله ورسوله بحيث تضعفها وتنقصها فهي مذمومة .

وإن أعانت على محبة الله ورسوله وطاعته ، وكانت من أسباب قوتها فهي محمودة ، كالطعام الطيب ، والشراب الحلو البارد ، والحلوى ، والعسل ، ونحو ذلك ، فهذه المحبة لا تزاحم محبة الله ، بل قد تجمع الهم والقلب على التفرغ لمحبة الله .

فهذه محبة طبيعية تتبع نية صاحبها ، وقصده بفعل ما يحبه ، فإن نوى الإنسان به القوة على أمر الله تعالى ، والاستعانة به على طاعته ، كان ذلك قربة إلى الله .

وإن فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرد لم يثب ولم يعاقب :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾[البقرة:١٧٢] .

فالمحبة النافعة: هي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه من السعادة ، والنعيم .

والمحبة الضارة: هي التي تجلب لصاحبها ما يضره من الشقاء ، والعذاب .

وكل حي فله إرادة وعمل بحسبه، وكل متحرك فله غاية يتحرك إليها، ولا صلاح له إلا أن تكون غاية حركته ونهاية مطلبه، هو الله وحده لا شريك له: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

والحركة الطبيعية سببها ما في المتحرك من الميل والحب والطلب لكماله ، وانتهائه ، كحركة النار للعلو ، وحركة النبات للنمو .

والحركات الإرادية كلها تابعة للإرادة والمحبة التي تحرك المريد إلى فعل ما يفعله .

فالمحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكمل بحصوله له ، فتحرك محب الرحمن ، ومحب القرآن ، ومحب العلم والإيمان .

وهي نفسها التي تحرك محب الأوثان ، ومحب الصلبان ، ومحب النسوان والمردان ، ومحب المتاع والأثمان ، ومحب الأوطان ، ومحب الإخوان .

فالمحبة تثير من كل قلب حركة إلى محبوبه من هذه الأشياء ، فيتحرك عند ذكر محبوبه دون غيره .

والنفس مفطورة على الحب ، فلا تترك محبوباً إلا لمحبوب أحسن منه ، ولا تتحمل مكروهاً إلا لتحصيل محبوب ، أو للتخلص من مكروهًا أشد

منه ، فلا يترك الحي ما يحبه ، ويهواه مع قدرته إلا لما يحبه ويهواه ، ولا يرتكب ما يكرهه ويخشاه إلا حذارِ من وقوعه فيما يكرهه ، ويخشاه .

وخاصية العقل التمييز بين مراتب المحبوبات والمكروهات بقوة العلم والتمييز، وإيثار أعلى المحبوبين على أدناهما، واحتمال أدنى المكروهين؛ للتخلص من أعلاهما بقوة الصبر والثبات واليقين .

فأصل كل حركة في العالم من الحب والإرادة ، فهما مبدأ لجميع الأفعال ، والحركات في العالم، كما أن البغض والكراهية مبدأ كل ترك وكف: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾[آل عمران: ١٤-١٧] .

وقلوب البشر مفطورة على حب إلهها وفاطرها وتأليهه وعبادته وطاعته، وصرف هذا التأله، والمحبة والطاعة إلى غير الله تغيير للفطرة، وكلما تغيرت فطر الناس بعث الله الرسل بصلاحها، وردها إلى حالتها التي خُلقت عليها .

فمن استجاب لهم ، وآمن بما جاءوا به رجع إلى أصل الفطرة ، ومن لم يستجب لهم استمر على تغيير الفطرة ، وفسادها :﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

فنفس خلق الله لا تبديل له، فلا يخلق الخلق إلا على الفطرة، كما أن خلقه للأعضاء على السلامة من الشق والقطع، لا تبديل لنفس هذا الخلق، ولكن يقع التغيير في المخلوق بعد خلقه، كما قال النبي ﷺ: « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أو يُنَصِّرَانِهِ ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ؟ » متفق عليه.(١) .

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

وخلو القلب مما خُلق له من عبادة الله تعالى، التي تجمع محبته وتعظيمه، والخضوع له، والذل له، والوقوف مع أمره ونهيه، وما يحبه وما يسخطه، هذا أكبر خطر عليه، فإن ذلك يسبب له الشقاء في الدنيا، والآخرة : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٣] .

وإذا كان في القلب وجدان حلاوة الإيمان، وذوق طعمه، أغناه ذلك عن محبة الأنداد، وإذا خلا القلب من ذلك احتاج إلى أن يستبدل به ما يهواه، ويتخذه إلهه :﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

والدين كله يدور على أربع قواعد :

حب .. وبغض .. وفعل .. وترك .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٣٨٥)، ومسلم برقم(٢٦٥٨) .

فمن كان حبه لله ، وبغضه لله ، وفعله لله ، وتركه لله ، فقد استكمل الإيمان ، وما نقص من إضافة هذه الأربعة إلى الله ، نقص من إيمانه بحسبه .

أما الحب مع الله فنوعان :

أحدهما : ما يقدح في أصل التوحيد ، وهو شرك ، كمحبة المشركين لأصنامهم ، وأندادهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾[البقرة:١٦٥] .

وهذه محبة تأله وموالاة يتبعها الخوف والرجاء والدعاء ، وهذه المحبة محض الشرك الذي لا يغفره الله ﷻ ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء:٤٨] .

الثاني :محبة ما زينه الله للنفوس من النساء ، والبنين ، والذهب ، والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام ، والحرث .

وهذه ثلاثة أنواع ، ولها ثلاثة أحكام :

فإن أحبها الإنسان توصلاً إلى طاعة الله ، واستعانة بها على مرضاته ، فهذه يثاب عليها .

وإن أحبها موافقة لطبعه وهواه ، ولم يؤثرها على ما يحبه الله ويرضاه ، كانت من المباح الذي لا يعاقب عليه ، ولكنه ينقص من كمال محبة الله .

وإن كانت هي المقصودة ، وقدمها على ما يحب الله ، كان ظالماً لنفسه ، متبعاً لهواه ، فهذه تقدح في كمال الإخلاص ، ومحبة الله ، ولا تُخرج من الإسلام .

والمحبة إذا كانت صادقة أوجبت للمحب تعظيماً لمحبوبه ، يمنعه من الانقياد إلى غيره ، فالتعظيم إذا كان مجرداً عن الحب ، لم يمنع انقياد القلب إلى غير المعظم ، وكذلك إذا كان الحب خالياً من التعظيم ، لم يمنع المحب أن ينقاد إلى غير محبوبه ، فإذا اقترن الحب بالتعظيم ، وامتلأ القلب بهما ، امتنع انقياده إلى غير المحبوب :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

- **أنواع المحبة: المحبة نوعان :**

أحدهما : محبة خاصة ، وهي المحبة المستلزمة للذل ، والخضوع ، والتعظيم ، وكمال الطاعة لله ﷻ ، وإيثاره على غيره ، وهذه المحبة لا يجوز تعليقها بغير الله أصلاً ، ولا تصلح إلا لله وحده ، ومتى أحب بها غير الله كان شركاً لا يغفره الله .

والمقصود من الخلق والأمر إنما هو هذه المحبة ، وهي أول دعوة الرسل ، وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه دخل الجنة ، اعترافه وإقراره بهذه المحبة، وإفراد الرب بها .

فهو أول ما يدخل به الإسلام ، وآخر ما يخرج به من الدنيا إلى الله ، وجميع الأعمال كالأدوات والآلات لها ، وجميع المقامات وسائل إليها ، وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحصينها ، فهي روح الإيمان، وساق شجرة الإسلام ، وروح الإيمان والأعمال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه ؛ ولأجلها أنزل الله الكتاب والحديد .

فالكتاب هادٍ إليها، ودال عليها، ومفصل لها، والحديد لمن خرج عنها، وأشرك فيها مع الله غيره: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾ [الحديد: ٢٥] .

ولأجل هذه المحبة خلقت الجنة والنار ، فالجنة دار أهلها الذين أخلصوها لله وحده ، فأخلصهم الله لها .

والنار دار من أشرك فيها مع الله غيره ، وسوى بينه ، وبين الله فيها .

الثاني : محبة مشتركة ، **وهي ثلاثة أنواع** :

أحدهما : محبة طبيعية مشتركة ، كمحبة الجائع للطعام ، ومحبة الظمآن للماء ونحو ذلك ، وهذه المحبة لا تستلزم التعظيم .

الثاني : محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل ، ونحوها ، وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم .

الثالثة : محبة أنس ، وإلف ، وهذه محبة المشتركين في صناعة ، أو علم ، أو تجارة أو سفر ، بعضهم بعضاً ، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضاً .

فهذه الأنواع الثلاثة، هي المحبة التي تصلح للخلق بعضهم مع بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة الله سبحانه .

ولهذا كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى، والعسل ، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد ، وكان أحب اللحم إليه الذراع ، وكان يحب نساءه ، وكان أحبهن إليه عائشة رضي الله عنها ، وكان يحب أصحابه رضي الله عنهم ، وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنه .

وإذا استقرت محبة الله في القلب ، استدعت من المحب إيثار محبوبه على غيره ، وهذا الإيثار علامة ثبوتها ، وصحتها ، وصدقها .

فإذا آثر غير المحبوب عليه، لم يكن محباً له، وإنما هو محب لحظه ممن

يحبه.

والمحبة الخالصة:

أن يحب المحبوب لكماله، وأنه أهل أن يحب لذاته وصفاته، وإنعامه وإحسانه، وذلكم هو الله وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس:٣] .

وأن الذي يوجب هذه المحبة فناء العبد عن إرادته ، لمراد محبوبه ، فيكون عاملاً على مراد محبوبه منه ، لا على مراده هو من محبوبه .

وحب الله ورسوله يكون بالإيمان بالله، وإحياء سنة رسول الله ﷺ في شُعب الحياة كلها في العبادات والمعاملات ، وفي المعاشرات والأخلاق .

فهذا الذي يحب الله ورسوله بقلبه ، وتظهر آثار هذه المحبة على بدنه وجوارحه، وصدق اعتقاده، وتصديق قوله بفعله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران:٣١] .

أما من يقول بلسانه أنا أحب الله ورسوله، وهو يأكل الحرام، ويلبس لباس الكفار، ويتشبه باليهود والنصارى في لباسه وأكله ، ومعاملاته ومعاشراته ، فإنما يوبخ نفسه ، ويشهد الله وخلقه على سوء فعله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر:١-٣] .

وثمرة محبة الله للعبد : هي السعادة في الدنيا ، والآخرة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد: ٢٨] .

وقال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام: ٨٢] .

والله ﷻ يحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ويحب المؤمنين ، ويحب المتقين ، ويحب المحسنين ، ويحب الصابرين ، ويحب طاعة رسوله ﷺ ، ويحب أداء الفرائض ، والإكثار من النوافل .

والفرائض : كالصلاة، والزكاة ، ونحوها أحب إلى الله من أداء النوافل، والنوافل تكمل الفرائض، وإذا أكثر المسلم من النوافل مع قيامه بالفرائض نال محبة الله، فيحبه الله، وإذا أحبه الله سدده ووفقه في أعضائه الأربعة إلى كل خير.

يسدده في سمعه ، فلا يسمع إلا ما يرضي الله ﷻ ، ويسدده في بصره ، فلا ينظر إلا ما يحب الله ﷻ النظر إليه .

ويسدده في يده ، فلا يعمل بيده إلا ما يرضي الله ﷻ ، ويسدده في رجله ، فلا يمشي بها إلا إلى ما يرضي ﷻ ، ويجيب سؤاله ، ويعيذه من كل شر إن استعاذ به .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : إِنَّ اللهَّ قَالَ : « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ يَكْرَهُ المَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » .

أخرجه البخاري[1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٠٢).

١٠- الخزانة العاشرة

- **فقه الرحمة :**

الله تبارك وتَعَالىَ هو الرحمن الرحيم، الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين ، وقد منَّ الله عز وجل على رسوله بالرحمة ، فألان جانبه لأصحابه ، وخفض لهم جناحه ، ورقق لهم قلبه ، وحسَّن لهم أخلاقه ، فاجتمعوا عليه ، وأحبوه ، وامتثلوا أمره :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين تجذب الناس إلى دين الله ، وترغبهم فيه ، مع ما لصاحبه من المدح ، والمحبة ، والثواب الخاص .

والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين ، وتبغضهم إليه ، مع ما لصاحبها من الذم ، والعقاب الخاص .

فهذا الرسول ﷺ المعصوم يقول الله له ما يقول فكيف بغيره ؟ .

أليس من أوجب الواجبات ، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة ، ومعاملة الناس بما يعاملهم به ﷺ من اللين وحُسن الخلق ، وتأليف القلوب امتثالاً لأمر الله ، واقتداءً برسول الله ﷺ، وجذباً لعباد الله إلى دين الله:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾[الفتح: ٢٩] .

والنبي ﷺ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار، فاقوا البشرية كلها بأحسن الصفات ، وأجمل الأحوال ، والأقوال ، والأعمال .

فهم أشداء على الكفار ، جادون ومجتهدون في عداوتهم ، ولذلك ذلوا لهم ، وانكسروا أمامهم ، وقهرهم المسلمون ، وهم كذلك رحماء فيما بينهم ، متحابون متراحمون متعاطفون ، كالجسد الواحد، يحب الواحد منهم لأخيه ما يحب لنفسه .

قال النبي ﷺ : « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ : فِي تَرَاحُمِهِمْ ، وَتَوَادِّهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى عُضْواً ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » . متفقٌ عليه[1] .

وقال ﷺ : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » . متفقٌ عليه[2] .

هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخالق فإنك :﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾[الفتح: ٢٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

فهذا دأبهم مع الخالق والمخلوق : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾[السجدة:١٦-١٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١١) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٦/ ٢٥٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٤٦) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٥/ ٢٥٨٥).

قد أثرت العبادة من كثرتها وحُسنها في وجوههم، حتى استنارت ، ولما استنارت بالإيمان بواطنهم ، استنارت بالجلال والجمال ظواهرهم ، والقلب إذا أشرق فيه نور الإيمان واليقين بالوعد ، وامتلأ من محبة الله وإجلاله ، رق وصارت فيه الرأفة والرحمة .

فتراه رحيماً رقيق القلب بكل ذي قربى ، وبكل مسلم ، وبكل مخلوق ، يرحم الطير في وكره ، والنملة في جحرها ، فضلاً عن بني جنسه ، فهذا أقرب القلوب من الله، وهو أرحم الخلق: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة: ١٢٨] .

والله ﷻ إذا أراد أن يرحم عبداً أسكن في قلبه الرأفة والرحمة ، وإذا أراد أن يعذبه نزع من قلبه الرحمة والرأفة ، فَتَخَلَّق بالغلظة والقسوة ، ولا تنزع الرحمة إلا من شقي ، فالدين كله رحمة للعالمين : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

والرسل إنما بعثوا بالرحمة ، وأبو بكر الصديق ﷺ إنما فضل الأمة بما كان في قلبه من الرحمة العامة زيادة على الصديقية .

ولهذا أظهر أثرها في جميع مقاماته، حتى في فداء الأسرى يوم بدر، واستقر الأمر في شأن الأسرى على ما أشار به ﷺ، وفي بذله ماله كله في سبيل الله، وفي هجرته مع الرسول ﷺ، وفي جهاده معه، ويوم وفاة النبي ﷺ، وأثناء خلافته .

والله يجازي من هذه صفاته ، وهذه رحمته ، بالرضوان التام المؤكد يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[الليل: ١٧-٢١] .

والله ﷻ هو الرب الرؤوف الرحيم ، وأقرب الخلق إليه أعظمهم رأفة ورحمة ، وأبعدهم منه من اتصف بضد ذلك .

ومن رحمته سبحانه أنه يفرح بتوبة العبد إذا تاب أعظم فرح وأكمله .

ومن كمال رحمته أنه يدعو من كفر به ، وفتن أولياءه ، وأحرقهم بالنار، إلى التوبة، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾[البروج:١٠] .

فلا ييأس العبد من عفوه ، ومغفرته ، ورحمته ، ولو كان فيه ما كان ، فلا أكفر ممن حرق بالنار من آمن بالله وحده ، ومع هذا لو تابوا لم يعذبهم ، وألحقهم بأوليائه:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣] .

والرحمة صفة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب ، وتكون مبدأً للانعطاف معه ، والإحسان إليه ، وهي محبة للمرحوم، مع جزع من الحال التي من أجلها رحم .

ورحمة البشر لا تخلو عن رقة مؤلمة تعتري الرحيم فتحركه إلى قضاء حاجة المرحوم .

والرحمة التامة : إفاضة الخير على المحتاجين ، وإرادته لهم عناية بهم .

والرحمة العامة : هي التي تتناول المستحق ، وغير المستحق .

ورحمة الله ﷻ تامة وعامة : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

أما تمامها، فمن حيث أنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها .

وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق ، وغير المستحق ، والدنيا والآخرة .

فهو سبحانه الرحيم مطلقاً ، ورحمته وسعت كل شيء، كما قال سبحانه: ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[الأعراف:١٥٦] .

والرحمة سبب واصل بين الله وبين عباده ، بها أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبها هداهم ، و بها يسكنهم دار ثوابه ، و بها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[غافر:٧] .

والله تبارك و تَعَالَى هو الرحمن وحده

اولاً: العطوف على العباد بالإيجاد

ثانياً: بالإمداد

ثالثاً: و بالهداية إلى الإيمان

خامساً: وبالإنعام بالنظر إلى وجهه

سادساً: وبسماع كلامه

سابعاً: وبرضوانه

رابعاً: وبالإسعاد فى الآخرة ثامناً: وبالقرب منه

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

- **حقيقة الرحمة:**

الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد ، وإن كرهتها نفسه ، وشقت عليها ، فهذه هي الرحمة الحقيقية .

فأرحم الناس من شق عليك في إيصال المصالح إليك ، ودفع المضار عنك ، فمن رحمة الأب بولده أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل وحُسن الخلق ، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره ، ومتى أهمل الأب ذلك كان لقلة رحمته به ، وإن ظن أنه يرحمه ، ويرفهه ، فهذه رحمة مقرونة بالجهل .

ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على الإنسان خاصة المؤمن ، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، فابتلاء الله له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته، من كمال رحمته به: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

وقال النبي ﷺ : « أشد الناس بلاءٌ الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ

عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسندٍ حسن[1] .

ومن رحمته بعباده أن نغص عليهم الدنيا ، وكدرها عليهم لئلا يسكنوا إليها ، ولا يطمئنوا إليها ، ويرغبوا عن النعيم المقيم في داره وجواره ، فساقهم إليها بسياط الابتلاء والامتحان .

ومن رحمته الله بهم أن حذرهم نفسه، لئلا يغتروا به ، فيعاملوه بما لا تحسن معاملته به : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾[آل عمران:٣٠] .

وجميع المسلمين يرجون رحمة الله في جميع أعمالهم، فالعابد يرجو بعبادته رحمة الله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩].

والمجاهد ، والمهاجر في سبيل الله ، والداعي إلى الله، كلهم يرجون رحمة الله كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[البقرة: ٢١٨] .

والرحمة صفة الأنبياء ، والصالحين كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨] .

---

(١) حسن/ أخرجه ابن ماجه برقم: (٤٠٢٣) ، والترمذي برقم: (٢٣٩٨).

والله تبارك وَتَعَالَىَ أرحم الراحمين خلق مائة رحمة ، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ، وجعل منها في الأرض واحدة ، فيها يتراحم الخلق كلهم ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة .

قال النبي ﷺ : « جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا ، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلائِقُ ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا ، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ » . متفقٌ عليه [1] .

والراحمون من الناس يرحمهم الرحمن ، ومن رحم أهل الأرض رحمه الذي في السماء ، والرحمة حلية المؤمن ، ولا تنزع الرحمة إلا من شقي ، ومن رحم الناس رحمه الله ، كما قال النبي ﷺ : « لا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ » . متفقٌ عليه[2] .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ » . متفقٌ عليه[3] .

والدين عشرة أجزاء :

جزء فيما بين العبد وربه، وهو عبادته وحده لا شريك له، والانقياد لأوامره، واجتناب نواهيه محبة، وذلاً، و تعظيماً، وإخلاصاً لله في جميع العبادات الظاهرة، و الباطنة، فهذا حق الله الواجب على العبيد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٠٠)، ومسلم برقم: (١٧/ ٢٧٥٢)واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٧٦)واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٦/ ٢٣١٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٤٨) واللفظ له، ومسلم برقم: (١١/ ٩٢٣).

وتسعة أجزاء فيما بين العبد والخلق ، وهي حقوق العباد الأقرب ، فالأقرب، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء: ٣٦] .

فمن رحم الخلق رحمه الله ، ومن أحسن إليهم أحسن الله إليه ، ومن عفا عنهم عفا الله عنه .

فمن قام بهذه الحقوق فهو الخاضع لربه، المتواضع لعباده، المنقاد لأمره وشرعه، الذي يستحق الثواب الجزيل، وذلك هو المؤمن:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤] .

ومن لم يقم بذلك فهو العبد المعرض عن ربه، غير المنقاد لأوامره، ولا متواضع لخلقه، بل هو متكبر معجب بنفسه، فخور يثني على نفسه ويمدحها، والله لا يحب من كان مختالاً فخوراً .

فهؤلاء ما بهم من الاختيال والفخر، والعجب يمنعهم من القيام بحقوق الله، وحقوق عباده، ولهذا ذمهم الله بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ ﴾[النساء: ٣٧] .

فجمعوا بين البخل بالمال، والبخل بالعلم، وبين السعي في خسارة أنفسهم، وخسارة غيرهم، وهذه هي صفات الكافرين، فكما كفروا بالله ومنعوا حقوق عباد الله، وتكبروا على خلق الله، أهانهم الله بالعذاب الأليم، والخزي الدائم .

ومن أصول هذا الدين الرحمة والشفقة على الخلق عموماً، فما تراحم قوم إلا اجتمع أمرهم، وارتفعت بين الأمم مكانتهم، ورضي الله عنهم، وما نزعت الرحمة من قوم، واستعملوا الغلظة، والقسوة إلا دارت عليهم دائرة السوء .

والرحمة عاطفة شريفة ، وخليقة محمودة ، مدح الله بها عبده ، ورسوله محمداً ﷺ ، كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

- **صفة الرحمة:**

الرحمة من أسمى الفضائل الإنسانية:

الرحمة تكون من الآباء للأبناء تقبيلاً ، ومعانقة ، وتأديباً ، وإحساناً إليهم .

وتكون الرحمة من الأبناء للآباء والأمهات قولاً كريماً ، وصنعاً جميلاً ، وطاعة في غير معصية الله ، وخدمة صادقة ، ودعاء لهم بالخير ، واستغفاراً لهم ، ووفاء لديونهم ، وإكراماً لأصدقائهم .

وتكون الرحمة بين الأقارب صلة ، ومواساة ، ومودة ، وسعياً في مصلحة ، ودفعاً لمضرة .

وتكون بين الزوجين معاشرة بالمعروف ، وإحساناً وعفواً متبادلاً .

وتكون الرحمة بين أهل الدين الواحد إرشاداً إلى الخير، وتحذيراً من كل شر .

وتكون بين جميع الأفراد بأن يحب أحدهم للآخر ما يحبه لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، فيسعى إلى ما فيه منفعتهم ، يواسي محتاجهم ، ويداوي جريحهم ، ويعود مريضهم ، ويجبر كسيرهم ، ولا يكلف أحداً بأمر عسير ، ولا يحمله من الأمر ما لا يطيق .

وتكون الرحمة بالكفار ، والضالين بدعوتهم إلى الله ، والإحسان إليهم ، والدعاء لهم بالهداية ، وإعطائهم من المال ما يفتح قلوبهم لفهم هذا الدين ، والدخول فيه ، ونحو ذلك مما يؤلف قلوبهم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والله تبارك وَتَعَالَىَ توَّج هذه الأمة بتاج الإيمان ، والأعمال الصالحة ، والدعوة إلى الله ، وكثير من الناس توَّج نفسه بتاج اليهود والنصارى ، تاج الدنيا ، وجمع الحطام ، والانهماك في الشهوات ، وأعرض عن كثير من أوامر الله: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٢-

. [١٦٣]

فما أجدر هؤلاء بالعقوبة إن لم يتوبوا، كما قال سبحانه: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ ﴾[مريم: ٥٩ – ٦٠] .

ومن تمام رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم رسله بما يسعدهم في الدنيا ، والآخرة: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾[الحديد: ٢٥] .

فمن رسل الله ﷻ من كلَّمه الله من وراء حجاب بلا واسطة كموسى ﷺ ومنهم من كلمه الله على لسان رسوله الملكي جبريل، وهم الأنبياء .

وكلم الله سائر الناس على ألسنة رسله ، فأنزل عليهم كلامه الذي بلَّغته رسله عنه إليهم ، وقالوا هذا كلام الله الذي تكلم به إلى عباده ، وأمرنا بتبليغه إليكم، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾[المائدة: ٦٧] .

وكلام الله هدى ورحمة للبشرية، فهل قمنا بإبلاغه إليهم؟: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال الله ﷻ: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ ﴾[البقرة:١٣٨] .

وإذا أراد الله بأهل الأرض خيراً نثر عليهم أثراً من آثار اسمه الرحمن ، فعمر به البلاد ، و أحيا به الموات ، وأصلح به العباد: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

وإذا أريد بهم شراً أمسك عنهم أثر ذلك الاسم ، فحل بهم من البلاء بحسب ما أمسك عنهم من آثار اسمه الرحمن: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨] .

ورحمة الله وسعت كل شيء ، وقد خلق الله مئة رحمة ، وأنزل على أهل الأرض رحمة واحدة منها ، فبها يتراحم الخلق ، ويتعاطفون ، فكل رحمة في كل مخلوق، فهي من آثار رحمة الله هذه .

قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢] .

والعالم كله مملوء بهذه الرحمة الواحدة كامتلاء البحر بمائه ، والجو بهوائه ، وما فيه من ضد ذلك فهو من مقتضى سبقت رحمتي غضبي ، والمسبوق لا بدَّ لاحق وإن أبطأ ، وفيه حكمة لا تناقضها الرحمة ، فإذا كان يوم القيامة كمل الله بهذه الرحمة لتكون مائة رحمة ، يرحم بها أهل الإيمان به ، وطاعته، وتوحيده .

وإذا كان الله قد ملأ هذا الكون برحمته ، فهلا نملؤه بدوام ذكره ، وحمده ، وشكره ، واستغفاره؟.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ

وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١- ٤٣] .

فسبحان العزيز الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

فالرحمة خلقها الله ﷻ، وينزلها في قلب من شاء من عباده ، ومن أنزلها الله في قلبه رحم غيره ، ومن رحم غيره رحمه الله ، ومن نزع الله الرحمة من قلبه ، فإنه لا يرحم غيره ، ومن لم يرحم غيره لم يرحمه الله كما قال النبي ﷺ : « لا يَرْحَمُ الله مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ » . متفق عليه[1] .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّمَا يَرْحَمُ الله مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ » . متفق عليه[2] ، فارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٧٦)واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٦/ ٢٣١٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٤٨)واللفظ له، ومسلم برقم: (١١/ ٩٢٣).

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

١٩ - خزائن الأخـــــلاق

القسم الثالث

ويشتمل على ما يلي :

١ - الخزانة الأولى

٢ - الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤ - الخزانة الرابعة

٥ - الخزانة الخامسة

٦ - الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩ - الخزانة التاسعة

١٠ - الخزانة العاشرة

١٩- خزائن الأخلاق

القسم الثالث

١- الخزانة الأولى

- **فقه الإرادة :**

الإرادة : هي مركب العبودية ، وأساس بنائها الذي لا تقوم إلا عليه ، فلا عبودية لمن لا إرادة له .

وأكمل الخلق ﷺ أكملهم عبودية ، ومحبة ، وأصحهم حالاً ، وأقومهم معرفة ، وأتمهم إرادة .

وحقيقة الإرادة ، أن يبقى مراد العبد مراد محبوبه ، فلو لم يكن مريداً لمراد محبوبه، لم يكن موافقاً له في الإرادة ، وحظه مراد المحبوب منه ، لا مراده هو من المحبوب ، وبين الأمرين من الفرق كما بين السماء والأرض .

وليس للعبد حظ أشرف من أن يكون الله وحده هو إلهه ، ومعبوده ، ومحبوبه ، ومراده :﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾[الكهف: ٢٨]

والله سبحانه رءوف بالعباد يريد أن يرحمهم ويتوب عليهم : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا

﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[النساء:٢٧-٢٨] .

وقال الله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ ﴾[الحج:٦٥] .

- **وما يراد بالعبد نوعان :**

أحدهما : ما يراد بالعبد من المقدور الذي يجري عليه بغير اختياره كالفقر ، والغنى ، والصحة ، والمرض ، والحياة ، والموت ، ونحو ذلك، فهذا لا ريب أن الكمال فناء العبد فيه عن إرادته ، ووقوفه مع ما يراد به ، فلا يكون له إرادة تزاحم إرادة الله منه :﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١] .

فمن الناس من يحب الموت ؛ للقاء الله ، ومنهم من يحب البقاء لطاعة الله وعبادته ، وأكمل منهما ما يحبه الله ، ويقف مع مراد ربه به من الحياة ، أو الموت .

الثاني : ما يراد من العبد من الأوامر والقربات، فهذا ليس الكمال إلا في إرادته: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢] .

فالذروة العليا للإرادة ليس نيل حظ المريد من محبوبه ، وإن كان المحبوب يريد ذلك ، لكن غيره أحب إليه منه ، وهو أن يكون لإرادة محض حق محبوبه ، وحصول مرضاته ، ثانياً عن حظه هو من محبوبه ، بل قد صار حظه فيه نفس حقه ، ومراده ، فهذه هي الإرادة التي لا علة فيها ولا نقص :

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

- **الغاية من خلق المخلوقات:**

الله تبارك وتَعَالىَ خلق السماوات ، والأرض بالحق .

والغاية من خلق المخلوقات نوعان :

غاية تراد من العباد .. وغاية تراد بهم .

فالغاية التي تراد منهم:

أن يعرفوا الله تَعَالىَ بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأن يعبدوه وحده لا شريك له ، فيكون وحده هو إلههم ، و معبودهم، و مطاعهم ، و محبوبهم، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

وأما الغاية المرادة بهم فهي :

الجزاء بالعدل والفضل ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار، كما قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾[النجم:٣١] .

وقال الله تعالى:﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الجاثية:٢٢] .

والله ﷻفعال لما يريد ، يفعل سبحانه ما شاء بإرادته ومشيئته ، وذلك من كماله سبحانه ، وإذا أراد شيئاً فَعَله ، وهذا في إرادته المتعلقة بفعله ، وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد ، فتلك لها شأن آخر .

فإن أراد فعل العبد ، ولم يرد من نفسه أن يعينه، ويجعله فاعلاً ، لم يوجد الفعل، وإن أراده ، حتى يريد من نفسه أن يجعله فاعلاً له :﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[التكوير:٢٧-٢٩] .

فلله ﷻ إرادتان :

إرادة أن يفعل العبد .. وإرادة أن يجعله الرب فاعلاً .

وقد يريد فعله ، ولا يريد من نفسه أن يخلق له أسباب الفعل ، فلا يوجد لفعل، كما قال النبي ﷺ عن ربه أنه يقول لعبده يوم القيامة : « قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ : أَنْ لا تُشْرِكَ (أَحْسِبُهُ قَالَ) وَلا أَدْخِلَكَ النَّارَ ، فَأَبَيْتَ إِلا الشِّرْكَ » . متفقٌ عليه[1] .

ولم يقع هذا المراد ؛ لأنه لم يرد من نفسه إعانته عليه، وتوفيقه له .

وفعل الله سبحانه وإرادته متلازمان ، فما أراد أن يفعله فعله ، وما فعله فقد أراده ، فهو الفعال لما يشاء ، بخلاف المخلوق ، فإنه يريد ما لا يفعل ، وقد يفعل ما لا يريد ، فما ثم فعال لما يريد إلا الله وحده كما وصف نفسه بقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[هود: ١٠٧] .

وما أعظم شأن الإرادة في الإنسان ، فهي مناط العهد مع الله ، وهي مناط التكليف والجزاء .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٣٤)، ومسلم برقم: (٥١/ ٢٨٠٥)واللفظ له.

إنه يملك الارتفاع على مقام الملائكة بحفظ عهده مع ربه عن طريق تحكيم إرادته في طاعة ربه ، وعدم الخضوع لشهواته ، ويملك كذلك أن يهبط عن أقل من رتبة البهائم ، فيشقي نفسه ، ويهبط من عليائه ، بتغليب الشهوة على الإرادة ، والغواية على الهداية ، ونسيان العهد الذي يرفعه إلى مولاه :﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد:١٢] .

- **أقسام الناس في الإرادة:**

الناس في الإرادة أربعة أقسام :

الأول : من لا يريد ربه ، ولا يريد ثوابه ، وهؤلاء أعداء الله حقاً ، وهم أهل العذاب الدائم : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾[آل عمران:١٩٦-١٩٧] .

وعدم إرادتهم لثوابه ، إما لعدم تصديقهم به ، وإما لإيثارهم العاجل عليه ، ولو كان فيه سخطه:﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ ﴾[الإسراء: ١٨] .

الثاني: من يريده، ويريد ثوابه ، وهؤلاء خواص خلقه كما قال سبحانه عن أمهات المؤمنين:﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾[الأحزاب:٢٩] .

الثالث : من يريد من الله ، ولا يريد الله .

فهذا جاهل بربه، ناقص غاية النقص ، ليس في قلبه غير إرادة نعيم الجنة المخلوق ، لا يخطر بباله سواه البتة .

وأعلى الإرادة عنده إرادة الأكل ، والشرب ، والنكاح ، ونحوها من شهوات الجنة: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

وهؤلاء قريبون من مرتبة الحيوان البهيم ، وهم في حجاب كثيف عن معرفة نفوسهم وكمالها ، ومعرفة معبودهم ، وسر عبوديته : ﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٤] .

الرابع : من يريد الله ، ولا يريد منه ، وهو أن يكون الله مراده ، ولا يريد منه شيئاً، فهذا قد زهد في مراده لمراد هو أجل منه وأعلى ، فلم يخرج عن الإرادة ، وإنما انتقل من إرادة إلى إرادة .

لكن هذه حال عارضة غير دائمة ، ولا هي غاية مطلوبة ، ولا هي مقدوره للناس ، ولا هي مأمور بها ، ولا هي أعلى المقامات ، فيؤمر بها ، بل أعلى المقامات من يريد الله ، ويريد ثوابه .

٢- الخزانة الثانية

- **فقه الشوق :**

الشوق أثر من آثار معرفة الله ومحبته ، وهو سفر القلب إلى المحبوب في كل حال كما قال النبي ﷺ : « أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ » . أخرجه النسائي بسندٍ صحيح[1] .

والمحبة أعلى من الشوق ؛ لأن الشوق عنها يتولد ، وعلى قدرها يقوى ويضعف .

وعلامة الشوق :

السير إلى الله بالعبادة، والاستقامة ، وفطام الجوارح عن الشهوات التي تعوق سيره: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠] .

والشوق :

هو احتراق الأحشاء ، ومنها يتهيج ويتولد ، ويلهب القلوب ، ويقطع الأكباد، بسبب الفرقة والبعد .

والشوق : يراد به حركة القلب ، واهتياجه للقاء المحبوب ، فهذا يزول باللقاء .

ولكن يعقبه شوق آخر أعظم منه تثيره حلاوة الوصل ، ومشاهدة جمال المحبوب ، وجلاله ، وعظمته .

---

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: : (١٣٠٥).

فهذا يزيد باللقاء والقرب ولا يزول ، كما نرى المحب يبكي عند لقاء محبوبه من شدة شوقه إليه ، ووجده به:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

- **درجات الشوق:**

الشوق على ثلاث درجات :

الأولى : شوق المؤمن إلى الجنة .

ويتولد ذلك من معرفة ما في الجنة من ألوان النعيم ، وسعة القصور ، وأشكال الطعام والشراب ، وحُسن الأزواج، كما قال سبحانه :﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

الثانية : الشوق إلى الله تبارك وَتَعَالَى .

والشوق إلى الله لا ينافي الشوق إلى الجنة ، فإن أطيب ما في الجنة قربه تَعَالَى، ورؤيته، ورضاه، وسماع كلامه .

فالشوق فقط إلى مجرد الأكل والشرب والحور العين ناقص جداً بالنسبة إلى شوق المحبين إلى الله تعالى ، بل لا نسبة له إليه البتة ، كما قال النبي ﷺ: « أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ » . أخرجه النسائي بسندٍ صحيح[1] .

وقال الله تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢] .

---

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (١٣٠٥).

والشوق إلى الله على درجتين :

أحدهما : شوق زرعه الحب الذي ينبت على حافات المنن ، سببه مطالعة منه الله ، وإحسانه ، وإنعامه :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

الثاني : شوق زرعه الحب الذي نشأ واستقر من معرفة ومحبة أسماء الله ، وصفاته المختصة بالمن والإحسان، كالبر، والمنان، والمحسن، والمعطي ، والغفور، والرحيم، والوهاب، والكريم، ونحو ذلك، وهذه أكمل وأقوى .

الدرجة الثالثة : شوق أضرمه صفو المحبة .

لا لأجل المنن والنعم فقط، بل لأجل ذات الله ، وصفاته ، وجماله ، وجلاله ، وكماله:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥٥] .

فمنعت نار الشوق هذه السكون إلى لذيذ العيش ونغصته ، وسلبت السلوى بغيره سبحانه : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

ولكمالها وقوتها لم يكفها ويردها قرار دون لقاء المحبوب ، وهذه لا يقاومها الاصطبار ؛ لأنه لا يكفها دون لقاء من يحب القرار :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وحقيقة الشوق :

سفر القلب في طلب محبوبه ، بحيث لا يقر قراره حتى يظفر به، ويحصل له ، فكأنه لهيب ينشأ بين أثناء الحشا سببه الفرقة ، فإذا وقع اللقاء أطفأ ذلك .

والفرق بين الشوق والمحبة ، أن الحامل على الشوق هو المحبة ، فالمحبة بذر في القلب ، والشوق بعض ثمرات ذلك البذر .

وكذلك من ثمرات المحبة حمد المحبوب، والرضي عنه، وشكره، وخوفه ورجاؤه والتنعم بذكره، والسكون إليه، والأنس به، والوحشة من غيره .

وكما أن القلب إذا أبغض شيئاً وكرهه جدًا، جدَّ في الهرب منه ، وإذا أحبَّ شيئاً، جدَّ في المسارعة إليه وطلبه :﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣- ١٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠] .

ويوصف الله ﷻ بالمحبة، ولا يوصف بالشوق ؛ لأنه لم يرد في القرآن الكريم ، ولا في السنة ، وكل من عرف ربه أحبه ، ومن أحبه اشتاق إليه ، وإلى لقائه .

ولا محبوب في الحقيقة إلا الله سبحانه وَتَعَالَىَ ، ولا مستحق للمحبة التامة سواه .

فالإنسان يحب نفسه، وبقاءه، وكماله ، ويكره ضد ذلك ، وهذه جبلة كل حي ، وهذا يقتضي غاية المحبة لله ﷻ، فإن الإنسان إذا عرف ربه عرف قطعاً أن وجوده ودوامه وكماله من الله ، فهو عدم محض لولا فضل الله عليه بإيجاده ، وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[البقرة: ٢٤٣].

فمن عرف ربه أحبه ، وكيف يحب الإنسان نفسه ، ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ؟ .

قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩] .

٣- الخزانة الثالثة

- **فقه السير إلى الله :**

محبة الله تبارك وتعالى تلقي العبد في السير إلى محبوبه ، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه ، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب ، والرجاء يقوده إليه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

وقال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

فالمحبة لله ، والخوف منه ، والرجاء له ، هذه هي محركات القلوب إلى الله : المحبة ، والخوف ، والرجاء .

وأقواها المحبة ، فإن لم يكن عند العبد محبة تبعثه على طلب محبوبه ، فعليه بكثرة ذكر الله ؛ لأن كثرة ذكره تعلق القلب به ، ومطالعة آلائه ، ونعمائه تبعثه على التوجه إليه ، والحياء منه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٣] .

وكذلك الخوف ، تحركه مطالعة آيات الوعيد ، ومعرفة عظمة الله ، وهيبة جلاله ، وكبريائه ، ومعرفة أهوال يوم القيامة : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾[المائدة:٩٨] .

وقال الله ﷻ: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[الحجر:٤٩-٥٠] .

وكذلك الرجاء ، يحركه مطالعة حلم الله ، وعفوه ، وكرمه ، ومعرفة آيات الوعد ، وهكذا : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢] .

وإذا تحركت القلوب إلى الله ، وسارت إليه، اعتصمت به ، وقلت آفاتها ، أو ذهبت عنها بالكلية كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨]

وإذا أطمئنت القلوب بذكر الله ، وتعلقت به ، وعبدته ، كما أمرها ، فمصيرها : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾[الفجر:٢٧ -٣٠] .

ولكن العبد إذا عزم على السفر إلى الله تعالى عرضت له الخوادع ، والقواطع ، فينخدع أولاً بالشهوات ، والرياسات ، والملاذ ، والمناكح ، ونحوها ، فإن وقف معها انقطع عن ربه .

وإن رفضها ولم يقف معها ، وصدق في سيره وطلبه ابتلي بوطء عقبه ، وتقبيل يده ، وكثرة الأتباع ، والتوسعة له في المجالس ، والإشارة إليه بالدعاء ، ورجاء بركته ، ونحو ذلك .

فإن وقف مع ذلك انقطع به عن الله، وكان حظه منه ، وإن قطعه ولم يقف معه ابتلي بالكرامات، فإن وقف معها انقطع بها عن الله، وكانت حظه .

وإن لم يقف معها ابتلي بالتجريد ، والتخلي ، ولذة الجمعية ، وعزة الوحدة ، والفراغ من الدنيا .

فإن وقف مع ذلك انقطع به عن المقصود ، وإن لم يقف معه وسار ناظراً إلى مراد الله منه ، وما يحبه منه ، بحيث يكون عبده الموقوف على محابه ، ومراضيه أين كانت ؟ وكيف كانت ؟ تعب بها أو استراح ، تنعم أو تألم ، أخرجته إلى الناس أو عزلته عنهم .

لا يختار لنفسه غير ما يختار الله له ، واقفًا مع أمره ينفذه حسب استطاعته ، ونفسه عنده أهون عليه أن يقدم راحتها ، ولذتها على مرضاة سيده وأوامره ، فهذا هو العبد الذي وصل ونفذ ، ولم يقطعه عن سيده شيء البتة : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة:٤] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وقال تعالى عن الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

- **جهات التكليف:**

كل مسلم بالنسبة لأوامر الله مكلف بجهات ثلاث :

الأولى: من جهة قلبه بالإيمان ، والتوحيد ، والتسليم ، والانقياد .

الثانية: من جهة عقله بتقديم أوامر الله ﷻ على أوامر الخلق ، وتقديم ما يحبه الله على ما تحبه النفس .

الثالثة: من جهة جسده بالعمل ، والعبادة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[البقرة: ٢١ - ٢٢]

والإخلاص في العبادة : هو أن يؤديها العبد لله ؛ لأن الله أمر بها ، وإن اشتمل الأمر على حكم تكون علة للامتثال ، إلا أن الإخلاص يقتضي أن تكون العلة هي الأمر الإلهي بذلك :﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة: ٥]

فإن كانت الحكمة علة، فالعبادة باطلة، وإن بقيت مرجحة فجائزة، فالصدق، والإخلاص، والمتابعة، هذه الأركان الثلاثة، هي أركان السير إلى الله، وأصول الطريق التي من لم يبني عليها سلوكه وسيره فهو مقطوع: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾[الزمر:٢- ٣].

وإن ظهر أنه سائر، فسيره إما إلى عكس جهة مقصوده، وإما سير المقعد المقيد ، وأما سير صاحب الدابة الجموح كلما مشت خطوة إلى أمام رجعت عشراً إلى خلف .

فإن عدم الإخلاص ، والمتابعة انعكس سيره إلى خلف ، وإن لم يبذل جهده ويوحد طلبه سار سير المقيد :﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾[الكهف: ١١٠] .

وإن اجتمعت له الثلاثة ، فذلك الموفق الذي لا يجارى في مضمار سيره إلى ربه :﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤ ﴾[الجمعة:٤] .

٤ - الخزانة الرابعة

- **فقه تعظيم الله جل جلاله:**

الله جل جلاله هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

التعظيم لله: هو معرفة عظمة الرب ، وتعظيمه وإجلاله مع التذلل له ، وعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تَعَالىَ في القلب ، وأعرف الناس به أشدهم تعظيماً له ، وإجلالاً ، ومحبة ، وطاعة ، وعبادة :﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح: ١٣ -٢٠] .

وقال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢] .

وقال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

وإذا عرفتم ذلك ، عظمتموه وكبرتموه ، وحمدتموه وشكرتموه ، وعبدتموه وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

- **درجات التعظيم:**

التعظيم على ثلاث درجات :

الأولى : تعظيم الأمر والنهي .

وذلك بأن لا يعارضا بترخص يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال ، ولا بغلو يجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي ، ولا يحملا على علة توهن الانقياد ، كما تأول بعضهم تحريم الخمر ، بأنه معلل بإيقاع العداوة ، والبغضاء ، فإذا أُمن من هذا المحظور جاز شربه ، ونحو ذلك .

وكل هذا من ترك تعظيم الأمر والنهي ، وهذه العلل الفاسدة كم عطلت لله من أمر ، وأباحت من محرم ، وحرمت من مباح ؟ .

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[النحل:٩٨-١٠٠] .

وأما الترخص والغلو ، فالأول تفريط ، والثاني إفراط ، ودين الله وسط بين الجافي عنه ، والغالي فيه ، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة: ٧٧] .

والغلو نوعان :

الأول: نوع يخرج العبد عن كونه مطيعاً ، كمن زاد في الصلاة ركعة عمداً ، أو سعى بين الصفا والمروة عشراً عمداً ، ونحو ذلك .

الثاني: نوع يخاف منه الانقطاع ، كقيام الليل كله ، والجور على النفوس في العبادات والأوراد ، وسرد صيام الدهر أجمع .

وهذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، ويسروا ، وأبشروا ، وأملوا ما يسركم من ربكم: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

الدرجة الثانية: تعظيم الحكم الكوني القدري .

فالأولى تتضمن تعظيم الحكم الديني الشرعي ، وهذه تتضمن تعظيم الحكم الكوني القدري .

فكما يجب على العبد ، أن يراعي حكم الله الديني بالتعظيم ، فيمتثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

فكذلك يراعى حكم الله الكوني في التعظيم : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن:١١]

وتعظيم الأمر الكوني بأن لا يرى فيه عوجاً ، ولا يطلب له عوجاً ، بل يراه كله مستقيماً ؛ لأنه صادرًا عن عين الحكمة ، فلا عوج فيه .

فكل ما يجري في الكون من الحركات والسكنات، والطاعات والمعاصي، والخير والشر ، كله بقضاء الله وقدره: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة: ٥١] .

لكن القضاء غير المقضي ، فالقضاء فعله ومشيئته ، والمقضي فعله المباين له المنفصل عنه ، وهو المشتمل على الخير والشر ، والعوج والاستقامة .

فقضاؤه سبحانه كله حق ، ورحمة ، وعدل ، وإحسان ، والمقضي منه حق ، ومنه باطل ، وقضاؤه كله عدل ، والمقضي منه عدل ، ومنه جور .

وقضاؤه كله مرضي ، والمقضي منه مرضي ، ومنه مسخوط .

وقضاء الله وقدره ، وحكمه الكوني لا يناقض دينه، وشرعه، وحكمه الديني بحيث تقع المدافعة بينهما؛ لأن هذه مشيئته الكونية، وهذه إرادته الدينية، ومن تعظيمهما الانقياد لهما ، فهما وصفان للرب سبحانه :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[الزمر:٦٢- ٦٣] .

فأمره الشرعي، وقدره الكوني، سواء، أمره لا يبطل قدره ، وقدره لا يبطل أمره ، ولكن يدفع ما قضاه ، وقدره، بما أمر به وأحبه وشرعه ، وهو أيضاً من قضائه .

فما دُفع قضاءه إلا بقضائه وأمره ، وما نفذ المطيع أمر الله إلا بقدر الله ، ولا دفع مقدور الله إلا بقدر الله ، وأمره :﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن:١١]

ومن تعظيمه أن لا يرضى العبد بعوض يطلبه بعمله ، فإنه يشاهد جريان حكم الله عليه ، وعدم تصرفه في نفسه ، وأن المتصرف فيه حقاً ، هو مالكه الحق سبحانه: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[المائدة: ١٢٠] .

فهو سبحانه الذي يقيمه ويقعده ، ويقلبه ذات اليمين وذات الشمال ، وإنما يطلب العوض من غاب عن الحَكم ، وذلك مناف لتعظيمه : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

الدرجة الثالثة: تعظيم الرب سبحانه .

الحق الذي له الخلق والأمر ، والتي قبلها تتضمن تعظيم قضائه لا مقضيه ، والأولى تتضمن تعظيم أمره .

وتعظيم الحق سبحانه أن لا تجعل دونه سبباً ، فهو الذي يوصل عبده إليه ، فلا يوصل إلى الله إلا الله ، ولا يقرب إليه سواه ، ولا يدني إليه غيره ، ولا يتوصل إلى رضاه إلا به، ولا هاد إليه سواه: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات: ١٧] .

وكذلك لا ترى لأحد من الخلق حقاً على الله ، بل الحق لله على خلقه ، فهو الذي خلقهم ، ورزقهم ، وهداهم ، وأبقاهم :﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية: ٣٦-٣٧] .

وأما حقوق العباد على الله تَعَالىَ من إثابته لمطيعهم ، وتوبته على تائبهم ،

وإجابته لسائلهم ، فتلك حقوق أحقها الله سبحانه على نفسه ، بحكم وعده وإحسانه ، لا أنها حقوق أحقوها هم عليه .

فالحق في الحقيقة لله على عبده ، وحق العبد عليه هو ما اقتضاه جوده وبره ، وإحسانه إليه بمحض جوده ، وكرمه ، وإحسانه .

ومن تعظيمه ﷻ أن لا ينازع العبد له اختياراً، فإذا اختار لك أو لغيرك شيئاً، إما بأمره ودينه، وإما بقضائه وقدره، فلا تنازع اختياره، بل ارض باختيار ما اختار لك، فإن ذلك من تعظيمه جل جلاله:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة: ٥١] .

ولا ترد عليه قدره من المعاصي ، فإنه سبحانه وإن قدرها ، لكنه لم يخترها له ، فمنازعتها غير اختياره من عبده ، وذلك من تمام تعظيم العبد له سبحانه ، ومن تعظيمه ﷻ تعظيم حرماته : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج:٣٢] .

وقال الله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[الحج:٣٠] .

وحرمات الله هي ما يجب احترامه وحفظه من الحقوق والأشخاص والأزمنة والأمكنة والأوامر والنواهي .

وتعظيم أمره ونهيه ، وتعظيم حرماته ، وتعظيم قضائه وقدره ، هو الواجب على كل مسلم ، فيعظم ربه تعظيماً لذاته ، وخوفاً من عقابه ، وطلباً لثوابه .

فهو سبحانه أهل أن يُعبد ، وأن يُحَب ، وأن يعظم ، وهو الذي يستحق العبادة ، والتعظيم ، والإجلال لذاته ، فمنه كل شيء ، وبيده كل شيء ،

وهو القادر على كل شيء :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله تعالى:﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك:١] .

ومن تعظيم الله جلَّ جلاله صيانة الانبساط بين يدي الله أن تشوبه جرأة ، فيخرج عن أدب العبودية ، فلا بدَّ من مقارنة التعظيم ، والإجلال ؛ لبسط المشاهدة ، وصيانة السرور بين يدي الله أن يداخله أمن، فينبغي للعبد أن لا يامن في هذه الحال المكر، ولا ينسب ما حصل له من الاجتهاد التام، والعبادة الخالصة، إلى نفسه، بل ذلك محض فضل الله علينا، وعلى الناس: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[غافر: ٦١] .

ومن أعظم الظلم والجهل والسفه أن يطلب العبد التعظيم والتوقير من الناس ، وقلبه خاليًا من تعظيم الله وتوقير.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

فما أجهل الإنسان حين يوقر المخلوق ويجله أن يراه في حال لا يوقر الله أن يراه عليها ، فلو عرف الناس ربهم ، وعظموه ، وعرفوا حق عظمته ، وحَّدوه ، وأطاعوه ، وشكروه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

فطاعة الله سبحانه، واجتناب معاصيه، والحياء منه، بحسب وقاره في القلب، المبني على معرفته، ومعرفة أسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومعرفة عظمته وقدرته، ولطفه ورحمته.

قال الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[الحجر:٤٩-٥٠] .

ومن وقاره سبحانه أن لا تعدل به شيئاً من خلقه ، لا في اللفظ كقولك : ما شاء الله ، وشاء فلان ، ولا في الحب ، والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة، فتطيع المخلوق في أمره ، ونهيه ، كما تطيع الله ، بل أعظم ؛ كما عليه أكثر الظلمة ، والفجرة ، ولا في الخوف والرجاء ، فلا يجعله أهون الناظرين إليه: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر: ٦٧].

ولا يستهين بحق الله ﷻ، ويقول هو مبني على المسامحة، ولا يجعله على الفضلة، ويقدم حق المخلوق عليه: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾[التوبة:٦٢] .

ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولبه ويعطي الله في عبادته بدنه ولسانه، دون قلبه، وروحه.

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[الماعون:٤-٧] .

ولا يجعل مراد نفسه مقدماً على مراد ربه ، فهذا كله من عدم وقار الله في القلب ، ومن لا يوقر الله العظيم ، كيف يوقر كلامه ورسله ودينه وأوامره ؟؟

قال الله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾[نوح:١٣-٢٠] .

ومن كان كذلك ، فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقاراً ولا هيبة ، بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم ، وإن وقروه مخافة شره ، فذلك وقار بغض ، لا وقار حب وتعظيم.

قال الله تعالى:﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[النحل:١٧] .

ومن وقار الله وإجلاله وتعظيمه ، أن يستحي العبد منه في الخلوة ، أعظم مما يستحي من أكابر الناس .

ومن وقار الله أن يستحي العبد من اطلاعه على سره وقلبه، فيرى فيه ما يكره .

ومن وقار الله توقير كلامه ، وتوقير رسله ودينه ، وعدم هجر كتابه ، ومن لا يوقر الله وكلامه ، وما آتاه من العلم والحكمة ، كيف يطلب من الناس توقيره ، وإكرامه ؟ .

٥- الخزانة الخامسة

- **فقه الإخلاص :**

الإخلاص:

هو إفراد الله بالقصد في كل ما أمر بالتقرب به إليه ، فكل عبادة فقدت الإخلاص فهي مردودة ، والذي أمر الله به هو التوحيد الصافي ، الخالص من شوائب الشرك : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾[الزمر:٢-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[البينة: ٥]

وقال الله ﷻ: « أنا أغْنى الشُّركاء عن الشِّركِ ، مَنْ عَمِل عَمَلا أشرك فيه مَعي غيري تركتهُ ، وشِرْكَهُ» . أخرجه مسلم[1] .

الإخلاص هو إفراد الله بالقصد في الطاعة ، وتصفية العمل عن ملاحظة الخلق ، بدوام النظر إلى الخالق .

والإخلاص يكون بتصفية العمل عما يشوبه من شوائب إرادات النفس ، إما طلب التزين في قلوب الخلق ، وإما طلب مدحهم ، وإما الهرب من ذمهم ، أو طلب تعظيمهم ، أو طلب أموالهم أو خدمتهم ، أو طلب محبتهم ، وقضائهم حوائجه ، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي يجمعها إرادة ما سوى الله بعمله كائناً ما كان .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٦/ ٢٩٨٥).

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

والإخلاص سر بين العبد، وربه، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده ، ولا عدو فيحسده .

- **درجات الإخلاص :**

الإخلاص على ثلاث درجات :

الأولى : عدم رؤية العبد عمله وملاحظته، والخلاص من طلب العوض عليه ، وعدم رضاه به، وسكونه إليه .

فالذي يخلص العبد من رؤية عمله مشاهدته لمنَّة الله عليه ، وفضله وتوفيقه له ، وأنه بالله لا بنفسه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣] .

والذي يخلصه من طلب العوض على العمل ، علمه بأنه عبد محض ، والعبد لا يستحق على خدمته لسيده عوضاً، ولا أجرة: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى: ٤٩ – ٥٠] .

وما يناله من الأجر والثواب تفضل منه ، وإحسان إليه وإنعام عليه ، لا معاوضة ولا أجرة .

والذي يخلص العبد من رضاه بفعله ، وسكونه إليه ، مطالعة عيوبه وآفاته ، وتقصيره فيه ، وما فيه من حظ النفس ، والشيطان ، وعلمه بما يستحقه الرب جل جلاله من حقوق العبودية ، وآدابها الظاهرة والباطنة ، وأن العبد

أضعف وأعجز وأقل من أن يوفيها حقها، وأن يرضى بها لربه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١] .

الدرجة الثانية : خجله من عمله ، مع بذل مجهوده فيه ، وهو شدة حيائه من الله ، إذ لم يرى ذلك العمل صالحاً له ، ودون ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣] .

فسبحانك ما عبدناك حق عبادتك ، ولا شكرناك حق شكرك ، ولا حمدناك حق حمدك .

فتوفير الجهد التام لتصحيح العمل ، محتمياً عن شهوده له ، ورؤية عمله، من عين جوده سبحانه ، وأنه منه لا بالعبد ولا منه، كما قال سبحانه : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات:١٧] .

الدرجة الثالثة : إخلاص العمل .

بأن يجعل العبد عمله تابعاً للعلم ، موافقاً له ، مؤتماً به ، يسير بسيره ، ويقف بوقوفه .

ناظراً إلى الحكم الديني الشرعي ، متقيداً به فعلاً وتركاً ، ناظراً إلى ترتيب الثواب والعقاب عليه سبباً وكسباً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥] .

شاهداً للحكم الكوني القدري ، الذي تنطوي فيه الأسباب ، والمسببات ، والحركات، والسكنات ، فلا يبقى هناك غير محض المشيئة ، وتفرد الرب وحده بالأفعال: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥] .

فالله خالق الإنسان، وخالق فعله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات: ٩٦] .

فلا يشهد إلا ربه ، نافياً لما سواه ، معتصماً به وحده ، متوكلاً عليه وحده ، قاصداً وجهه وحده كما قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ ، وَشِرْكَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وسائر الأعمال بدون الإيمان لا تكون شيئاً ، ولا تكون عملاً صالحاً ، بل هي عمل لا يعبأ الله به ، فإذا كانت مع الإيمان ، وعلى هدي رسول الله ﷺ ، صارت أعمالاً صالحة .

قال الله تعالى:﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

وكذلك الإيمان مقترن بالإخلاص ، فهما توأمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فأول من يدخل الجنة الشهيد ، والجواد ، والقارئ ، وأول من تسعر بهم النار هؤلاء الثلاثة .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٨٥).

فبوجود الإيمان والإخلاص، لهؤلاء الجنة ، وبفقد الإيمان والإخلاص، لهؤلاء النار: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة: ٥]

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قال : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قال : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قال : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قال : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قال : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قال : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّار ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قال : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قال : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قال : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ » . أخرجه مسلم[1] .

فكل عبادة لا تصح ولا تقبل إلا بالإخلاص لله ﷻ ، والمتابعة لرسول الله ﷺ : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾[الكهف: ١١٠] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥٢/ ١٩٠٥).

- **فقه الرياء:**

الرياء ضد الإخلاص، وهو مشتق من الرؤية ، والسمعة مشتقة من السماع . فالمرائي يُري الناس أو يُسمعهم ما يطلب به الحظوة والمنزلة عندهم ، والرياء محبط للأعمال ، وسبب لمقت الله تَعَالىَ، وهو أعظم صفات المنافقين .

وأصل الرياء حب الجاه ، والمنزلة ، وذلك يرجع إلى ثلاثة أصول هي :

حب لذة الحمد .. والفرار من ألم الذم .. والطمع فيما في أيدي الناس .

عن أبي موسى قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً ، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً ، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً ، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله ». متفق عليه[1] .

فهو يقاتل شجاعة، ليُذكر ويحمد، ويقاتل حمية، لأنه يأنف أن يقهر ويذم، ويقاتل رياء، ليرى مكانه ، وهذا هو لذة الجاه والمنزلة في القلوب .

فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك الرياء .

- **صور الرياء:**

الرياء له صور مختلفة :

فتارة يكون الرياء من جهة البدن .. وتارة من جهة اللباس .. وتارة من جهة الكلام .. وتارة من جهة العمل .. وتارة بكثرة الأصحاب والزوار ، ونحو ذلك .

وفي إسرار الأعمال فائدة الإخلاص ، والنجاة من الرياء .

وفي إظهار الأعمال فائدة الاقتداء ، وترغيب الناس في الخير .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٣)، ومسلم برقم: (١٥٠/ ١٩٠٤)، واللفظ له.

ومن الأعمال ما لا يمكن الإسرار به ، كالحج ، والجهاد ، والصلوات الخمس، وصلاة الجمعة ونحوها، فعلى المظهر للعمل أن يراقب قلبه حتى لا يكون فيه حب الرياء الخفي ، بل ينوي الاقتداء به .

فمن كان قوي الإيمان، تام الإخلاص ، وصغر الناس في عينه ، واستوى عنده مدحهم وذمهم ، فلا بأس له في الإظهار؛ لأن الترغيب في الخير خير .

والله تبارك وتعالى خلق الإنسان للآخرة ، وأعطاه الدنيا يستعين بها على طاعة الله ، ومن جعل مقصد حياته الدنيا ، أعطاه الله من الدنيا ما يشاء ، ولا حظ له في الآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾[الإسراء:١٨] .

فالذي يجعل مقصد حياته التجارة أو الزراعة أو الصناعة ، الله يفهمه سر ذلك، والذي يجعل مقصد حياته عبادة الله، والدعوة إلى الله ﷻ، يفهمه سر جمع الأمة على الإيمان ، والهدى وأعمال الرسول ﷺ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾[الإسراء: ١٩] .

فأهل الدنيا الله أعطاهم مقصدهم ، وأهل الدين كذلك ، لكن أهل الدنيا أخلصوا في عملهم فزادت وزانت دنياهم كما نرى ، ولكن الدنيا فانية رامحة متقلبة ، فلا يفرح بها إلا جاهل .

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[التوبة: ٥٥] .

أما الذي يستحق أن يُفرح به ، فهو الدين الذي أكرم الله به البشرية ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨] .

وأكثر أهل الدين لم يُخلصوا في أعمالهم لله ، فلذلك الله لم يعطهم ؛ لأن معهم صورة الدين لا حقيقة الدين ، ولو أخلصوا أعمالهم لله ، واتبعوا رسول الله فيما جاء به، لنصرهم وأعزهم ورفع مكانهم ، ووفر أرزاقهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

وقلب الإنسان يغل على الشرك أعظم غل ، وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة ، فهذه الثلاثة تملؤه غلًا ودغلًا، ودواء هذا الغل، واستخراج أخلاطه، بتجريد الإخلاص، والنصح، ومتابعة السنة، كما قال النبي ﷺ : «ثَلَاث لَا يغل عَلَيْهِنَّ قلب مُسلم إخلاص العمل لله، والنصيحة للْمُسلمين، وَلُزُوم جمَاعَتهمْ، فَإِن دعوتهم تحيط من ورائهم » . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[1] .

فالقلب لا يبقى فيه غلًا ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة ، بل تنفي عنه غله ، وتنقيه منه، وتخرجه عنه .

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢١٦٣٠)، والترمذي برقم: (٢٦٥٨).

والفقه أن يمقت المسلم الناس في ذات الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتًا ، فإن من شهد حقيقة الخلق، وعجزهم، وضعفهم، وتفريطهم، وإضاعتهم لحق الله، وإقبالهم على غيره ، وبيعهم حظهم من الله بالعاجل الفاني، لم يجد بدًا من مقتهم على إعراضهم عن ربهم عز وجل .

ولكن إذا لجأ العبد إلى نفسه وحاله وتقصيره كان لنفسه أشد مقتًا ، فكم في النفوس من علل وأمراض، وأغراض وحظوظ، تمنع الأعمال أن تكون لله خالصة، وأن تصل إليه ، فقد يعمل العبد العمل حيث لا يراه بشر البتة ، وهو غير خالص لله، ويعمل العمل والعيون قد استدارت عليه وهو خالص لوجه الله ، ولا يعرف هذا إلا أولوا البصائر .

فبين العمل وبين القلب مسافة ، وفي تلك المسافة قطاع تمنع وصول العمل إلى القلب، وفرق شيطانية مستعدة لإزهاق روح العمل قبل أن يصل إلى القلب ، فيكون الرجل كثير العمل ، وما وصل منه إلى قلبه محبة ولا خوفًا ولا رجاءً ولا زهدًا في الدنيا ولا رغبة في الآخرة ، ولا نورًا يفرق به بين أولياء الله وأعدائه، وبين الحق وبين الباطل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] .

ثم بين الرب وبين القلب مسافة، وعليها قطاعًا تمنع وصول العمل إليه من كِبر وإعجاب وإذلال وفخر ، ورؤية العمل، ونسيان منة الله فيه ، وعلل خفية لو استقصى العبد في طلبها لرأى العجب ، ومن رحمة الله أن سترها الرب على أكثر العمال ، إذ لو رأوها لوقعوا فيما هو أشد منها من اليأس والقنوت، وترك العمل ، وفتور الهمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣] .

- **أقسام الرياء:**

الرياء ضد الإخلاص، وهو نوعان :

الأول : الرياء المذموم .

وهو أن يكون الباعث عليه قصد التعظيم والمدح والرغبة فيما عند من ترائيه ، أو الرهبة منه، ونحو ذلك ، كمن يتصدق أو يصلي أو يذكر أو يعلم أو يجاهد من أجل أن يُرى، ويقال عنه كذا ، هذا كله من الرياء المذموم شرعًا:﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾[الزمر:٢- ٣] .

الثاني : الرياء المحمود .

وهو أن لا يكون الباعث عليه ما سبق ، كمن يحسن صلاته عند من يريد أن يتعلم منه ، فيكون محسنًا إليه بالتعليم في عمله ، وإلى نفسه بالإخلاص ، وتعريف الجاهل ، وكمن ينفق ماله جهرًا، ليقتدي به في الخير الأغنياء ، فهذا جديرًا أن يحصل له مثل أجور من اقتدى به: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠ ﴾[الكهف: ١١٠] .

- **أركان الإخلاص:**

الإخلاص إفراد الله سبحانه وَتَعَالَىَ بالقصد في الطاعة ، والإخلاص من أهم أعمال القلوب، وأعمال الجوارح تبع له، فالنية بمنزلة الروح ، والعمل بمنزلة الجسد ، وكما أنه إذا فارقت الروح الجسد فسد ، فكذلك إذا فُقد الإخلاص من العمل فسد : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠ ﴾[الكهف: ١١٠] .

والإخلاص يقوم على ركنين عظيمين :

- النفي والإثبات
- والهدم والبناء .

فركن الهدم ، والنفي ذكره الله عز وجل في سورة الكافرون ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾[الكافرون: ١ – ٦]

وركن الإثبات والبناء ذكره الله في سورة الإخلاص ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

فالأولى : هدمت جميع الأوثان المعبودة من دون الله .

والثانية : جاءت لبناء وإثبات التوحيد لله الواحد القهار .

ولهذا تسمى السورتان بسورة الإخلاص: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾

[الإخلاص:١- ٤] .

وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن .

والإنسان بفطرته يحتاج إلى الوالد ، ويحتاج إلى الولد ، ويحتاج إلى الشبيه ، لئلا يستوحش ، أما الله عز وجل فله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، هو الغني عن جميع خلقه كلهم، هو الغني عن الزوجة، والولد، والوالد، والشبيه، وغيرهم من المخلوقات:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣ ﴾[الأنعام:١٠١- ١٠٣] .

فالله غني عن كل أحد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ ﴾[فاطر: ١٥] .

والله سبحانه لا يقبل عملاً من العبد إلا إذا كان مشروعًا وخالصًا لوجه الله ﷻ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠ ﴾[الكهف: ١١٠] .

- **أقسام العمل:**

لعمل المسلم ثلاثُ حالات :

الأولى : أن يكون العمل مشروعًا ، والقصد موافقًا، كمن يصلى العصر، قاصدًا وجه الله ، فهذا العمل مقبول ، وفاعله مأجور .

الثانية : أن يكون العمل مشروعًا، والقصد مخالفًا، كمن يصلى الظهر مثلًا ، وقصده الرياء والسمعة، فهذا العمل غير مقبول ولا أجر لفاعله ، كما قال النبي ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفقٌ عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٧/ ١٧١٨).

الثالثة : أن يكون العمل مخالفًا ، والقصد موافقًا كمن يحدث بدعة المولد يقصد بها التقرب إلى الله ، فهذا عملُه مردود عليه ، ولا يقبله الله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

وقال النبي ﷺ :« إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ».متفقٌ عليه[1].

وكما قال النبي ﷺ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليسَ عليه أمرُنا فهو رَدٌّ ». أخرجه مسلم[2] .

فالإخلاص هو أن يكون فعل العبد خالصًا لوجه الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[النساء:١١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾[الزمر: ٣] .

فليس القصد إكثار الطاعات، بل المقصود إخلاص العبادة، وحسن الطاعة : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف: ٧] .

والله سبحانه رؤوف رحيم لم يعط كل ما يقدر عليه، حتى يطلب منك كل ما تقدر عليه بل أعطاك البعض ، وطلب منك فعل البعض : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾[الحج:٦٥] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٨/ ١٧١٨).

والعطاء الذي قسمه الله لك لم يرد بفعله سواك، فلا تُرد بفعلك سواه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة: ٥]

فكما جعل الله كل ما فعله لأجلك، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩ ﴾[البقرة:٢٩] .

وقال الله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠ ﴾[لقمان:٢٠] .

فاجعل أيها العبد جميع ما تفعله لأجل ربك الخلاق العليم : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾[الكهف: ١١٠] .

والمخلص هو الذي يأتي بالفعل خالصًا لوجه ربه العظيم ،ليس فيه رياءً ولا سمعة ، ولا غرضٌ آخر، فلا يجعل العبد طلب الجنة مقصودًا، ولا النجاة من النار مطلوبًا، وإن كان لا بد من ذلك:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾[التوبة: ٣١] .

فكل عمل أريد به وجه الله فقليله كثير، وما أريد به غير وجه الله فكثيره وقليله باطل غير مقبول:﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ ﴾[الزمر:٦٥-٦٦] .

فالله مقصود ، والجنة موعود : ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥ ﴾ [مريم:٨٥] .

أما الجنة فهي فضل من ربنا ﷻ لمن آمن به، و أطاعه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢] .

الإخلاص أن يفعل العبد الطاعة خالصة لله ﷻوحده لا شريك له ، ويريد بها وجهه ﷻلا يريد بها تعظيماً من الناس ، ولا جلب نفع دنيوي ، ولا دفع ضرر دنيوي : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥]

- **أسباب الإخلاص :**

الإخلاص له رتب منها: أن يفعل العبد الطاعة خالصة لله ، خوفًا من عقاب الله، أو رجاء لثواب الله ، أو يفعلها حياءً من الله ، أو يفعلها حبًا لله ، أو يفعلها تعظيمًا لله ، ومهابة له ، فيعبد الله كأنه يراه، فإن لم يقدر فليعلم أن الله يراه، وينظر إليه، فإن ذلك يحمله على الحياء منه، والخوف منه ، والهيبة له ، والانكسار بين يديه ، والخشوع له: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾[المؤمنون: ١-٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

والإخلاصُ عبادة قلبيه ، والإخلاص تصفية القلب من الشك والشرك: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات:١٥] .

فالعبادة لها ظاهر، وهو إتباع السنة، ولها باطن، وهو إخلاص العمل لله وحده لا شريك له ، والمؤمن حقًا من انقاد إلى ربه بقلبه وقالبه، فالإخلاص هو الإيمان كله:﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[الزمر: ٢ – ٣].

والعمل الصالح له ركنان :

الإخلاص .. والمتابعة للشرع فيه

وبذلك يكون مقبولاً عند الله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

٦- الخزانة السادسة

- **علامات الإخلاص**

الإخلاص له علامات منها :

١- استواء العمل في السر ، والعلن .

٢- استواء مدح الناس ، وذمهم له .

٣- وجود السكينة في القلب عند أداء هذا العمل .

٤- أن تكون عبادته في الخفاء أقوي منها في العلانية : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨]

والله غنىٌ عن كل عمل له فيه شريك كما قال سبحانه في الحديث القدسي : « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » . أخرجه مسلم(١) .

ومع الإخلاص ينفع قليل العمل و كثيره ، ومع عدم الإخلاص لا ينفع قليل العمل ولا كثيره : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر:٦٥-٦٦] .

وكل عمل يعمله المسلم، سواء كان فعلًا لواجب ، أو تركًا لمحرم ، أو فعلاً لمباح، عبادة إذا ابتغى بها وجه الله، فبالإخلاص تكون العادات عبادات ، وبدون الإخلاص تكون العبادات سيئات : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ

(١) الحديث أخرجه مسلم برقم: (٤٦/ ٢٩٨٥).

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

وقال النبي ﷺ: « إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا » أخرجه البخاري . (١) .

ونية المؤمن خيرٌ من عمله ؛ لأن النية واسعة مطلقة في كل ما نوى، أما العمل الخاص فهو محدود، فمن نوى عبادة، أو جهاداً، أو صدقة، فله أجرها مادام حبسه العذر عن فعلها، فالنوايا غير محدودة ، والأعمال محدودة ، من نوى التصدق على جميع الفقراء ، أو تعليم الناس ، أو تزويج الشباب ، أو علاج المرضى ، ونحو ذلك ، وحبسه العذر، كتب الله له أجر ذلك كله كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ بالمُدِينَة قوم مَا سِرْتُمْ مَسِيراً ، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً ، إلاّ شاركوكم في الأجر ؛ حَبَسَهُمُ العُذْرُ » .أخرجه البخاري (٢) .

وقال النبي ﷺ: « إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا » . أخرجه مسلم(٣) .

ويقابل الإخلاص الرياء ، فبالرياء تكون الأعمال الصالحة سيئات ، وبالرياء تكون العبادات سيئات : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾[الماعون:٤-٧] .

والإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن ، والرياء أن يكون ظاهر الإنسان خيرًا من باطنه ، والصدق أن يكون باطن العبد خيرًا من ظاهره .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٤٢٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٥).

والإخلاص تصفية قلب العبد بإخلاص العبادة لله وحده، وتصفيتها عن ملاحظة الخلق ، فالمخلص لا رياء له ، والصادق لا إعجاب له ، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق ، ولا يتم الصدق إلا بالإخلاص ، ولا يتمان إلا بالصبر : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[يوسف:٩٠] .

الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق ، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله، فاللهم أنى أعوذ بك من أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك، وأعوذ بك أن أقول قولًا التمس به رضا أحد سواك: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران: ٨].

ومن ترك العمل من أجل الناس، وقع في الرياء ، ومن عمل عملًا من أجل الناس، وقع في الشرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

الإخلاص سر بين العبد وربه، لا يعلمه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا إنسان فيحسده .

والإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهدًا غير الله ، ولا مجازيًا سوى الله ومن شهد في إخلاصه الإخلاص ، احتاج إخلاصه إلى إخلاص ، وحين ينجو الإنسان من رؤية إخلاصه يصبح مخلصاً فالمؤمن مخلصً مُخلص كما قال سبحانه عن يوسف: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[يوسف: ٢٤] .

والنية مطية كل عمل، فإن اخلص العمل لله أفلح، وإن صرفه لغير الله خسر.

فأول من تُسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة :

العالم .. والكريم .. والشجاع .

قال أبو هُريرةَ ﷺ، فقالَ : حدَّثني رسولُ اللهِ ﷺ: "أنَّ اللهَ تبارَك وتعالى إذا كانَ يومُ القيامةِ ينزلُ إلى العبادِ ليقضيَ بينَهم وَكلُّ أمَّةٍ جاثيةٌ فأوَّلُ من يدعو بِه رجلٌ جمعَ القرآنَ ورجلٌ يقتَتِلُ في سبيلِ الله ورجلٌ كثيرُ المالِ فيقولُ اللهُ للقارئِ ألم أعلِّمْكَ ما أنزلتُ علىَ رسولي قالَ بلى يا ربِّ قالَ فماذا عملتَ فيما عُلِّمتَ قالَ كنتُ أقومُ بِه آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ فيقولُ اللهُ لَه كذَبتَ وتقولُ الملائِكةُ كذَبتَ ويقولُ له اللهُ بل أردتَ أن يقالَ فلانٌ قارئٌ فقد قيلَ ذلكَ ويؤتى بصاحبِ المالِ فيقولُ اللهُ ألم أوسِّعْ عليكَ حتَّى لم أدعْكَ تحتاجُ إلى أحدٍ قالَ بلى يا ربِّ قالَ فماذا عمِلتَ فيما آتيتُك قالَ كنتُ أصلُ الرَّحمَ وأتصدَّقُ فيقولُ اللهُ لَه كذَبتَ وتقولُ الملائِكةُ لَه كذَبتَ ويقولُ اللهُ بل أردتَ أن يقالَ فلانٌ جَوادٌ وقد قيلَ ذلكَ ويُؤتى بالَّذي قُتلَ في سبيلِ الله فيقولُ اللهُ لَه في ماذا قُتلتَ فيقولُ أُمِرتُ بالجِهادِ في سبيلِك فقاتلتُ حتَّى قُتلتُ فيقولُ اللهُ لَه كذبتَ وتقولُ لَه الملائِكةُ كذبتَ ويقولُ اللهُ بل أردتَ أن يقالَ فلانٌ جريءٌ فقد قيلَ ذلكَ ثمَّ ضربَ رسولُ الله ﷺ علىَ رُكبتي فقالَ يا أبا هريرةَ أولئِك الثَّلاثةُ أوَّلُ خلقِ الله تُسعَّرُ بِهمُ النَّارُ يومَ القيامةِ" أخرجه الترمذي والنسائي [1]

إذا عملوا هذه الأعمال العظيمة غير مخلصين لله : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٨٢)، والنسائي في ((الكبرى)) برقم: (١١٨٢٤)

﴿ ١٩ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ٢٠ ﴾[الإسراء: ١٨-٢٠] .

• **مواقع الإخلاص:**

موانع إخلاص العمل لله أربعة :

صفات إبليسية .. وصفات سبعية .. وصفات بهيمية .. وصفات ملكية ، وهى الكبر .

وكل هذه تجر الإنسان إلى الشرك ، ومعصية الله ، وتمنع من إخلاص العمل لله : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾[مريم:٥٩] .

والإخلاص فيه أعظم قوة، وأعظم تجارة ، وهو يحول كل عمل صالح من قول أو فعل إلى عبادة ثوابها الجنة ، فالإخلاص أن تبقى دائمًا عبدًا لله، لا تؤمن إلا به ، ولا تتوجه إلا إليه ، ولا تتوكل إلا عليه ، ولا تعبد إلا هو: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

والإخلاص أغلى سلعه في الدنيا ، الإخلاص التعلق بالله وحده وعدم الالتفات إلى غيره: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾[البقرة: ١٦٣] .

فالمخلص كله خالص لله، قلبه مملوء بحب الله ، وجسده متحرك بعمل خالص لله، ولسانه لسان صدق يذكر الله ، ويثنى على الله ، ويدعو إلى الله، ويعلم شرع الله: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت: ٣٣] .

فالمخلص عمله لله فهو أعقل الناس، والمرائي أغبى الناس، لأنه تعلق بغير الله ، وأجهد بدنه بالعمل الصالح لغير الله ، وتعلق بالفقير دون الغنى ، ورجا الصغير دون الكبير : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾[الإسراء: ٢٢] .

مذمومًا : لا حامد لك ، مخذولًا : لا ناصر لك .

واشد الناس عذابًا في الدنيا والآخرة من أشرك بالله غيره : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

فلنتوجه إلى الله وحده في جميع أمورنا، هو سبحانه الذي بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[الأنعام:٧٩] .

- **ثمرات الإخلاص:**

المخلص أخلص قلبه لله وحده ، وخلص من جميع شوائب المخلوقات ، فإن دعا ربه أجابه ، وإن سأله أعطاه ، وإن استغفر الله غفر له: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟

يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾

﴾[الأنبياء: ٨٣-٩٢] .

وقال الله ﷻ عن نوح ﷺ: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾[القمر:٩-١٤] .

وأسعد الناس، وأكملهم عقلًا، من أخلص عمله لله الذي عنده خزائن كل شيء : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

وقال الله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦] .

وأول من تُسعر بهم النار يوم القيامة ، المرائي بعلمه ، والمرائي بماله ، والمرائي بشجاعته ، ومن سَمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به :﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[الكهف:١٠٣- ١٠٤] .

فهذه فضيحة المرائي في الدنيا ، وعند الموت يفضحه الله ﷻ، ويوم القيامة الفضيحة الكبرى، حين يُسأل عن إخلاصه أمام الخلق، بدءًا برؤوس الناس العالم ، والكريم ، والشجاع .

المخلص لا يعمل إلا لمرضاة ربه ، فلا يحب إلا في الله ، ولا يبغض إلا في الله ، ولا يستعين إلا بالله ، ولا يعطى إلا لله ، ولا يمنع إلا لله : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

فالمخلص يأكل لله ، ويلبس لله ، ويدعو لله ، ويعلم لله ، ويصلح بين الناس لله ، ويبيع لله ، ويعطى لله: ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾[النساء: ١١٤] .

الإخلاص كالماء إذا سقى به البستان أنبت من كل زوجًا بهيج: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ﴾[الحج:٥] .

الإخلاص هو التوحيد، إذا جاء جاء معه الخير كله ، وجاء رضا الله ، وجاءت السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

فالمرائي يبتغى بعمله الأجر والذكر عند الناس ، والمخلص يبتغى الأجر فقط من الله وحده : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

٧- الخزانة السابعة

- **فقه التوكل :**

التوكل من أعظم مقامات الدين وأجلها وأفضلها ، وقد أمر الله أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين بالتوكل عليه ، وحثهم عليه في جميع أحوالهم ، وفيما أمرهم به ، وفيما تعبدهم به، فقال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾[التغابن:١٣] .

وأخبر سبحانه أنه يحب المتوكلين ، كما يحب الشاكرين والمحسنين: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾[آل عمران: ١٥٩] .

وأخبر سبحانه أن كفايته للناس مقرونة بتوكلهم عليه، وأنه كافٍ من توكل عليه .

وجعل سبحانه لكل عمل من أعمال البر جزاء معلوماً ، وجعل نفسه جزاءًا للمتوكل عليه ، وكفايته كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾[الطلاق:٢-٣] .

ثم قال في التوكل : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾[الطلاق: ٣] .

فالتوكل أقوى السبل عنده، وأحبها إليه .

والتوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة ، فإن الدين استعانة وعبادة ، فالتوكل هو الاستعانة ، والإنابة هي العبادة: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾ [الفاتحة:٢-٥].

وقد خاطب الله بالتوكل أحب الخلق إليه، وأقربهم إليه، وأكرمهم عليه ، وهم المؤمنون، وأمرهم به ، وجعله شرطاً في صحة إيمانهم ، فمن لا توكل له لا إيمان له، فقال سبحانه : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[المائدة: ٢٣] .

وقال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢] .

وأخبر سبحانه عن رسله أن التوكل على الله ملجأهم ، و معاذهم في جميع أحوالهم فقال ﷻ : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[يونس:٨٤-٨٦].

فالتوكل أصل لجميع مقامات الدين من الإيمان والإحسان ، ولجميع أعمال الإسلام ، ومنزلته منها منزلة الجسد من الرأس ، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣] .

وينشأ التوكل من علم العبد أن الأمور كلها بيد الله وحده، والخلائق كلها في قبضة الله وحده، وهي موكولة إليه سبحانه: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾[هود:٥٦] .

وأن العبد لا يملك شيئاً منها ، فهو لا يجد بداً من اعتماده على ربه ، وتفويض أمره إليه وثقته به من الوجهين :

الأول : من جهة فقر العبد إلى ربه ، وعدم ملكه شيئاً البتة .

الثاني : ومن جهة كون الأمر كله بيد الله ، والتوكل ينشأ من هذين العلمين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

وقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف:٥٤] .

ومقصود التوكل على الله تسليم الأمر إلى من هو له ، وعزل نفسه عن منازعة مالكه ، واعتماده عليه فيه ، وخروجه عن تصرفه بنفسه وحوله وقوته، وكونه، به إلى تصرفه بربه ، وكونه به سبحانه دون نفسه، كما قالسبحانه : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[إبراهيم:١٢] .

فالأنبياء وأتباعهم يتوكلون على ربهم في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم؛ لعلمهم بتمام كفايته، وكمال قدرته، وعموم إحسانه، وسعة رحمته: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق:٢- ٣] .

وتوكل الأنبياء في أعلى المطالب، وأشرف المراتب ، وهي التوكل على الله في إقامة دينه، ونصره، وهداية عبيده ، وإزالة الضلال عنهم، وهذا أكمل ما يكون من التوكل: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾[الممتحنة: ٤].

ومجموع الدين أمران :

الأول : أن يكون العبد على الحق .

الثاني : وأن يكون متوكلاً على ربه الحق : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾[النمل:٧٩] .

والإنسان آفته : إما من عدم الهداية ، وإما من عدم التوكل ، فإذا جمع مع الهداية التوكل، فقد جمع الإيمان كله .

والناس في التوكل متفاوتون :

فمن متوكل على الله في حصول الملك .

ومن متوكل على الله في حصول رغيف .

ومن متوكل عليه في جلب مصلحة دينية أو دنيوية ، أو دفع مفسدة دينية أو دنيوية .

ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: ٣] .

فإن كان محبوباً لله، مرضياً له، كانت له فيه العاقبة المحمودة ، وإن كان مسخوطاً مبغوضاً كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه .

وإن كان مباحاً حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه ، إلا إذا استعان به على طاعة الله .

والتوكل عمل القلب ، وعمل القلب كفاية الرب للعبد ، و انطراح القلب بين يدي الرب يقلبه كيف يشاء .

والمتوكل من رضي بالله وكيلاً ، ورضي بكل ما يفعل الله ، وتعلق بالله في كل حال : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

والتوكل : أن لا يظهر في العبد انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقته إليها ، ولا يزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفه عليها .

والتوكل على الله لا ينافي القيام بالأسباب ، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها ، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد ، فنتوكل على الله بقلوبنا، ونفعل الأسباب بجوارحنا :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن: ١٣] .

والتوكل حال النبي ﷺ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته، فمن طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ ﴾ [المائدة: ٢٣] .

والتوكل درجته أن يكون بعد التقوى التي هي القيام بالأسباب المأمور بها بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، فحينئذ إن توكل على الله فهو حسبه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾ [الطلاق:٢-٣] .

فالتوكل هو التسليم لأمر الرب وقضائه، مع فعل ما أمر به ، والتفويض إليه في كل حال ، وقطع علائق القلب بغير الله: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦] .

- **سر التوكل :**

التوكل:

هو اعتماد القلب على الله وحده ، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها ، كما لا ينفعه قوله : توكلت على الله مع اعتماده على

غيره، وركونه إليه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١] .

فتوكل اللسان شيء ، وتوكل القلب شيء آخر ، فقول العبد توكلت على الله، مع اعتماد قلبه على غيره ، مثل قوله تبت إلى الله، وهو مصر على معصيته، مرتكب لها .

والتوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه ، فهو كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به .

فإن قيل: المتوكل فيه، المدعو بحصوله، إن كان قد قدَّر حصل ، توكل أو لم يتوكل ، دعا أو لم يدعُو ؟ .

وإن لم يقدَّر لم يحصل ، توكل أو لم يتوكل ، ولو ترك العبد التوكل والدعاء ما فاته شيء مما قدِّر له ؟ .

فيقال : بقي قسم ثالث وهو الواقع ، وهو أن يكون قد قضى الله بحصول الشيء عند وجود سببه من التوكل والدعاء ، فنصب سبحانه التوكل والدعاء سببين لحصول المطلوب ، وقضى الله بحصوله إذا فعل العبد سببه ، فإذا لم يفعل السبب لم يحصل .

كما قضى سبحانه بحصول الشبع إذا أكل ، وحصول الري إذا شرب ، فإن لم يفعل لم يشبع ، ولم يروى ، وقضى بحصول الولد إذا جامع الرجل المرأة ، فإن لم يجامع لم يُخلق الولد ، وقضى بطلوع الحبوب التي تزرع بشق الأرض وإلقاء البذر فيها ، فإذا لم يفعل ذلك لم يحصل إلا الخيبة .

وقضى سبحانه بدخول الجنة لمن أسلم، وأتى بالأعمال الصالحة ، فإذا لم يسلم ولم يعمل صالحاً لم يدخلها أبداً: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟**

ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد:١٢] .

فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه ، فمن أنكر الأسباب، لم يستقم منه التوكل .

ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها، فيفعل الأسباب بجوارحه، ويتوكل على الله بقلبه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[المائدة:٢٣] .

فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته، وقضائه وقدره .

فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[الفاتحة: ٥] .

ومن نفى الأسباب فالبهائم أفقه منه ؛ لأنها تسعى في السبب بالهداية العامة: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[الأعلى:١-٣].

ولا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده ، بل حقيقة التوكل: توحيد القلب ، فما دامت فيه علائق الشرك ، فتوكله معلول مدخول ، وعلى قدر تجريد التوحيد ، تكون صحة التوكل: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

فإن العبد متى التفت قلبه إلى غير الله ، نقص من توكله بقدر ذلك الالتفات .

ومن هنا ظن بعض الناس أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب، وهذا حق ، لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح .

فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب؛ لأن الله بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾[آل عمران: ١٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف:٥٤] .

فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب ، وتعلق الجوارح بها، فيكون منقطعاً عنها بقلبه ، متصلاً بها ببدنه ، وتلك سنته ﷺ وفعله وأمره .

فخلع الأسباب من القلوب توحيد ، وتعطيل الأسباب إلحاد وزندقة ، فخلعها عدم اعتماد القلب عليها وركونه إليها مع قيامه بها ، وتعطيلها إلغاؤها عن الجوارح ، فالذي أمر بالتوكل بقوله : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[المائدة:٢٣] .

هو الذي أمر بأخذ الحذر بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾[النساء:٧١] .

ولم يأمر الله بالتوكل إلا بعد التحرز ، واستفراغ الوسع ، كما قال سبحانه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

- **أركان التوكل :**

فالتوكل حال مركبة من عدة أمور، لا تتم حقيقة التوكل إلا بها:

وأول ذلك: معرفة العبد بالرب وأسمائه وصفاته من قدرته، وكفايته وقيوميته ، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته ، وهذه المعرفة أول درجة يضع فيها العبد قدمه في مقام التوكل: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ

﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩] .

والثاني: إثبات الأسباب على الجوارح، ورفضها عن القلوب ، ومن نفاها فتوكله مدخول .

والثالث : اعتماد القلب على الله، وسكونه إليه ، بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب ، ولا سكون إليها .

وعلامة هذا : أن لا يبالي بإقبالها وإدبارها ، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها ، وإقبال ما يكره ؛ لأن اعتماده على الله، وسكونه إليه ، واستناده إليه قد حصنه من خوفها ورجائها : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

والرابع: حسن الظن بالله ، فحسن الظن بالله يدعو العبد إلى التوكل عليه ، إذ لا يُتصور التوكل على من ساء ظنك به ، ولا التوكل على من لا ترجوه .

والخامس: استسلام القلب لله، والانقطاع عما سواه ، بأن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد ولا يمتنع منه ، ولا يكون له حركة ولا تدبير، بل يستسلم لتدبير الرب ، وهذا في غير باب الأمر والنهي، بل في باب القضاء والقدر، أي فيما يفعله الرب بالعبد، لا فيما أمرك الرب بفعله ، فتنبه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾[التغابن:١٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام:١٠٢] .

٨- الخزانة الثامنة

- **حقيقة التوكل :**

روح التوكل ولبه وحقيقته تفويض الأمور كلها إلى الله وحده، وإنزالها به طلباً، واختياراً، لا كرهاً واضطراراً ، كتفويض الابن العاجز الضعيف كل أموره إلى أبيه العالم بشفقته عليه، ورحمته به، وتمام كفايته ، وحسن ولايته وتدبيره ، فهو يرى أن تدبير أبيه له ، وقيامه بمصالحه، خير له من تدبير نفسه ، فلا يجد أصلح له وأرفق به، من تفويض أموره كلها إلى أبيه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] .

فإذا وضع العبد قدمه في هذه الدرجة ، انتقل منها إلى درجة الرضا ، وهي ثمرة التوكل، وأعظمها فائدة ، فإنه إذا توكل حق التوكل ، رضي بما يفعله وكيله: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١] .

وباستعمال هذه الدرجات ، يستكمل العبد مقام التوكل ، وتثبت قدمه فيه .

والتوكل له تعلق بعامة أسماء الله وصفاته، كالغفار، والعزيز، والرحمن والتواب، والفتاح، والرزاق، والقوي، والقدير، والكريم، والمحسن ونحو ذلك.

وبحسب معرفة العبد بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، يصح له مقام التوكل وكلما كان العبد بالله أعرف كان توكله على ربه أقوى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٣] .

- **أقسام الناس في التوكل:**

كان الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على قسمين :

الأول: من عنده الأشغال الكسبية، وهؤلاء عامة الصحابة رضي الله عنهم .

الثاني: من ليس عنده الأشغال الكسبية، كأصحاب الصفة رضي الله عنهم .

ومن كان عندهم الأشغال الكسبية كان في توكلهم شيئان :

الأول : أنهم لا ينظرون إلى زيادة المال ، بل ينظرون إلى تنفيذ أوامر الله ورسوله فيه ، ولو قل المال .

الثاني: أنهم كانوا متهيئين مع شغلهم، ومستعدين للخروج في سبيل الله في أي وقت طلبهم الرسول ﷺ فيه، ومتى لزم الأمر، ولا يتفكرون في أموالهم، وبذلك أعطاهم الله البركة في أموالهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ [الطلاق:٢- ٣] .

أما من ليس عنده الأشغال الكسبية ففي توكلهم ثلاثة أشياء :

الأول: أنهم كانوا لا يسألون الناس باللسان ، ولا بالحال .

الثاني: وليس في قلوبهم إشراف لما عند الناس .

الثالث: وإذا جاءت عليهم المشقة لا يخبرون أحداً ، بل يتوجهون إلى الله وحده، ويبكون أمام الله ، وبذلك يأتيهم الفرج ، وتنزل عليهم نصرة الله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٢٧٣﴾ [البقرة: ٢٧٣] .

وقد وكل الله ﷻ بدينه أنبياءه ورسله، ومن آمن بهم، ووفقهم للإيمان به، والقيام بحقه، والذب عنه ، وجهاد أعدائه .

وهو توكيل رحمة وإحسان، وتوفيق واختصاص، لا توكيل حاجة كما يوكل الرجل من يتصرف عنه في غيبته ، لحاجته إليه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢] .

فمن آمن بهم أسعده الله في الدنيا والآخرة، ومن كذبهم، وأعرض عن هديهم فالرسل قائمون به، مؤدون له مستقيمون عليه: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام: ٩٠] .

- **درجات التوكل:**

التوكل على ثلاث درجات :

الأولى: التوكل على الله مع الطلب، وفعل السبب، على نية شغل النفس بالسبب مخافة أن تفرغ فتشتغل بالهوى والشهوات ، فإنه إن لم يشغل النفس بما ينفعها، شغلته بما يضره .

وكذلك يقوم بالسبب على نية نفع النفس ، ونفع الناس بذلك .

وكذلك يقوم بالسبب؛ ليتخلص من إشارة الخلق إليه الموجبة لحسن ظنه بنفسه الموجب لدعواه، فالسبب ستر لحاله ومقامه ، وحجاب مسدل عليه .

ومن وجه آخر وهو أن يشهد به فقره وذله وامتهانه ، امتهان العبيد والفعلة ، فيتخلص من رعونة دعوى النفس .

وأعظم من هذا كله ، أن القيام بالأسباب المأمور بها محض العبودية ، وحق الله على عبده الذي توجهت به نحوه المطالب ، وترتب عليه الثواب والعقاب وأُرسلت به الرسل ، وأنزلت لأجله الكتب ، وبه قامت السموات والأرض :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج: ٧٧] .

الدرجة الثانية : التوكل مع إسقاط الطلب من الخلق ، فإن الطلب من الخلق في الأصل محظور ، ولا يباح إلا عند الضرورة ، فلا يطلب من أحدًا شيئاً . فسؤال المخلوق للمخلوق ، سؤال الفقير للفقير ، والله تعالى غني حميد يحب من يسأله ، وقبيح بالإنسان أن يتعرض لسؤال العبيد ، وهو يجد عند مولاه كل ما يريد ، كما قال النبي ﷺ : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » .

أخرجه أحمد ، والترمذي بسند صحيح[1] .

الدرجة الثالثة :أن يعلم أن مُلك الحق تعالى للأشياء هي ملكة عزة لا يشاركه فيها أحد ، فهي ملكة قوة وامتناع وقهر تمنع أن يشاركه في ملكه لشيء من الأشياء مشارك:﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾[الكهف:٥١] .

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٥١٦)، وأحمد برقم: (٢٦٦٩).

فهو سبحانه العزيز في ملكه الذي لا يشاركه غيره في ذرة منه ، كما هو المتفرد بعزته التي لا يشاركه فيها مشارك:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر:٢٢- ٢٣] .

وعلم العبد بتفرد الحق تَعَالىَ وحده بملك الأشياء كلها، وقدرته على كل شيء، وأنه ليس له مشارك في ذرة من ذرات الكون من أقوى أسباب توكله: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[المائدة: ١٢٠] .

فإذا تحقق ذلك علماً ومعرفة لم يجد بداً من اعتماد قلبه عليه سبحانه ، وثقته به ، وسكونه إليه وحده ، وطمأنينته به ؛ لعلمه أن حاجاته وفاقاته وجميع مصالحه كلها بيد الله وحده ، لا بيد غيره .

علة التوكل :

التفات القلب إلى ما سوى الله ، إلى من ليس له شركة في ملك الحق ، ولا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، فهذه علة توكله .

وعلة أخرى وهي رؤية توكله، فإنه التفات إلى عوالم نفسه .

وعلة ثالثة : هي صرف قوة توكله إلى شيء غيره أحب إلى الله منه .

والتوكل :عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده .

قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣] .

- **حاجة العبد في توكله على الله درجات :**

الأولى : أن يكون حاله مع ربه، وثقته بكفالته وعنايته ، كحاله في الثقة بالوكيل عادة .

الثانية : وهي أقوى أن يكون حاله مع ربه كحال الطفل مع أمه ، فهو لا يعرف غيرها ولا يفزع لأحد سواها ، فإذا رآها تعلق في كل حال بذيلها، وطلب منها كل ما يريد .

الثالثة : وهي أعلاها ، أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته كالميت بين يدي الغاسل ، يرى تدبيره وتصريفه بيد مالكه الذي يدبر الكون، فهو مثل صبي علم أنه إن لم يزعق بأمه ، فالأم تطلبه ولا تتركه .

وهذا المقام في التوكل سببه المعرفة والثقة بكرم الله وعنايته ، وأنه يعطي ابتداء أفضل مما يُسأل ، ويقتضي الشكر له، وسؤاله وعدم سؤال غيره .

ووجود العبد الرزق من غير طلب ، دلالة على أن الرزق مأمورًا بطلب العبد ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾[هود:٦] .

وقوة التوكل مبنية على كمال التوحيد ، فمن كان توحيده أكمل كان توكله على الله أعظم: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩] .

فإذا آمن العبد بالله رأى كل شيء صادراً عن الواحد الأحد ، ومتى علم أنه لا فاعل سوى الله لم ينظر إلى غيره ، بل يكون الخوف منه والرجاء له ، وبه الثقة، وعليه التوكل وحده ؛ لأنه في الحقيقة هو الفاعل وحده، والكل مسخرون له .

فلا يعتمد على المطر أو الماء في خروج الزرع ، ولا يعتمد على الريح في سير السفينة ، ولا على العين في الرؤية ، ولا على الأذن في سماع الأصوات ، ولا على الطعام في الشبع ، ولا على الدواء في الشفاء ، ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه ، شكر الكاتب دون القلم.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣] .

٩- الخزانة التاسعة

- **فقه الإنابة :**

الإنابة :

هي الرجوع إلى الله ، وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه، وهي تتضمن المحبة والخشية ، فإن المنيب محب لمن أناب إليه، خاضع له، خاشعُ ذليل بين يديه : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الزمر:٥٤] .

ومعنى الإنابة :

هي عكوف القلب على الله ﷻ ، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧-١٨].

وحقيقة الإنابة :

عكوف القلب على محبة الله ، وذكره بالإجلال والتعظيم ، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له ، والمتابعة لرسوله ﷺ : ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[هود:٨٨] .

ومن لم يعتكف قلبه على الله وحده ، عكف على التماثيل الممنوعة ، كما قال إمام الحنفاء لقومه .

قال الله تعالى:﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[الأنبياء:٥٢] .

- **أقسام الإنابة:**

الإنابة هي الرجوع إلى الحق ، وهي نوعان :

أحدها : إنابة لربوبيته سبحانه ، وهي إنابة البشر كلهم المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الروم:٣٣] .

الثاني : إنابة الألوهيته ، وهي إنابة أوليائه إليه إنابة عبودية ومحبة .

وهي تتضمن أربعة أمور :

محبة الله .. والخضوع له .. والإقبال عليه .. والإعراض عما سواه .

كما قال سبحانه : ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[ق:٣١-٣٥] .

والصحابة رضي الله عنهم لما آمنوا وأنابوا إلى الله تغير فكرهم ، وتغير عملهم ، وتغيرت عواطفهم ، وتغير جهدهم ، فتغيرت حالهم ، وعظم أجرهم ، وثوابهم : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧-١٨] .

فاجتهدوا رضي الله عنهم للدين ، حتى صارت الطاعات عندهم شهوات ، وصارت المعاصي بمنزلة السموم المهلكة ، واجتهدوا على تحصيل الإيمان والأعمال الصالحة ، بدل الاستكثار من الأموال ، والأشياء .

وأكثر المسلمين اليوم اجتهدوا للدنيا ، حتى صارت الأشياء المادية عندهم شهوات ، وثقلت عليهم الطاعات ، وصارت المعاصي لهم محبوبات ، فالإيمان واحد ، والوحي واحد ، والقلوب واحدة ، ولكن اليقين اختلف . فالمؤمن يقينه على الإيمان والأعمال الصالحة ، وغير المؤمن يقينه على الأموال والأشياء .

والصحابة رضي الله عنهم ، لكمال إنابتهم ومحبتهم للدين يستأذنون الدين ؛ ليعملوا قليلاً للدنيا ، ونحن نستأذن الدنيا لنعمل للدين ، فنستغفر الله ونتوب إليه : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الزمر:٥٤] .

والصحابة رضي الله عنهم يحبون مجالس الذكر ؛ لأن في قلوبهم عظمة الله، والدار الآخرة، وكثير من المسلمين يملون مجالس الذكر ؛ لأن في قلوبهم عظمة المخلوق ، وحب الشهوات: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

والصحابة رضي الله عنهم استخدموا أنفسهم وأموالهم وأفكارهم وأوقاتهم للدين ، وأكثر المسلمين اليوم استخدموها للدنيا والشهوات : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات:١٥] .

- **درجات الناس في الإنابة:**

الناس في إنابتهم إلى ربهم على درجات متفاوتة :

فمنهم المنيب إلى الله بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي .

وهذه الإنابة مصدرها مطالعة الوعيد ، والحامل عليها العلم ، والخشية والخوف ، والحذر من سخط الرب وعقوبته :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨] .

ومنهم المنيب إليه بالدخول في أنواع العبادات والقربات فهو ساع فيها بجهده ، وقد حبب إليه فعل الطاعات، وأنواع القربات .

وهذه الإنابة مصدرها الرجاء، ومطالعة الوعد والثواب والكرامة من الله ﷻ لعباده المؤمنين : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنعام: ٩٠] .

وهؤلاء أبسط نفوساً ، وأشرح صدوراً، من أهل القسم الأول ، وجانب الرجاء ومطالعة المنة والرحمة أغلب عليهم ، وإلا فكل واحد من الفريقين منيب بالأمرين جميعاً ، ولكن خوف هؤلاء اندرج في رجائهم فأنابوا بالعبادات ، ورجاء الأولين اندرج تحت خوفهم ، فكانت إنابتهم بترك المخالفات .

ومنهم المنيب إلى الله بالتضرع والدعاء والافتقار إلى الله وسؤال الحاجات كلها منه ، ومصدر هذه الإنابة : شهود الفضل والمنة والغنى والكرم والقدرة .

فأنزلوا به حوائجهم وعلقوا به آمالهم ، فإنابتهم إليه من هذه الجهة، مع قيامهم بالأمر والنهي ، ولكن إنابتهم الخاصة ، إنما هي من هذه الجهة .

- **وأعلى أنواع الإنابة :**

إنابة الروح بجملتها إلى ربها ؛ لشدة المحبة الخالصة المغنية لهم عما سوى محبوبهم ، ومعبودهم :﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ

ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧-١٨].

وحين أنابت إليه أرواحهم لم يتخلف منها شيء عن الإنابة ، فإن الأعضاء كلها تبعٌ للروح .

فلما أنابت الروح بذاتها إليه ، إنابة محب صادق المحبة ، ليس فيه عرق ولا مفصل إلا وفيه حب ساكن لمحبوبه ، أنابت جميع القوى والجوارح ، فأناب القلب بالمحبة والتضرع ، والذل والانكسار، والتوبة والاستغفار .

وأناب العقل بانفعاله لأوامر المحبوب ونواهيه ، وتسليمه لها، وتحكيمه إياها دون غيرها ، فلم يبق فيه شبهة .

وأنابت النفس بالانقياد ، والانخلاع عن العوائد النفسية ، والأخلاق الذميمة ، والإرادات الفاسدة ، وانقادت لأوامره، خاضعة له ، وفوضت أمرها إلى مولاها ، راضية بقضائه ، مسلِّمة لحكمه.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢-٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[البقرة:١١٢] .

وأناب الجسد بالقيام بالأعمال فرضها ونفلها على أكمل الوجوه .

وأنابت كل جارحة وعضو إنابتها الخاصة، فلم يبق من هذا العبد المنيب عرق ولا مفصل إلا وله إنابة ورجوع إلى الحبيب الحق ، الذي كل محبة

سوى محبته عذاب على صاحبها ، وإن كانت عذبة في مبادئها، فإنها عذاب في عواقبها: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

فإنابة العبد ولو ساعة من عمره هذه الإنابة الخالصة أنفع له ، وأعظم ثمرة من إنابة سنين كثيرة من غيره، فأين إنابة هذا من إنابة من قبله :﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة:٤] .

بل هذه روح منيبة أبداً ، وأما أصحاب الإنابات السابقة ، فإن أناب أحدهم ساعة بالدعاء والذكر ، فلنفسه ، وروحه ، وقلبه، وعقله، التفاتات عمن قد أناب إليه ، فهو ينيب ساعة ، ثم يترك ذلك مقبلاً على دواعي نفسه ، وطبعه: ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[الشورى: ١٣]

والله ﷻيختار من خليقته من يعلم أنه يصلح للاجتباء لرسالته ، وولايته ، كما اجتبى هذه الأمة ، وفضلها على سائر الأمم ، واختار لها أفضل الأديان ، وخيرها ، وأعظم الكتب ، وأحسنها ، وأفضل الرسل ، وأكملهم ، وهو سبحانه يهدي إليه من ينيب: ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[الشورى: ١٣].

وهو سبحانه هو الرحيم ، الذي وسعت رحمته كل شيء ، ووصل جوده إلى جميع الموجودات ، بحيث لا تستغني عن إحسانه طرفة عين: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وإذا عرف العبد بالدليل القاطع أن الله هو العظيم الذي يملك كل شيء ، المنفرد بالنعم كلها، وكشف النقم كلها، وإعطاء الحسنات، وغفران السيئات، وكشف الكربات ، وأن أحداً من الخلق ليس بيده من هذا شيء إلا ما أجراه الله على يده ، جزم بأن الله هو الملك الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، فأقبل عليه وحده، وأناب إليه ، وأعرض عما سواه : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[يونس:١٠٧] .

ومن اطلع الله على قلبه ، وعلم أنه ليس فيه إلا الإنابة إليه، ومحبته ، ومحبة ما يقرب إليه ، فإنه وإن جرى منه في بعض الأوقات ما هو مقتضى الطبيعة البشرية ، فإن الله يعفو عنه ، ويغفر له الأمور العارضة غير المستقرة ، كما قال سبحانه : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾[الإسراء: ٢٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠] .

١٠- الخزانة العاشرة

- **فقه الاستقامة :**

الاستقامة :

أن يعبد المؤمن ربه وحده لا شريك له ، ويستقيم على الأمر ، والنهي ، فيعمل بطاعته ، ويجتنب معصيته ، ويؤدي فرائضه : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢] .

والمطلوب من العبد الاستقامة ، وهي السداد في النيات ، والأقوال ، والأعمال ، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة ، فإن نزل عن ذلك فالتفريط ، والإضاعة كما قال النبي ﷺ :« سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى الله وَإِنْ قَلَّ». متفقٌ عليه[١] .

فأمرهم بالاستقامة، ثم بين أنهم لا يطيقونها ، فنقلهم إلى المقاربة ، وهي أن يقربوا من الاستقامة بحسب طاقتهم ، ومع هذا أخبرهم أن الاستقامة ، والمقاربة تنجي يوم القيامة .

فلا يركن أحد إلى عمله ، ولا يُعجب به ، ولا يرى أن نجاته به ، بل إنما نجاته برحمة الله وعفوه وفضله .

والاستقامة تتعلق بالنيات، والأقوال، والأعمال، والأحوال ، والاستقامة فيها، وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٦٣) ، ومسلم برقم: (٧٨/ ٢٨١٨)واللفظ له،.

ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت: ٣٠-٣٢] .

والاستقامة للحال بمنزلة الروح للبدن ، فكما أن البدن إذا خلا عن الروح مات ، فكذا الحال إذا خلا عن الاستقامة فهو فاسد .

- **حصول الاستقامة:**

تحصل الاستقامة بثلاثة أشياء :

الأول: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله في قلب العبد.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢] .

فيتيقن العبد أن الخالق الرازق المالك الذي يتصرف في هذا الكون كله هو الله وحده لا شريك له، فيتوجه إليه وحده في جميع أحواله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢- ١٠٣] .

الثاني : تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ، بأن يعلم أن الوصول إلى الله عن طريق هدي رسول الله ﷺ ، فيؤثر حياته على حياة الشهوة والهوى ، واللعب واللهو :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

الثالث : أن يعيش حياته بالإيمان، والأعمال الصالحة كأنه عابر سبيل، ومسافر من هذه الدنيا .

قال النبي ﷺ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » . أخرجه البخاري[1] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢- ١٦٣] .

وهذه الأمة لها مقصد، وهو العبادة ، ولها وظيفة، وهي الدعوة إلى الله ، وكلما تجاوز الإنسان مقصده ، وترك وظيفته، أصيب بآفتين :

الأولى : إحساسه بالتعب كما قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾[الكهف:٦٢] .

الثانية : مرافقة الشيطان له ، فإذا غفل عن الرحمن، وأعرض عنه، رافقه الشيطان يزين له المعاصي، والمنكرات ، والقبائح ، والكبائر، ويؤزه إليها، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الزخرف:٣٦-٣٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾[مريم: ٨٣] .

وهذه الأمة الآن في كثيرًا من البلاد قد تجاوزت مقصد حياتها ، وتركت وظيفتها ، وظلمت نفسها ، وظلمت غيرها ، واستقلت المراكب لعمارة الدنيا، وتكميل الشهوات فماذا حصل ؟ .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٤١٦).

عامة بلاد الإسلام في شقاء وتعب ، وذل وهوان : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

فكثير من بلاد المسلمين تعيش في شقاء وتعب وذل وهوان ، ملوكها وأمراؤها ، تجارها وفقراؤها ، رجالها ونساؤها ، أبناؤها وبناتها: ﴿ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ١٧ ﴾[الجن: ١٧] .

إن الأمة الإسلامية في أغلب ديار الإسلام قد تجاوزت مقصد حياتها ، وسافرت إلى الدنيا ، فهي الآن عليلة تشكو من كل شيء في أخلاقها ، ومعاشراتها ، في معاملاتها وكسبها ، في بيوتها وأسواقها ؛ لأنها تجاوزت مقصد حياتها، فرافقها الشيطان في جميع أحوالها ، لا يبيع الإنسان ويشتري إلا والشيطان معه ، ولا يأكل ولا يشرب إلا والشيطان معه ، ولا يلبس إلا والشيطان معه ، ولا ينفق إلا والشيطان معه ، ولا يقوم ولا يقعد ولا يمشي إلا والشيطان معه : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾[النساء:٣٨] .

ولا صلاح للبشرية إلا بأن ترجع الأمة الإسلامية إلى مقصدها ، ووظيفتها ، بعبادة الله وحده لا شريك له ، وطاعة الله ورسوله ﷺ والدعوة إلى الله : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾[آل عمران:١١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[الأنعام: ٨٢].

فموسى ﷺ لما جاوز مقصده في سفره قال لفتاه: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢﴾[الكهف:٦٢] .

فأحس موسى بالتعب لما جاوز مقصده، ولا يتخلص من هذا التعب، ولا يسلم من الشيطان، إلا بالرجوع إلى مقصده:﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾[الكهف: ٦٤-٦٥] .

فلما رجعا ظفرا بالخير ، ونالا مرادهما .

وقد منَّ الله على هذه الأمة ، وطلب منها أن تستقيم في جميع أمورها ، وأن تعيش كما عاش الأنبياء والمرسلون ؛ لأنها قدوة البشرية إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾[آل عمران:١١٠] .

ولكن أكثر الأمة ترك مقصد حياته ، فصار كثير من المسلمين اليوم يعيشون عيشة اليهود والنصارى في أفكارهم وأعمالهم ، وفي كسبهم ومعاملاتهم ، وفي سائر شعب حياتهم .

في الدنيا يرافقون ويشاركون اليهود والنصارى ، والشياطين في طريقة حياتهم، وفي الآخرة يريدون مرافقة الأنبياء والمرسلين في الجنة ، وهذا ليس من سنة الله ، بل سنة الله معلومة لا تتبدل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ

فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾

[النساء:٦٩-٧٠] .

فالأمة إذا تركت الحق، حركها الشيطان بالباطل ، وإذا لم تقتدِ بالأنبياء ، والمرسلين ابتليت بالاقتداء بأحفاد القردة والخنازير والشياطين، كما قال النبي ﷺ: « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قال : فَمَنْ ؟ » . متفق عليه[1] .

- **فقه الأحوال والأعمال:**

بحسب أعمال البشر يرسل الله تبارك وتعالى الأحوال على العباد .

فمن كانت أعماله طيبة نزلت عليه من الله أحوال طيبة ، ومن كانت أعماله سيئة نزلت عليه أحوال سيئة، كما قال سبحانه : ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأعراف:٩٦] .

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣] .

فإذا كانت الأعمال التي تصدر من الجسد موافقة لأوامر الله ، وعلى هدي رسول الله ﷺ، فهي أعمال صالحة، تثمر الأحوال الطيبة .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٦٣) ، ومسلم برقم: (٦/ ٢٦٦٩).

فالعين إذا رأت حسب أمر الله ، والأذن إذا سمعت حسب أمر الله ، واللسان إذا تكلم حسب أمر الله ، والبدن إذا عَبَدَ الله حسب أمر الله ، فهذه أعمال صالحة تسعد الإنسان في دنياه وآخرته: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾[الرعد: ٢٨- ٣٠] .

والإنسان آلة الأعمال ، فهو إما أن يتحرك بطاعة ، أو يتحرك بمعصية، فهو يومياً ينتج أعمالاً كثيرة: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾ ﴾[القارعة: ٦- ١١] .

والملائكة كل يوم يتعاقبون على البشر ، ويصعدون بسجلات الأعمال إلى ربهم، ويعرضونها أمام الله، ثم يرسل آخرون، كما قال النبي ﷺ : « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ ، وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ وَصَلاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ » . متفق عليه[1] .

فسبحان من أحصى كل شيء عدداً في كتاب لا يغادر صغيرة ، ولا كبيرة إلا أحصاها : ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾[يس:١٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٢٩) ، ومسلم برقم: (٢١٠/ ٦٣٢)واللفظ له.

ثم الله ﷻ ينزل الأحوال حسب الأعمال خيراً كانت ، أو شراً : ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾[الليل:٤-١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأعراف:٩٦].

- **ولله على كل قلب هجرتان :**

الأولى : هجرة إلى الله بالتوحيد والإيمان والإخلاص والتقوى، والإنابة والمحبة والخوف والرجاء والتوكل والاستعانة، وعدم الالتفات إلى ما سواه :﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

الثانية : هجرة إلى رسول الله ﷺ بالتحكيم له ، والتسليم والانقياد لحكمه ، وتلقي الأحكام من مشكاته ، فمن قام بهذه الهجرة، وتلك الهجرة، فهو من أسعد الناس في الدنيا ، والآخرة، كما قال سبحانه : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل:٩٧] .

- **وأصول الدين الإسلامي ثلاثة :**

الإيمان .. والأحكام .. والأخلاق .

فالإيمان : هو اليقين على ذات الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأساسه العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم

الآخر، والقدر خيره وشره : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء:١٣٦] .

أما الأحكام : فهي ما شرعه الله لعباده من الأعمال والأوامر التي يسيرون عليها ، والمراد بها الأعمال الظاهرة التي تقوم بها الجوارح كالعبادات والمعاملات .

والشريعة لا تنفك عن العقيدة ، ولا يتم قبول العمل إلا بهما جميعاً .

والعقيدة لن تثمر، والشريعة لن تؤثر في حياة الإنسان إلا حين يتحلى الإنسان بصفة الإحسان في كل شيء:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج: ٧٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[لقمان: ٢٢] .

فالإحسان أعظم الأخلاق وأعلاها، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[البقرة:٨٣] .

فيجب على العبد أن يحسن المعاملة مع ربه، ومع الناس ، وأن يحسن في عبادته كلها ، وأن يحسن في جميع أموره كما أمر الله ورسوله: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص: ٧٧] .

والاستقامة : ثمرة الإيمان ، و بها يحصل كمال التقوى ، وكمال العمل .

وكمال العمل يحصل بتطبيق حياة النبي ﷺ، والقيام بجهد محمد ﷺ ، بالعبادة والدعوة إلى الله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت: ٣٣] .

والمؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أفضل ممن لا يخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم، وعند الفتن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام اعتزلهم؛ لكن ينبغي أن ينوي بعزلته كف شره عن الناس ، ثم طلب السلامة من شر الأشرار ، ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين .

ثم تجريد الهمة لعبادة الله أبداً، ثم ليكن في خلوته مواظباً على العلم والعمل، والذكر والفكر، والاستغناء عن الناس، وعدم الإصغاء إلى أراجيف البلد، والقناعة باليسير من المعيشة ، وتذكر الموت .

والعزلة والخلطة تختلف بحسب الأحوال والأشخاص، لكن في الأصل الخلطة أفضل، ولا كمال للعبد أعلى وأشرف من كونه مستغرق القلب بمعرفة الله ﷻ، مستغرق اللسان بذكره، مستغرق الأعضاء والجوارح بعبودية الله.

فإذا كان كذلك أحبه الله، ثم أنزل له القبول والمحبة في الأرض ، فصارت الألسنة جارية بمدحه ، والقلوب مجبولة على حبه، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾[مريم:٩٦] .

وكما أن النفس تحب تكميل الشهوات فكذلك الله ﷻ يحب تكميل الإيمان، والأعمال الصالحة التي هي الدين، وهى الإيمانيات، والعبادات، والمعاملات، والمعاشرات، والأخلاق .

فالإيمان أساس كل شيء، والعبادات تنظم علاقة العبد مع ربه سبحانه ، وتقوي إيمانه ؛ ليكون ذاكراً لربه حامداً له .

والمعاملات والمعاشرات والأخلاق تنظم علاقة العبد مع العباد ؛ ليكون الجميع كالجسد الواحد :﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾[النساء: ٣٦] .

وقال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

- **حفظ الاستقامة:**

على من يطلب الاستقامة أن يحفظ نفسه من أربعة أشياء :

- اللحظات
- والخطرات

- واللفظات
- والخطوات .

ومن حفظ نفسه من هذه الأربعة فقد أحرز دينه ، وحفظ استعمالها، كما أمر الله سبحانه: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢] .

وإذا أهملها العبد، وغفل عنها، دخل منها العدو فجاس خلال الديار، وأهلك الحرث والنسل، وأفسد الظاهر والباطن، وكلما كان إيمان العبد أقوى، وعبادته أحسن، كانت معاملاته، ومعاشراته، وأخلاقه، أفضل وأحسن: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤] .

وبمقدار ما يكون العبد محبوباً عند الله، يكون محبوباً عند أهل السماء وعند أهل الأرض: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾[مريم: ٩٦] .

وكل من ضحى بشهواته من أجل الدين، أعطاه الله امتثال أوامره في جميع الأحوال، على وجه الكمال :﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

والله تبارك وتعالى أوجب على كل مسلم من هذه الأمة العبادة والدعوة ، وكما يسأل الإنسان عن حياته ، فكذلك سيُسأل عن مسئوليته ، فجميع

المسلمين يحبون النبي ﷺ ، وأكثرهم يكرهون حياته .

وكل المسلمين يكرهون اليهود والنصارى ، وأكثرهم يحبون حياتهم .

وبعض المسلمين يحبون حياة النبي ﷺ ، ولكن لا يريدون ، ولا يطيقون ، ولا يرغبون في جهد النبي ﷺ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

فهذا جهده ﷺ .

ودينه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج: ٧٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾[يونس:٦٢-٦٤].

- **كمال الاستقامة:**

تمام الاستقامة بتطبيق حياة النبي ﷺ، والقيام بجهد النبي ﷺ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

فعلى من أراد الاستقامة أن يدخل في السلم كافة، وأن يتركوا أمرهم لله ورسوله ، ويستسلموا لقدر الله وتدبيره، ويتلقوا عنه ولا يقترحوا عليه، ويشكروا ربهم على نعمة الإيمان الذي هداهم إليه، وحرك قلوبهم لحبه،

وكشف لهم عن جماله وفضله ، وعلق أرواحهم به، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، وهذا كله من رحمة الله وفيضه العميم على عباده .

فهو الذي أراد بهم هذا الخير ، وخلص قلوبهم من ذلك الشر ، وهو الذي جعلهم بهذا راشدين فضلًا منه ونعمة، وليطمئن إلى قضاء الله، وتدبيره، فالله يختار لهم الخير ، ورسول الله ﷺ يأخذ بأيديهم إلى هذا الخير : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾[الحجرات: ٧-٨] .

والاستقامة هي الاعتدال والمضي على النهج دون انحراف : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾[هود:١١٢] .

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾[العصر:١-٣].

٢٠- خزائـن الآداب

وتشتمل على ما يلي:

- فقه الأدب

١- آداب الســـــلام.

٢- آداب الأكل والشرب.

٣- آداب الطريق والسوق.

٤- آداب الســفـــر.

٥- آداب النوم والاستيقاظ.

٦- آداب الرؤيـا.

٧- آداب الاستئذان.

٨- آداب العطاس والتثاؤب.

٩- آداب عيادة المريض.

١٠- آداب اللباس والزينة.

١١- آداب اللقـاء.

١٢- آداب الزيـارة

١٣- آداب الضـيـافة.

١٤- آداب المعاشرات.

١٥- آداب قضاء الحاجة.

١٦- آداب عشرة النساء.

١٧- آداب الكـــلام.

١٨- آداب المجلـس.

١٩- آداب المسـاجد.

٢٠- آداب الجوار.

٢١- آداب البيـوت.

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٠- خزائن الآداب

وتشتمل على ما يلي :

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠ الخزانة العاشرة

٢٠-خزائن الآداب

١- الخزانة الأولى

فقه الأدب :

الأدب هو اجتماع خصال الخير في الإنسان ، وأكمل الخلق أدبًا هم الأنبياء والرُسل عَلَيْهِمِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثم من سار على هديهم من المؤمنين والصديقين .

- **والأدب ثلاث أنواع :**

أدبٌ مع الله .. وأدبٌ مع رسوله ﷺ .. وأدبٌ مع خلقه .

فالأدب مع الله يكون بصيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة ، وصيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره ، وصيانة إرادته أن تتعلق بما ينكته الله عليه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢] .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

فالعبد يصل بطاعة الله إلى الجنة ، ويصل بأدبه في طاعته إلى الله ، وترك الأدب يوجب الطرد ، وأنفع الأدب الفقه في الدين ، والزهد في الدنيا ، والمعرفة بما لله عليك ، وحُسن الأدب في الظاهر عنوان حُسن الأدب في

الباطن ، والأدب مع الله حُسن الصحبة معه لإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة على مقتدى التعظيم والإجلال والحياة كحال مجالس الملوك، كما قال سبحانه عن الأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠] .

والناس في الأدب ثلاث طبقات :

١- فأهل الدنيا أكبر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم والثقافة .

٢- وأهل الدين أكثر آدابهم في مخالفة النفوس وتأديب الجوارح بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي وحفظ الحدود وترك الشهوات .

٣- وأما أهل الخصوص فأكبر آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار ، والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وحُسن الأدب في مواقف الطلب ومقامات القرب ، والكمال لزوم الأدب ظاهرًا وباطنًا ، فما ساء أحدٌ الأدب في الظاهر إلا عُوقب ظاهرًا ، وما ساء أحد الأدب باطنًا إلا عُوقب باطنًا ، ومن تهاون بالأدب عُوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عُوقب بحرمان الفرائض ، ومن تهاون بالفرائض عُوقب بحرمان المعرفة : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾[النساء:١٢٣] .

وحقيقة الأدب استعمال الخُلق الجميل ولهذا كان الأدب استخراج ما في الطبيعة من الكمال من القول إلى الفعل ، ومن الباطن إلى الظاهر والأدب هو الدين كله، كما قال النبي ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » أخرجه أحمد .[1] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٨٩٣٩).

فإن ستر العورة من الأدب ، والوضوء والغُسل من الأدب ، والتطهر من الخبث من الأدب حتى يقف العبد بين يدي الله ظاهرًا ، والتجمل والتزين بين يدي الله في الصلاة من الأدب وخفض العبد بصره في الصلاة من الأدب ، وعدم قراءة القرآن في حال الركوع والسجود من الأدب ، فإن القرآن كلام الله وكلامه أشرف الكلام .

وحالة الركوع والسجود حالة ذلٍ وانخفاضٍ من العبد ، فمن الأدب مع كلام الله ألا يُقرأ في هاتين الحالتين ، ومن الأدب مع الله ألا يستقبل بيته العتيق ، ولا يستدبره حال قضاء الحاجة ، ومن الأدب مع الله وضع اليد اليمنى على اليسرى عند الوقوف بين يديه في الصلاة ، فالأدب مع الله ﷻ هو القيام بدينه والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنًا .

- **ولا يستقيم لأحدٍ قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء :**

١- معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله .

٢- ومعرفة بدينه وشرعه وما يُحب وما يكره .

٣- ونفسٌ مستعد قابلة لينة متهيئة لقبول الحق علمًا وعملًا وحالًا .

قال الله تعالى :﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

- **وأما الأدب مع رسول الله ﷺ :**

فالقرآن مملوء منه فرأس الأدب معه الإيمان به ، وكمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقى خبره بالقبول والتصديق ، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد

والإذعان ، كما وحد الرب الذي أرسله بالعبادة والقصد والخضوع والذل والإنابة والتوكل ، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما :

الأول : توحيد المرسل سبحانه .

الثاني : وتوحيد متابعة الرسول : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال الله تعالى :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وكمال الأدب مع رسول الله ﷺ الاقتداء به في نيته وفكره وفى توحيده وإيمانه ، وفي أقواله الحسنة وفى أعماله الصالحة وفى أخلاقه الكريمة : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

فلا يحاكم العبد إلى غير الرسول ﷺ ولا يرضى بحكم غيره ، ولا يتقدم بين يده بأمرٍ ، ولا نهى ولا إذنٍ ولا تصرف حتى يأمر هو ﷺ وينهى ويأذن، كما قال سبحانه :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾[الحجرات:١] .

والتقدم بين يدي سنته ﷺ بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته كلاهما لا يجوز ، ومن الأدب معه ﷺ ألا تُرفع الأصوات فوق صوته ؛ فإنه سببٌ لحبوط الأعمال فما الرأي برفع الآراء على سنته وما جاء به، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾ [الحجرات:٢] .

ومن الأدب معه ﷺ ألا يجعل دعائه كدعاء غيره كما قال سبحانه : ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾ [النور:٦٣] .

وأما الأدب مع الخلق فهو معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم فلكل مرتبة أدبٌ خاص ، فمع الوالدين أدبٌ خاص، وللأب منهم أدبٌ خاص به ، وللأم أدبٌ خاص بها ، وللعالم أدبٌ أخر يليق به ومع السلطان أدبٌ يليق به ، ومع الأفراد أدبٌ يليق بهم ، ومع الأجانب أدبٌ غير أدبه مع أصحابه ، ومع الضيف أدبٌ غير أدبه مع أهل بيته وهكذا : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

ولكل حالٍ من أحوال الإنسان أدب فللأكل أدب، والشرب أدب، وللركوب أدب، وللسفر آداب، وللدخول والخروج آداب وللكلام آداب، وللنوم آداب، وللصحة آداب، وللمرض آداب، وللمجالس آداب، وللنكاح آداب وهكذا .

قررت الشريعة أكثر من ألف أدب لهذا الإنسان مع ربه، ومع رسوله، ومع سائر الخلق، وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره.

الأدب حفظ الحد بين الغلو والجفاء ، فالانحراف إلى أحد طرفي الغلو والجفاء هو قلة الأدب ، والأدب الوقوف في الوسط بين الطرفين فلا يقصر بحدود الشرع عن تمامها ، ولا يتجاوز بها ما جُعلت حدًا لها ، فكلاهما عُدوان : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[البقرة:١٩٠] .

والعُدوان سوء الأدب: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق :١] فإضاعة الأدب بالجفاء كمن لا يكمل أعضاء الوضوء، ولم يوفي الصلاة آدابها، وإضاعته باللغو كالوسوسة في عقد النية ورفع الصوت بها، وفى حق الأنبياء لا يغلو فيهم كما غلت النصارى، ولا يجفو عنهم كما جفت اليهود، فالنصارى ألهوهم وعبدوهم كما عبدوا عيسي ابن مريم ﷺ، واليهود قتلوهم وكذبوهم والأمة الوسط المسلمون آمنوا بهم، وعزروهم ونصروهم، واتبعوا ما جاءوا به، كما قال سبحانه عن النبي ﷺ : ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[الأعراف:١٥٧] .

وأما الأدب في حق الخلق فلا يفرط في القيام بحقوقهم ، ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله أو عن تكميلها أو عن مصلحة دينه وقلبه ولا يجفو عنها حتى يعطلها بالكلية، فإن الطرفين من العدوان الظاهر، وحقيقة الأدب العدل وكمال الأدب وحسنه من أعلى درجات العبودية.

قال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢] .

والأدب على ثلاث درجات :

الأولى : منع الخوف ألا يتعدى إلى اليأس ، وحبس الرجاء أن يخرج إلى الأمن وضبط السرور أن يضاهى الجرأة ، فلا يدع العبد الخوف من الله يُفضى به إلى حدٍ يوقعه في القنوت واليأس من رحمة الله : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣] .

فهذا خوفٌ مذموم فالخوف الموقع في الإياس إساءة أدبٍ على رحمة الله التي سبقت غضبه ، والتي وسعت كل شيء كما قال سبحانه : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[الأعراف:١٥٦] .

وحد الخوف ما حجز الإنسان عن معاصي الله ، فما زاد على ذلك فهو غير محتاجٍ إليه ولا يبلغ به الرجاء إلى حدٍ يأمن معه العقوبة ، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[الأعراف:٩٩] .

وحد الرجاء ما طيب لك العبادة ، وحملك على السير : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة:٢١٨] .

وأما ضبط السرور فلا يقدر عليه إلا الأقوياء الذين لا تستفزهم السراء، فتغلُب شكرهم، ولا تُضعفهم الضراء فتغلب صبرهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧] .

الدرجة الثاني : الخروج عن الخوف إلى ميدان القبض، والصعود من الرجاء إلى ميدان البسط ، ومن السرور إلى المشاهدة فيقبض نفسه عن كل ما يُسبب له العقوبة، ويطمئن إلى رحمة ربه، ويأنس به ويناديه كأنه يراه بجلاله وجماله ورحمته وكماله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ الرعد:٢٨] .

الدرجة الثالثة : معرفة الأدب فإذا عرفه وصار له حالًا نسبه إلى ربه دون نفسه ، ويُغني عن نفسه وقيامها بالأدب بشهود الفضل لمن أقامها فيه ، وشهود منته وهو ﷻ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[النحل:٥٣ -٥٤] .

والانبساط إرسال سجية النفس مع الغير وإزالة الوحشة الواقعة بين العبد ومن يحب الانبساط إليه : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

والانبساط إلى الخلق يكون بألا يعتزلهم ظنًا على نفسه ، أو شُحًّ على حظه فتحمله السماحة والجود والرحمة على ترك العزلة ومجالسة إخوانه وانتفاعهم بمجالسته ويؤثرهم على نفسه فينالون من فضله : ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

وليسعهم العبد بخُلقه باحتمال ما يبدو منه من سوء العُشرة ، ويوقرهم بلينه وتواضعه ويخفض لهم جناحه بحيث لا يترك لنفسه بينهم مرتبة يحترمونه من أجلها مع حفظ حاله وقلبه مع الله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران :١٥٩] .

والانبساط مع الحق سبحانه هو لا يمنعك عن الانبساط إليه خوفٌ والبسط يأتي من مشاهدة أوصاف الجمال والبر والإحسان والتودد والرحمة ، والقبض يأتي من مشاهدة أوصاف الجمال والعظمة والكبرياء والعدل والانتقام : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[الحجر:٤٩-٥٠] .

ولا يحجبك رجاء فإن الراجي يحجبه رجاءه وطمعه فما يناله من المعظم عند الانبساط إليه فينبسط إلى ربه انبساط فرح وسرور ، ويأنس به ويتملقه ويبتهج به : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

- **الأدب مع الرب جل جلاله :**

خلق الله الإنسان وجعله له آدابًا مع ربه ، وآدابًا مع خلقه ، ومن أعظم الآداب مع ربه هي توحيده والإيمان به وعبادته وحده لا شريك له وكمال طاعته وطاعة رسوله ﷺ فالتوحيد هو إفراد الله تعالى بما يختص به وما يجب له ، ومعناه أن يتيقن العبد ويُقر أن الله وحده رب كل شيء ومليكه وأنه الخالق وحده وأنه الحي القيوم الذي يدبر الكون كله وحده لا شريك له ، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الحميدة والمثل الأعلى وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وأن كل معبودٍ سواه فهو باطل وأنه سبحانه متصفٌ بصفات الكمال ، منزهٌ عن كل عيبٍ ونقص له

وحده الأسماء الحسنى والصفات العلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه:٨] .

فالله ﷻ هو الواحد الأحد القادر على كل أحد ، الغنى عن كل أحد ، العليم بكل أحد ، السميع بكل أحد ، البصير بكل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد فهو واحدٌ لا شريك له أحدٌ لا مثيل له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله له الملك وله الخلق والأمر وحده لا شريك له : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:١-٤] .

هو الملك وكل ما سواه مملوكٌ له ، وهو الرب وكل ما سواه عبدٌ له ، وهو الخالق وكل ما سواه مخلوقٌ له : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

وهو سبحانه القوى وكل ما سواه ضعيف ، وهو القادر وكل ما سواه عاجز ، وهو الكبير وكل ما سواه صغير ، وهو الغنى وكل ما سواه فقيرٌ إليه وهو العزيز وكل ما سواه ذليل بين يديه وهو الحق وكل معبودٌ سواه باطل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج:٦٢] .

هو سبحانه العظيم الذي لا أعظم منه ، العلى الذي لا أعلي منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، الرحمن الذي لا أرحم منه ، فإذا عرف العبد ذلك توجه إلى ربه بالحب والتعظيم والذل له هو سبحانه القوى الذي خلق القوة في كل قوي ، القادر الذي خلق القدرة في كل قادر ، الرحمن الذي خلق

الرحمة في كل راحم ، العليم الذي علم كل مخلوق ، الرزاق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين وأوصلها إليهم : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

هو سبحانه الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وجلاله وجماله وجميل إحسانه وإنعامه هو وحده الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١] .

هو الحكيم العليم الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف:٥٤] .

هو سبحانه الأول قبل كل شيء ، الآخر بعد كل شيء ، الظاهر فوق كل شيء ، الباطن دون كل شيء ، العليم بكل شيء وحده لا شريك له : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحديد:٣] .

وهو سبحانه الملك الحق الذي بيده كل شيء وكل ما سواه ليس بيده شيء : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[آل عمران: ٢٦ - ٢٧]

وأعظم الناس أدبًا وأحسنهم خُلقًا وأفضلهم علمًا من آمن بالله وحده لا شريك له ، فرأى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات عن غيره من الأسباب والوسائط ، فيرى كل شيءٍ بيد الله وحده لا شريك له ولا يرى

الخير والشر والعطاء والمنع والنفع والضر والتصريف والتدبير إلا من الله وحده لا شريك له ، وأن يعبده سبحانه بموجب هذا العلم عبادة يفرده بها ، ولا يعبد غيره معه : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر:٦٤-٦٦] .

فأعظم الناس أدبًا هم من وحد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ووحده بالعبادة وحده لا شريك له ، وفى مقدمة هؤلاء الأنبياء والرُسل عليهم الصلاة والسلام ، فالمؤمن حقًا الموحد حقًا المؤدب حقًا هو من وحد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته وحده الله بأسمائه كالعليم والقدير والسميع والبصير وغيرها من الأسماء الحسنى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف:١٨٠] .

ووحد الله بصفاته كالحياة والسمع والبصر والقدرة وغيرها من الصفات العلا ، ووحده الله بأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وغيرها من الأفعال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[هود: ١٠٧] .

ووحده ربه ﷻ بأفعال العبد كدعاء الله والتوكل عليه ومحبته والخوف منه والصلاة والصوم وسائر أنواع العبادة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[البقرة: ٢١]

ووحد رسوله ﷺ بالإتباع : ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

ووحد كتاب ربه ﷻ بالإتباع بتصديق أخباره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[آل عمران:١٣٨] .

وكل ذلك يحصل للعبد بكمال معرفته بأسماء الله وصفاته وأفعاله وبقدر تلك المعرفة يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان ، وينشرح الصدر للطاعة ، وتنقاد الجوارح للعمل الصالح الذي يحبه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وبهذا يحصل للعبد كمال الأدب بتوحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وتوحيده سبحانه بالعبادة وتوحيد الرسول ﷺ بالإتباع وتوحيد كتاب ربه بالإتباع ويعبد الله بكمال الحب وكمال التعظيم وكمال الذل له سبحانه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

- **حُسن الأدب مع الرب :**

من أعظم آداب الإنسان مع ربه وأعظم حقوق ربه عليه أن يؤمن به وحده لا شريك له ، فيؤمن بالله وملائكته وكتبه ، ورسله واليوم الآخر والقدر خير وشره ، وأن يعمل بموجب هذا الإيمان فيعبد ربه وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨ ﴾[التغابن:٨] .

- **والإيمان بالله ﷻ يتضمن أربعة أمور :**

الأول : الإيمان بوجود الله تعالى فقد فطر الله كل مخلوق على الإيمان بخالقه، كما قال سبحانه : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾[الروم:٣٠] .

ويجب على المؤمن ليزيد إيمانه أن ينظر في الآيات الكونية ، ويتدبر الآيات القرآنية ليزيد إيمانه ويقوى فيعبد الله ﷻ بموجب تلك المعرفة: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس:١٠١] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾[النساء:٨٢].

الثاني : الإيمان بأن الله هو الرب وحده لا شريك له، والرب هو الذي يستحق أن يُعبد ، والملك الذي بيده المُلك وله الخلق والأمر كله ، فلا خالق إلا الله ولا مالك إلا الله ، والأمر كله لله وحده لا شريك له ، فالخلق خلقه والمُلك مُلكه ، والأمر أمره فهو العزيز الرحيم الغنى الحميد الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا والأفعال الحميدة ، وله وحده مُلك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات والأرض ، وله خزائن السماوات والأرض ، وله غيب السماوات والأرض ، وله جنود السماوات

والأرض ، وله ميراث السماوات والأرض : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة:١٢٠] .

خلق كل شيء بقدرته ليس له وزيرٌ ولا مشيرٌ ولا معين سبحانه هو الرب الواحد القاهر ، استوى على العرش برحمته وأمسك السماء بقدرته ودحر الأرض بمشيئته ، وخلق الخلائق بإذنه وقهر العباد بقوته رب المشرق والمغرب ، لا إله إلا الله الحي القيوم : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر:٦٢-٦٣] .

فيعلم العبد ويتيقن أن الله وحده ربٌ قديرٌ له كل شيء، محيطٌ بكل شيء، مالكٌ لكل شيء، قاهرٌ فوق كل شيء، خضعت الأعناق بعظمته وخشعت الأصوات لهيبته: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢] .

هو العليم بكل شيء الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

الثالث : الإيمان بألوهيته سبحانه فنعلم ونتيقن أن الله وحده هو الإله الحق لا شريك له ، وأنه وحده المستحق للعبادة فهو رب العالمين وإله العالمين ، ونعبده بما شرع مع كمال الذل له وكمال الحب له وكمال التعظيم له ، فكما خضعنا لربوبيته خلقًا وتدبيرًا ، فيجب أن نخضع لألوهيته أمرًا وشرعًا ، فهو سبحان كمن واحدٌ في ربوبيته لا شريك له فكذلك هو واحدٌ في ألوهيته لا شريك له فنعبده وحده لا شريك له ونجتنب عبادة ما سواه : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣] .

الرابع : الإيمان بأسمائه وصفائه فالله ﷻ له الأسماء الحسنة والصفات العلا والأفعال الحميدة والمثل الأعلى، ومعنى الإيمان بأسماء الله وصفاته فهمها وحفظها والاعتراف بها والتعبد لله بها والعمل بمقتضاها، فمعرفة أوصاف العظمة لله والكبرياء والمجد والجلال تملأ قلوب العبد هيبة لله وتعظيمًا له ، ومعرفة أوصاف العزة والقوة والقدرة والجبروت تملأ القلوب ذلة وانكسارًا وخضوعًا لله ﷻ ، ومعرفة أوصاف الرحمة والبر والإحسان تملأ القلوب حبًا لله ورغبة وطمعًا في فضل الله وإحسانه وجوده، ومعرفة أوصاف العلم والإحاطة تُوجب من العبد مراقبة ربه في جميع أحواله وحركاته .

ومعرفة مجموع هذا الصفات توجب للعبد تعظيم الله ومحبة الله والشوق إليه والأنس به والتوكل عليه والتقرب إليه بعبادته وحده لا شريك له : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

وأحسن ما تجمل به العبد بين يدي ربه وأحسن ما تعبد به هو توحيده جل جلاله والإيمان به وعبادته في كل حال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ - ٢٢]

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

فهذا الرب وهذا الإله الذي خلقنا وأمدنا بالنعم وهدانا لما يسعدنا في الدنيا والآخرة ، هذا الرب العظيم الذي نسكن في ملكه ونأكل من رزقه ونتنعم بنعمه هو الذي يستحق أن نؤمن به وحده لا شريك له ، وأن نطيعه فلا نعصيه ونذكره فلا ننساه ونشكره فلا نكفره : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

٢- الخزانة الثانية

١- آداب السلام :

الأدب هو استعمال ما يُحمد من الأقوال والأفعال ومكارم الأخلاق، وقد مَن الله علينا جميعًا بنعمة الإسلام، والإسلام دينٌ كامل نظَّم حياة الإنسان في جميع أحواله، فأمره بحسن العبادة مع ربه، وحسن الأدب مع خلقه، وحسن المعاملة مع غيره، ودعاه إلى العدل والإحسان ومكارم الأخلاق وجمل ظاهره وباطنه وحفظ لسانه وجوارحه وضبط سمعه وبصره، وغمره بإحسانه ونعمه .

وأمره بما ما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ونهاه عما يضره في دنياه وآخرته : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[المائدة:٣] .

والله رؤوفٌ بالعباد خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم وأكرمه بنعمه المادية والروحية، وشرع له آدابًا مع نفسه وآدابًا مع غيره، وآدابًا عند أكله وشربه وعند نومه ويقظته وفى حضره وسفره وفى حالة صحته ومرضه وفى سائر أحواله : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء:١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠].

والآداب الإسلامية هي الدين كله، وتزيد هذه الآداب على أكثر من ألف أدب كلها قد تضمنها القرآن والسنة.

ومن هذه الآداب الواردة في القرآن وصحيح السنة آداب السلام .

- **فضل السلام :**

عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما أن رجل سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير فقال: « تطعمُ الطعامَ ، وتقرأُ السلامَ على مَن عرفتَ وَمَن لم تعرفْ » .

متفق عليه[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نَفْسِي بيدِهِ ، لا تدخُلُوا الجنَّةَ حتى تُؤمِنُوا ، ولا تُؤمِنوا حتى تحابُّوا ، أفلا أدلُكُم على أمرٍ إذا فعلتُمُوهُ تحاببتُم ؟ أفشُوا السَّلام بينكُم » . أخرجه مسلم[2] .

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند صحيح[3] .

- **صفة السلام :**

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء:٨٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٣/ ٣٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٩٣/ ٥٤).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٤٨٥) ، وابن ماجة برقم: (١٣٣٤) .

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: « جاء رجًا إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه السلام ثم جلس، فقال النبي ﷺ: عشر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس، فقال: عشرون، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس فقال: ثلاثون » .

أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1] .

- **فضل من بدأ بالسلام :**

عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « لا يحِلُّ لمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثلاثَةِ ليالي ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ » . متفق عليه[2] .

وعن أبي أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « إنَّ أولى النَّاسِ بالله مَنْ بَدَأهُمْ بِالسَّلام » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[3] .

- **الأولى بالسلام :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « يُسَلِّمُ الصَّغيرُ عَلى الكَبيرِ، والمارُّ على القاعِدِ ، والقَلِيلُ على الكَثيرِ » . متفق عليه[4] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المُاشِي ، وَالمُاشِي عَلَى الْقَاعِدِ ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ» . متفق عليه[5] .

---

(١) صحيح/ أخرجه داود برقم: (٥١٩٥)، والترمذي برقم: (٢٦٨٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٣٧)، ومسلم برقم: (٢٥/ ٢٥٦٠) واللفظ له.

(٣) صحيح/ أخرجه داود برقم: (٥١٩٧) ، والترمذي برقم: (٢٨٨٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٣١) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١ / ٢١٦٠).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٣١)، ومسلم برقم: (١ / ٢١٦٠) واللفظ له.

- **السلام على الصبيان والنساء عند آمن الفتنة :**

عن أنس بن مالك ﷺ : « أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ » . متفق عليه[1] .

وعن أسماء بن يزيد رضي الله عنها قالت : « مَرَّ عَلينا النبي ﷺ في نِسوة فسَلم علينا » . أخرجه أبو داود وابن ماجة بسند صحيح[2] .

- **تسليم النساء على الرجال عند أمن الفتنة :**

عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت:« ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، قَالَتْ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ».متفق عليه[3].

- **السلام عند دخول البيت :**

قال الله عز وجل :﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾[النور: ٦١] .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٤٧) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٤/ ٢١٦٨).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٢٠٤)، وابن ماجة برقم: (٣٧٠١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٧) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٨٢ / ٣٣٦).

أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النور:٢٧-٢٨] .

- **عدم السلام على أهل الذمة :**

عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ ». أخرجه مسلم[١] .

عن أنس ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « إِذَا سَلَّمَ عَلَيكم أَهْلُ الكِتَابَ فَقولُوا : وَعَلَيْكم » . متفق عليه[٢] .

- **من مر بمجلس فيه مسلمون وكفار سلم وقصد المسلمين :**

عن أسامة ابن زيد ﷺ: « أن النبي ﷺ عاد سعد بن عبادة ﷺ وفيه حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ واليهود فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ» . متفق عليه[٣].

- **السلام عند الدخول وعند الخروج :**

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :« إِذَا انتهى أَحَدُكُمْ إِلَى المُجْلِس فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذا أراد أن يقوم فَلْيُسَلم، فَلَيْسَتِ الأولَى بِأحَقَّ» . أخرجه أبو داود والترمذي بسند حسن[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٣/ ٢١٦٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٥٨)، ومسلم برقم: (٦/ ٢١٦٣) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٥٤)واللفظ له ، ومسلم برقم: (١١٦/ ١٧٩٨).

(٤) حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٢٠٨)، والترمذي برقم: (٢٧٠٦).

- **المصافحة عند السلام :**

عن البرار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « ما مِن مُسلِمَينِ يلتقيانِ ، فيتصافحان، إلا غُفِر لهُما قبلَ أن يَفْتَرِقا » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند حسن[1] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : « قال رجل : يا رسول الله ، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه ، أينحني له ؟ ، قال : لا ، قال : أفيلتزمه ويقبله ؟ ، قال : لا، قال : أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند حسن[2] .

- **متى تكون المصافحة والمعانقة :**

عن أنس ﷺ قال : « كان أصحاب النبي ﷺ إذا تَلاقوا تصَافحوا وإذا قَدموا من سَفرٍ تَعانقوا » . أخرجه الطبراني في الأوسط بسند جيد[3] .

- **صفة رد السلام على الغائب :**

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها : « يَا عَائِشَةُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ، فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، تَرَى مَا لاَ أَرَى » . متفق عليه[4] .

- **ما جاء في القيام للقادم إكرامًا له :**

عن أبي سعيد أن أهل قريظة نزلوا على حكم سعد بن معاذ فأرسل النبي ﷺ إليه فجاء فقال : « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أو خَيْرِكُمْ » . متفق عليه[5] .

---

(١) حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٢١٢)، والترمذي برقم: (٢٧٢٧).

(٢) حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٧٢٨)، وابن ماجة برقم: (٣٧٠٢).

(٣) جيد/ أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: (٩٧) .

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢١٧) واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٠/ ٢٤٤٧).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤١٢١) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٤/ ١٧٦٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قال: « ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا وهديًا ودلًا برسول الله ﷺ من فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها» . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1] .

- **عقوبة من سره أن يتمثل له الرجال قيامًا :**

عن معاويةرضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[2] .

- **التسليم ثلاثًا إذا لم يُسمع سلامه :**

عن أنسرضي الله عنه : « أن النبي ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا ، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا » . أخرجه البخاري[3] .

- **عدم السلام والرد أثناء قضاء الحاجة :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أَنَّ رَجُلًا مَرَّ وَرَسُولُ اللهِ ﷺيَبُولُ ، فَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ » . أخرجه مسلم[4] .

وعن المهاجر بن قنفد رضي الله عنه : « أنه أتى النبي ﷺ وهو يبول فسلم عليه ، فلم يرد عليه حتى توضأ ، ثم اعتذر إليه فقال : إني كرهت أن أذكر الله عز وجل إلا على طهر » . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[1] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٨٧٢)، وأبو داود برقم: (٥٢١٧).
(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٧٥٥)، وأبو داود برقم: (٥٢٢٩).
(٣) أخرجه البخاري برقم: (٩٥).
(٤) أخرجه مسلم برقم: (١١٥/ ٣٧٠).

- **تأنيس القادم وسؤال الغريب عن نفسه ليُعرف فينزل منزلته :**

عن أبي جمرة قال : كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس ، فقال : « إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللهِّ ﷺ قَالَ : «مَنِ الوَفْدُ ؟ » . ، قَالُوا : رَبِيعَةُ ، قَالَ : «مَرْحَبًا بِالوَفْدِ أَوِ القَوْمِ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى » . متفق عليه[٢] .

- **كراهية الابتداء بعليك السلام :**

عن أبي جرير الهجيمي قال : أتيت النبي ﷺ فقلت : عليك السلام يا رسول الله ، قال : « لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[٣] .

- **ما يقول من التحايا بعد السلام ورده :**

عن أم هانئ رضي الله عنها أنها قالت : « ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ عَامَ الْفَتْحِ ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ ، قَالَتْ : فَسَلَّمْتُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قُلْتُ : أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلًا أَجَرْتُهُ ، فُلَانُ ابْنُ هُبَيْرَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ : وَذَلِكَ ضُحًى » . متفق عليه[٤] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (١٧)، والنسائي برقم: (٣٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٦٦) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٤/ ١٧).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٢٠٩)، والترمذي برقم: (٢٧٢١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٧)، ومسلم برقم: (٨٢ / ٣٣٦)واللفظ له.

٢- آداب الأكل والشرب :

المؤمن متعبدٌ بالأكل والشرب .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

والمسلم يختلف في أكله وشربه عن الكافر والمشرك، وكذا يختلف عن الحيوان البهيم، وقد ورد في الأكل والشرب أكثر من ستين سُنة، لابد للمسلم أن يتأدب بها بعد أن يتعرف عليها، ومن ذلك الأكل من الطعام الطيب الحلال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] . وقال الله عز وجل :

وقال الله عز وجل :﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾** ﴾[الأعراف:١٥٧] .

السُنة أن يبدأ الكبير والفاضل بالأكل قبل الناس

عن حذيفة ﷺ قال : « كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠٢/ ٢٠١٧).

- **التسمية على الطعام والأكل مما يليه :**

عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ﷺ ، قَالَ : كُنْتُ غُلامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ ، فَقَالَ لِي : « يَا غُلامُ ، سَمِّ اللهَّ وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ » . متفق عليه[1] .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَوَّلِ طَعَامِهِ فَلْيَقُلْ حِينَ يَذْكُرُ : بِسْمِ اللهَّ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ طَعَامًا جَدِيدًا ، وَيُمْنَعُ الْخَبِيثُ مَا كَانَ يُصِيبُ مِنْهُ » . أخرجه ابن حبان وابن السني بسند صحيح[2] .

- **الأكل والشرب باليمين :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ » . أخرجه مسلم[3] .

- **التنفس عند الشرب خارج الإناء :**

عن أنس ﷺ قال : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا ، وَيَقُولُ : إِنَّهُ أَرْوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ » . متفق عليه[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٣٧٦) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٠٨/ ٢٠٢٢).

(٢) صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم: (٥٢١٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٥/ ٢٠٢٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٣١)، ومسلم برقم: (١٢٣/ ٢٠٢٨)واللفظ له .

- **من شرب فالسنة أن يعطي من على يمينه :**

عن أنس بن مالك ﷺ : « أن النبيَّ ﷺ أُتيَ بلبن قد شِيبَ بماءٍ ، وعن يمينِه أعرابيٌّ ، وعن يساره أبو بكر ، فشَرِبَ ، ثم أعْطَى الأعْرابيَّ وقال : الأيمنَ فالأيمنَ » . متفق عليه[1] .

- **السنة الشرب جالسًا :**

عن أبي سعيد الخدري ﷺ:«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا». أخرجه مسلم[2].

- **جواز الشرب قائمًا :**

عن النزال قال : « أَتَى عَلِيٌّ ﷺ عَلَى بَابِ الرَّحَبَةِ فَشَرِبَ قَائِمًا فَقَالَ : إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَشْرَبَ وَهُوَ قَائِمٌ ، وَإِنِّي « رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا رَأَيْتُمُونِي فَعَلْتُ » . أخرجه البخاري[3] .

- **عدم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة :**

عن حذيفة ﷺ قال : « سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ ، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ » . متفق عليه[4] .

- **كيف يأكل الطعام :**

عن كعب بن مالك ﷺ : قال : « كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ ، وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦١٩)، ومسلم برقم: (١٢٤/ ٢٠٢٩) واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١٢/ ٢٠٢٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٦١٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٢٦)واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤/ ٢٠٦٧).

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ : « أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ ، قَالَ وَقَالَ : إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ ، قَالَ : فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ» . أخرجه مسلم(٢) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : « نهى رسول الله ﷺ أَنْ يَقْرِنَ الرَّجُلُ بَيْنَ التَّمْرَتَيْنِ ، حَتَّى يَسْتَأْذِنَ أَصْحَابَهُ » . متفق عليه(٣) .

وعنه أبي هريرة ﷺ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : لِيَأْكُلْ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيَأْخُذْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيُعْطِ بِيَمِينِهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ ، وَيُعْطِي بِشِمَالِهِ ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ » . أخرجه ابن ماجه بسند صحيح(٤) .

- **مقدار ما يأكل من الطعام :**

قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف:٣١] .

وعَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : « مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ ، مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا ، حَتَّى قُبِضَ » . متفق عليه(٥) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٣٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٣٤/ ٢٠٣٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٨٩)، ومسلم برقم: (١٥١/ ٢٠٤٥)واللفظ له.

(٤) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٣٢٦٦).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٥٤) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠/ ٢٩٧٠).

- **عدم عيب الطعام :**

عن أبي هريرةﷺ : « مَا عَابَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ ، وَإِذَا كَرِهَهُ تَرَكَهُ » . متفق عليه[1] .

- **عدم الإكثار من الأكل :**

قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف:٣١] .

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : « الكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ ، والمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ » . متفق عليه[2] .

- **جواز الشباع أحيانًا :**

عن أبي هريرة ﷺ : « وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَصَابَنِي جَهْدٌ شَدِيدٌ فَلَقِيتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَاسْتَقْرَأْتُهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهَّ فَدَخَلَ دَارَهُ وَفَتَحَهَا عَلَيَّ فَمَشَيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ فَخَرَرْتُ لِوَجْهِي مِنْ الْجَهْدِ وَالْجُوعِ فَإِذَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهَّ وَسَعْدَيْكَ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَقَامَنِي وَعَرَفَ الَّذِي بِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَحْلِهِ فَأَمَرَ لِي بِعُسٍّ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ عُدْ يَا أَبَا هِرِّيرة فَعُدْتُ فَشَرِبْتُ ثُمَّ قَالَ عُدْ فَعُدْتُ فَشَرِبْتُ حَتَّى اسْتَوَى بَطْنِي فَصَارَ كَالْقِدْحِ » . أخرجه البخاري[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٠٩) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٨٧/ ٢٠٦٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٣٩٥)، ومسلم برقم: (١٨٢/ ٢٠٦٠)واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٣٧٥).

- **فضل الإطعام والمواساة فيه :**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَة » . أخرجه مسلم[1] .

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: « أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » . متفق عليه[2] .

وعَنْ أَبِي أَيّوبَ الأَنْصَارِيّ ﷺ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللهّ ﷺ ، إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ ، أَكَلَ مِنْهُ وَبَعَثَ بِفَضْلِهِ إِلَيّ » . أخرجه مسلم[3] .

- **مدح الآكل الطعام الذي يأكل منه :**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : « أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ طَلَبَ وَسَأَلَ أَهْلَهُ الْأُدْمَ ، قَالَوا : مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ ، قَالَ : فَدَعَا بِهِ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ ، وَيَقُولُ : نِعْمَ الْأُدْمُ الخَلُّ نِعْمَ الْأُدْمُ الخَلُّ » . أخرجه مسلم[4] .

- **عدم النفخ في الشراب :**

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال : « نهى رسولُ الله ﷺ عن الشُّربِ مِن ثُلمةِ القَدَحِ وأنْ يُنفَخَ في الشَّرابِ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[5] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧٩/ ٢٠٥٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:(١٢)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٣/ ٣٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٧٠/ ٢٠٥٣) .

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٦٦/ ٢٠٥٢).

(٥) صحيح/ أخرجه داود برقم: (٣٧٢٢)، والترمذي برقم: (١٩٩٦).

- **الساقي آخر القوم شربًا :**

عن أبي قتادة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ وفي أخره فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « أَحْسِنُوا المُلَأَ كُلُّكُمْ سَيَرْوَى. قَالَ: فَفَعَلُوا، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ الله، ﷺ قَالَ: ثُمَّ صَبَّ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ لِي: اشْرَبْ ، فَقُلْتُ: لَا أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ يَا رَسُولَ الله قَالَ: إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا » . أخرجه مسلم(١) .

- **وقت دخول الضيف وخروجه :**

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ ﴾[الأحزاب:٥٣] .

- **إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه :**

قال الله تعالى :﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الذاريات:٢٤-٢٧] .

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكعبي ﷺ أنه رسول الله ﷺ قال: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ» . متفق عليه(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣١١/ ٦٨١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٣٥) واللفظ له ، ومسلم برقم:(١٤/ ٤٨).

- **إكرام الضيف بما يليق بمقامه :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ « خَرَجَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، قَالَ: مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهَّ ، قَالَ: أَمَّا أَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا . فَقَامُوا مَعَهُ ، فَأَتَى رَجُلا مِنَ الأَنْصَارِ ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ المَرْأَةُ قَالَتْ : مَرْحَبًا وَأَهْلا ، فَقَالَ لهَا رَسُولُ اللهَّ ، ﷺ: أَيْنَ فُلانٌ ؟ قَالَتْ : ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ المَاءِ ، إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ، وَصَاحِبَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ للهَّ ، مَا أَحَدُ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي ، فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتمَرٌ وَرُطَبٌ ، فَقَالَ : كُلُوا مِنْ هَذِهِ ، وَأَخَذَ المُدْيَةَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ ، ﷺ : إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ . فَذَبَحَ لهَُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ ، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا ، قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ ، لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ ثُمَّ لمَْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ » . أخرجه مسلم[1] .

- **كيفية جلوس الناس على الطعام :**

قال الله تعالى : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[النور: ٦١] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤٠/٢٠٣٨).

- **هيئة الجلوس للأكل :**

عن أبي جحيفة ﷺ:« قال رسول الله ﷺ: إِنِّي لاَ آكُلُ متكئًا».أخرجه البخاري[1] .

وعن أَنَسُ ﷺ قَالَ : « رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُقْعِيًا يَأْكُلُ تمرًا » . أخرجه مسلم [2] .

وعن عَبْدُ اللهَّ بْنُ بُسْرٍ ﷺ قَالَ : « أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةً فَجَثَى رَسُولُ اللهَّ ﷺ عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَأْكُلُ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ مَا هَذِهِ الجِلْسَةُ فَقَالَ : إِنَّ اللهَّ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا وَلَمْ يجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا » . أخرجه أبو داود وابن ماجة بسند صحيح[3] .

- **صفة أكل المشغول :**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ ، قَالَ : « أُتِيَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ بِتَمْرٍ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُهُ وَهُوَ مُحْتَفِزٌ يَأْكُلُ مِنْهُ أَكْلًا ذَرِيعًا » . وفي رواية « يأكله أكلا حثيثًا ».أخرجه مسلم[4] .

- **إيكاء السقاء و ذكر اسم الله عند النوم :**

عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ ، أَوْ قَالَ : جُنْحُ اللَّيْلِ ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهَّ ، وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهَّ ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهَّ ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهَّ ، وَلَوْ تَعْرُضُ عَلَيْهِ شَيْئًا » . متفق عليه[5] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢١٣٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٤٨/ ٢٠٤٤).

(٣) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٣٢٦٣)، وداود برقم: (٣٧٧٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٤٩/ ٢٠٤٤).

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٨٠) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٩٧/ ٢٠١٢).

- **الأكل مع الخادم :**

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ، أَوْ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ، فَإِنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ وَعِلاَجَهُ » . متفق عليه[1] .

- **تقديم الطعام إذا حضر على الصلاة :**

عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ : « إِذَا حَضَرَ الْعَشَاءُ ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ » . متفق عليه[2] .

- **كيف يأكل من الصحفة :**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَأْكُلْ مِنْ أَعْلَى الصَّحْفَةِ وَلَكِنْ لِيَأْكُلْ مِنْ أَسْفَلِهَا فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَنْزِلُ مِنْ أَعْلَاهَا » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[3] .

- **ما يفعله إذا شرب لبنًا :**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما :« أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَرِبَ لَبَنًا، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ لَهُ دَسَمًا » . متفق عليه[4] .

- **حمد الله على الطعام وبعده :**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٦٠) واللفظ له ، مسلم برقم: (٤٢/ ١٦٦٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٦٥)، ومسلم برقم: (٦٤/ ٥٥٧) واللفظ له .

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٧٧٢)، والترمذي برقم: (١٨٠٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١١)، ومسلم برقم: (٩٥/ ٣٥٨) واللفظ له .

- **ما يقول بعد الفراغ من الطعام :**

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

وعن أبي أُمامة ﷺ قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ : « الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا ».أخرجه البخاري[٢] .

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ وَقَالَ مَرَّةً إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَفَانَا ، وَأَرْوَانَا غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلا مَكْفُورٍ » . أخرجه البخاري[٣] .

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى ، وَسَوَّغَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ مخْرَجًا » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[٤] .

عن عبدالرحمن بن جُبَير أنه حَدَّثَه رجلٌ خَدَمَ النبي ﷺ ثمان سنين، قال: كان النبي ﷺ إذا قُرِّبَ له طعام قال: "بسم الله" فإذا فرغ من طعامه قال: "اللهُمَّ أَطْعَمْتَ وَأَسْقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ، وَأَقْنَيْتَ، وَهَدَيْتَ، وَاجْتَبَيْتَ، فَلَكَ الحَمْدُ على ما أَعْطَيْتَ"أخرجه أحمد بسند صحيح[٥] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨٩/ ٢٧٣٤) .

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥١٤٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٤٥٩).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٥١).

(٥) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٣١/ ٣٠٤ - ١٨٩٧٠).

- **دعَاءُ الضَّيْفِ لأهل الطَّعَامِ . :**

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ ، واغْفِرْ لَهُمْ ، وارْحَمْهُمْ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة ، فجاء بخبز وزيت فأكل ، ثم قال النبي ﷺ : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلّت عليكم الملائكة » . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح[2] .

- **الدعاء لمن سقاه أو إذا أراد ذلك :**

« اللهُمَّ ، أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي ، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤٦/ ٢٠٤٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٥٤)، وابن ماجة برقم: (١٧٤٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٧٤/ ٢٠٥٥).

٣- الخزانة الثالثة

٣- آداب الطريق والسوق .

- **حقوق الطريق :**

قال الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣] .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، قَالَ : فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلا المَجْلِسَ ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، فَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ ؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ » . متفق عليه[١] .

وفي لفظ: « اجْتَنِبُوا مجَالِسَ الصُّعُدَاتِ ، فَقُلْنَا إِنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَاسٍ قَعَدْنَا نَتَذَاكَرُ وَنَتَحَدَّثُ». قَالَ: «إِمَّا لَا فَأَدُّوا حَقَّهَا غَضُّ الْبَصَرِ ، وَرَدُّ السَّلَامِ ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ » . أخرجه مسلم[٢] .

وفي لفظ : « وتغيثوا الملهوف، وتهدوا الضال» . أخرجه أبو داود بسند صحيح[٣] .

- **إماطة الأذى عن الطريق :**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٢٩)، ومسلم برقم: (١١٤/ ٢١٢١) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢/ ٢١٦١).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٨١٧).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ » . متفق عليه[1] .

- **عدم قضاء الحاجة في الطريق :**

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ ، قَالُوا : وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ » . أخرجه مسلم[2] .

- **عدم التفل تجاه القبلة في الطريق وغيره :**

عن حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « من تفل تجاه القبلة ؛ جاء يوم القيامة تفله بين عينيه » . أخرجه ابن خزيمة وأبو داود بسند صحيح[3] .

- **ما يقول عند ركوب الراحلة :**

قال الله تعالى : ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[الزخرف:١٣ -١٤] .

- **مراعاة مصلحة الدواب في السير وعدم النزول ليلًا على الطريق :**

عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رَسُول اللهَّ ﷺ :« إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الخِصْبِ ، فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ، فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٢)، ومسلم برقم: (١٢٩/ ١٩١٤) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٨/ ٢٦٩).

(٣) صحيح/ أخرجه ابن خزيمة برقم: (٩٢٥)، وأبو داود برقم: (٣٨٢٤).

السَّيْرَ، وَإِذَا عَرَّسْتُمْ بِاللَّيْلِ، فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ ، فَإِنَّهَا مَأْوَى الْهَوَامِّ بِاللَّيْلِ» .

أخرجه مسلم[1] .

- **اجتناب مشية الخيلاء :**

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان:١٨-١٩] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » .

متفق عليه[2] .

- **السماحة في البيع والشراء :**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى » . أخرجه البخاري[3] .

- **وفاء الدين إلى حل :**

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ ، وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ » . متفق عليه[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧٨/ ١٩٢٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه ، البخاري برقم: (٥٧٨٩)، ومسلم برقم: (٤٩/ ٢٠٨٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٣٢٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٦٦)، ومسلم برقم: (٣٣/ ١٥٦٤)واللفظ له .

- **إنذار المعسر والتجاوز عنه :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ تجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللهَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ اللهَّ عَنْهُ » . متفق عليه[1] .

- **عدم البيع والشراء في أوقات الصلوات :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة:٩-١٠] .

العدل في جميع الأحوال :

قال الله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المطففين:١ -٦] .

- **تجنب كثرة الحلف في البيع والشراء ونحوها :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ ، مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ » . متفق عليه[2] .

- **اجتناب البيوع والمعاملات والأشياء المحرمة والخبيثة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة:٢٧٥] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠٧٨)واللفظ له، ومسلم برقم: (٣١/ ١٥٦٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٨١)، ومسلم برقم: (١٣١/ ١٦٠٦) واللفظ له .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ ﴾[المائدة:٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾[الأعراف:١٥٧] .

- **عدم الغش والكذب :**

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ : « أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلا ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ ؟ ثُمَّ قَالَ : مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي » . أخرجه مسلم(١) .

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الْبَيعان بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أو قال : حتى يتفرقا ؛ فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا » . متفق عليه(٢) .

- **حكم احتكار السلع :**

عَنْ مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا يحْتَكِرُ إلا خَاطِئٌ » . أخرجه مسلم (١) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠٧٩) واللفظ له ، ومسلم برقم:(٤٧/ ١٥٣٢).

٤ - آداب السفر :

يقلب الله الأحوال على العباد ؛ ليمتثلوا أمر الله في كل حال ، في حال السفر والإقامة وفي حال الصحة والمرض ، وفي حال الأمن والخوف .

- **وللسفر آدابٌ كثيرة منها :**

طلب الوصية من أهل الخير عند السفر، وعن أَبي هُريرةَ ﷺ : « أَنَّ رجلاً قال: يا رسول اللهَّ، إني أُرِيدُ أَن أُسافِر فَأَوْصِنِي، قال: عَلَيْكَ بِتقوى اللهَّ، وَالتَّكبير عَلى كلِّ شَرفٍ فَلَمَّا ولَّي الرجُلُ، قال: اللَّهمَّ اطْوِ لهُ البُعْدَ، وَهَوِّنْ عَليهِ السَّفر ». أخرجه الترمذي ، وابن ماجة بسند حسن[٢] .

- **ما يقوله المقيم للمسافر عند السفر :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يودعنا فيقول : « أَسْتَوْدِعُ اللهَّ دِينَكَ ، وَأَمَانَتَكَ ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ » . أخرجه الترمذي بسند صحيح[٣] .

- **ما يقوله المسافر للمقيم عندما يودعه :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : ودعني رسول الله ﷺ قال : « أستودعك الله الذي لا يضيع ودائعه » . أخرجه أحمد بسند جيد[٤] .

- **السفر مع رفقة صالحين :**

عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال:« مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالجَلِيسِ السَّوْءِ ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يحُذِيَكَ، وَإِمَّا

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٣٠/ ١٦٠٥).

(٢) حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٤٤٥)، وابن ماجة برقم: (٢٧٧١).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٤٤٣).

(٤) جيد/ أخرجه أحمد برقم: (٩٢١٩).

أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» . متفق عليه[1] .

- **عدم السفر وحده إلا لحاجة :**

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ » . أخرجه البخاري[2] .

- **عدم اصطحاب الكلب والجرس في السفر :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : « لا تَصْحَبُ الْمَلائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلا جَرَسٌ » . أخرجه مسلم[3] .

- **إعانة الرفيق في السفر وغيره :**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ ، قَالَ : فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ » . أخرجه مسلم[4] .

- **وقت بدأ السفر :**

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ » . أخرجه البخاري[5]

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٣٤)، ومسلم برقم: (١٤٦/ ٢٦٢٨)واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٨٣٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٣ / ٢١١٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٨/ ١٧٢٨).

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٢٩٥٠).

وفي لفظ « لَقَلَّمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يخْرُجُ إِذَا خَرَجَ فِي سَفَرٍ إِلاَّ يَوْمَ الخَمِيسِ » . أخرجه البخاري[1] .

- **الخروج للسفر بكرة والسير ليلًا :**

عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِي ﷺ عن النبي ﷺ قالَ: « اللّهُمّ بَارِكْ لأمّتِي في بُكُورِهَا وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشاً بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ» .أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[2].

وعن أنس ﷺ قال : قال رسول ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[3] .

- **دعاء الركوب :**

قال الله تعالى : ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الزخرف:١٣ -١٤] .

- **دعاء السفر :**

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : « أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ ، كَبَّرَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لمُنْقَلِبُونَ ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٩٤٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: ٢٦٠٦، وأحمد برقم: ١٥٤٤٣.

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٥٧١)، وأحمد برقم: (١٥١٣٢).

بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ فِي المَالِ وَالْأَهْلِ، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » . أخرجه مسلم[1] .

- **ما يفعله إذا خرج اثنان في سفر :**

عن أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ بعثه ومعاذ بن جبل إلى اليمن فقال : « يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا ، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا » . متفق عليه[2] .

- **ما يفعله إذا خرج ثلاثة فأكثر من سبعة :**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[3] .

- **مراعاة آداب الطريق :**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ ، فقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا لَنَا مِنْ مجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، قَالَ : فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلا المُجْلِسَ ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، فَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ ؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الأَذَى ، وَرَدُّ السَّلامِ ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ » . متفق عليه[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٢٥/ ١٣٤٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٣٨) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦/ ١٧٣٢).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٦٠٨).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٢٩)، ومسلم برقم: (١١٤/ ٢١٢١) واللفظ له.

- **ما يقول المسافر إذا صعد وإذا هبط :**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ رضي الله عنهما قَالَ : « كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا » . أخرجه البخاري[1] .

وعن ابْنِ عُمَر رضي الله عنهما: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَجُيُوشُهُ إِذَا عَلَوْا الثَّنَايَا كَبَّرُوا ، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[2] .

- **ما يفعله المسافر إذا مرّ بديار الظلمة :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما مر بالحجر قال : « لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ » . متفق عليه[3] .

- **كيفية النوم في الطريق ليلًا :**

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ فَعَرَّسَ بِلَيْلٍ ، اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ ، وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ » . [4] .

- **ما يقوله المسافر إذا نزل منزلًا :**

عن خَولَة بنتِ حكيم السلمية رضي الله عنها أنها سمعْتُ رسول اللهَّ ﷺ يقولُ : « مَنْ نَزَلَ مَنزِلاً ثُمَّ قال : أَعُوذُ بِكَلِمات اللهَّ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يضرَّه شَيْءٌ حتَّى يرْتحَِل مِنْ منزِلِهِ ذلكَ » . أخرجه مسلم [1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٨٣٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٥٩٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٨٠) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٩/ ٢٩٨٠).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٣١٣/ ٦٨٣).

- **انتظار من له حاجة :**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ : « خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ، انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْتِمَاسِهِ ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ » . متفق عليه [٢] .

- **ما يقول المسافر إذا أسحر :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَسْحَرَ ، يَقُولُ : سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا ، رَبَّنَا صَاحِبْنَا وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا ، عَائِذًا بِاللهِ مِنَ النَّارِ » . أخرجه مسلم[٣] .

- **ما يقول إذا عثرت دابته :**

عَنْ أَبِي المَلِيحِ ، عَنْ رَجُلٍ ، قَالَ : « كُنْتُ رِدْيفَ الرَسُولِ ﷺ ، فَعَثَرَ بَعِيرُنَا ، فَقُلْتُ : تَعِسَ الشَّيْطَانُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لاَ تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ ، فَإِنَّهُ يَعْظُمُ ، حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الْبَيْتِ ، وَيَقُولُ : بِقُوَّتِي ، وَلَكِنْ قُلْ : بِاسْمِ اللهِ ، فَإِنَّهُ يَصْغُرُ ، حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[٤] .

- **ما يقوله المسافر إذا رأى قرية يريد دخولها :**

عن صهيب رضي الله عنه أن النَّبِيُّ ﷺ لم يرى قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٤/ ٢٧٠٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٧)، ومسلم برقم: (١٠٨/ ٣٦٧) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٦٨/ ٢٧١٨).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٨٢)، وأحمد برقم: (٢٠٨٦٧).

الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، وَمِنْ خَيْرِ أَهْلِهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا ، وَمِنْ شَرِّ أَهْلِهَا، وشر ما فيها » . أخرجه النسائي في الكبرى والطحاوي بسند صحيح[1] .

- **ما يقوله المسافر إذا قفل من سفر الحج وغيره :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن الرَسُولَ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنْ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ ثُمَّ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، آيِبُونَ تَائِبُونَ ، عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » . متفق عليه[2] .

- **العودة إلى أهله إذا قضى حاجته من سفره :**

عن أبي هريرة ﷺ، أن الرسول ﷺ قال: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ» متفق عليه[3].

- **وقت القدوم من السفر :**

عن كعب بن مالك ﷺ : « أن رسول الله ﷺ كَانَ لا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا نَهَارًا فِي الضُّحَى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ فِيْهِ » . متفق عليه[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الطحاوي برقم: (١٧٧٨، ٢٥٢٨)، والنسائي برقم: (٥٤٧).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٨٥) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٢٨/ ١٣٤٤).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٠٤) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٧٩/ ١٩٢٧) .
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٤٠٠)، ومسلم برقم: (٧٤/ ٧١٦) واللفظ له.

وعن أنس ﷺ قال : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لا يَطْرُقُ أَهْلَهُ ، كَانَ لا يَدْخُلُ إِلَّا غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً » . متفق عليه[1] .

- **السنة لمن أراد الدخول ليلاً أن يُعلم أهله :**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « إِذَا دَخَلْتَ لَيْلاً فَلا تَدْخُلْ عَلَى أَهْلِكَ حَتَّى تَسْتَحِدَّ المُغِيبَةُ ، وَتمَتَشِطَ الشَّعِثَةُ » . متفق عليه[2] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٠٠) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٨٠/ ١٩٢٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٤٦)واللفظ له ، ومسلم برقم: (٥٧/ ٧١٥).

٥- آداب النوم والاستيقاظ :

النوم نعمة من نعم الله ﷻ : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الروم:٢٣] .

الإنسان عبدٌ لله ﷻ يتعبد لله في جميع أحواله في كل زمانٍ ومكان .

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣] .

وللنوم والاستيقاظ آدابٌ منها :

- **ماذا يفعل إذا أراد أن يرقد الإنسان :**

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ ، أَوْ : جُنْحُ اللَّيْلِ ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ الله ، وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ الله ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ الله ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ الله ، وَلَوْ تَعْرُضُ عَلَيْهِ شَيْئًا » . متفق عليه[1] .

- **غسل اليد من الدسم قبل النوم :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٨٠) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٩٧/ ٢٠١٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٥٢)، والترمذي برقم: (١٨٦٠).

- **فضل النوم على طهارة :**

عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ قال : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرِ الله طَاهِراً ، فَيَتَعَارُّ مِنْ اللَّيْلِ ، فَيَسْأَلُ اللهَ خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ » . أخرجه أحمد بسند صحيح[1] .

- **نفض الفراش ثلاثاً :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ ، فَإِنَّه لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيه ، ثُمَّ يَقُولُ : بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي ، وبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِه عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ » . متفق عليه[2] .

وفي لفظ : « فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ » . أخرجه البخاري[3] .

- **ما يقرؤه المسلم من القرآن عند النوم :**

عن عائشة رضي الله عنها : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيْهِمَا ، فَقَرَأَ فِيهِمَا : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ » . أخرجه البخاري[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٢٠٤٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٦١) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٤/ ٢٧١٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٩٥٨).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٤٧٣٠).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : « وَكَّلَنِي رَسُولُ الله ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يحْثُو مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ : لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَصَّ الحَدِيثَ فَقَالَ : إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ ، لَمْ يَزَلْ مَعَكَ مِنَ الله حَافِظٌ ، وَلا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ، ذَاكَ شَيْطَانٌ » . أخرجه البخاري معلقاً[1] .

- **التكبير والتسبيح والتحميد عند النوم :**

عن علي ﷺ أن فاطمة رضي الله عنها جاءت تسأل النبي ﷺ خادماً فلم توافقه ، قالت : فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا فقال: « أَلا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، فَكَبِّرَا الله أَرْبَعاً وَثَلاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاثاً وَثَلاثِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ» . متفق عليه[2] .

- **عدم الإكثار من الفُرُش إلا لحاجة :**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: « فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ وَفِرَاشٌ لامْرَأَتِهِ، وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ» . أخرجه مسلم[3] .

- **النوم بعد صلاة العشاء وعدم السمر إلا لحاجة :**

عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها :« كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ؟ قَالَتْ : كَانَ يَنَامُ أَوَّلَهُ، وَيَقُومُ آخِرَهُ، فَيُصَلِّي ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَذَنَ المُؤَذِّنُ وَثَبَ، فَإِنْ كَانَ بِهِ حَاجَةٌ اغْتَسَلَ وَإِلَّا تَوَضَّأَ وَخَرَجَ »متفق عليه[4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢١٨٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١١٣) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٧٢٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٤١/ ٢٠٨٤) .

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٤٦) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧٣٩).

وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ ﷺ : « أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ ، وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا » . متفق عليه[1] .

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْمُرُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فِي الْأَمْرِ مِنْ أَمْرِ المُسْلِمِينَ وَأَنَا مَعَهُمَا » . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[2] .

- **الوضوء ثم النوم على الشق الأيمن :**

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ ، وَقُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيكَ ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، فَإِنْ مِتَّ ، مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ » . متفق عليه[3] .

- **ما يقوله ويفعله عند النوم والاستيقاظ :**

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ : « كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قال : الحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا ، وَكَفَانَا وآوَانَا ، فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلا مُؤْوِيَ » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٨) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٥/ ٦٤٧).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٦٩)، وأحمد برقم: (١٧٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣١١) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٥٦/ ٢٧١٠).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٦٤/ ٢٧١٥).

وقال ﷺ :«اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ». أخرجه مسلم[1].

ثم يضطجع على شقه الأيمن ، ثم يقول : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ ، وَرَبَّ الأَرْضِ ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى ، وَمُنْزِلَ التَّورَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ » . أخرجه مسلم[2] .

أنَّ أبا بَكرٍ الصِّدِّيقَ رَضيَ اللهُ عنهما قال: يا رَسولَ الله، مُرْني بكَلِماتٍ أقولهُنَّ إذا أصبَحتُ، وإذا أمسَيتُ.«قال: قُلِ:اللَّهمَّ فاطِرَ السَّمَواتِ والأرضِ، عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ ومَليكَه، أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا أنتَ، أعوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفْسي ومِن شَرِّ الشَّيطانِ وشِركِه. قال: قُلْها إذا أصبَحتَ وإذا أمسَيتَ وإذا أخَذتَ مَضجَعَكَ» أخرجه أبو داود ، والترمذي، وأحمد .[3] .

وعن البراء بن عازب ﷺ أن النبي ﷺ : « كانَ إذا نامَ وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تحْتَ خَدِّهِ ، وَقَالَ :اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يومَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ». أخرجه أحمد بسند صحيح[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٠/ ٢٧١٢) .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦١/ ٢٧١٣).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٠٦٧) واللفظ له، والترمذي برقم(٣٣٩٢)، وأحمد برقم (٥١) باختلاف يسير.

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٦٥٠٨).

وعن أبي الأزْهَرِ الأنماري ﷺ : « أنَّ رسُول الله ﷺ كَانَ إذا أخَذَ مَضْجَعَهُ منَ الليلِ قالَ : بِاسمِ الله وضَعْتُ جَنْبي اللَّهُمَ اغْفِرْ لِي ذَنبِي ، وَأخْسِئْ شَيْطاني ، وَفُكَّ رِهَاني ، وَاجْعَلني في النَّدِيِّ الأعْلَى » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[1] .

وعن حذيفة ﷺ قال : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيلِ وَضَعَ يَدَه تحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا ، وَإذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ : الحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإلَيهِ النُّشُورُ » . أخرجه البخاري[2] .

- **مسح أثر النوم عن الوجه باليد :**

عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : « أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ ، أُمِّ المُؤْمِنِينَ ، وَهِيَ خَالَتُهُ ، وفيه : اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى » . متفق عليه[3] .

- **ما يقوله ويفعله إذا تقلب ليلاً :**

عن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال : « مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : لا إلَه إلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، الحَمْدُ لله ، وَسُبْحَانَ الله ، وَالله أَكْبَرُ ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِالله ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ ، فَإنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاتُهُ » . أخرجه البخاري[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٠٥٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٣١٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٣)، ومسلم برقم: (١٨٢/ ٧٦٣) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري برقم: (١١٠٣).

٤ - الخزانة الرابعة

٦ - آداب الرؤيا :

- **أقسام الرؤيا :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا المُسْلِمِ تَكْذِبُ وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا وَرُؤْيَا المُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهَّ وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ المَرْءُ نَفْسَهُ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ » . متفق عليه[1] .

- **ما يقولهُ ويفعلهُ إذا رأي في منامهِ ما يُحب أو ما يكره :**

عن أبي قتادة ﷺ قال : « سمعت النبي ﷺ يقول : الرُّؤْيا الحَسَنَةُ مِنَ الله ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ ، فَلا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِالله مِنْ شَرِّهَا ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ ، وَلْيَتْفِلْ ثَلاثاً ، وَلا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَداً ، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ » . متفق عليه[2] .

وعن أبي سعيد ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّهَا مِنَ الله فَلْيَحْمَدِ الله عَلَيْهَا » . أخرجه البخاري[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠١٧) ، ومسلم برقم: (٦/ ٢٢٦٣) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٤) واللفظ له، ومسلم برقم: (٤/ ٢٢٦١).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٥).

وعن جابر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثاً ، وَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاثاً ، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ » . أخرجه مسلم(١) .

وفي لفظ : « فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ » . أخرجه مسلم(٢) .

- **الاستبشار بالرؤيا الصالحة :**

عن أبي هريرة ﷺ عنه قال: « سمعت رسول الله ﷺ يقول: لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا المُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ». أخرجه البخاري(٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سَتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ » . متفق عليه(٤) .

- **رؤية النبي ﷺ في المَنام :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي ، وَمَنْ رآني فِي المَنَامِ فَقَدْ رآني ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ فِي صُوْرَتِي ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . متفق عليه(٥) .

- **عدم الكَذب في حكاية الرؤيا :**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: « مَنْ تحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ ، وَلَنْ يَفْعَلَ ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥/ ٢٢٦٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم : (٦/ ٢٢٦٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٩٩٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٨٣) واللفظ له، ومسلم برقم: (٧/ ٢٢٦٤).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٠) واللفظ له، ومسلم برقم: (٨/ ٢١٣٤).

أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ ، وَكُلِّفَ أنْ يَنْفُخَ فِيهَا ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ » . متفق عليه[1] .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : « إِنَّ مِنْ أفْرَى الفِرَى أنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ » . أخرجه البخاري[2] .

- **عدم الإخبار بتلعُّب الشيطان به في المَنام :**

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله رَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قُطِعَ ، قَالَ : فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ : إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ ، فَلاَ يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٢) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٢١١٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٦٣٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٢٦٨).

٧- آداب الاستئذان :

للاستئذان آداباً ذُكرت في القُرآنِ والسنة ومن ذلِك :

- **آداب دخُول البيوت :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ ﴾ [النور:٢٧-٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦١ ﴾ [النور: ٦١] .

- **كيفية الاستئذان :**

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاثاً فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ » . متفق عليه[1] .

وعن ربعي قال: حدثنا رجل من بني عامر:« أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتٍ فَقَالَ: أَلِجُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِخَادِمِهِ:اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلْ: السَّلامُ عَلَيكُمْ أَأَدْخُلُ؟ فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيكُمْ أَأَدْخُلُ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ» . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٤٥)، ومسلم برقم: (٣٣/ ٢١٥٣) واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه داود برقم: (٥١٧٧)، وأحمد برقم: (٢٣١٧٦).

- **أين يقف من يُريد الاستئذان :**

عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه قال : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلْ البَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الأَيْمَنِ أَوِ الأَيْسَرِ ، وَيَقُولُ : السَّلامُ عَلَيكُم ، السَّلامُ عَلَيكُمْ » . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح[1] .

- **ما يقولهُ المُستأذن إذا سُئل عن اسمهِ :**

عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: « ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، قَالَتْ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ » . متفق عليه[2] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « استأذنت على النبي ﷺ فقال : مَنْ ذَا ؟ ، فقلت : أنا ، فَقَالَ : أَنَا أَنَا ، كأنه كرهها » . متفق عليه[3] .

- **أوقات استئذان المماليك والصِغار :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥١٨٦)، وأحمد برقم: (١٨٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٧) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٨٢ / ٣٣٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٥/ ٢١٥٥).

بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾﴾[النور:٥٨ -٥٩] .

- **عدم نجوى اثنين إلا بإذن الثالث :**

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : « إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَلا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا فَإِنَّ ذَلِكَ يحُزِنُهُ » . متفق عليه[1] .

- **عدم النظر في بيت غيرهِ إلا بإذنهِ :**

عن أبي هريرة ﷺ أن رَسُولَ الله ﷺ قال : « لَوْ أَنَّ رَجُلاً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِحَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ جُنَاحٍ » . متفق عليه[2] .

- **الاستئذان عند الخروج :**

قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾﴾[النور:٦٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٩٠)، ومسلم برقم: (٣٨/ ٢١٨٤) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٨٨)، ومسلم برقم: (٤٤/ ٢١٥٨)واللفظ له.

٨- آداب العطاس والتثاؤب

للعُطاس آدابٌ بينها الشرع في القرآن والسنة ومن ذلك :

- **تشميت العاطس إذا حمِد الله :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الله يحُبُّ العُطَاسَ ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِذَا قَالَ : هَاهْ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ » . أخرجه البخاري[١] .

وعن أبي هريرة ﷺ : « أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ ، قِيلَ : مَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ » . أخرجه مسلم[٢] .

- **كيف يُشمّت العاطس :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ : الحَمْدُ لله ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ : يَرْحَمُكَ الله ، فإِذَا قَالَ لَهُ : يَرْحَمُكَ الله ، فَلْيَقُلْ : يَهْدِيكُمُ الله وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ » . أخرجه البخاري[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم : (٦٢٢٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥/ ٢١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٨٧٠).

- **ما يُقال للكافر إذا عطس :**

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : « كَانَتِ اليَهُودُ تَعَاطَسُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجَاءَ أَنْ يَقُولَ لهَا : يَرْحَمُكُمُ الله ، فَكَانَ يَقُولُ : يَهْدِيكُمُ الله ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[1] .

- **ما يفعل عند العُطاس :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوبَهُ عَلَى فِيهِ وَخَفَضَ أَوْ غَضَّ بِهَا صَوتَهُ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

- **متى يُشمّت العاطس :**

عن أنس بن مالك ﷺ قال:« عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: هَذَا حَمِدَ الله، وَهَذَا لَمْ يَحْمَدِ الله». متفق عليه[3].

- **كم مرة يُشمّت العاطس :**

عن سلمة بن الأكوع ﷺ « أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ الله، ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ الرَّجُلُ مَزْكُومٌ ». أخرجه مسلم[4] .

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُشَمَّتُ العَاطِسُ ثَلاثاً ، فَمَا زَادَ فَهْوَ مَزْكُومٌ » . أخرجه ابن ماجه[1] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٠٣٨)، والترمذي برقم: (٢٧٣٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٠٢٩)، والترمذي برقم: (٢٧٤٥) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٢١) واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٣/ ٢٩٩١).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٩٩٣).

- **ما يفعلهُ الإنسان عند التثاؤب :**

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ » . متفق عليه[٢] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ » . أخرجه مسلم[٣] .

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٣٧١٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١١٥)، ومسلم برقم: (٥٦/ ٢٩٩٤) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم: ٥٧/ ٢٩٩٥.

٩- آدابُ عيادة المريض :

لعيادة المريض آدابٌ كثيرة بينها النبي ﷺ ومن ذلك :

- **فضلُ عيادة المريض :**

عن ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ » . أخرجه مسلم[١] .

- **حُكم عيادة المرض :**

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِسَبْعٍ ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ ، أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ ، وَعِيَادَةِ المَرِيضِ ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي ، وَنَصْرِ المَظْلُومِ ، وَإِبْرَارِ القَسَمِ ، وَرَدِّ السَّلامِ ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ ، وَنَهَانَا عَنْ آنِيَةِ الفِضَّةِ ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ، وَالحَرِيرِ، وَالدِّيْبَاجِ، وَالقَسِّيِّ ، وَالاسْتَبْرَقِ » . متفق عليه[٢] .

- **ما يقولهُ إذا رأي صاحبَ بلاء :**

عن ابن عم رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ رَأَى مُبْتَلىً فَقَالَ : الحَمْدُ لله الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلاءُ » . أخرجه الطبرانيُ في الأوسط بسندٍ صحيح[٣] .

- **أين يقُعد العائد :**

عن أنس رضي الله عنه قال: « كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٠/ ٢٥٦٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٢٢)، ومسلم برقم: (٣/ ٢٠٦٦)واللفظ له.

(٣) صحيح/ أخرجه الطبراني برقم:(١/ ٢٩٠).

أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ » . أخرجه البخاري[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا عَادَ المرِيضَ جَلَسَ عِنْدَ رَأسِهِ » . أخرجه البخاري في الأدب المفرد بسندٍ صحيح[2] .

- **ما يدعو به المريض عند عيادتهِ :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ : أَسْأَلُ الله العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلَّا عَافَاهُ الله مِنْ ذَلِكَ المرَضِ » . أخرجه أبو داود والترمذيُ بسندٍ صحيح[3] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ: أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا، فَلَمَّا مَرِضَ رَسُولُ الله ﷺ وَثَقُلَ أَخَذْتُ بِيَدِهِ لِأَصْنَعَ بِهِ نَحْوَ مَا كَانَ يَصْنَعُ، فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي ثُمَّ قَالَ =: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى». متفق عليه[4].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُوْدُهُ قَالَ : لا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ الله » . أخرجه البخاري[5] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٣٥٦).

(٢) صحيح/ وأخرجه البخاري برقم: (٥٣٦).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٠٨٣)، وأبو داود برقم: (٣١٠٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٧٥)، ومسلم برقم: (٤٦/ ٢١٩١) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٢٠).

- **عيادة النساء للرجالِ عند أمن الفتنه :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « لمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينَةَ وُعِكَ أَبُوبَكْرٍ وَبِلالٌ رضي الله عنها قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَيْفَ تجِدُكَ ؟ وَيَا بِلالُ كَيْفَ تجِدُكَ؟ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجِئْتُ إلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلَينَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، اللَّهُمَّ وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالجُحْفَةِ » . متفق عليه[1] .

- **عيادة المُشرك :**

عن أنس رضي الله عنه قال : « كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يخْدِمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ : (أَسْلِم) فَنَظَرَ إلَى أَبِيْهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ : أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ » . أخرجه البخاري[2] .

- **النفثُ علي المريض :**

عن عائشة رضي الله عنها : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي المَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالمُعَوِّذَاتِ ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا » . متفق عليه[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٧٧) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٣٧٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٣٥٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٣٥)واللفظ له ، ومسلم برقم: (٥٠/ ٢١٩٢).

- **إرشاد المريض إلي ما ينفعهُ :**

عن عثمان بن أبي العاص الثقفيﷺ : « أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَجَعاً يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ : بِاسْمِ الله ثَلاثاً ، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِالله وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ » . أخرجه مسلم(١) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:«الشِّفَاءُ فِي ثَلاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأنهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ».متفق عليه(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ فِي الحَبَّةِ السَّوداءِ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ » . متفق عليه(٣) .

- **ما يُقالُ من الدُعاء عند المريض والميت :**

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا حَضَرْتُمُ المرِيضَ أَوِ الميِّتَ فَقُولُوا خَيراً ، فَإِنَّ الملائكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ، قَالَتْ : فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَة أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ . قَالَ : قُولِي : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً قَالَتْ : فَقُلْتُ . فَأَعْقَبَنِيَ الله مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ محُمَّداً ﷺ » . أخرجه مسلم(٤) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٧/ ٢٢٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٨١) واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١/ ٢٢٠٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٣٦٤)، ومسلم برقم: (٨٨/ ٢٢١٥)واللفظ له .

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٦/ ٩١٩).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: « دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ وَفِيهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ » . أخرجه مسلم[1] .

- **تقبيلُ الميت :**

عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنها:« أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ قَبَّلَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مَيِّتٌ » . أخرجه البخاري[2] .

- **صفة رُقية المريض :**

عن أبي سعيد الخدري ﷺ : « أَنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ كَانُوا فِي سَفَرٍ فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ ، فَقَالُوا لَهُمْ : هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ ، فَإِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ لَدِيغٌ أَوْ مُصَابٌ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : نَعَمْ ، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ الرَّجُلُ ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَقَالَ : حَتَّى أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله وَالله مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ، فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ، ثُمَّ قَالَ : خُذُوا مِنْهُمْ وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ » . متفق عليه[3] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧/ ٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٧٠٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٤٩)، ومسلم برقم: (٦٥/ ٢٢٠١)واللفظ له.

وعن عائشة رضي الله عنها : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ اليُمْنَى وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ ، أَذْهِبِ البَأْسَ ، وَاشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَماً » . متفق عليه[1] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ فِي الرُّقْيَةِ: « بِاسْمِ الله تُرْبَةُ أَرْضِنَا، وَرِيقَةُ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا » . متفق عليه[2] .

فيُأخذ بسبابتهِ من ريق نفسهِ ثُم يضُعها علي إصبعهِ ثُم يضُعها على التراب، ويمسح بما علق بها على موضع الجُرح أو العلة، ويقول هذا الدعاء أثناء المسح .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه « أَنَّ جِبريلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا محُمَّدُ اشْتَكَيتَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، قَالَ: بِاسْمِ الله أَرْقِيكَ ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ ، أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ ، الله يَشْفِيكَ ، بِاسْمِ الله أَرْقِيكَ » . أخرجه مسلم[3] .

- **ما يفعلهُ المُسلم إذا وقع الطاعون في بلد :**

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : « الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ » . متفق عليه[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٤٣) واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٨/ ٢١٩١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٤٦)واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٤/ ٢١٩٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٤٠/ ٢١٨٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٢/ ٢٢١٨)واللفظ له.

- **تكرار عيادة المريض :**

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : « أُصِيبَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ يَوْمَ الخَنْدَقِ فِي الْأَكْحَلِ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْمَةً فِي المَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ » .

متفق عليه[1] .

- **عيادة المُغمي عليه :**

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمَّ وَأَبُو بَكْرٍ يَعُودَانِي مَاشِيَيْنِ فَأُغْمِيَ عَلَيَّ ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ علي ، فَأَفَقْتُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ المِيرَاثِ » . متفق عليه[2] .

- **عدم إعطاء المريض ما يكرههُ إلا بإذنهُ :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « لَدَدْنَا رَسُولَ الله ﷺ فِي مَرَضِهِ ، فَأَشَارَ أَنْ لَا تَلُدُّونِي ، فَقُلْنَا : كَرَاهِيَةَ المَرِيضِ لِلدَّوَاءِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا لُدَّ ، غَيْرُ الْعَبَّاسِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ » . متفق عليه[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٥١) واللفظ له، ومسلم برقم: (٥/ ١٦١٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٧٣٠٩، ومسلم برقم: ٥/ ١٦١٦ واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٦٨٨٦، ومسلم برقم: ٨٥/ ٢٢١٣ واللفظ له.

٥- الخزانة الخامسة

١٠- آداب اللباس والزينة :

- **فوائد اللِباس ، اللِباس له فائدتان :**

الأولي : الزينةُ وسَتر العورة ، كما قال سُبْحَانَهُ : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾[الأعراف:٢٦] .

الثانية : الوقاية مما يضُر كما قال سُبْحَانَهُ : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١ ﴾[النحل:٨١] .

- **آثرُ اللِباس :**

اللباس قِسمان :

لباسُ للقلب .. لباسُ للبدن .

وأفضلهُما وأعلاهُما لباسُ القلب : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾[الأعراف:٢٦] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : « كَان أَحَبُّ الثِّيَابِ إلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَلْبسَهَا الحِبَرَةُ » . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨١٣) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٣/ ٢٠٧٩).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: « قال رسول الله ﷺ: البِسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ البَيَاضَ فَإنَّهَا خَيْرُ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوتَاكُمْ». أخرجه أبو داود وابن ماجه بسندٍ صحيح(١) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « كَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إلَى رَسُولِ الله ﷺ القَمِيصَ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح(٢) .

- **موضع الإزار للرجال والنساء :**

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : « قال رسول الله ﷺ : إزْرَةُ المُسْلِمِ إلَى نِصْفِ السَّاقِ ، وَلا حَرَجَ أَوْ لا جُنَاحَ فِيْمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَعْبَيْنِ ، مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، مَنْ جَرَّ إزَارَهُ بَطَراً لَمْ يَنْظُرِ الله إلَيهِ » . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسندٍ صحيح(٣) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ جَرَّ ثَوبَهُ خُيلاءَ لَمْ يَنْظُرِ الله إلَيهِ يَومَ القِيَامَةِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ قَالَ : يُرخِينَ شِبْرًا ، فَقَالَتْ : إذاً تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ ، قَالَ : فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعاً لا يَزِدْنَ عَلَيهِ » . أخرجه الترمذي والنسائي بسندٍ صحيح(٤) .

- **عدمُ الإسبال للرجال :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإزَارِ فَفِي النَّارِ » . أخرجه البخاري(٥) .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٧٨)، وابن ماجة برقم: (٣٥٦٧).
(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٧٦٢)، وأبو داود برقم: (٤٠٢٥).
(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٠٩٣)، وابن ماجة برقم: (٣٥٧٣).
(٤) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٧٣١)، والنسائي برقم: (٥٣٣٦).
(٥) أخرجه البخاري برقم: (٥٤٥٠).

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال : « ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ الله يَومَ القِيَامَةِ وَلا يَنْظُرُ إلَيهِمْ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلهَُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلاثَ مِرَارٍ ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : المُسْبِلُ وَالمَنَّانُ وَالمُنَفِّقُ سِلعَتَهُ بِالحَلَفِ الكَاذِبِ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « الإسْبَالُ فِي الإزَارِ وَالقَمِيصِ وَالعِمَامَةِ مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيئاً خُيَلاءَ لمَْ يَنْظُرِ الله إلَيهِ يَومَ القِيَامَةِ » . أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[2] .

- **المنهي عنهُ من اللِباس والفُرش :**

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ فَإنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لمَْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ » . متفق عليه[3] .

وعن البراء ﷺ قال : « أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ : عِيادَةِ المَرِيضِ ، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ ، وَنَهَانَا عَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَالقَسِّيِّ وَالاسْتَبْرَقِ وَالمَيَاثِرِ الحُمْرِ » . متفق عليه[4] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ مِنْ سَفَرٍ ، وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ لِي عَلَى سَهْوَةٍ لِي فِيهَا تمَاثِيلُ ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ هَتَكَهُ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧١/ ١٠٦).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٠٩٤)، والنسائي برقم: (٥٣٣٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٣٣) ، و مسلم برقم: (١١/ ٢٠٦٩) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٨٩) واللفظ له، ومسلم برقم: (٣/ ٢٠٦٦).

وَقَالَ : أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ ، قَالَتْ : فَجَعَلْنَاهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ » . رواه البخاري[1] .

وعن حذيفة ﷺ قال: نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيهِ» . أخرجه البخاري[2] .

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيبُ إِلَّا نَقَضَهُ » . أخرجه البخاري[3] .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ ، وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » . أخرجه مسلم[4] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : « رَأَى رَسُولُ الله ﷺ عَلَيَّ ثَوبَينِ مُعَصْفَرَينِ فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلا تَلْبَسْهَا » . أخرجه مسلم[5] .

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول ﷺ قال: « حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي وَأُحِلَّ لإِنَاثِهِمْ». أخرجه الترمذي والنسائي بسندٍ صحيح[6].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٢٩٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٠٨).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٢٥/ ٢١٢٨).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٢٧/ ٢٠٧٧).

(٦) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٧٢٠)، والنسائي برقم: (٥١٤٨).

وعن خالد قال : « وَفَدَ المِقْدَامُ بْنُ مَعْدِ يكَرِبَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ : أَنْشُدُكَ بِالله ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَى عَنْ لُبُوسِ جُلُودِ السِّبَاعِ وَالرُّكُوبِ عَلَيْهَا قَالَ : نَعَمْ » . أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح(١) .

وعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : « مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللهُّ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَ أُلهِبَ فِيهِ نارَ » . أخرجهُ أبو داود وابن ماجه بسندٍ حسن(٢) .

- **المنهي عنهُ من هيئات المشي واللِباس :**

قال الله تعالي : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان:١٨ -٢٠] .

وقال الله تعالي عن النساء : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ لِبْسَتَيْنِ : أَنْ يحْتَبِيَ الرَّجُلُ فِي الثَّوبِ الوَاحِدِ لَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَأَنْ يَشْتَمِلَ بِالثَّوبِ الوَاحِدِ لَيْسَ عَلَى أَحَدِ شِقَّيهِ » . أخرجه البخاري(٣) .

---

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٤٢٥٥)، وأبو داود برقم: (٤١٣١).

(٢) حسن/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٣٦٠٧)، وأبو داود برقم: (٤٠٢٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٨٢١).

المنهي عنة من هيئات المشي واللباس :

عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ : قال النَّبِيُّ ﷺ:« بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ». متفق عليه[1] .

وعن ابن عباسٍ ﷺ قال : « لعنَ رسول الله ﷺ لعن اللهُ المتشبهين بالنساءِ من الرجالِ والمتشبهاتِ من النساءِ بالرجالِ. » . أخرجه البخاري[2] .

وعن بن عمر رضي الله عنهما قال : قال النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » . أخرجهُ أحمد وأبو داود بسندٍ حسن[3] .

- **عدم تبرج النساء باللباس والزينة :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾ [الأحزاب:٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ ﴾[النور: ٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ ﴾[النور:٦٠] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٨٩) واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٩/ ٢٠٨٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٨٨٥).

(٣) حسن/ أخرجه أحمد برقم: (٥١١٤)، وأبو داود برقم: (٤٠٣١).

- **الاهتمام بالزينة والنظافة :**

عَنْ أَبي الأَحْوَصِ عَنْ أَبيهِ قَالَ : « أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي ثوْبٍ دُونٍ فَقَالَ : « أَلَكَ مَالٌ ؟ » . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : « مِنْ أَيِّ المَالِ ؟ » . . قَالَ : قَدْ آتَانِي اللهُ مِنَ الإبلِ وَالغَنَمِ وَالخَيْلِ وَالرَّقِيقِ . قَالَ : « فَإِذا آتَاكَ اللهُ مَالاً فَلْيُرَ أَثرُ نِعْمَةِ الله عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ » . أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[1] .

وَعَنْ جَابرِ بن عبد الله ﷺ قَالَ : « أَتَانَا رَسُولُ فَرَأَى رَجُلاً شَعِثاً قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ : أَمَا كَانَ يجِدُ هَذا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ ، وَرَأَى رَجُلاً آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ : أَمَا كَانَ هَذا يجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثوْبَهُ » . أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[2] .

- **تغطية الرأس :**

عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ ﷺ قال : « كَأنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ ، قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ » . أخرجه مسلم[3] .

- **ما يقوله إذا لبس ثوباً جديداً ونحوه :**

عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ ﷺ إِذا اسْتَجَدَّ ثوْباً سَمَّاهُ باسْمِهِ إِمَّا قَمِيصاً أَوْ عِمَامَةً ثمَّ يَقُولُ : اللَّهمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ وَأَعُوذ بكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ . قَالَ أَبُو نَضْرَةَ

---

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٥٢٢٤)، وأبو داود برقم: (٤٠٦٣).

(٢) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٥٢٣٦)، وأبو داود برقم: (٤٠٦٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٤٥٣/ ١٣٥٩).

فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذا لَبسَ أَحَدُهُمْ ثوْباً جَدِيداً قِيلَ لَهُ : تُبْلَى وَيخْلِفُ اللهُ تَعَالَى » . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[1] .

- **ما يدعى به لمن لبس ثوباً جديداً :**

عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْت خَالِدٍ قَالَتْ : « أتيَ رَسُولُ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ ، قال : مَنْ تَرَوْنَ نَكْسُوهَا هَذِهِ الخَمِيصَةَ ، فَأَسْكِتَ القَوْمُ ، قال : ائْتُونِي بأُمِّ خَالِدٍ فأُتِيَ بِي النَّبِيُّ ﷺ فَأَلْبَسَنِيهَا بِيَدِهِ ، وَقَالَ : أَبْلِي وَأَخْلِقِي ، مَرَّتَيْنِ » . أخرجه البخاري[2] .

- **كيفية لبس النعلين :**

وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : « إِذَا انْتَعَلَ أحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِاليَمِينِ ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ ، لِيَكُنِ اليُمْنَى أوَّلهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ » . متفق عليه[3] .

- **ما ورد في خواتيم الرجال وأين تلبس :**

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « أَنَّهُ نهَى عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ » . متفق عليه[4] .

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : « أَنّ النَّبِيُّ ﷺ كان خَاتمَه من فِضّةٍ ، وكان فَصّه منه » . أخرجه البخاري[5] .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : « أَنّ الرَسُولَ ﷺ لَبِسَ خَاتَمَ فِضّةٍ فِي يَمِينِهِ ، فِيهِ فَصٌ حَبَشِيّ ، كَانَ يجْعَلُ فَصّهُ مِمّا يَلِي كَفّهُ » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٧٦٧)، وأبو داود برقم: (٤٠٢٢).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٩٠٦).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٥٥) واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٧/ ٢٠٩٧).
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٦٤)، ومسلم برقم: (٥١/ ٢٠٨٩) واللفظ له.
(٥) أخرجه البخاري برقم: (٥٥٣٢).

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قال : « صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَماً فقَالَ : إِنَّا اتَّخَذْنَا خَاتَماً وَنَقَشْنَا فِيهِ نَقْشاً، فَلَا يَنْقُشَنَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ، قَالَ: فَإِنِّي لَأَرَى بَرِيقَهُ فِي خِنْصَرِهِ» . أخرجه البخاري[٢] .

- **ما يباح للنساء لبسه من الذهب :**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : « شَهِدْتُ العِيدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَصَلَّى قَبْلَ الخُطْبَةِ : فَأَتَى النِّسَاءَ ، فَجَعَلْنَ يُلْقِينَ الفَتَخَ وَالخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلالٍ » . متفق عليه[٣] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : « أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلادَةً فَهَلَكَتْ ، فَبَعَثَ رَسُولُ ﷺ رَجُلًا فَوَجَدَهَا ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلاةُ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ ، فَصَلَّوْا ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ » . متفقٌ عليه[٤] .

- **التواضع في اللباس والفرش :**

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قال : « أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً وَإِزَاراً غَلِيظاً ، فَقَالَتْ : قُبِضَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَيْنِ » . متفق عليه[٥] .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :« نَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُول اللهَّ ﷺ الَّذِي يَنَامَ عَلَيهِ أُدُم مِنْ حَشْوهُ لِيف » . أخرجه مسلم[٦] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٢/ ٢٠٩٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٨٧٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٨٠) واللفظ له، ومسلم برقم: (١/ ٨٨٤).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٩/ ٣٦٧).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨١٨)واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٤/ ٢٠٨٠).

(٦) أخرجه مسلم برقم: (٣٨/ ٢٠٨٢).

٦- الخزانة السادسة

١١- آداب اللقـاء :

من آداب اللقاء البدء بالسلام :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « حَقّ المُسْلِم عَلَىَ المُسْلِم سِتّ ، قِيلَ : مَا هُنّ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِد اللهَ فَشمّتْهُ ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتّبِعْهُ » . أخرجه مسلم[١] .

وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : « لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا ، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ » . أخرجه مسلم[٢] .

- **المصافحة عند اللقاء :**

عَنْ البَرَاءِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا » . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[٣] .

- **عدم مصافحة المرأة التي لا تحل له :**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ فِي قِصَّةِ بَيْعَةِ النِّسَاءِ : « لا وَالله مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ الله ﷺ يَدَ امْرَأةٍ قَطُّ » . متفق عليه[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥/ ٢١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٩٣/ ٥٤).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٧٢٧)، وأبو داود برقم: (٥٢١٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٨٨) ، ومسلم برقم: (٨٨/ ١٨٦٦) واللفظ له.

وَعَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتَ رُقَيْقَةَ رضي الله عنها قَالتْ : « بَايَعْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي نِسْوَةٍ ؛ فَلَقَّنَنَا فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ ، قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، بَايِعْنَا ؟ قَالَ : إِنِّي لاَ أُصَافِحُ النِّسَاءَ ، إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ » . أخرجه أحمد والنسائي بسندٍ صحيح(١) .

- **عدم النظر إلى المرأة التي لا تحل له :**

قال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[النور:٣٠] .

وَعَن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : « كَانَ الفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ الله ﷺ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ تَسْتَفْتِيهِ، فَجَعَلَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الفَضْل إِلَى الشِّقِّ الآْخَرِ » . متفق عليه(٢) .

- **عدم نظر المرأة إلى الرجال الأجانب :**

قال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ﴾[النور: ٣١] .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ وَعِنْدَهُ مَيْمُونَةُ ، فَأَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُوم وَذلِكَ بَعْدَ أَنْ أُمِرْنَا بالحِجَاب فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : احْتَجِبَا مِنْهُ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله أَلَيْسَ أَعْمَى لاَ يُبْصِرُنَا وَلاَ يَعْرِفُنَا ؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ ». أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح(٣) .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٧٠٠٦)، والنسائي برقم: (٤١٨١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٥٥)، ومسلم برقم: (٤٠٧/ ١٣٣٤) واللفظ له.

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤١١٢)، والترمذي برقم: (٢٧٧٨).

- **عدم الخلوة بالمرأة التى لا تحل له :**

عَنِ ابْنِ عَبَّاس ﷺ قال : « سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يخْطُبُ ويَقُولُ : لا يخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأةٍ إلا وَمَعَهَا ذُو محرَم ، وَلا تُسَافِرِ المَرْأةُ إلا مَعَ ذِي محرَم ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ! إنَّ امْرَأتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً ، وَإنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا ، قال : انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأتِكَ » . متفق عليه[1] .

وَعَنْ عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب ﷺ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « لاَ يخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ ، فَإنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا » . أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

- **القيام للقادم إكراماً له :**

عَنْ أبى سَعِيدٍ الخُدْرِيّ ﷺ قَالَ:« نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْضةَ عَلَى حُكْم سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ إلَى سَعْدٍ فَأَتَاهُ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمّا دَنَا قَرِيباً مِنَ المَسْجِدِ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلأَنْصَارِ: قُومُوا إلَى سَيّدِكُمْ، أَوْ خَيْرِكُمْ». متفق عليه[3].

- **عدم الانحناء أو السجود عند اللقاء :**

عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ : « قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ الله الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِى لَهُ ؟ قَالَ ﷺ : لاَ ، قَالَ : أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبلُهُ ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : فَيَأْخُذ بيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ ». أخرجه الترمذي وابن ماجه بسندٍ حسن[4] .

- **طلاقة الوجه عند اللقاء :**

عَنْ أَبِى ذَرٍّ ﷺ قَالَ : قَالَ لىَ النَّبِىُّ ﷺ : « لاَ تحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٥)واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٢٤/ ١٣٤١).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١١٤)، والترمذي برقم: (٢٤١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٨٧٨)، ومسلم برقم: (٦٤/ ١٧٦٨) واللفظ له.

(٤) حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٧٢٨) ، وابن ماجة برقم: (٣٧٠٢).

١٢- آداب الزيارة :

فضل الزيارة في الله :

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : « أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ؟ قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ » . أخرجه مسلم[٢] .

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول« قال الله ﷻ : وَجَبَتْ محبتي لِلْمُتَحَابِّينَ فيَّ، وَالمُتَجَالِسِينَ فيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فيَّ» . أخرجه مالك وأحمد بسندٍ صحيح[٣] .

- **الإكثار من الزيارة لأهل الخير :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: « لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْهِمَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً » . أخرجه البخاري[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤٤/ ٢٦٢٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٨/ ٢٥٦٧).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٢٠٨٣ ، ٢٢١١٧)، ومالك برقم: (١٦).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٤٧٦).

- **الطلب إلى العلماء وأهل الخير ، الإكثار من الزيارة :**

عن بن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل : « مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا ؟ فَنَزَلَتْ : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾[مريم:٦٤] . » .

أخرجه البخاري[1] .

- **لا يؤم الزائر صاحب الدار ولا يجلس علي فراشه إلا بإذنه :**

عن أبي مسعود الأنصار رضي الله عنها رضي الله عنها ي ﷺ قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهَّ وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءةً فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا وَلَا تَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ ، وَلَا تجَلِسْ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا أَن يَأْذَن لَك ، أَو بِإِذْنِهِ » . أخرجه مسلم[2] .

- **احتفاء صاحب المنزل بمن زاره :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الذاريات:٢٤-٢٧] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٤٥٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٠/ ٦٧٣).

أن يطعم الزائر مما يقدم له من طعامٍ أو شراب :

عن أنس بن مالك ﷺ : « أن رسول الله ﷺ زَارَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَطَعِمَ عِنْدَهُمْ طَعَامًا ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يخْرُجَ ، أَمَرَ بِمَكَانٍ مِنَ البَيْتِ فَنُضِحَ لَهُ عَلَى بِسَاطٍ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَعَا لهُمْ » . أخرجه البخاري[1] .

- **التعرير أو القيام لصاحب المنزل إذا طال الزوار الجلوس :**

عن أنس بن مالك ﷺقال : « لمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ ، دَعَا القَوْمَ فَطَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ ، وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ ، فَلَمْ يَقُومُوا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ ، وَقَعَدَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَدْخُلَ فَإِذَا القَوْمُ جُلُوسٌ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا ، فَانْطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا ، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ » . متفق عليه[2] .

- **زيارة العالم والكبير لوجهاء القوم :**

عن عائشة رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ قالت : « لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْهِمَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهَّ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً » . أخرجه البخاري[3] .

وعن أسامة بن زيد ﷺ:«أن النبي ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ، عَلَى إِكَافٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ».

متفق عليه[1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٧٣٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٩١) واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٢/ ١٤٢٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٤٧٦).

- **زيارة العالم والكبير بيوت الفقراء :**

عن أنس بن مالك ﷺ : « أن رسول الله ﷺ زَارَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَطَعِمَ عِنْدَهُمْ طَعَامًا ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يخْرُجَ ، أَمَرَ بِمَكَانٍ مِنَ البَيْتِ فَنُضِحَ لَهُ عَلَى بِسَاطٍ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَعَا لهُمْ » . أخرجه البخاري[٢] .

وعن أنس بن مالك ﷺ : « أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ له ، فَأَكَلَ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : قُومُوا فَلأُصَلِّ بِكُمْ ، فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفَفْتُ وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ ، وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ » . متفق عليه[٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٦٣)واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٧٩٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٧٣٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٨٠)، ومسلم برقم: (٢٦٦/ ٦٥٨) واللفظ له.

١٣- آداب الضيافة :

- **فضل الضيافة :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال الرسول ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصمُتْ » . متفق عليه[١] .

- **إكرام الضيوف من سنن المرسلين**

قال الله تَعَالَى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الذاريات:٢٤-٢٧] .

وعن ابن عباس ﷺ قَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ ».متفق عليه[٢].

- **حُكم الضيافة :**

عن أبي هريرة ﷺ عن الرسول ﷺ قال : « ومَن كانَ يؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فلْيَقُل خَيرًا أو لِيَصْمُت ومَن كانَ يؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكرِم جَارَه ومَن كَانَ يؤمنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكرِم ضَيْفَهُ » . متفق عليه[٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٨)واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧٤/ ٤٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٥٠/ ٢٣٠٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٨) ، ومسلم برقم: (٧٤/ ٤٧) واللفظ له.

وعن عقبة بن عامر ﷺ أنه قال: «إنك تبعثنا فننْزِل بقومٍ فلا يُقْرُوننا أيْ يُضيِّفوننا ، فما ترى؟ فقال لنا رسول الله: إنْ نزلتم بقومٍ فأمَرُوا لكم بما ينبغي للضيف فاقْبَلوا، فإن لمَ يفعلوا فَخُذوا منهم حقَّ الضيف الذي ينبغي لهم» . متفق عليه[1] .

- **الترحيب بالضيوف والثناء عليهم بما فيهم :**

وعن ابن عباس ﷺ « قَالَ إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لمّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : مَنِ الْقَوْمُ أَوْ مَنِ الْوَفْدُ قَالُوا: رَبِيعَةَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزايا وَلاَ نَدَامَى» . متفق عليه[2] .

- **المبادرة في إكرام الضيف :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الذاريات:٢٤-٢٧] .

وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: « خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَقَالَ مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ مَرْحَبًا وَأَهْلا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالَتْ ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنْ الْمَاءِ ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٣٧)، ومسلم برقم: (١٧/ ١٧٢٧) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٦٦)واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٤/ ١٧).

الحَمْدُ للهَّ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي ، قَالَ فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتمَرٌ وَرُطَبٌ ، فَقَالَ كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ المُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ؛ فَذَبَحَ لهَُمْ فَأَكَلُوا مِنْ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ ، وَشَرِبُوا فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الجُوعُ ، ثُمَّ لمَْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ » . أخرجه مسلم(١) .

- **إكرام الضيف بما تيسر :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾[هود:٦٩] .

وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ : « أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَصَابَنِي الجَهْدُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يجَِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا ، فَقَالَ : أَلا رَجُلٌ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ ؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَالَ لأَهْلِهِ : ضَيْفُ رَسُولِ اللهَّ ﷺ لا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا ، فَقَالَتْ : وَاللهَّ مَا عِنْدِي إِلا قُوتُ الصِّبْيَةِ ، قَالَ : فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ فَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ ، فَفَعَلَتْ ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ ، فَقَالَ : لَقَدْ عَجِبَ اللهُّ أَوْ ضَحِكَ اللهُّ مِنْ فُلانٍ وَفُلانَةَ ، فَأَنْزَلَ اللهُّ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[سورة الحشر:٩] » . متفق عليه(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤٠/ ٢٠٣٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٨٨٩) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٢/ ٢٠٥٤).

- **ما يقول له للضيف إذا تبعه من لم يُدعى :**

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ:« كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو شُعَيْبٍ، وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ لحَّامٌ، فَرَأَى رَسُولَ الله ﷺ فَعَرَفَ فِي وَجْهِهِ الْجُوعَ، فَقَالَ لِغُلَامِهِ: وَيحْكَ، اصْنَعْ لَنَا طَعَامًا لِخَمْسَةِ نَفَرٍ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ قَالَ: فَصَنَعَ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَدَعَاهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ وَاتَّبَعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ، قَالَ: لَا، بَلْ آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ الله » . أخرجه البخاري[1] .

- **أين يجلس الضيف :**

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ : قال الرسول ﷺ : « لا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ ، وَلا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلا بِإِذْنِهِ ». أخرجه مسلم [2] .

- **توقير العلماء والكبار :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[المجادلة:١١] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ ، فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا ، فَقِيلَ لِي : كَبِّرْ ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٤٣٤)، ومسلم برقم: (١٣٨/ ٢٠٣٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٠/ ٦٧٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٩/ ٢٢٧١).

- **تقديم الأكبر ثم من على يمين الأكبر :**

عنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ « أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ يَا غُلامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ قَالَ مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللهِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ» . متفق عليه[1] .

وعن أنس ﷺ قَالَ : « أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي دَارِنَا هَذِهِ ، فَاسْتَسْقَى فَحَلَبْنَا لَهُ شَاةً لَنَا ، ثُمَّ شَبَّبَ مِنْ مَاءِ بِئْرِنَا هَذِهِ ، فَأَعْطَيْتُهُ ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ يَسَارِهِ وَعُمَرُ تِجَاهَهُ ، وَأَعْرَابِيٌّ عَنْ يَمِينِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ عُمَرُ : هَذَا أَبُو بَكْرٍ ، فَأَعْطَى الأَعْرَابِيَّ وَقَالَ : الأَيْمَنُونَ الأَيْمَنُونَ ، قَالَ أَنَسٌ : فَهِيَ سُنَّةٌ ، فَهِيَ سُنَّةٌ ، فَهِيَ سُنَّةٌ » . متفق عليه[2] .

- **خفض الصوت وغض البصر :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٩] .

قال الله تَعَالَى : ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور:٣٠] .

- **خدمة صاحب المنزل لضيوفه :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الذاريات:٢٤-٢٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٦٦)واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٢٧/ ٢٠٣٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥٧١)واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٥/ ٢٠٢٩).

- **مدة الضيافة :**

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَضِيَافَتُهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ » . متفق عليه[1] .

- **عدم التكلف للضيف وغيره :**

عن أنس رضي الله عنه قَالَ : « كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ » . أخرجه البخاري[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ » . متفق عليه[3] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ وطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ ، وطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثّمَانِيَةِ » . أخرجه مسلم[4] .

- **دعاء الضيف إذا طعم :**

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ ، واغْفِرْ لَهُمْ ، وارْحَمْهُمْ » . أخرجه مسلم[5] .

- **الانصراف بعد الفراغ من الطعام :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٣٥) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥/ ٤٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم: ٦٨٦٣.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٣٩٢)، ومسلم برقم: (١٧٨/ ٢٠٥٨) واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٧٩/ ٢٠٥٩).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (١٤٦/ ٢٠٤٢).

مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ ﴾[الأحزاب:٥٣] .

- **إجابة دعوة الكافر لمصلحة ما لم يكن منكرًا :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ ﴾[المائدة:٥] .

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : « أَنْ يَهُودِيًّا دَعَا النَّبِيَّ ﷺ إِلَى خُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ فَأَجَابَهُ » . أخرجه أحمد بسند صحيح[1] .

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٣٢٠١).

٧- الخزانة السابعة

١٤- آداب المعاشرات :

فضل حُسن الخلق :

قال الله تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « لَمْ يَكُنْ فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً وَكَانْ يَقُولْ إِنَّ مِنْ خياركم أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقاً » . متفق عليه[١] .

- **حُسن المعاشرة ، والعمل الصالح :**

قال الله تَعَالَى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة: ٧١] .

وعن أنس ﷺ : « أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْل الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ ؟ قَالَ : وَيْلَكَ ! وَمَا أَعْدَدْتَ لهَا ؟ قَالَ : مَا أَعْدَدْتُ لهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ، قَالَ : إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ، فَقُلْنَا : وَنَحْنُ كَذَلِكَ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا » . متفق عليه[٢] .

- **الإحسان في كل شيء :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٥٩)واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٨/ ٢٣٢١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٦٧) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٦١/ ٢٦٣٩).

و قال الله تَعَالَى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف:٥٦] .

و قال الله تَعَالَى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:٢٦] .

و قال الله تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢] .

اختيار الرفيق ، والجليس الصالح :

قال الله تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالحُ والجليسُ السوءِ كحامِلِ المسك ، ونافخِ الكِيْرِ فحاملُ المسك : إما أن يحْذِيَكَ ، وإما أن تبتاع منه ، وإِمَّا أن تجِدَ منه ريحا طيِّبة ، ونافخُ الكير : إما أن يحَرقَ ثِيَابَكَ ، وإما أن تجد ريحا خبيثَة » . متفق عليه[1] .

- **حُسن البشاشةِ واللين :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران :١٥٩] .

وعن أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ المَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٣٤)، ومسلم برقم: (١٤٦/ ٢٦٢٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٤٤/ ٢٦٢٦).

- **التواضع وعدم التكبر :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

و قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر:٨٨] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَلا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلا عِزًّا ، وَلا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلا رَفَعَهُ اللهُ » . أخرجه مسلم(١) .

وعَنْ عَيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، ولَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ » . أخرجه مسلم(٢) .

- **الصدق وعدم الكذب :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر:٣٣].

وقال الله تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ ، وَ إِنَّ الرَّجُلُ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَ إِنَّ الرَّجُلُ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا » . أخرجه مسلم (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ٢٥٨٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٤/ ٢٨٦٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٢/ ٢٦٠٦).

- **المودة والرحمة وسلامة الصدر :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح:٢٩] .

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال ، قال الرسول ﷺ : « مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى » . متفق عليه[1] .

- **كظم الغيظ والعفو عن الزلات :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وعن أبي هريرة ﷺ عن الرسول ﷺ قال : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَلا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلا عِزًّا ، وَلا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلا رَفَعَهُ اللهُ » . أخرجه مسلم[2] .

- **التعاون على البر والتقوى :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١١)، ومسلم برقم: (٦٦/ ٢٥٨٦)واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ٢٥٨٨).

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال : « والمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ » . متفق عليه[1] .

وعنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ ﷺ قَالَ : « سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ فَقَالَ : الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » . أخرجه مسلم[2] .

- **بذل النصيحة :**

قال هود ﷺ : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٧- ٦٨] .

وعن تمَيمِ الدَّاريِّ ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لمِنْ يا رسول الله؟ قالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». أخرجهُ مسلم[3] .

وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال : « بَايَعْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَلَقَّنَنِي فيما استطعت وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » . متفق عليه[4] .

- **ومن آداب المعاشرات الإصلاح بين الناس**

قال الله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء:١١٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٨١)واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٥/ ٢٥٨٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٤/ ٢٥٥٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٩٥/ ٥٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٧٨)، ومسلم برقم: (٩٩/ ٥٦) واللفظ له.

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات:٩ - ١٠] .

وعن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ ، وَالصِّيَامِ ، وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا : بَلَى قَالَ : إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ قَالَ : وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح [١] .

- **حُسن الظن بالمؤمنين :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور: ١٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ ، وَلاَ تجَسَّسُوا ، وَلاَ تحَسَّسُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا إِخْوَانًا » .

متفق عليه[٢] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٩١٩)، والترمذي برقم: (٢٥٠٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٦٤)، ومسلم برقم: (٢٨/ ٢٥٦٣) واللفظ له.

- **الحب في الله :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي ، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي » . أخرجه مسلم [1] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: « أَنَّ رَجُلا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ، فَأَرْصَدَ اللهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ . فَقَالَ: هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لا، إِلا أَنِّي أُحِبُّهُ فِي اللهَّ . قَالَ : إِنِّي رَسُولُ اللهَّ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فيه » . أخرجه مسلم[2] .

- **إخبار المؤمن أخاه بمحبته له :**

عن المقدام بن معدي كرب قال : قال : رسول الله ﷺ : « إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ إياه » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[3] .

- **حفظ الأمانات :**

قال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [النساء:٥٨] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : « آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتمِنَ خَانَ » . متفق عليه[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٧/ ٢٥٦٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٨/ ٢٥٦٧).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥١٢٤)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٣٩٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٥)واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٧/ ٥٩).

- **حفظ السر :**

١- عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال : « أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ سِرًّا ، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَهُ ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي أُمُّ سُلَيْمٍ فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ » . متفق عليه[١] .

- **خدمة أهل العلم والفضل :**

عن أَنَسٌ ﷺ قَالَ : « خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي : أُفٍّ ، وَلاَ : لِمَ صَنَعْتَ ؟ وَلاَ : أَلَّا صَنَعْتَ » . متفق عليه[٢] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : « دَخَلَ الخَلاَءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ : مَنْ وَضَعَ هَذَا فَأُخْبِرَ فَقَالَ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» . متفق عليه[٣] .

- **الإيثار ومواساة المحتاجين :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر:٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ البقرة: [البقرة:٢٧٤] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٢٨٩) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٤٦/ ٢٤٨٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٣٨)واللفظ له، ومسلم برقم: (٥١/ ٢٣٠٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٣) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٨/ ٢٤٧٧).

مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ».أخرجه مسلم(١) .

- **الصبر في جميع الأحوال :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾[العصر:١-٣].

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣ ﴾[البقرة:١٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

عدم المَنّ على الناس :

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٦٢ ﴾[البقرة: ٢٦٢] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا ، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : المُسْبِلُ ، وَالمَنَّانُ ، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الْكَاذِبِ » . أخرجه مسلم(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٨/ ٢٦٩٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٧١/ ١٠٦).

- **عدم الفخر والخيلاء :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان:١٨-١٩] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ ، يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ ، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . متفق عليه[1] .

- **اجتناب الغيبة والنميمة :**

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ . قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ » .

أخرجه مسلم[2] .

- **اجتناب السخرية والتنابذ بالألقاب :**

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤٨٥)، ومسلم برقم: (٥٠/ ٢٠٨٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٠ / ٢٥٨٩).

ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات:١١-١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[النساء:١٤٠] .

- **اجتناب التحاسد والتباغض والتهاجر :**

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء:٥٤-٥٥] .

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لاَ تَبَاغَضُوا ، وَلاَ تحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا ، وَلاَ يحِلُّ لمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ » . متفق عليه[1] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ، قَالَ : « تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الخَمِيسِ ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا ، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، فَيُقَالُ : أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٦٥)واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣/ ٢٥٥٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٥/ ٢٥٦٥).

١٥ - آداب قضـاء الحاجة :

- **فضل الطهارة :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٢٢] .

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ» . رواه مسلم[١] .

- **اجتناب الأماكن الجالبة للعن الناس :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اِتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ ، قَالُوا : وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ».أخرجه مسلم[٢] .

- **عدم البول في الماء الراكد :**

عَنْ جَابِرٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ:«أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ». أخرجه مسلم[٣] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ » . أخرجه مسلم[٤] .

- **الاستتار عند قضاء الحاجة :**

عَنْ مُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَقَالَ : يَا مُغِيرَةُ خُذِ الإِدَاوَةَ ، فَأَخَذْتُهَا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى تَوَارَى عَنِّي، فَقَضَى حَاجَتَهُ » . متفق عليه[١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١/ ٢٢٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٨/ ٢٦٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٩٤/ ٢٨١).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٩٥/ ٢٨٢).

- **البعد عن الناس عند قضاء الحاجة :**

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي قُرَادٍ ﷺ قَالَ : « خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْخَلَاءِ ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ أَبْعَدَ » . أخرجه أحمد والنسائي بسند صحيح[٢] .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَبَرَّزَ لِحَاجَتِهِ ، أَتَيْتُهُ بِمَاءٍ فَيَغْسِلُ بِهِ » . متفق عليه[٣] .

- **ما يقول عند دخول الخلاء :**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الخَلاَءَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ » . متفق عليه[٤] .

- **ما يقول عند الخروج من الخلاء :**

عن عَائِشَةُ رضي الله عنها قالت : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الغَائِطِ قَالَ : غُفْرَانَكَ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[٥] .

- **عدم استقبال القبلة واستدبارها حال قضاء الحاجة :**

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا أَتَيْتُمُ الغَائِطَ فَلاَ تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ، وَلاَ تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا. قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَقَدِمْنَا الشَّأْمَ فَوَجَدْنَا مَرَاحِيضَ بُنِيَتْ قِبَلَ القِبْلَةِ فَنَنْحَرِفُ، وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ تَعَالَى» .متفق عليه[٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٧/ ٢٧٤).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٣٣٦)، وأخرجه النسائي برقم: (١٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٧) واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١/ ٢٧١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٢٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٢/ ٣٧٥).

(٥) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم:٣٠ ، وأخرجه الترمذي برقم:٧.

(٦)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:٣٩٤ واللفظ له، ومسلم برقم:٥٩/ ٢٦٤.

- **البول قاعدًا :**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: « مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُوهُ ؛ مَا كَانَ يَبُولُ إِلَّا جَالِسًا » . أخرجه الترمذي والنسائي بسند صحيح[1] .

- **البول قائمًا إن أمن التلوث والنظر إليه :**

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : « رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ نَتَمَاشَى، فَأَتَى سُبَاطَةَ قَوْمٍ خَلْفَ حَائِطٍ ، فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ، فَبَالَ، فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِئْتُهُ ، فَقُمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ » . متفق عليه[2] .

- **عدم استخدام اليد اليمنى عند قضاء الحاجة :**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ ، وَلاَ يَسْتَنْجِي بِيَمِينِهِ ، وَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ » . متفق عليه[3] .

- **عدم الإستجمار بالعظم والروث :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: « أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَقَالَ : ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ بِهَا ، وَلاَ تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلاَ بِرَوْثَةٍ ، فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي ، حَتَّى وَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ ، فَقُلْتُ : مَا بَالُ العَظْمِ وَالرَّوْثَةِ ؟ قَالَ : هُمَا مِنْ طَعَامِ الجِنِّ ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٢) ، وأخرجه النسائي برقم: (٢٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٢٥) واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٤/ ٢٧٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥٤)واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٦/ ٢٦٧).

جِنِّ نَصِيبِينَ ، وَنِعْمَ الجِنُّ ، فَسَأَلُوني الزَّادَ ، فَدَعَوْتُ اللهَّ لهَُمْ أَنْ لاَ يَمُرُّوا بِعَظْمٍ ، وَلاَ بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا » . أخرجه البخاري[1] .

- **الاستجمار وترًا وأقله ثلاث مسحات :**

عَنْ سَلْمَانَ ﷺ قَالَ : « قَالَ لَنَا المُشْرِكُونَ إِنِّي أَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ حَتَّى يُعَلِّمَكُمُ الخِرَاءَةَ ، فَقَالَ : أَجَلْ إِنَّهُ نهَانَا أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِيَمِينِهِ ، أَوْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ ، وَنهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالْعِظَامِ ، وَقَالَ : لَا يَسْتَنْجِي أَحَدُكُمْ بِدُونِ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ » . أخرجه مسلم[2] .

- **عدم السلام والرد على قضاء الحاجة :**

عن أَبِي الجَهْمِ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قال : « أَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ نَحْوِ بِئْرِ جمَلٍ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ الله ﷺ، حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى الجِدَارِ فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ » . متفق عليه[3] .

- **الوضوء والصلاة ركعتين بعده :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لِبِلَالٍ يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ قَالَ مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لمَْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ » . متفق عليه[4] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٨٦٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٧) واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٤/ ٣٦٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٤٩)واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٨/ ٢٤٥٨).

٨- الخزانة الثامنة

١٦- آداب عُشرة النساء :

من آداب عُشرة النساء ، تعليم النساء أمور دينهم

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾[التحريم:٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾ [الأحزاب:٥٩] .

عَنْ مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ « أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً ، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا ، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا ، قَالَ : ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ ، وَعَلِّمُوهُمْ ، وَصَلُّوا ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ » . متفق عليه[1] .

- **الرفق بالنساء :**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قَالَ : « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يحُِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٨) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩٢/ ٦٧٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٧/ ٢٥٩٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا » . متفق عليه[1] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ » . أَوْ قَالَ : « غَيْرَهُ » . أخرجه مسلم[2] .

- **الإحسان إلى النساء :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء:٣٤] .

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي، وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ» . أخرجه الترمذي بسند صحيح[3] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٣١)، ومسلم برقم: (٦٠/ ١٤٦٨) واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦١/ ١٤٦٩).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٨٩٥).

- **حُسن المعاشرة بين الزوجين :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ ﴾ [النساء:١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن:١٤] .

وعن مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ ﷺ قَالَ : « أَتَيْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ، قَالَ: فَقُلْتُ : مَا تَقُولُ : فِي نِسَائِنَا قَالَ : أَطْعِمُوهُنَّ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَاكْسُوهُنَّ مِمَّا تَكْتَسُونَ ، وَلَا تَضْرِبُوهُنَّ ، وَلَا تُقَبِّحُوهُنَّ » . أخرجه أبي داود وأحمد بسند صحيح[1] .

وعن جابر ﷺ في صفة حج النبي ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال : « فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتمُوهُنَّ بِأَمَانِ الله ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ الله ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، وَلهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوف » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٠٠١١) ، وأخرجه أبي داود برقم: (٢١٤٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٤٧/ ١٢١٨).

- **ملاطفة المرأة وملاعبتها :**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: تَقَدَّمُوا، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي : تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: تَقَدَّمُوا، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ، فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: هَذِهِ بِتِلْكَ » . أخرجه أحمد وأبي داود بسند حسن(١) .

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ ، يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالحِرَابِ ، فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، وَإِمَّا قَالَ : « تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ ، حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ ، قَالَ : حَسْبُكِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَاذْهَبِي » . متفق عليه(٢) .

- العدل بين الزوجات :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾ [النساء:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [الطلاق:٦] .

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم: (٢٦٢٧٧)، وأخرجه أبي داود برقم: (٢٥٧٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٩٥٠)واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩ / ٨٩٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1] .

- **عدم إفشاء الأسرار الزوجية :**

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[التحريم:٣] .

- **الصبر والتراضي عن الزلات بين الزوجين :**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ مَعَ خَادِمٍ بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ بِيَدِهَا، فَكَسَرَتِ القَصْعَةَ، فَضَمَّهَا وَجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ، وَقَالَ: كُلُوا، وَحَبَسَ الرَّسُولَ وَالقَصْعَةَ حَتَّى فَرَغُوا، فَدَفَعَ القَصْعَةَ الصَّحِيحَةَ ، وَحَبَسَ المَكْسُورَةَ » . أخرجه البخاري[2] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ » . متفق عليه[3] .

- **التبكير بالنوم مع الأهل :**

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ ﷺ : « أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا » . متفق عليه[1] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٢١٣٣)، وأخرجه الترمذي برقم: (١١٤١).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٤٨١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٣١) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٠ / ١٤٦٨).

- **وعظ الأهل وحثهم على الخير :**

قال الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣٢] .

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ، فَإِذَا أَوْتَرَ ، قَالَ : قُومِي فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ » . أخرجه مسلم(٢) .

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالت: «اسْتَيْقَظَ النبي ﷺ ذات لَيْلَةً، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتْنَةِ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الخَزَائِنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ؟ يَا رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ» . أخرجه البخاري(٣) .

- **ما يفعله الزوجان إذا تنازعا :**

قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[النساء:٣٤-٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت/ ٣٤- ٣٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٨) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٧/ ٦٤٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٣٤/ ٧٤٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١١٢٦).

استخدام الروائح الطيبة واجتناب الروائح الخبيثة :

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يحُبُّ الحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ دَارَ عَلَى نِسَائِهِ ، فَيَدْنُو مِنْهُنَّ ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ ، فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يحَتْبِسُ ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لِي : أَهْدَتْ لهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسَلٍ ، فَسَقَتْ رَسُولَ الله ﷺ مِنْهُ شَرْبَةً ، فَقُلْتُ : أَمَا وَالله لَنَحْتَالَنَّ لَهُ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسَوْدَةَ ، وَقُلْتُ : إِذَا دَخَلَ عَلَيْكِ ، فَإِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ ، فَقُولِي لَهُ : يَا رَسُولَ الله ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ : لَا ، فَقُولِي لَهُ : مَا هَذِهِ الرِّيحُ ؟ وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ » . متفق عليه[1] .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : « صَنَعَتْ لِرَسُولِ الله ﷺبردة سَوْدَاءَ ، فَلَبِسَهَا ، فَلَمَّا عَرِقَ فيها وَجَدَ رِيحَ الصُّوفِ فَقَذَفَهَا ، قَالَ : وَأَحْسِبُهُ قَالَ : وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[2] .

- **التسمية قبل الوطء :**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ ، فَقَالَ : بِاسْمِ اللهَّ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا » . متفق عليه[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٧٢) ، ومسلم برقم: (٢١/ ١٤٧٤) واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٦١١٧)، وأخرجه أبي داود برقم: (٤٠٧٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٩٦) واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٦/ ١٤٣٤).

- **الأحوال التي تُمنع فيها النساء من الطيب :**

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : « كُنَّا نُنْهَى أَنْ نُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ، وَلاَ نَكْتَحِلَ وَلاَ نَتَطَيَّبَ وَلاَ نَلْبَسَ ثَوْبًا مَصْبُوغًا ، إِلَّا ثَوْبَ عَصْبٍ ، وَقَدْ رُخِّصَ لَنَا عِنْدَ الطُّهْرِ إِذَا اغْتَسَلَتْ إِحْدَانَا مِنْ مَحِيضِهَا فِي نُبْذَةٍ مِنْ كُسْتِ أَظْفَارٍ » . متفق عليه[1] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ » . أخرجه مسلم[2] .

- **صفة القسم بين الزوجات :**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : « كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ تِسْعُ نِسْوَةٍ ، فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ ، لَا يَنْتَهِي إِلَى المُرْأَةِ الْأُولَى إِلَّا فِي تِسْعٍ ، فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَا » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٣٤١)واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٧/ ٩٣٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم:١٤٣/ ٤٤٤.

(٣) أخرجه مسلم برقم:٤٦/ ١٤٦٢.

١٧ - آداب الكلام :

- **شكر نعمة الكلام :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم:٢٢] .

وقال الله تَعَالَى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن:١-٤] .

- **أحسن الكلام :**

قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣]

وقال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣]

وقال الله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

- **الإكثار من ذكر الله والصلاة على نبيه ﷺ :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مجْلِسًا لمَْ يَذْكُرُوا اللهَّ فِيهِ ، وَلمَْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لهَُمْ » . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[1] .

- **أفضل الكلام مع الناس :**

قال الله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة:٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت:٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لَا تَدْخُلُونَ الجْنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا ، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » . أخرجه مسلم[2] .

- **حفظ اللسان عن الباطل :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ [النحل:٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٠٢٤٤) ، وأخرجه الترمذي برقم: (٣٣٨٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٩٣/ ٥٤).

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧ ﴾[النحل:١١٦-١١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾[الحجرات: ١٢] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ، لاَ يُلْقِي لهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ » . متفق عليه[1] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ . قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ » . أخرجه مسلم[2] .

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ : « أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنِمُّ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ » . متفق عليه[3] .

- **الصدق وعدم الكذب :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ [التوبة:١١٩] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٧٨) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٩/ ٢٩٨٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٠/ ٢٥٨٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٥٦)، ومسلم برقم: (١٦٨/ ١٠٥)واللفظ له.

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر:٣٣].

عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا » . متفق عليه(١) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ : « آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتمِنَ خَانَ » . متفق عليه(٢) .

- **ما يُباح من الكذب :**

عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : « لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا » . . قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : الحَرْبُ ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ المَرْأَةِ زَوْجَهَا » . متفق عليه(٣) .

- **اجتناب الفحش واللعن :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات:١١] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٤)، ومسلم برقم: (١٠٣/ ٢٦٠٧)واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٥) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٧/ ٥٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٢) ، ومسلم برقم: (١٠١/ ٢٦٠٥)واللفظ له.

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٩] .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ : « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا ، وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا » . متفق عليه[1] .

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أخرجه مسلم[2] .

- **قلة الكلام وعدم الخوض في الباطل :**

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام:٦٨] .

عَنِ المُغِيرَةِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ المَالِ » . متفق عليه[3] .

- **الصمت وعدم الكلام إلا بخير :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » . متفق عليه[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٥٩) واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٨/ ٢٣٢١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٦/ ٢٥٩٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢/ ٥٩٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤/ ٤٨).

- **عدم مقاطعة الحديث :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مجَلْسٍ يحُدِّثُ القَوْمَ ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهَّ ﷺ يحُدِّثُ ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ : سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ : أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ، قَالَ : هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهَّ ، قَالَ : فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ ، قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » . أخرجه البخاري[1] .

- **عدم إطالة الحديث :**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يحُدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لَأَحْصَاهُ » . متفق عليه[2] .

عن عمار ﷺ قال : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ ، وَاقْصُرُوا الخُطْبَةَ ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا » . أخرجه مسلم[3] .

- **عدم الإكثار من الأسئلة :**

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المائدة:١٠١] .

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : « سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا ، فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ : سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ ، قَالَ رَجُلٌ : مَنْ أَبِي ؟ قَالَ :

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٦٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١/ ٢٤٩٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٤٧/ ٨٦٩).

أَبُوكَ حُذَافَةُ ، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ : مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ فَقَالَ : أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللهَّ ﷻ » . متفق عليه[1] .

وعَنِ المُغِيرَةِ ﷺ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ : عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعًا وَهَاتِ ، وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ المَالِ » . متفق عليه[2] .

- **الجهر عند وعظ الناس :**

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ : « تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاَةُ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا » . متفق عليه[3] .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ، وَعَلَا صَوْتُهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ : صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ » . أخرجه مسلم[4] .

- **تكرار الكلام ليُفهم عنه :**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا ، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا » . أخرجه البخاري[5] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٩٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٨/ ٢٣٦٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٧٧) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢/ ٥٩٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥/ ٢٤٠).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٤٣/ ٨٦٧).

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٩٥).

وعن أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ثلاثًا ، قالوا بلى يا رسول الله ، قال : الإِشْرَاكُ بِاللهَّ ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ ، وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس وقال : وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ثَلاَثًا أَوْ : قَوْلُ الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ » . متفق عليه[1] .

- **مخاطبة الناس بالكلام اللين الحسن :**

قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾[الإسراء:٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[البقرة:٨٣] .

قال تعالى : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[طه:٤٢-٤٦] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩١٩) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٣/ ٨٧).

٩- الخزانة التاسعة

١٨ - آداب المجلـس :

- **اختيار الجليس الصالح :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف: ٢٨] .

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ ، فَحَامِلُ المِسْكِ : إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الكِيرِ : إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً » . متفق عليه[1] .

- **فضل الاجتماع على ذكر الله :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف: ٢٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٦/ ٢٦٢٨).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

- فضل ذكر الله ﷻ في المجلس :

عن معاوية ﷺ أن النبي ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : « مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا ، قَالَ : آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ ؟ قَالُوا : وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ ، قَالَ : أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي ، أَنَّ اللهَ ﷻ يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائِكَةَ » . أخرجه مسلم [2] .

- **اجتناب مجالس الغفلة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[النساء:١٤٠] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ ﷻ فِيهِ ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ » . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[3] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٩/ ٢٧٠٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٤٠/ ٢٧٠١).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٢٦٧٨)، وأخرجه الترمذي برقم: (٣٣٨٠).

- **السلام عند الدخول والخروج :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا ، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » . أخرجه مسلم(١) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلْيُسَلِّمْ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يجْلِسَ فَلْيجْلِسْ، ثُمَّ إِنْ قَامَ وَالْقَوْمُ جُلُوسٌ ، فَلْيُسَلِّمْ ، فَلَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند حسن(٢) .

- **حفظ الجوارح عما لا يحل :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات:١١-١٢] .

فضل المجلس الواسع :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :« خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا » . أخرجه أبو داود بسند صحيح(٣) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم:٩٣/ ٥٤.

(٢) حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٢٠٨)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٧٠٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٤٨٢٠).

- **الجلوس حيث ينتهي به المجلس :**

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ : « كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1] .

- **توقير العلماء والكبار :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ [المجادلة: ١١] .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال : « جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَبْطَأَ القَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا » .

أخرجه الترمذي والبخاري في الأدب المفرد بسند صحيح[2] .

- **حفظ الوقت بما ينفع :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾ [التوبة: ٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾ [الزمر:٩].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٤٨٢٥)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٧٢٥).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٩١٩)، والبخاري في الأدب المفرد برقم: (٣٥٨).

عن ابن مسعود ﷺ قَالَ: « سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهَّ ؟ قَالَ : الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : بِرُّ الوَالِدَيْنِ ، قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهَّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي » . متفق عليه[1] .

- **عدم إقامة الرجل من مجلسه للجلوس فيه :**

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَقْعَدِهِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا » . متفق عليه[2] .

- **إذا قام من مجلسه ثم عاد فهو أحق به :**

وعن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « مَنْ قَامَ مِنْ مجَلْسِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ » . متفق عليه[3] .

- **التفسح في المجالس إذا ضاق المكان بأهله :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ [المجادلة: ١١] .

عدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما :

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : « لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٩/ ٨٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٧٠)، ومسلم برقم: (٢٨/ ٢١٧٧) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٧٠) ، ومسلم برقم: (٣١/ ٢١٧٩) واللفظ له.

(٤) حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٧٥٢)، وأبو داود برقم: (٤٨٤٥.)

- **عدم التناجي بين اثنين دون الثالث :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المجادلة:٩] ..

عن ابن مسعود ﷺ قَالَ : قال النَّبِيُّ ﷺ : « إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً ، فَلاَ يَتَنَاجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ ، أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ » . متفق عليه[1] .

- **عدم التجسس على الغير :**

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ ، وَلاَ تحَسَّسُوا ، وَلاَ تجَسَّسُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا » . متفق عليه[2] .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ تحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ ، وَلَنْ يَفْعَلَ ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ » . أخرجه البخاري[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٩٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٧/ ٢١٨٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٢٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨/ ٢٥٦٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٢).

- **اجتناب ما يؤذي أهل المجلس :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٨] .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٩] .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ ، الثُّومِ وقَالَ مَرَّةً : مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » . متفق عليه[1] .

- **ختم المجلس بكفارة المجلس :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال الرسول ﷺ : « مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ » . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[2] .

- **الاستئذان عند الانصراف من المجلس الجامع :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النور:٦٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٥٣)، ومسلم برقم: (٧٤/ ٥٦٤)واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٠٤١٥)، وأخرجه الترمذي برقم: (٣٤٣٣).

١٩ - آداب المساجد :

فضل المساجد :

قال الله تعالي : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[النور:٣٦-٣٧] .

وقال الله تعالي : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[التوبة:١٨] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى الله مَسَاجِدُهَا ، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى الله أَسْوَاقُهَا » . أخرجه مسلم(١) .

- **فضل عمارة المساجد :**

قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[التوبة:١٨] .

فضل بناء المساجد :

عن عثمان ﷺ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لله، قَالَ بُكَيْرٌ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ » . متفق عليه(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٨/ ٦٧١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٠)، ومسلم برقم: (٢٤/ ٥٣٣)واللفظ له .

- **عقوبة من أساء إلي بيوت الله :**

قال الله تعالي : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾[البقرة:١١٤] .

- **أفضل المساجد :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى » . متفق عليه[1] .

- **فضل المشي للمساجد :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « مَنْ غَدَا إِلَى المُسْجِدِ ، أَوْ رَاحَ ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلًا ، كُلَّمَا غَدَا ، أَوْ رَاحَ » . متفق عليه[2] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهَّ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهَّ كَانَتْ خُطَاهُ أَحَدُهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً ، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً » . أخرجه مسلم[3] .

- **التزين عند المجيء للمسجد :**

قال الله تعالي : ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[الأعراف:٣١] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٨٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥١١/ ١٣٩٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٢)، ومسلم برقم: (٢٨٥/ ٦٦٩)واللفظ له .

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٢/ ٦٦٦).

صفة المشي إلى المسجد :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا سَمِعْتُمْ الْإِقَامَةَ ، فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ ، وَلَا تُسْرِعُوا ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ ، فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا » . متفق عليه[1] .

- **فضل التبكير إلي المسجد :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّداءِ والصَّفِ الأوَّلِ ، ثُمَّ لمَْ يجَِدُوا إلاَ أنْ يَسْتَهِمُوا عليه لاسْتَهَمُوا . وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما في التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إليه ، ولَوْ يعلمون ما في العَتَمَةِ والصُّبْحِ لأتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوا » . متفق عليه[2] .

- **ما يقول و يفعل عند الدخول والخروج من المسجد :**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تنعله وتَرَجُّلِهِ وَطهوره وفي شأنه كله » . متفق عليه[3] .

عَنْ أَبِي حميد ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ ، فَلْيَقُلْ : اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَإِذَا خَرَجَ ، فَلْيَقُلْ : اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥١/ ٦٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٨٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٩/ ٤٣٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٦٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٦/ ٢٦٨).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٦٨/ ٧١٣).

عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ : « أنه كانَ إذا دخلَ المَسجِدَ قال : أعوذُ باللهِ العظيمِ ، وبوجهِهِ الكريم ، وسُلطانِه القديم ، من الشَّيطانِ الرَّجيم » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[1] .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :« مِنَ السُّنَّةِ إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُمْنَى، وَإِذَا خَرَجْتَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُسْرَى». أخرجه الحاكم بسند حسن[2].

- **ماذا يفعل إذا دخل المسجد :**

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه قال : قال رَسُولِ الله ﷺ : « إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ ، فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يَصلي رَكْعَتَيْنِ » . متفق عليه[3] .

- **أين يضع نعليه عند الصلاة :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إذا صلّى أحدُكم فخلعَ نَعلَيه ، فلا يُؤذِ بهما أحداً ، لِيَجعَلهما بينَ رِجلَيهِ أو لِيصَل فيهما » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[4] .

- **الصلاة حافيًا أو منتعلًا :**

عَنْ سَعِيدٍ بن يزيد الأزدي رضي الله عنه قَالَ : « سَأَلْتُ أنس بن مالك أَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ » . متفق عليه[5] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٦٦).

(٢) حسن/ أخرجه الحاكم برقم: (٧٩١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٧١)، ومسلم برقم: (٧٠/ ٧١٤)واللفظ له.

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٦٥٥).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٥٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٠/ ٥٥٥).

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ﷺ ، قَالَ : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي حَافِيًا وَمُنْتَعِلًا » . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح[1] .

- **فضل الجلوس في المسجد علي الطهارة :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَ فِي مُصَلَّاهُ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ ، حَتَّى يَنْصَرِفَ ، أَوْ يحْدِثَ " قُلْتُ : مَا يحْدِثَ ؟ قَالَ : يَفْسُو أَوْ يَضْرِطُ » . متفق عليه[2] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » . أخرجه مسلم[3] .

- **تنظيف المسجد وكنسه وتطيبه وصيانته :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : « أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَوِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ ، فَقَالُوا : مَاتَ ، قَالَ : أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ أَوْ قَالَ قَبْرِهَا فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا » . متفق عليه[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٦٥٣)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (١٠٣٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٧٦) ، ومسلم برقم: (٢٧٤/ ٦٤٩)واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٣٨/ ٢٦٩٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٨) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١/ ٩٥٦).

عن سمرة ﷺ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى ابْنِهِ : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُنَا بِالمَسَاجِدِ أَنْ نَصْنَعَهَا فِي دِيَارِنَا، وَنُصْلِحَ صَنْعَتَهَا وَنُطَهِّرَهَا» . أخرجه أبو داود بسند صحيح[1] .

- **عدم تلويث المسجد بالأقذار :**

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا نَحْنُ فِي المُسْجِدِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ . إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي المُسْجِدِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ : مَهْ مَهْ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ ، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ المَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ » . متفق عليه[2] .

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « البُزَاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا » . متفق عليه[3] .

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي الْقِبْلَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ فَقَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا » . متفق عليه[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٤٥٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٩)، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٢٨٥)واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٥/ ٥٥٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥١/ ٥٤٧).

ومن آداب المساجد اجتناب تناول ما ينفر المصليين :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ الثُّومِ وقَالَ مَرَّةً مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَم » . متفق عليه[1] .

عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أنه خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَة وفيه قال : « أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ ، هَذَا الْبَصَلَ وَالثُّومَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ ، أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا » . أخرجه مسلم[2] .

- **عدم رفع الصوت باللغط ونحوه :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٩] .

وعَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ ﷺ قَال : « كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا ، قَالَ : مَنْ أَنْتُمَا أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا ؟ قَالَا : مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ ، قَالَ : لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ » . أخرجه البخاري[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٥٣)، ومسلم برقم: (٦٩/ ٥٦١) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٨/ ٥٦٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٤٧٠).

- **عدم تخطي رقاب الناس :**

عن عَبْدِ اللهَّ بْنِ بُسْرٍ ﷺ قال : « جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يخْطُبُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : اجْلِسْ ، فَقَدْ آذَيْت » . أخرجه أحمد وأبو داوود بسند صحيح[1] .

- **عدم المرور بين يدي المصلين :**

عن أَبُو جُهَيْم ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَيِ المُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ أَبُو النَّضْرِ : لاَ أَدْرِي ، أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ شَهْرًا ، أَوْ سَنَةً » . متفق عليه[2] .

- **عدم اتخاذ القبور مساجد :**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ قَالَتْ : فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا » . متفق عليه[3] .

عن جُنْدَبٌ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ ، وَهُوَ يَقُولُ : « أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٧٦٧٤) ، وأخرجه أبي داود برقم: (١١١٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٠)، ومسلم برقم: (٢٦١/ ٥٠٧) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٤٤١)، ومسلم برقم: (١٩/ ٥٢٩)واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٣/ ٥٣٢).

- **عدم البيع والشراء في المسجد :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقُولُوا : لاَ أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ » . أخرجه الترمذي بسند صحيح[1] .

- **عدم إنشاد ضال في المسجد :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا» . أخرجه مسلم[2] .

- **عدم الصلاة في الأماكن المنهي عنها :**

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ : « سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ فِي مَبَارِكِ الْإِبِلِ ؟ فَقَالَ : لَا تُصَلُّوا فِي مَبَارِكِ الْإِبِلِ فَإِنَّهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ وَسُئِلَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ ؟ فَقَالَ : صَلُّوا فِيهَا فَإِنَّهَا بَرَكَةٌ » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[3] .

عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا » . أخرجه مسلم[4] .

- **عدم الخروج من المسجد بعد الآذان إلا لحاجه .**

عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ المحاربي ﷺ قَالَ : « سَمِعْتُ أَبَا هريرة وَرَأَى رَجُلًا يَجْتَازُ الْمَسْجِدَ خَارِجًا بَعْدَ الْأَذَانِ ، فَقَالَ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٣٢١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٩/ ٥٦٨).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٨٥٣٨)، وأخرجه أبي داود برقم: (٤٩٤).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٩٧/ ٩٧٢).

- **اجتناب الصور في المساجد وغيرها :**

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يجْعَلُ لَهُ ، بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا ، نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ » . متفق عليه[٢] .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهَّ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ » . متفق عليه[٣] .

عن أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه يَقُولُ : عن النبي ﷺ قال : « لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ ، وَلاَ صُورَةٌ » . متفق عليه[٤] .

- **الصلاة علي الأرض :**

عَن جابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ رضي الله عنهما أَنَّ النبي ﷺ قَالَ : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَلَمْ تحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً » . أخرجه ابن حبان [٥] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٩/ ٦٥٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠)، ومسلم برقم: (٩٩/ ٢١١٠) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٨/ ٢١٠٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٢٢)، ومسلم برقم: (٨٣/ ٢١٠٦)واللفظ له.

(٥) صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم: (٦٣٩٨).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : « كُنَّا نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي شِدَّةِ الحَرِّ ، فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدُنَا أَنْ يُمَكِّنَ جَبْهَتَهُ مِنَ الأَرْضِ بَسَطَ ثَوْبَهُ فَسَجَدَ عَلَيْهِ » .

متفق عليه[1] .

- **جواز الصلاة علي الحصير والفرش :**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال : « كَانَ رَسُولُ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً ، فَرُبَّمَا تَحْضُرُ الصَّلاةُ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا ، فَيَأْمُرُ بِالبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ ، ثُمَّ يُنْضَحُ ، ثُمَّ يَؤُمُّ رَسُولُ ، وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا ، وَكَانَ بِسَاطُهُمْ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ » .

متفق عليه[2] .

وَعَنْ مَيْمُونَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي عَلَى الخُمْرَةِ » .

أخرجه البخاري[3] .

ومن آداب المساجد جواز الآكل والنوم والسكن في المسجد للحاجة :

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الخَنْدَقِ فِي الأَكْحَلِ ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي المَسْجِدِ ، لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ ، فَلَمْ يَرُعْهُمْ ، وَفِي المَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، إلا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : يَا أَهْلَ الخَيْمَةِ ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَماً ، فَمَاتَ فِيهَا » .

متفق عليه[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩١/ ٦٢٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٠٣)، ومسلم برقم: (٢٦٧/ ٦٥٩)واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٣٧٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٥/ ١٧٦٩).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالتْ : « أَسْلَمَتِ امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ لِبَعْضِ العَرَبِ ، وَكَانَ لهَا حِفْشٌ فِي المَسْجِدِ ، قالتْ : فَكَانَتْ تَأْتِينَا فَتَحَدَّثُ عِنْدَنَا » . أخرجه البخاري[1] .

وَعَنْ عَبْد الله بْنِ الحَارِثِ ﷺ قَالَ : « كُنَّا نَأْكُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ فِي المَسْجِدِ الخُبْزَ وَاللَّحْمَ » . أخرجه ابن ماجه بسند صحيح[2] .

- **الانتقال عند النعاس إلى مكان أخر في المسجد :**

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « إِذا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ فَلْيَتَحَوَّلْ مِنْ مجَلْسِهِ ذلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ». أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[3] .

- **جواز الاستلقاء في المسجد :**

عَنْ عَبْد الله بْن زَيْدٍ المَازِنِي ﷺ : « أَنَّهُ رَأى رَسُولَ الله مُسْتَلْقِياً فِي المَسْجِدِ ، وَاضِعاً إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى » . متفق عليه[4] .

- **جواز الحدث في المسجد :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « وَالمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مجَلْسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ ، يَقُولُونَ : اللهُمَّ ارْحَمْهُ ، اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ ، مَا لَمْ يحُدِثْ فِيهِ » . متفق عليه[5] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٨٣٥).

(٢) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٣٣٠٠).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (١١١٩)، وأخرجه الترمذي برقم: (٥٢٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٥)واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٥/ ٢١٠٠).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧)، ومسلم برقم: (٢٧٢/ ٦٤٩)واللفظ له.

• **جواز جلوس الحائض والنفساء في المسجد إذا تحفظت وتلجمت :**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: « نَاوِلِينِي الْخُمْرَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ، قَالَتْ فَقُلْتُ: إِنِّي حَائِضٌ، فَقَالَ: إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ » .

أخرجه مسلم[1] .

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ ، أَنْ نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى ، الْعَوَاتِقَ ، وَالْحُيَّضَ ، وَذَوَاتِ الْخُدُورِ ، فَأَمَّا الْحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلَاةَ ، وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ ، وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله إِحْدَانَا لَا يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ ، قَالَ : لِتُلْبِسْهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا » . متفق عليه[2] .

• **جواز دخول الكافر والجنب المسجد والمكث فيه :**

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ : « بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ : ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ، فَقَالَ : أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » . متفق عليه[3] .

• **عدم دخول الكافر المسجد الحرام :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ ﴾[التوبة:٢٨] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١١/ ٢٩٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٤)، ومسلم برقم: (١٢/ ٨٩٠)واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٢٢)واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٩/ ١٧٦٤).

- **الوعظ وطلب العلم في المسجد :**

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللّيْثِيّ ﷺ: « أَنّ رَسُولَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنّاسُ مَعَهُ ، إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلاَثَةٌ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَىَ رَسُولِ ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ فَوَقَفَا عَلَىَ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَمّا أَحَدُهُمَا فَرَأَىَ فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمّا الاَخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمّا الثّالَثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِباً، فَلَمّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ : أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النّفَرِ الثّلاَثَةِ ؟ أَمّا أَحَدُهُمْ فَأَوَىَ إِلَىَ الله ، فَآوَاهُ اللهُ ، وَأَمّا الاَخَرُ فَاسْتَحْيَا ، فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ ، وَأَمّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ » . متفق عليه[1] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ». أخرجه مسلم[2] .

- **الاهتمام بخدمة المسجد :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : « أَنَّ رجلاً أَسْوَدَ ، أَوِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ، كَانَ يَقُمُّ المَسْجِدَ ، فَمَاتَ ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ ، فَقَالُوا : مَاتَ ، قَالَ : أَفَلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ ، دُلُّونِي عَلَىَ قَبْرِهِ ، أَوْ قال قَبْرِهَا . فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا » . متفق عليه[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦)، ومسلم برقم: (٢٦/ ٢١٧٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٨/ ٢٦٩٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٨)واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١/ ٩٥٦).

ومن آداب المساجد المبادرة إلي الصف الأول :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ لَمْ يجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ ، لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا » . متفق عليه[1] .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا فَقَالَ لَهُمْ : « تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي ، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ » . أخرجه مسلم[2] .

- **الصلاة عن يمين الإمام :**

عَنِ ابْنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ : « كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ » . أخرجه مسلم[3] .

- **الصلاة جماعة في المسجد :**

عَنْ عَبْد الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : « لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَّا مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ ، أَوْ مَرِيضٌ ، إِنْ كَانَ المَرِيضُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلَاةِ ، وَقَالَ : إِنْ رَسُولَ الله ﷺ عَلَّمَنَا سُنَنَ الْهُدَى ، وَإِنَّ مِنْ سُنَنَ الْهُدَى الصَّلَاةَ فِي المَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٩/ ٤٣٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٣٠/ ٤٣٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٦٢/ ٧٠٩).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٦/ ٦٥٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى المُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ » . متفق عليه[1] .

- **صلاة النساء خلف الرجال :**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : « صَلَّيْتُ أَنَا وَيَتِيمٌ ، فِي بَيْتِنَا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ وَأُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ خَلْفَنَا » . متفق عليه[2] .

- **التزين والتطيب :**

قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف:٣١] .

عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى » . أخرجه البخاري[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٤)، ومسلم برقم: (٢٥٢/ ٦٥١) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٧/ ٦٥٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٨٨٣).

- **اجتناب النساء الطيب عند الذهاب إلي المسجد وغيره :**

عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنهما قَالَتْ : قَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ: « ذا شَهِدَتْ إِحْداكُنَّ العِشاءَ فلا تَطَيَّبْ تِلكَ اللَّيْلَةَ » . أخرجه مسلم[1] .

- **بعد الرجال عن النساء إذا لم يكن بينهم حاجز :**

عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رسُولُ ﷺ : « خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا ، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا ، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا » . أخرجه مسلم[2] .

- **انصراف النساء من المسجد قبل الرجال :**

عَنْ أمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها : « أَنَّ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِنَ المَكْتُوبَةِ قُمْنَ ، وَثَبَتَ رَسُولُ وَمَنْ صَلَّى مِنَ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللهُ ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ قَامَ الرِّجَالُ » . أخرجه البخاري[3] .

- **إذا أقيمت الفريضة فلا يشرع المصلى في نافلة :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاةُ فَلا صَلاةَ إِلا المَكْتُوبَةُ » . أخرجه مسلم[4] .

- **التبكير والإنصات للخطبة يوم الجمعة :**

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤٢/ ٤٤٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٣٢/ ٤٤٠).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٨٦٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٦٣/ ٧١٠).

فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ [الجمعة:٩-١٠] .

وَعَنْ أَوْس بْن أَوْسٍ الثقَفِيّ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ ثمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا » . أخرجه أبو داود وابن ماجة بسند صحيح(١) .

- **استقبال الغريب والوفد في المسجد :**

عَنِ جَرِير ﷺ قَالَ : « كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ في صَدْرِ النَّهَارِ ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مجْتَابِى النِّمَارِ أَوِ العَبَاءِ مُتَقَلِّدِى السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ ، فتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ لمِا رَأَى بِهِمْ مِنَ الفَاقَةِ ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلاَلاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ » . أخرجه مسلم(٢) .

- **جواز إنشاد الشعر الحسن في المسجد :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ عُمَرَ مَرَّ بِحَسَّانَ وَهُوَ يُنْشِدُ الشِّعْرَ فِي المَسْجِدِ ، فَلَحَظَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : « قَدْ كُنْتُ أُنْشِدُ ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ : أَنْشُدُكَ اللهَ أَسَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : أَجِبْ عَنِّي ، اللهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ؟ قَالَ : اللهُمَّ نَعَمْ » . متفق عليه(٣) .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٣٤٥)، وابن ماجة برقم: (١٠٨٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ١٠١٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢١٢)، ومسلم برقم: (١٥١/ ٢٤٨٥)واللفظ له .

- **جواز التحدث في الأمور المباحة في المسجد :**

عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ : قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ : أَكُنْتَ تجُالِسُ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « نَعَمْ ، كَثِيراً ، كَانَ لاَ يَقُومُ مِنْ مُصَلاَّهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ ، فَيَضْحَكُونَ ، وَيَتَبَسَّمُ ﷺ» . أخرجه مسلم[1] .

- **جواز تشبيك الأصابع في المسجد وغيره :**

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ » . متفق عليه[2] .

- **نصح الجاهل ومن خالف الشرع :**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا نَحْنُ فِي المَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَامَ يَبُولُ فِي المَسْجِدِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ : مَهْ مَهْ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ : لا تُزْرِمُوهُ ، دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذِهِ المَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا البَوْلِ وَلا القَذَرِ ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِالله عَزَّ وَجَلَّ ، وَالصَّلاةِ ، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ أَوْ كَمَا قال رَسُولُ الله ﷺ ، قال : فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ القَوْمِ ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ » . متفق عليه[3] .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ : « جَاءَ سُلَيْكٌ الغَطَفَانِيُّ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، وَرَسُولُ الله ﷺ يخْطُبُ ، فَجَلَسَ فَقَالَ لَهُ : يَا سُلَيْكُ ! قُمْ فَارْكَعْ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٦/ ٦٧٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٨١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٥/ ٢٥٨٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٢٥) ، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٢٨٥)واللفظ له.

رَكْعَتَيْنِ ، وَتجَوَّزْ فِيهِمَ ثُمَّ قال : إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ ، يَوْمَ الجُمُعَةِ ، وَالإِمَامُ يخْطُبُ ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ، وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا » . أخرجه مسلم[1] .

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ : « أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ رَاكِعٌ ، فَرَكَعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفِّ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : زَادَكَ اللهُ حِرْصًا وَلاَ تَعُدْ » . أخرجه البخاري[2] .

- **جواز لعب الصغار في المسجد بما لا معصية فيه :**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَوْماً عَلَى بَابِ حُجْرَتِي وَالحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ ، وَرَسُولُ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ ، أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ » . متفق عليه[3] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « بَيْنَا الحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِحِرَابِهِمْ دَخَلَ عُمَرُ ، فَأَهْوَى إِلَى الحَصَى فَحَصَبَهُمْ بِهَا، فَقال: دَعْهُمْ يَا عُمَرُ» . متفق عليه[4] .

- **عدم التباهي بالمساجد وزخرفتها :**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَا أُمِرْتُ بتَشْيِيدِ المَسَاجِدِ » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[5] .

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي المَسَاجِدِ » . أخرجه أبو داود وابن ماجة بسند صحيح[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٩/ ٨٧٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٧٨٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨/ ٨٩٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٩٠١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢/ ٨٩٣).

(٥) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٤٤٨).

١٠ – الخزانة العاشرة

٢٠ – آداب الجوار :

فضل الجار الصالح :

عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ – أَوْ قَالَ : لِأَخِيهِ – مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » . متفق عليه[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ » . أخرجه الترمذي بسند صحيح[٣] .

- **حق الجار :**

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء:٣٦] .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ ؛ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّه سَيُوَرِّثُهُ » . متفق عليه[٤] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٤٤٩)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (٧٣٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣)، ومسلم برقم: (٧٢/ ٤٥)واللفظ له،.

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٩٤٤).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٥)، ومسلم برقم: (١٤١/ ٢٦٢٥)واللفظ له.

- **إكرام الجار والإحسان إليه :**

عن أبي هريرة ﷺ عن الرسول ﷺ قال : « مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُت ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » . متفق عليه[1] .

وعن أبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَها وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ » . أخرجه مسلم[2] .

- **تقديم الجار الملاصق على غيره بالإحسان :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « يا رسولَ الله ! إنَّ لي جارَيْنِ ؛ فإلى أيِّهِما أُهدي ؟ قال : إلى أقرَبِهِما مِنْكِ باباً » . أخرجه البخاري[3] .

- **عدم منع الجار جاره من الانتفاع بجداره :**

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لَا يَمْنَعْ جارًا جَارَهُ أَنْ يَغْرِز خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ » . متفق عليه[4] .

- **عدم أذى الجار بقولٍ أو فعل :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ؛ فَلا يُؤذي جارَهُ » . متفق عليه[5] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٣٦)، ومسلم برقم: (٧٤/ ٤٧)واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٤٢/ ٢٦٢٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٢١٤٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٦٣)واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٣٦/ ١٦٠٩).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٨٥)واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٥/ ٤٧).

- **أعظم أذى الجار :**

عن ابن مسعود ﷺ قال : « سألتُ النبيَّ ﷺ : أيُّ الذَّنْبِ أعظَمُ عندَ الله ؟ قالَ : أنْ تجْعَلَ لله ندًّا وهو خَلَقَكَ ، قلتُ : إنَّ ذلك لعظيمٌ ، قلتُ : ثمَّ أيٌّ ؟ قالَ : وأنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ ؛ تخَافُ أنْ يَطْعَمَ معكَ ، قلتُ : ثمَّ أيٌّ ؟ قالَ : أنْ تُزانيَ حَلِيلةَ جارِكَ » . متفق عليه[1] .

- **إثم من لا يأمن جاره بوائقه :**

عن أبي شرح ﷺ أن النبي ﷺ قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله ؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه». أخرجه البخاري[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » . أخرجه مسلم[3] .

- **ماذا يفعل من آذاه جاره :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ ، فَقَالَ : « اذْهَبْ فَاصْبِرْ فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَقَالَ : اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ ، فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ : فَعَلَ اللهُ بِهِ ، وَفَعَلَ ، وَفَعَلَ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٠١) واللفظ له، ومسلم برقم:(١٤١/ ٨٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٧٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٧٣/ ٤٦).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥١٥٣).

- **عدم الظن السيئ :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إِيَّاكُمْ والظَّنَّ ؛ فإِنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ ، ولا تجَسَّسُوا ، ولا تحَسَّسُوا ، ولا تحَاسدوا ، ولا تَباغَضوا ، ولا تدابروا ، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إِخْواناً » . متفق عليه[1] .

ما يجوز من الظن :

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «مَا أَظُنُّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا، قَالَ اللَّيْثُ: كَانَا رَجُلَيْنِ مِنَ المُنَافِقِينَ». أخرجه البخاري[2] .

- **اختيار الجار قبل الدار :**

قال الله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم:١١] .

وعن أنس بن مالك ﷺ في حديث الهجرة وفيه ، فقال النبي ﷺ : «أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ : أَنَا يَا نَبِيَّ اللهَّ ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي ، قَالَ : فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا ، قَالَ : قُومَا عَلَى بَرَكَةِ اللهَّ » . أخرجه البخاري[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٦٤)، ومسلم برقم: (٢٨/ ٢٥٦٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري برقم:(٦٠٦٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٣٦٩٩).

٢١- آداب البيوت :

- **ما يقوله إذا دخل البيت :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾[النور:٢٧] .

وعن جابر ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيتَهُ فَذَكَرَ اللهَّ عِندَ دُخُولِهِ وَعِندَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ : لا مَبِيتَ لَكُم وَلَا عَشَاءَ وَإِذَا دَخَلَ فَلَم يَذكُر اللهَّ عِندَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ : أَدْرَكْتُمْ المَبِيتَ وَإِذَا لمَْ يَذْكُر اللهَّ عِندَ طَعَامِهِ قَالَ : أَدْرَكْتُم المَبِيتَ وَالعَشَاءَ » . أخرجه مسلم[١] .

- **ما يفعله إذا دخل بيته :**

عن شريح قال : « سَأَلْتُ عَائِشَةَ قُلْتُ : بِأيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ ؟ قَالَتْ : بِالسِّوَاكِ » . أخرجه مسلم[٢] .

- **حُسن الخُلق مع الأهل :**

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « لمَْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا » . متفق عليه[٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال الرسول ﷺ : « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي » . أخرجه الترمذي بسند صحيح[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠٣/ ٢٠١٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٤٣/ ٢٥٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٥٩) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٨/ ٢٣٢١).

(٤) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٤١٧٧).

- **حُسن معاشرة الأهل :**

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء:٢٣ -٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٢٨] .

وعن جابر ﷺ في حجة الوداع وفيه قال الرسول ﷺ : « فَاتَّقُوا اللهَّ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهَّ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهَّ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلهَُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ » . أخرجه مسلم(١) .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال الرسول ﷺ : « مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ » . أخرجه مسلم(٢) .

٣- وعن أسامه بن زيد ﷺ قال كان الرسول ﷺ « يَأْخُذُني فَيُقْعِدُني عَلَى فَخِذِهِ وَيُقْعِدُ الحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْأُخْرَى ، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ، ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا » . أخرجه البخاري(٣) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤٧/ ١٢١٨).

(٢) صحيح/ أخرجه مسلم برقم: (١٤٩/ ٢٦٣١).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٠٣).

- **تعليم الأهل ما ينفعهم :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾[التحريم:٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾ [الأحزاب:٥٩] .

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ البَيْتِ الذي يُذكَرُ اللهُ فيه ، والبيت الذي لا يذكرُ الله فيه مَثَلُ الحيِّ والميِّت » . أخرجه مسلم(١) .

- **تلاوة القرآن :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾[الأحزاب: ٣٤] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « لَا تجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » . أخرجه مسلم(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢١١/ ٧٧٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢١٢/ ٧٨٠).

- **أفضل أعمال النساء في البيوت :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾ [الأحزاب:٣٢-٣٤] .

- **إعانة الرجل لأهله :**

عن الأسود قال : « سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ » . أخرجه البخاري[1] .

- **النصح والتوجيه :**

قال الله تعالى : ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢ ﴾ [طه:١٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ

---

(١) أخرجه البخاري برقم:٦٧٦.

فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان:١٦-١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم:٤١-٤٥] .

وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : « كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا غُلَامُ ، سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ ». متفق عليه[1].

- **الرفق بالأهل والخدم :**

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : « دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ : وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ ، قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَدْ قُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ » . متفق عليه[2] .

وعن أب ذر ﷺ : « إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً ، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا أَبَا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٣٧٦) واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٠٨/ ٢٠٢٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٥٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠/ ٢١٦٥).

ذَرٍّ ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ ، قَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ ، «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللهُ تحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ » . متفق عليه[1] .

- **الرحمة والشفقة :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « قَبَّلَ النَّبِيُّ « الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ﷺ مَا وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِساً . فَقَالَ : إِنَّ لي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَداً . فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُول اللهّ ﷺ فَقَالَ : مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ » . متفق عليه[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قال : قَالَتْ : « قَدِمَتْ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَقَالُوا : تُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ ؟ ، فَقَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالُوا : وَلَكِنَّ وَاللهَّ مَا نُقَبِّلُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهﷺ : وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُّ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ » . متفق عليه[3] .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهَّ ﷺ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضَعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا ، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ » .

أخرجه مسلم[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥٤٥)، ومسلم برقم: (٨٣/ ١٦٦١)واللفظ له.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٥/ ٢٣١٨).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٩٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٤/ ٢٣١٧).
(٤) أخرجه مسلم برقم: (٦٣/ ٢٣١٦).

- **ومن آداب البيوت البشر وطلاقة الوجه :**

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ﷺ قَالَ : « سُئِلَ الْبَرَاءُ أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ ؟ ، قَالَ : لَا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ » . أخرجه البخاري[1] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَطُّ مُسْتَجْمِعًا قط ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يتبسَّم » . متفق عليه[2] .

وعن أبي ذر ﷺ قال : قال لي النبي ﷺ : « لا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ » . أخرجه مسلم[3] .

- **الصبر علي المصائب :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت:٣٤-٣٦] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٥٥٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦/ ٨٩٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٤٤/ ٢٦٢٦).

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[لقمان:١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[التغابن:١٤] .

إكرام الضيوف :

قال الله تعالى : ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الذاريات:٢٤-٢٧] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال رَسُولِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » . متفق عليه[1] .

- **الإحسان إلي الجيران :**

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ » . متفق عليه[2] .

وعن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا أَبَا ذَرٍّ إِذا طَبَخْتَ مَرَقَةً ، فَأَكْثِرْ مَاءَها ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٥/ ٤٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤١/ ٢٦٢٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٤٢/ ٢٦٢٥).

- **مواساة المحتاجين :**

قال الله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان:٨-٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٤] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ : « نْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيامَة ، ومَنْ يَسَّرَ عَلى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ » . أخرجه مسلم[1] .

- **صله الأرحام :**

قال الله تعالى : ﴿ وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١]

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٨/ ٢٦٩٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « قال رجل : يَا رَسُولَ اللهَّ ! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصحبة ؟ قَالَ : أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أَبَاكَ ، ثم أدناك أدناك » . متفق عليه[1] .

- **الحلم والعفو :**

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢ ﴾[يوسف:٩١-٩٢] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَلا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلا عِزًّا » . أخرجه مسلم[2] .

- **تناول الحلال الطيب :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾[البقرة:١٧٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧١)، ومسلم برقم : (٢/ ٢٥٤٨)واللفظ له .
(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ٢٥٨٨).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَقَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] . ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ، يَا رَبِّ ، يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ؟ » . أخرجه مسلم[1] .

- **اجتناب المحرمات والخبائث :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة:٩٠-٩١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام:١٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٥/ ١٠١٥).

وقال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٧] .

وعن النعمان بن بشير ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ ! إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ الْقَلْب » . متفق عليه[1] .

- **حفظ الجوارح عن ما حرم الله :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، ومسلم برقم: (١٠٧/ ١٥٩٩)واللفظ له .

قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[النحل:١١٦-١١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء:٣٦] .

عن أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنْ النبي اللهَّ ﷺ فِيمَا رُوَى عَنْ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : « يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إِلَّا نَفْسَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

- **اجتناب مساوئ الأخلاق :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات:١١-١٢] .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا » . متفق عليه[2] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٥٧٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٥٩) واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٨/ ٢٣٢١).

وعن معقل ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :« مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » . متفق عليه[1] .

- **اجتناب الصور والتصوير :**

جاء رجل لابن عباس رضي الله عنهما فقال : « إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ فَأَفْتِنِي فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ : ادْنُ مِنِّي ، فَدَنَا مِنْهُ ثُمَّ قَالَ : ادْنُ مِنِّي ، فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، قَالَ : أُنَبِّئُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ » . متفق عليه[2] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ » . متفق عليه[3] .

وعن أبي طلحة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « لا تَدْخُلُ الْمَلائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ » . أخرجه البخاري [4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٥١)، ومسلم برقم: (٢٢٧/ ١٤٢)، واللفظ له.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥١)، ومسلم برقم: (٩٩/ ٢١١٠)، واللفظ له.
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٦٣)، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٢١١٠)واللفظ له.
(٤) أخرجه البخاري رقم: (٣٢٢٥).

ومن آداب البيوت إزالة المنكرات من البيت :

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالتْ : « دَخَلَ عَلَيّ رَسُولُ ﷺ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تمَاثِيلُ ، فَلَمّا رَآهُ هَتَكَهُ وَتَلَوّنَ وَجْهُهُ وَقَالَ : يَا عَائِشَةُ أَشَدّ النّاسِ عَذَاباً عِنْد الله يَوْمَ القيَامَةِ ، الّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ » . متفق عليه[1] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « وَاعَدَ رَسُولُ الله ﷺ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السّلاَمُ- فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا ، فَجَاءَتْ تِلْكَ السّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ ، وَفِي يَدِهِ عَصًا فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : مَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ ، وَلاَ رُسُلُهُ . ثُمّ التَفَتَ فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ تحَتَ سَرِيرِهِ ، فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ مَتَى دَخَلَ هَذَا الكَلْبُ هَهُنَا ؟ . فَقَالَتْ : وَالله مَا دَرَيْتُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : وَاعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ . فَقَالَ : مَنَعَنِي الكَلْبُ الّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ ، إنّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ » . أخرجه مسلم[2] .

- **منع من يُخشى ضرره من دخول البيت :**

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها : « أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ عِنْدَهَا وَفِي البَيْتِ مخُنَّثٌ ، فَقَالَ المُخَنَّثُ لأخِي أُمِّ سَلَمَةَ عَبْد الله بْنِ أبِي أمَيَّةَ : إِنْ فَتَحَ اللهُ لَكُمُ الطَّائِفَ غَداً ، أدُلُّكَ عَلَى بِنْتِ غَيْلانَ ، فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَان ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لا يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُنَّ » . متفقٌ عليه[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٤)، ومسلم برقم: (٩١/ ٢١٠٧)واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم : (٨١ / ٢١٠٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم : (٤٣٢٤)، ومسلم برقم: (٣٢/ ٢١٨٠)واللفظ له.

- **عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية :**

عَنِ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ : « سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يخْطُبُ ويَقُولُ : « لا يخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأةٍ إِلا وَمَعَهَا ذُو محرَمٍ ، وَلا تُسَافِرِ المَرْأةُ إِلا مَعَ ذِي محرَمٍ ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ! إِنَّ امْرَأتِي خَرَجَتْ حَاجَّة ، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأتِكَ » . متفق عليه[1] .

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه أَنَّ الرَسُولَ ﷺ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ : يَا رَسُولَ الله ، أفَرَأيْتَ الحَمْوَ ؟ قال : الحَمْوُ المَوْتُ » . متفق عليه[2] .

- **عدم كشف وجه المرأة إلا للمَحْرم :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾ [الأحزاب:٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ ﴾ [الأحزاب:٥٣] .

- **عدم مصافحة النساء الأجانب :**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « كَانَتِ المُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمْتَحِنُهُنَّ بِقَوْلِ الله تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:(٥٢٣٣)، ومسلم برقم:(٤٢٤/ ١٣٤١)واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٣٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠/ ٢١٧٢).

فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ﴾ [الممتحنة:١٠] . إِلَى آخِرِ الآيَةِ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ المُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالمِحْنَةِ ، فَكَانَ رَسُولُ إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ قال لَهُنَّ رَسُولُ الله ﷺ : انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ ، لا وَالله مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ » . متفق عليه[1] .

وَعَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتَ رُقَيْقَةَ رضي الله عنها قَالتْ : « بَايَعْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي نِسْوَةٍ ؛ فَلَقَّنَنَا فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ . قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، بَايِعْنَا ؟ قَالَ : إِنِّي لاَ أُصَافِحُ النِّسَاءَ ؛ إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ » . أخرجه أحمد والنسائي[2] .

- **عدم اختلاط الرجال بالنساء الأجانب من غير حجاب :**

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٨٨) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٨/ ١٨٦٦).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٧٣٧٥)، وأخرجه النسائي برقم: (٤١٨١).

مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور:٣٠- ٣١] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا ، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لاَ محَالَةَ ، فَالعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ ، زِنَاهُ الكَلاَمُ ، وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا ، وَالقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ » . متفق عليه[1] .

- **عدم النظر في بيت الغير إلا بإذنه :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ : « لَوْ أَنَّ امْرَءاً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَحذَفْتَهُ بِعَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ » . متفق عليه[2] .

- **تقويم الأخطاء إذا وقعت :**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قالَ : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ ، وَيَقُولُ : غَارَتْ أُمُّكُمْ ، ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا ، وَأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ » . أخرجه البخاري[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦١٢)، ومسلم برقم: (٢١/ ٢٦٥٧)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٠٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٤/ ٢١٥٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٢٢٥).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ ، فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ : وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ ، قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : مَهْلاً يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللهَ يحُبُّ الرِّفْقَ فِي الأمْرِ كُلِّهِ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قال رَسُولُ الله ﷺ : قَدْ قُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ » . متفق عليه[1] .

- **التوسعة على الأهل من غير إسراف :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء:٢٩] .

وعن جابر ﷺ قَالَ : « أعتق رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرةَ عبْداً لَهُ ، عَنْ دُبُرٍ ، فبلَغ ذلِك رسُولَ الله ﷺ فَقَالَ : أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ ؟ ، فَقَالَ : لا ، فَقَالَ : مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي ؟ ، فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ الله العَدَوِيُّ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، فَجَاءَ بِهَا رَسُول الله ﷺ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قال : ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا ، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلأَهْلِكَ ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا ، يَقُولُ : فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ » . أخرجه مسلم[2] .

وَعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قالَ : قالَ رَسُولُ ﷺ : « أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ الله ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ الله » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٢٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠/ ٢١٦٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٤١/ ٩٩٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٣٨/ ٩٩٤).

- **الاقتصاد وعدم الإسراف والتبذير :**

قال الله تعالى : ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف:٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧ ﴾ [الإسراء:٢٦-٢٧] .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « كُلُوا ، وَاشْرَبُوا ، وَتَصَدَّقُوا ، وَالبَسُوا فِي غَيْرِ مخِيلَةٍ وَلاَ سَرَف ، إِنَّ اللهَ يحُبُّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَى عَبْدِهِ » . أخرجه أحمد وعلقه البخاري بسندٍ حسن[1] .

- **العدل بين الزوجات :**

قال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل:٩٠].

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : « كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ تِسْعُ نِسْوَةٍ ، فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ لا يَنْتَهِي إِلَى المَرْأَةِ الأولَى إِلا فِي تِسْعٍ ، فَكُنَّ يجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَا » . أخرجه مسلم[2] .

- **العدل بين الأولاد :**

عن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنه قَالَ : « تَصَدّقَ عَلَيّ أَبِي بِبَعضِ ماله فقالَت أُمي عَمْرَةُ بِنْتُ رواحَةَ : لاَ أَرْضَى حَتّى تُشْهِدَ رَسُولَ الله ﷺ ، فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النّبِيّ ﷺ يُشْهِدَهُ عَلَى صَدَاقَتِي ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ ﷺ : أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم: (٦٧٠٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٤٦/ ١٤٦٢).

كُلِّهِمْ ؟ ، قَالَ : لاَ ، قَالَ : اتّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلاَدِكُمْ ، فَرَجَعَ أَبِي ، فَرَدّ تِلْكَ الصّدَقَةَ » . متفق عليه[1] .

- **ملاطفة الصغار ومداعبتهم :**

عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةِ النَّهَارِ ، لا يُكَلِّمُنِي وَلا أكَلِّمُهُ ، حَتَّى أتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، فَجَلَسَ بِفِنَاءِ بَيْتِ فَاطِمَةَ ، فَقال : أثَمَّ لُكَعُ ، أثَمَّ لُكَعُ ، فَحَبَسَتْهُ شَيْئاً ، فَظَنَنْتُ أنَّهَا تُلْبِسُهُ سِخَاباً أوْ تُغَسِّلُهُ ، فَجَاءَ يَشْتَدُّ حَتَّى عَانَقَهُ وَقَبَّلَهُ ، وَقال : اللَّهمَّ أحْبِبْهُ وَأحِبَّ مَنْ يحُبُّهُ » . متفق عليه[2] .

وَعَنْ إيَاسٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : « لَقَدْ قُدْتُ بِنَبِيِّ الله ﷺ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ ، بَغْلَتَهُ الشَّهْبَاءَ ، حَتَّى أَدْخَلْتُهُمْ حُجْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ هَذَا قُدَّامَهُ وَهَذَا خَلْفَهُ » . أخرجه مسلم[3] .

وَعَنِ البَرَاءِ ﷺ قَالَ : « رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ ، يَقُولُ : اللَّهمَّ إنِّي أحِبُّهُ فَأحِبَّهُ » . متفق عليه[4] .

- **الإذن للنساء بالخروج للمسجد :**

قال الله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب:٣٣]

وَعَنْ ابنِ عُمَر رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « إِذَا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأةُ أحَدِكُمْ إِلَى المَسْجِدِ فَلا يَمْنَعْهَا » . متفق عليه[5] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥٨٧)، ومسلم برقم: (١٣/ ١٦٢٣)واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٢٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٧/ ٢٤٢١).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٦٠/ ٢٤٢٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٨٤) ، واللفظ له، ومسلم برقم:(٥٨٨٤).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٤/ ٤٤٢).

- **قيام الليل :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[الإسراء:٧٩] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ، فَإِذَا أَوْتَرَ قال : قُومِي فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ » . أخرجه مسلم[1] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ » . أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[2] .

- **ما يقوله إذا خرج من المنزل :**

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ : « بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله ، اللَّهمَّ إِنَّا نَعُوذ بكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ أَوْ نَضِلَّ أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا » . أخرجه الترمذي والنسائي بسندٍ صحيح[3] .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ : « إِذا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ : بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله ، قَالَ يُقَالُ حِينَئِذٍ : هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ : كَيْفَ لَكَ برَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٣٤/ ٧٤٤).

(٢) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (١٤٥٠)، وأخرجه النسائي برقم: (١٦١٠).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٤٢٧)، وأخرجه النسائي برقم: (٩٨٣٥).

(٤) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٤٢٦)، وأخرجه أبي داود برقم: (٥٠٩٥).

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢١- خزائن الأذكـار

وتشتمل على ما يلي :

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٢١-رسائل الأذكار

١- الخزانة الأولى

مقصود جميع العبادات هو ذكر الله ﷻ، ومن ذكر الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة، عظمه ، وكبره ، وحمده ، وشكره ، وأحبه ، وأثنى عليه ، وأقبل على طاعته ، وعبادته ، وحده لا شريك له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ ﴾[المزمل:٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾[آل عمران:٤١] .

والذكر الجامع، الذي يريده الله من عباده إذا أمرهم بذكره، هو ذكر الله بالثناء، والتعظيم، والإجلال، وذكر نعمه ، وفضله، وإحسانه إلى عباده ، وذكر جلاله الموجب للخشية ، والحياء منه ، وذكر وعيد الله ، وعقابه لمن كفر به ، وعصاه ، وذكر يوم العرض الأكبر ، يوم القيامة ، وذكر دار القرار ، وذكر كمال رحمة الله ، ولطفه بعباده ، وذكر حلمه ، وعفوه ، وذكر كمال مغفرته ، ورأفته : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٥] .

وقال عز وجل : ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ ﴾[المزمل:٨] .

فهذا الذكر إذا تواطأ عليه القلب ، واللسان مع إظهار الحاجة ، والافتقار ، والاضطرار ، قضى حاجة صاحبه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

وأنواع الذكر ثلاثة :

ذكر الله يكون بالقلب .. يكون باللسان .. يكون بالجوارح .

فالذكر باللسان يكون بحمد الله ، وشكره ، وتسبيحه ، وتكبيره ، وتمجيده ، وتلاوة كتابه ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه .

- **وذكر الله بالقلب ثلاثة أنواع :**

الأول : الفكر في الدلائل الدالة على كمال ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢] .

الثاني : الفكر في الدلائل الدالة على كمال أحكامه ، وتكاليفه ، وأوامره ، ونواهيه ، ووعده ، ووعيده :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

وقال عز وجل : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠] .

الثالث : الفكر في أسرار المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وهذا مقام عظيم لا نهاية :﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

أما ذكر الله بالجوارح ، فهو أن تكون جوارح العبد مستغرقةٌ في الأعمال الصالحة ، التي أمر الله بها ، خالية من الأعمال السيئة التي نهى الله عنها : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة:١٥٢] .

وقال عز وجل : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

والله سبحانه له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، هو العظيم المنزه عن المثيل وعن صفات النقص، والعيب ، وعن صفات البشر ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] .

هو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه ؛ ولهذا يستحق الحمد ، والتكبير ، والذكر ، والشكر ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾ ﴾[الإسراء: ١١١]

لهذا كان سبحانه مستحقًا لأعظم أنواع الحمد ، والحمد يجب أن يكون مقرونًا بالإجلال والتكبير لعظيم نعمه ، وإحسانه جَلَّ جَلَالُهُ ، ولجلاله ، وجماله .

- **وتكبير الله أنواع :**

الأول : تكبير الله في ذاته ، فهو الكبير وحده ، وكل ما سواه صغير ، هو الغني عن كل ما سواه وحده ، وكل ما سواه فقير : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

الثاني : تكبير الله في صفاته ، وذلك من ثلاثة أوجه :

١- فجميع صفات الله يعتقد العبد أنها صفات إجلال ، وجمال ، وكمال ، وأنه سبحانه منزه عن صفات النقص ، وصفات الخلق .

٢- وأن يعتقد أنه كما لا نهاية لذاته ، فلا نهاية لصفاته .

٣- ويعتقد أنه كما تنزهت ذاته عن الحدوث ، والتغير ، والزوال ، فكذلك صفاته ذاتية ، أزلية ، منزهة عن التغير ، والحدوث ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

الثالث : تكبير الله في أفعاله، فنحمد الله، ونكبره على أنه يفعل ما يشاء ، ولا يجري في ملكه إلا ما يشاء :﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

الرابع : تكبير الله في أحكامه ، بأن يعتقد بأنه وحده الملك ، الذي له الملك ، والخلق ، والأمر ، وله الحكم كله ، يأمر بما يشاء ، وينهى عما يشاء :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

- **الإنسان بين الذكر والغفلة** :

الإنسان إما ذاكر ، وإما غافل : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٥] .

ونوع الإنسان أنه من شأنه إذا فاز بمحبوبه ، ووصل إلى مطلوبة ، أغتر بنفسه ، وماله ، وصار غافلًا عن عبادة ربه الذي أنعم عليه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ [العلق:٦-٨] .

وكل ما زاد الله عليه نعمه اغتر بها ، فنسي ذكر الله ، وأعرض عن عبادة ربه الذي خلقه ، وأنعم عليه ، وهداه ن وإن مسه فقر ، أو مرض ، أو ابتلاء كان يئوسًا ، شديد اليأس من رحمة الله ، واستولى عليه الأسف ، والحزن على الدنيا ، ولم يتفرغ لذكر الله تعالى . ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾[الحج:١١] .

فهذا شأن الإنسان الذي لم يؤمن بربه ، محروم أبدًا من ذكر الله ، ورحمته سواء أعطي ، أو منع : ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء:٨٣-٨٤] .

فهذا شأن الإنسان الذي لم يؤمن بربه ، محروم أبدًا ، فليس العطاء ، والمنع المادي ، دليل على رضا الله عن العبد ، بل رضاه سبحانه مقرون بعبادته وحده لا شريك له ، وطاعته ، وطاعة رسوله . ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾[الفجر:١٥-٢١] .

ولا سعادة للإنسان أبدا إلا بالإيمان بالله، ودوام ذكره، والعمل بشرعه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد:٢٨ -٢٩] .

وهذه النفوس المؤمنة ، تعود إلى ربها يوم القيامة ، راضية مرضية : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[الفجر:٢٧-٣٠] .

- **وذكر الله عز وجل ينقسم إلى قسمين :**

ذكرٌ نفساني .. ذكرٌ لساني .

الأول : الذكر النفساني

أن تذكر ربك العظيم في نفسك من غير كلام ، فتذكر في نفسك عظمة ربك ، وكبريائه ، وكماله ، وجلاله ، وتذكر فضله ، ونعمه ، وإحسانه ، وتذكر ثوابه ، وعقابه لاستدامة تعظيم الله والتضرع إليه ، والخوف منه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٥] .

وقال عز وجل : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾[الكهف: ٢٨] .

الثاني : الذكر اللساني .

وهو ذكر الله باللسان ، كقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ، وتلاوة القرآن، وأذكار الصلاة، وأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان بإحسان، ثم ذكر القلب بأنه يكون في نفسك لا يعلمه منك إلا ربك ، وهذا النوع من الذكر عظيم جدًا؛ لأنك تتفكر في عظمة الله، وسلطانه، وجبروته، وإحسانه، وثوابه، وعقابه، خائفًا منه، راجيًا له:﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾[آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ ﴾[المزمل:٨] .

وآثار ذكر الله عز وجل كثيرة ، فالمؤمنون إذا سمعوا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وخافت ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

وكذلك المؤمنون إذا سمعوا ذكر الله ، اطمأنت قلوبهم ، كما قال سبحانه :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[الرعد:٢٨] .

فالطمأنينة تعتلى قلوب المؤمنين إذا سمعوا ذكر الله ، لأن صدورهم انشرحت لمعرفة الحق ، واطمأنت به ، ومع هذا يخافون من الله ، لما يرون من عظمته ، وجبروته ، وجلاله ، ويخافون ألا يتقبل منهم أعمالهم ، لما يعتريها من النقص ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١] .

لهذا لا يتكلون على أعمالهم ، بل يتوكلون على ربهم ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢].

أما الكفار فإذا ذكر الله عندهم اشمأزت قلوبهم : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر:٤٥] .

أنواع الذكر :

الله عز وجل أمرنا بالإكثار من ذكره كمًا ، وكيفًا ، ليلًا ، ونهارًا ، مكانًا ، وزمانًا ، وعلمنا الله ، ورسوله كيفية الذكر ، وأنواعه ، ومقاديره ، والذكر أوسع أبواب العبادات ، فهو مسنون كل وقت ، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الله على كل أحيانه .

- **وأنواع الذكر ثلاثة :**

الأول : ذكر أسماء الله ، وصفاته ، ومعرفة معانيها ، والثناء على الله بها ، والتعبد لله بها .

الثاني : ذكر آلاء الله ، ونعمه ، وإحسانه إلى عباده .

الثالث : ذكر الأمر ، والنهي ، والحلال ، والحرام ، والوعد ، والوعيد .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٣] .

و ذكر الله عز وجل يكون بثلاثة أشياء :

بالقلب .. واللسان .. والجوارح .

فذكر الله بالقلب هو : التفكر في عظمة أسماء الله ، وصفاته ، وأفعاله ، وآلائه ، وإحسانه ، وآياته ، ونحو ذلك : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ ﴾[ق:٦-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنبياء:٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

أما الذكر باللسان هو : كل قول يقرب إلى الله عز وجل من التهليل ، والتكبير ، والتسبيح ، والتحميد ، وقراءة القرآن ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ ﴾ [الأحزاب:٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وكذا ذكر الله عز وجل بأنواع الأذكار والأدعية : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ [غافر:٦٠] .

وأما الذكر بالجوارح فهو كل فعل يقرب إلى الله عز وجل من أنواع العبادات ، كالصلاة ، والزكاة ، ونحوها :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣] .

- **فذكر الله عز وجل أنواع كثيرة :**

١- ذكر الله بأسمائه ، وصفاته ، والثناء عليه بها .

٢- ذكر الله بالتسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والتهليل .

٣- ذكر الله بأحكامه ، وأوامره ، ونواهيه .

٤- ذكر الله بمعرفة أقداره الكونية .

٥- ذكر الله بكلامه ، بتلاوة كتابه العظيم ، وهو أفضل الأذكار .

٦- ذكر الله بالدعاء ، والاستغفار ، والذكر ، والتضرع .

وأسعد الناس بهذه الأذكار ، أهل العلم : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

وقال عز وجل : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

وتذكير الناس بالدين له ثلاث حكم :

الأولى : إبراء ذمة المذكر ، كما قال سبحانه : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الغاشية:٢١-٢٤] .

الثانية : رجاء النفع لمن يوعظ بها .

قال عز وجل : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وقال عز وجل : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعلى:٩] .

وبين الله هاتين الحكمتين بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٤] .

الثالثة : إقامة الحجة على الناس ، كما قال سبحانه : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء:١٦٥] .

٢- الخزانة الثانية

- **أفضل الذكر :**

أفضل الذكر كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، أما الأسماء المضمرة ، التي وردت في كلمة التوحيد فهي ثلاثة : أنا ، وأنت ، وهو . وأعرف هذه الضمائر أنا ؛ لأن كل أحد يشير به إلى نفسه ، وأوسطها أنت ؛ لأنها خطاب للغير بشرط كونه حاضرًا ، وأدناها هو ؛ لأنه يدل على الغائب . وكلمة التوحيد جاءت في القرآن بكل واحدة من هذه الألفاظ الثلاثة .

١- **فلفظ " أنا "** جاء في سورة طه ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[طه:١٤] ، وغيرها من الآيات .

٢- **" وأنت "** جاء في قوله سبحانه : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الأنبياء:٨٧] .

٣- **ولفظ " هو "** جاء في سورة البقرة : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة:١٦٣] . ، وغيرها .

فقول لا إله إلا أنا ، لا يجوز أن يتكلم به أحد إلا الله ، أو من يذكره على سبيل الحكايات عن الله ؛ لأنه لا يعرف الله على سبيل التمام ، والكمال إلا الله وحده لا شريك له .

والثانية : لا إله إلا أنت ، فهذه يصح ذكره بها من العبد ، بشرط أن يكون حاضرًا لا غائبا ، وذلك عند حضوره عند المناجاة ، وغيبته عما سوى الله .

والثالثة : لا إله إلا هو، فهذه يصح ذكر الله بها من الغائبين، ودرجات الحضور بين يد الله مختلفة بالقرب، والبعد، وكمال التجلي، ونقصانه، وكل درجة من درجات الحضور ناقصة ، فهي غيبة بالنسبة للدرجة الكاملة .

ومن جاهد شاهد ، ومن شاهد صدق ، ومن صدق أفلح : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

ويحصل ذلك كله بالمداومة على ذكر الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد:٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

والعبد إذا دخل على الملك المهيب، والسلطان القاهر، ووقف بعينه، وعقله على كمال تلك المهابة، والعظمة، حضر بكليته بين يديه، وصار غافلًا عن كل ما سواه، وهكذا يجب على العبد أن يقف بين يدي ربه:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾

[الأنفال: ٢ – ٤].

وأفضل الذكر ، ذكر الله بالثناء الجميل ، الخالي عن السؤال ، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ" أَلَا أُنَبِّئُكم بِخَيْرِ أعمالِكُم ، وأَزْكاها عِندَ

مَلِيكِكُم ، وأَرفعِها في دَرَجاتِكُم ، وخيرٌ لكم من إِنْفاقِ الذَّهَب والوَرِقِ ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم ، فتَضْرِبوا أعناقَهُم ، ويَضْرِبوا أعْناقكُم ؟ ! ، قالوا : بَلَى ، قال : ذِكْرُ الله" أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد (١) .

فإن الفقير إذا قال للغني : يا كريم ، فإنما يريد إكرامه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

والمقصود من جميع الطاعات ، والعبادات ، استدامة ذكر الله ، ومن ذكر الله كثيرًا ، أطاعه ، ولم يعصه ، وأحبه ، وحمده ، وشكره : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠] .

والحق سبحانه يرغب الخلق ، ويدعوهم إلى الطاعات ، بمضاعفة أجورها ، فتارة يجعل ثمن الطاعة عشرة: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

وتارة بسبعمائة ضعف ، كما قال سبحانه : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٣٧٧)واللفظ له، وابن ماجه برقم: (٣٧٩٠) وأحمد برقم (٦/ ٤٤٧).

وتارة يضاعفها أضعافًا كثيرة ، كما قال سبحانه : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾[البقرة:٢٤٥] .

وتارة يعطيها للعبد بغير عمل ، فيعطى الله المؤمنون أجور عظيمة من لدنه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٦٨﴾ ﴾[النساء:٦٦ -٦٨] .

وتارة يعطي الرب الأجر بغير حساب ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠] .

وتارة يضاعف الكريم بحسب الأزمنة : كرمضان ، وليلة القدر ، وأيام عشر ذي الحجة ، وساعة الجمعة ، ونحو ذلك .

وتارة يضاعف حسب الأمكنة : كصلاة في المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، وبيوت الله عز وجل .

والمقصود الأصلي من الكل جذب المكلف إلى الطاعة ، وصرفه عن الاشتغال بالدنيا ، وتوجيهه لعبادة ربه وحده لا شريك له ، وحسن التوكل عليه ، والاستغناء به عمن سواه ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة:٤] .

- **حكمة الأذكار :**

المقصود من جميع الأدعية، والأذكار، وأنواع العبادات، والطاعات، هو حصول اليقين في القلب على ذات الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأنه بيديه كل شيء ، وغيره ليس بيده شيء :﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

وكذا حصول اليقين على دينه ، وشرعه ، وعلى وعده ، ووعيده : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

فقوله لا إله إلا الله يزيد الإيمان في القلب ، ودعوة لا إله إلا الله تزيد الإيمان في القلب ، وتدمر الباطل في قلب الذي تكلم بها ، وفي قلب من يسمعه، لهذا اليقين المطلوب، هو اليقين على ذات الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله ، ودينه ، وشرعه ، وفقدان رؤية غير الله من القلب ، فالذي يرى غير الله يفعل كالذي يمشي خلف السراب : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾[النور:٣٩] .

فالله عز وجل بيده ملكوت كل شيء، وغير الله ليس بيده شيء، هو- سُبْحَانَهُ-فعال لما يريد، يفعل ما يشاء بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨٢] .

فالخوف ، والأمن مثلًا بيد الله وحده لا شريك له ، وأسباب الأمن ، أو الخوف لا تخلق ذرة من الأمن ، أو الخوف ؛ لأن الأمن بيد المؤمن سبحانه ، والخوف كذلك بيد الله وحده ، وإبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس عنده من أسباب الأمن ، والنجاة شيء ، ونمرود ، وجنوده عندهم كل أسباب الأمن الحسية ، لكن الأمن بيد المؤمن جَلَّ جَلَالُهُ يؤمن به من يشاء من عباده ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام:٨٢].

فقوة لا إله إلا الله أعظم سهم في كبد الجاهلية ؛ لهذا أمر الله بالإكثار من ذكره ، حتى يرسخ في القلب أن القوي هو الله ، والكبير هو الله ، والعزيز هو الله ، والغني هو الله ، والقادر وحده هو الله :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الأحزاب:٤١-٤٢] .

- **وأنواع الذكر ثلاثة :**

الأول : الذكر باللسان فيما بين العبد ، وربه :﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٥] .

الثاني : الذكر باللسان فيما بين الناس بالدروس العلمية ، التي يعلم فيها العلماء أحكام الشريعة :﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال النبي ﷺ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ

فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » . متفق عليه[1] .

وقال ﷺ : « مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ ، وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ ، مَثَلُ الحَيِّ ، وَالمَيِّتِ » . أخرجه البخاري[2] .

الثالث : الذكر الاجتماعي ، والذكر الاجتماعي يكون بالذهاب إلى الناس ؛ لدعوتهم إلى الله ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر : « وَمِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » أخرجه البخاري[3] .

قال سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

ونحن نعرف **الأول** : الذكر باللسان فيما بين العبد ، وربه .

ونعرف **الثاني** : الذكر باللسان فيما بين الناس بتعليمهم أحكام الشريعة .

أما **الثالث** : وهو الدعوة إلى الله ، فأصحابه قليل ، وهذا أعظم أنواع الذكر ، وبه يرفع الله البلاء عن البشرية.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود : ١٧] .

فهذه أنواع الذكر، الذكر اللساني، الذكر الاجتماعي، والذكر اللساني، والذكر التعليمي، والذكر الدعوي، والداعي كالنحلة تسكن في أعلى مكان،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٠٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٧٤٠٥).

وتأكل أحسن أكل، وتطعم أحسن طعام، فالنحل تسكن في الجبال، والأماكن العالية ، والداعي الذي يدعو إلى الله ، ويخرج في سبيل الله ، يسكن بيوت الله، أو بيوت الصالحين، والداعي لا يأكل إلا الحلال، وكذا النحل يأكل من كل الثمرات الطيبة، والنحل تسلك أحسن الطرق، وتأتي بالعسل، فيسلك سلك ربك زللا، فالنحل تسلك أحسن الطريق، وتأتي بالعسل الذي ينفع الناس، وكذا الداعي يمشي في الناس ؛ لينشر الهداية، وينفع الناس :﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ ﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤] .

- **الإنسان بين الذكر والنسيان** .

النسيان من طبيعة البشر ، فلا آثم على ناس فمن نسى مأمورًا به شرعًا ، فلا يسقط بنسيانه مع إمكان التدارك ؛ لأن مقصود الشرع تحسين المصلحة للعباد :﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

فمن نسى من حقوق الله شيئا كصلاةٍ ، أو صومٍ ، أو حجٍ ، أو عمرة ، أو نسى من حقوق العباد كدين ، أو حق ، أو قصاص ، أو نذر ، أو زكاة ، أو صدقة ، أو غير ذلك من حقوق الله ، وحقوق عباده ، فهذا له حالتان :

الأولى : إن كان ما نسى لا يقبل التدارك كالجهاد ، والجمعة ، وصلاة كسوف ، فهذا يسقط وجوبه بفواته .

الثانية : إن كان ما نسيه يقبل التدارك وجب تداركه على الفور لأن تعجيله مسارعة إلى الخيرات ، ومبادرة إلى قضاء الديون سواء كان من حقوق الله

كصلاة ، وزكاة ، وصيام ، والحج ، والنذر ، و الكفارات ، أو كان من حقوق العباد كالديون ، والنفقات ، والحقوق الواجبة لأن الله يقول : ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾[الإسراء:٣٤] .

ولمن نسى أن هذا الفعل محرم حالتان :

الأولى : أن يكون المنسي من محرمات العبادة كالكلام ، والفعل الكثير في الصلوات ، وارتكاب محظورات الإحرام ، وملهيات الصيام ، والاعتكاف، فهذا يسقط أثمه من غير بدل ، ومن صلى ناسيًا طهارة الحدث لم تصح صلاته لأنه نسي مأمور به، فلا أثم عليه لكن عليه إعادة الصلاة لأن الصلاة لا تصح إلا بطهارة، والطهارة يمكن تداركها كما قال النبي ﷺ: « مَنْ نَسِيَ صَلاَةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا ، لاَ كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ » أخرجه البخاري [1] .

وإنما وجب تدارك المأمورات إذا ذكرت ؛ لأن أغراض تحصيل مصلحتها وهو ممكن فالإنسان محتاج إلى وجود هذه العبادات .

الثانية : ألا يختص التحريم بالعبادة ، فيسقط أثمه ، ويجب ضمانه كمن باع طعامًا ث نسي بيعه ، فأكله ، أو باع جاريته ، فنسى بيعها ، فوطأها ، فهذا لا أثم عليه في ذلك ، ويلزمه ضمان ما أتلفه من منافع لأن الضمان من الجوابر ، والجوابر لا تسقط بالنسيان . ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

ومن حلف بالله على شيء كطلاق أو عتاقٍ ثم فعل ما حلف عليه ناسيًا حلفه ، فلا أثم عليه ، ولا حنث عليه . ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧).

مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

فكل صلاة وجب أدائها كالصلوات الخمس والجمعة، فترك العبد متعمدًا لغير العذر، فلا يجب قضائها، وكذا كل عبادة واجبة من صلاة، أو صيام إذا تعمد تركها، فلا يلزمه القضاء؛ لأن القضاء ورد في الناسي والنائم ، وهما معذوران ، والمتعمد غير معذور كما قال النبي ﷺ: « مَنْ نَسِيَ صَلاَةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا ، لاَ كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ » أخرجه البخاري [1] .

والصلاة ، والصوم ، وسائر العبادات إكرام من الله لعبده ، فمن رفضه لا يقضيه لكن يجب عليه التوبة فورًا من ترك أمر الله العظيم : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات:١١] .

وقال لله عز وجل :﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[النور:٣١] .

وقال لله عز وجل :﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠] .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧).

٣- الخزانة الثالثة

- **آداب مجالس الذكر .**

مجالس الذكر هي التي يذكر فيها الله عز وجل بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، ويذكر فيها دينه ، وشرعه ، ويذكر فيها ، وعده ، و وعيده .

مجالس الذكر هي التي يكبر الله عز وجل فيها، ويعظم ، ويحمد ، ويشكر .

- **ولمجالس الذكر آداب ، ومن هذه الآداب :**

الأول : أن يجلس المسلم في مجالس الذكر بالتعظيم لله عز وجل والتعظيم لكلامه ، وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحب لله ولرسوله ﷺ والحب لكلام الله ، ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرغبة في تعلم العلم ، والخير ، والهدى ، والتواضع ، والافتقار ، وهذا كله عبادة من العبادات قال النبي ﷺ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري(١) .

ثانيًا : أن نستحضر ونتعلم فضائل مجالس الذكر :﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال لله عز وجل :﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾[فاطر: ٢٨] .

من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين وقال النبي ﷺ : « إذا مررتم برياضِ الجنةِ فارتعوا، قيل : يا رسولَ اللهِ وما هي رياضُ الجنةِ؟ قال : حلَقُ الذكرِ » أخرجه الترمذي وأحمد وأبو يعلى(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي (٣٥١٠)، وأحمد (١٢٥٤٥)، وأبو يعلى (٣٤٣٢) واللفظ له.

فمجالس الذكر ، والعلم ، والهدى أفضل المجالس : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[العصر:١-٣].

الثالث : في مجالس العلم ، والذكر نسأل الله العليم أن يعلمنا ما ينفعنا ، و أن ينفعنا بما علمنا ، ونسأل الهادي أن يهدينا لما يحبه ، ويرضاه ، ونسأل الوهاب أن يهبنا من العلم ما يهدينا إليه ، ويقربنا منه ، وأن يهبنا من العمل ما يوافق سنة الرسول ﷺ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

رابعًا : نسمع الكلام عن الله ، وعن دينه ، وعن شرعه بنية التعلم ، وبنية العمل به ، ونية الدعوة إليه ، وتعليمه الناس ؛ لنعبد الله عن بصيرة ، ونرفع الجهل عن أنفسنا ، وعن غيرنا :﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٩٨ ﴾[المائدة:٩٨] .

وقال لله عز وجل :﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ۝٧٩ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال لله عز وجل :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٧٧ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال لله عز وجل :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٢ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » أخرجه البخاري[1] .

خامسًا : في حلقات ، ومجالس الذكر نستحضر أن الله عز وجل يرانا ، وهو أول السامعين لنا :﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس:٦١] .

وكذلك نستحضر الملائكة الذين حضروا معنا في حلقات التعليم، والذكر ، فنوقرهم، ونحترمهم، كما قال النبي ﷺ : « لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ و حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » . أخرجه مسلم[2] .

ونستحضر عظيم الأجر وذكر الله لنا كما قال النبي ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري[3] .

وقال عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

سادسًا : أن نخلص العمل لله عز وجل عبادةً ، أو دعوةً ، أو تعليمًا ، أو إحسانًا إلى الخلق :﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٠٠).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[النساء:١١٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

- **أحكام الأذكار :**

ذكر الله عز وجل من أيسر العبادات ، وأسهلها ، وأجلها ، وأفضلها ، فحركة اللسان أخف حركات الجوارح ، وذكر الله جَلَّ جَلَالُهُ مشروعٌ في جميع الأوقات ، وأفضلهم ما كان مصحوبًا بحضور القلب ، وقد رتب الله عليه من الفضل ، والعطاء ما لم يرتب على غيره من الأعمال .

فذكر الله من أعظم العبادات التي أمر الله بها عباده :﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠ –١٩١] .

وقال عز وجل : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

وكل فريضة من صلاة ، وصيام ، وغيرها جعل الله لها حدًا معلومًا ، ووقتًا معلومًا ، وعذر أهلها عند عدم القدرة عليها إلا الذكر ، فلم يجعل الله له حدًا معلومًا ، ولا وقتًا معلومًا ، ولم يعذر أحد في تركه إلا من كان مغلوبًا

على عقله ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٣] .

وكان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه .

- **وكل مؤمن مكلف بأمرين :**

الذكر .. والشكر .

كما قال سبحانه : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

وقد قدم الله الذكر على الشكر لأن الذكر اشتغالٌ بذكر الله وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، والشكر اشتغالٌ بشكر نعم الله ، وإذا أحب الله عبدًا أكرمه بكرامتين :

الأولى : أن يلهمه ذكره ؛ ليذكره ربه في ملكوت السماء ، كما قال سبحانه في الحديث القدسي : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ » . متفقٌ عليه(١) .

الثانية : أن يعصمه عن المحرمات ، والتعلق بالدنيا ؛ لئلا يغضب عليه ربه ويحل بيه عقوبته، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف: ٢٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٧٥).

قال عز وجل عن يوسف ﷺ : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف:٢٤] .

وقال عز وجل : ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل:٨] .

حكمة الإكثار من ذكر الله ﷻ :

ذكر الله عز وجل يفيد العبد فائدتين عظيمتين :

الأولى : طمأنينة القلب ؛ لأن المخلوق محتاج إلى ربه في جميع أحواله ، فمن آمن بالله أعطاه ربه ما يحبه ، ومنع عنه ما يكره ، فاطمئن قلبه .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:٢٨] .

وحاجات العباد غير متناهية ، ولا يسد حاجة العباد إلا كريم قادر رحيم ، وليس ذلك إلا الله وحده :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢] .

ثانيًا : إزالة الظلمة البشرية ، فالله نور السموات ، والأرض ، وكل ما سواه مظلم في ذاته ، فكان ذكر الله يفيد وصول أنوار عالم الربوبية إلى باطن القلب ، فتزول عن القلب ظلمات البشرية ، وتشرق الروح الإلهي: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور:٣٥] .

- **أقسام الذكر.**

ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- ثلاثة أقسام:

ذكر الله باللسان ، وذكر الله بالقلب ، وذكر الله بالجوارح(البدن).

- **الذكر باللسان**

كقول العبد سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله وكالأذكار المطلقة ، والمقيدة ، وقراءة القرآن ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر، والنصيحة للمسلمين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ ﴾[الأحزاب:٧٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله عز وجل :﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال النبي -ﷺ-:«الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قِيلَ : لمِنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : للهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ ». أخرجه مسلم(١).

- **أما الذكر بالقلب فهو ثلاثة أنواع:**

الأول: أن يتفكر العبد في دلائل الوحدانية لله ودلائل وجمال أسماء الله ، وصفاته ، وأفعاله ؛ ليأتي في قلبه حب الله ، وتعظيمه ، وشكره ، وطاعته:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥).

الثاني: أن يتفكر في حسن الأحكام الشرعية من الأمر، والنهى ، والحلال ، والحرام ، والثواب ، والعقاب ، والوعد ، والوعيد ؛ ليسهل عليه فعل الطاعات ، وترك المعاصي ، ويتم ذلك بالنظر في الآيات القرآنية ، والسنة النبوية: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

الثالث: أن يتفكر في الآيات الكونية ، وأسرار خلق الله في العالم العلوي ، والسفلى ، فيرى كل ذرة في المخلوقات دالة على وحدانية الله تسبح بحمده ، وتشهد بوحدانيته ، وجلاله ، وجماله ؛ ليعبد الله كأنه يراه بالتعظيم له ، والذل له ، والحب له ، وهذا بحرٌ لا ساحل له: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل :﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

أما الذكر بالجوارح فهو أن تصير جوارح العبد مستغرقة في طاعة الله -عَزَّ وَجَلَّ- خالية من معاصي الله -سُبْحَانَهُ- :﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

فقوله تعالى " فَاذْكُرُونِي" يتضمن الأمر بجميع أنواع الطاعات ، وقوله "أَذْكُرْكُمْ" يتضمن فضل الله في إعطاء جميع أنواع الكرامات ، والخيرات من الثواب العظيم ، والمقام الكريم ، ورضوان رب العالمين: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٧-٢٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

وأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب ، واللسان والجوارح مقرون بالتضرع ، والخوف ، كما قال -سُبْحَانَهُ:﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٥] .

- **وذكر الله في بدن الإنسان سبعة أنواع:**

١- فذكر اللسان بالحمد ، والثناء ، والاستغفار، والدعاء .

٢- وذكر القلب بالحب ، والخوف ، والرجاء ، والتعظيم لرب العالمين.

٣- وذكر الروح بالتسليم ، والرضا.

٤- وذكر العين بالبكاء.

٥- وذكر الأذنين بالإصغاء لوحي رب الأرض ، والسماء.

٦- وذكر اليدين بالبذل ، والعطاء .

٧- وذكر البدن بالجهد . والوفاء.

قال الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

وقال عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

ومن ذكر الله في الرخاء ذكره الله في الشدة ، وأفضل الذاكرين الذي كل أحواله ذكر لربه ، وذكرٌ لرسول رب العالمين إلى الخلق أجمعين - ﷺ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

- **صفة الذكر والدعاء:**

الأصل في الذكر، والدعاء هو الإصرار به ، والجهر في الذكر، والدعاء يكون استثناء لا يكون إلا بما ورد به الشرع كالذكر بعد السلام في الصلاة ، والتلبية ، ونحوهما.

ولا بد في مقام الذكر من رؤية صفات جلال الله ، ورؤية صفات جماله ؛ لتعظم مهابة الرب في القلب ، ويزداد حب العبد لمولاه برؤية جلاله ، وجماله ، وعظيم نعمه ، وإحسانه.

- **وخوف العباد من ربهم قسمان :**

الأول: خوف العقاب ، وهذا مقام المبتدئين ، فإن كل من خالف الأمر خشي أن تنزل به العقوبة ، وخاف من ربه لأنه الذي يقول: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء:١٢٣] .

وقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء : ١٤] .

الثاني: خوف الجلال ، وهذا مقام العارفين ، وهو أكمل ، فمن كان بالله اعرف كان منه أخوف ، كما قال -سُبْحَانَهُ-: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا

وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٥] .

وقال عز وجل : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥] .

قال الله تَعَالَىَ عن الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

- **خصائص الذكر:**

للذكر خصائص أربع هي:

الأولى: الدوام

كما قال -سُبْحَانَهُ-:﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾[المزمل:٨] .

الثانية: كونه أكبر من كل شيء

كما قال -سُبْحَانَهُ-:﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

الثالثة: الإكثار منه

كما قال -سُبْحَانَهُ-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢] .

الرابعة: الذكر بعد الذكر، فمن ذكر الله ذكره

كما قال -سُبْحَانَهُ-:﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

٤- الخزانة الرابعة

- **أحكام الأذكار :**

هدى النبي ﷺ في الذكر :

النبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله عز وجل ، فكان يذكر الله في كل أحيانه ، وعلى جميع أحواله ، فكلامه ﷺ كله في ذكره الله ، وما مولاه ، وكان أمره ، ونهيه ، وتشريعه ذكرًا منه لله سبحانه ، وكان أخباره ﷺ عن ربه في أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وأحكامه ذكرًا منه لربه ، وكان حمده لربه ، وتسبيحه ، وتمجيده له ، وثناء عليه ، وسؤاله إياه ، ودعائه ، وخوفه منه ، ورجاءه إياه ذكرًا منه لربه ، فصلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

نبيٌ ذكى الله عقله ، وقلبه ، ولسانه ، وجوارحه ، وذكى الكتاب الذي أُنزل إليه ، وذكي الرسول الذي نزل به عليه ، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [النجم:١-٦] .

- **فضائل ذكر الله تَعَالَىَ :**

قال الله تَعَالَىَ : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

وقال الله تَعَالَىَ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ الرعد:٢٨ -٢٩] .

وقال الله تَعَالَىَ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « يقول الله تَعَالَىَ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » . متفقٌ عليه[1] .

وعن ابن موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ » . أخرجه البخاري[2] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله – ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ : جُمْدَانُ ، فَقَالَ : سِيرُوا ، هَذَا جُمْدَانُ ، سَبَقَ المُفَرِّدُونَ . قَالُوا : وَمَا المُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٠٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٧٦).

- **فوائد ذكر الله عز وجل :**

ذكر الله عز وجل له فوائد عظيمة وكثيرة ومنها :

أن ذكر الله يرضى الرحمن ، ويطرد الشيطان ، ويسهل الصعب ، ويزيل الشر ، ويذهب الهم ، والغم عن القلب ويقوى القلب ، و البدن ، و ينور القلب ، والوجه ، ويجلب الرزق ، ويذهب المخاوف ، ويزيد الأمان ، والطاعات وهو غراس الجنة .

وذكر الله عز وجل يحط الخطايا ، ويذهبها ، وينجى من عذاب الله ، ويزيل الوحشة بين العبد ، وربه ويرث ذكر الله لعبده ، ومحبة الله ، والأنس به ، والإنابة إليه ، والقرب منه .

وذكر الله سبحانه يعطى الذاكر قوة ، ويكسوه جلالة ، ومهابة ، ونظرة .

وذكر الله عز وجل سببٌ لنزول السكينة على الذاكرين غاشيًا الرحمة لهم ، تحفهم الملائكة ، ويذكرهم الله فيمن عنده ، ويباهي بهم الملائكة .

ولذلك أمر الله عز وجل بدوام ذكره، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٤] .

وقال الله تَعَالَى : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا ﴿٧٦﴾ ﴾[مريم:٧٦] .

الباقيات الصالحات كل عمل صالح يرضي الله عز وجل من الأدعية ، والأذكار ، وسائر الطاعات ، والعبادات ، ومن ذلك :

أولًا : سبحان الله :

ومعناها تقديس الله ، وتنزيهه عن العيوب ، والنقائص ، ونفى الشريك له في ربوبيته وألوهيته ، وأسمائه ، وصفاته ، ونفى الشبيه له في أسمائه ، وصفاته ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص:١-٤] .

ثانيًا : الحمد لله :

ومعناها إثبات جميع المحامد لله فهو المحمود على كمال ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله وهو المحمود على إنعامه ، وإحسانه ، وهو المحمود على دينه ، وشرعه ، وعلى ثوابه ، وعقابه .

ثالثًا : لا إله إلا الله :

ومعناها لا معبود بحق إلا الله ، وهى تنفى العبادة عن جميع المخلوقات ، وتثبتها لله وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ ﴾ [الأنعام:١٠٢] .

رابعًا : الله أكبر :

ومعناها إثبات صفات الجلال ، والعظمة ، والكبرياء عن الله وحده لا شريك له .

خامسًا : لا حول ولا قوة إلا بالله :

ومعناها أن الله وحده صاحب الحول ، والقوة ، فلا يغير الأحوال إلا الله ولا نتمكن من أي عمل إلا بمعونة الله ، ولا يحدث في الكون شيئًا إلا بإذن

الله :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف:٤٦] .

- **فضل دوام ذكر الله تَعَالَى :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

وقال الله تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة:٩-١٠] .

وقال عز وجل : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل:٨] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يَذْكُرُ اللهَّ عَلَى كُلِّ أَحْيانه » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٧٣).

عَبْدِ اللهَّ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه : « أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ؟ قَالَ : لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهَّ » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسندٍ صحيح(١) .

عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : ذِكْرُ اللهَّ تَعَالَى » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسندٍ صحيح(٢) .

- **فضل مجالس الذكر :**

عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُما عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُّ فِيمَنْ عِنْدَهُ » . أخرجه مسلم(٣) .

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : « أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : " مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ " ، فَقَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَّ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ ، قَالَ : " آللهَّ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ " ، قَالُوا : وَاللهَّ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ ، فَقَالَ : أَمَّا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنِّي أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ » . أخرجه مسلم(٤) .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٣٧٥)، وابن ماجة برقم: (٣٧٩٣).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٣٧٧)، وابن ماجة برقم: (٣٧٩٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٠٠).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٠١).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قال رَسُولَ اللهَّ ﷺ: « إِنَّ للهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مجَلْسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ » . أخرجه مسلم(١) .

ذكر الله تعالى ، والصلاة على نبيه في كل مجلس ، قال الله تَعَالَى : ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ٨ ﴾ [المزمل:٨] .

وقال الله تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

عن أَبِي هُرَيْرَةَ أن النبي ﷺ قال : « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مجَلْسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَّ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ » . أخرجه أحمد ، والترمذي بسندٍ صحيح(٢) .

عقوبة من أعرض عن ذكر الله عز وجل :

- **من أعرض عن ذكر الله عز وجل أصيب بأربعة عقوبات :**

الأولى : المعيشة الضنك :﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦] .

الثاني : الاشتغال بالشهوات ، و الإعراض عن عبادة الله ، ومن أعرض عن الرحمن اقترن به الشيطان : ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٨٩).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٣٨٠)، وأخرجه أحمد برقم: (٩٨٤٣).

لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزخرف:٣٦-٣٧]

وقال الله تَعَالَى : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

الثالثة : نزول العذاب المستمر .

قال الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾[الجن:١٦-١٧] .

وقال الله تَعَالَى : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٢] .

وقال الله تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

رابعًا : الخسارة في الدنيا ، والآخرة .

قال الله تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[المنافقون:٩] .

وقال الله تَعَالَى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

أنواع الأذكار :

- **الأذكار ثلاثة أنواع :**

أذكار الصباح والمساء .. الأذكار المطلقة .. الأذكار المقيدة .

١- أذكار الصباح والمساء

- **وقت الأذكار:**

في الصباح: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

وفي المساء: من دخول وقت العصر إلى غروب الشمس.

والأمر فيها واسع لمن عرض له شغل ، أو نسي ، أو نام.

قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق:٣٩-٤٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإنسان/ ٢٥-٢٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ، وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يومَ القِيَامَةِ بَأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيهِ». أخرجه مسلم(١).

وفي لفظ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ في يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَو كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ». متفق عليه(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٩١) واللفظ له.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ في يَوم مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَومَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ». متفق عليه[1].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ خَلَقْتَني، وَأَنا عَبْدُكَ، وَأَنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَومِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». أخرجه البخاري[2].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ نَبِيُّ الله ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى المُلْكُ للهِ، وَالحَمْدُ للهِ، لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيرِ هَذِهِ اللَّيلَةِ، وَخَيرمَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّمَا فِيهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهرَم، وَسُوءِ الكِبَرِ، وَفِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ القَبْرِ » . وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيضاً : «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٣)، ومسلم برقم (٢٦٩١)، واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

للهِ.. » الخ .أخرجه مسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: لا إلَهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَنْ قالها عشرَ مرَّاتٍ حين يصبح ،كُتِبَ لَهُ بها مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ بها مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ عَدْلَ رقبة ، وحُفِظ بها يومئذٍ حَتَّى يُمْسِي، ومن قال مثل ذلك حين يُمْسِي كان له مثلُ ذَلِكَ». أخرجه أحمد[2].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن أبابكر الصديق رضي الله عنه سأل النبي ﷺ، قال: يا رسول الله علِّمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال: «يا أبابَكْرٍ قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَات وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيْكَهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ على نَفْسي سُوءاً أَوْ أَجُرَّهُ إلى مُسْلِمٍ». أخرجه البخاري في الأد ب المفرد والترمذي[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذَا أَصْبَحَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإلَيكَ النُّشُورُ»، وإذَا أَمْسَى قَالَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإلَيكَ المَصِيرُ». أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود[4].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٣).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٧١٩).

(٣) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (١٢٣٩) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٢٩).

(٤) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (١٢٣٤)، وأخرجه أبو داود برقم (٥٠٦٨).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعوات حين يمسي، وحين يصبح: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافيةَ في دِيني وَدُنيَايَ وَأَهْلي وَمَالي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتي، وَ آمِنْ رَوْعَاتي، وَاحْفَظْني مِنْ بَينِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِيني، وَعَنْ شِمَالي، وَمِنْ فَوقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». أخرجه أبو داود وابن ماجه[1].

وعن أبي عياش رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ إذَا أَصْبَحَ لا إلَهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ عِدْلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ في حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإنْ قَالَهَا إذَا أَمْسَى، كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ». أخرجه أبو داود وابن ماجه[2].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ في صَبَاحِ كُلِّ يَومٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِاسْم الله الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلا في السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ». أخرجه الترمذي وابن ماجه[3].

وعن عبدالله بن أبزى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كَانَ يَقُولُ إذَا أَصْبَحَ وَإذَا أَمْسَى: «أَصْبَحْنَا على فِطْرَةِ الإسْلامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الإخْلاصِ، وَعَلَى

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٥٠٧٤)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٧١)، وهذا لفظه.
(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٥٠٧٧)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٦٧).
(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٣٨٨)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٦٩)، وهذا لفظه.

دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المشْرِكِينَ». أخرجه أحمد والدارمي(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوْصِيكِ بِهِ؟ أَنْ تَقُولي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيتِ: يَا حَيُّ يَا قيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لي شَأْني كُلَّهُ، وَلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَينٍ». أخرجه النسائي في الكبرى والحاكم(٢).

وعن أُبيِّ بنِ كَعْبٍ رضِي اللهُ عنه أَنَّه كان له جُرْنٌ من تمَرٍ فكان يَنقُصُ فحرسَه ذاتَ ليلةٍ فإذا هو بدابَّةٍ شِبْه الغُلامِ المُحتَلِمِ فسلَّمَ عليه فرَدَّ عليه السلامَ فقال ما أنت جِنِّيٌ أمْ إنْسيٌ قال جِنِّيٌ قال فناوِلْنِي يدَك قال فناوَلَه يدَه فإذا يدُه يدُ كلبٍ وشَعرُه شَعرُ كلبٍ قال هذا خَلْقُ الجِنِّ قال قدْ عَلِمتِ الجِنُّ أنَّ ما فِيهم رجلًا أشدَ مِنِّي قال فما جاء بِكَ قال بلَغَنَا أَنَّكَ تحُبُّ الصَّدقةَ فجِئْنا نُصيبُ من طعامِك قال فما يُنَجِّينَا مِنكُم قال هذه الآيةُ التِي في سورةِ البقرةِ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾[البقرة:٢٥٥] . مَنْ قالهَا حِينَ يُمسِي أُجِيرَ مِنَّا حتَى يُصْبِحَ ومَن قالهَا حينَ يصبحُ أُجِيرَ مِنَّا حتى يُمسِي فلَمَّا أصبحَ أَتَى رسولُ اللهِ ﷺ فذكر ذلكَ له فقال : صَدَقَ الخبيثُ». أخرجه الحاكم والطبراني(٣).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: مَنْ قَالَ إذا أصبح وإذا أمسى: حَسْبِيَ الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، كَفَاهُ الله

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٥٤٣٤) وهذا لفظه، وأخرجه الدارمي برقم (٢٥٨٨).
(٢) صحيح/ أخرجه النسائي في الكبرى برقم (١٠٤٠٥)، وأخرجه الحاكم برقم (٢٠٠٠).
(٣) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم (٢٠٦٤)، وأخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٢٠١).

ما أَهَمَّهُ. أخرجه أبوداود[١].

وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ حِينَ يُمْسِي أَوْ يُصْبِحُ: رَضِيتُ بِالله رَبّاً، وَبِالإِسْلامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً، إِلَّا كَانَ حَقّاً على الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُرْضِيَهُ يومَ القِيَامَةِ». أخرجه أحمد وأبو داود[٢].

وعن معاذ بن عبدالله عن أبيه قال: أَصَابَنَا طَشٌّ وَظُلْمَةٌ فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا.. فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا فَقَال: «قُلْ» فَقُلْتُ مَا أَقولُ: قَالَ: «قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ، وَالمُعَوِّذتَيْنِ حِينَ تُمْسي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلاثاً يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ». أخرجه الترمذي والنسائي[٣].

وعن أبي مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيرَ هَذَا اليَومِ فتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فيهِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ». أخرجه أبو داود[٤].

- **ما يقول من الأذكار صباحاً:**

عن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «ما زِلْتِ عَلى الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْها؟» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ

---

(١) حسن/ أخرجه أبوداود برقم (٥٠٨١).

(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٤٩٩)، وهذا لفظه، وأخرجه أبوداود برقم (٥٠٧٢).

(٣) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٧٥)، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٢٨)، وهذا لفظه.

(٤) حسن/ أخرجه أبو داود برقم (٥٠٨٤).

بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَومِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» .أخرجه مسلم[1].

- **ما يقول من الأذكار مساء :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، قال: «أَمَا لَو قُلْتَ حِينَ أَمْسَيتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ». أخرجه مسلم[2].

- **ما يقول من الأذكار ليلاً :**

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا في لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». متفق عليه[3].

وقال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٥- ٢٨٦].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٠٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٨٠٧)

٥- الخزانة الخامسة

٢- الأذكار المطلقة

أوردت في هذا الباب فضائل التسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، والاستغفار ونحوها من الأذكار المشروعة في كل وقت، ومنها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ، ثَقِيلتَانِ في الميزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ» .متفق عليه(١).

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الكَلامِ إلى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ». أخرجه مسلم(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إليَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيهِ الشَّمْسُ». أخرجه مسلم(٣).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيْمَانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الميزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَينَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَايِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٨٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٩٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٥).

مُوْبِقُهَا». أخرجه مسلم[١].

وعن أبي ذر رضي الله عنه أَنْ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ أَيُّ الكَلامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَى الله لِمَلائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ». أخرجه مسلم[٢].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أَيعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يومٍ أَلفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ». أخرجه مسلم[٣].

وفي لفظ: «تُكْتَبُ لَهُ أَلفُ حَسَنَةٍ، وَتُحَطُّ عَنْهُ أَلفُ سَيِّئَةٍ». أخرجه أحمد والترمذي[٤].

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ سُبْحانَ الله العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجنَّةِ». أخرجه الترمذي[٥].

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». أخرجه مسلم[٦].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٨).

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٤٩٦)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٤٦٣)، وهذا لفظه.

(٥) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٦٥).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٣).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جَاءَ أَعْرَابيٌّ إلى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلاماً أَقُولُه. قال: «قُلْ: لا إلَهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، الله أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالحَمْدُ للهِ كَثِيراً، سُبْحَانَ الله رَبِّ العَالَمِينَ، لا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِالله العَزِيزِ الحَكِيمِ» قَالَ: فَهَؤلاءِ لِرَبِّي، فَمَا لي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وَارْحَمْني وَاهْدِني وَارْزُقْني». أخرجه مسلم(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يُصْبِحُ على كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُل تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا من الضُّحَى». أخرجه مسلم(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: رَضِيْتُ بِالله رَبّاً، وَبِالإسْلامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّة». أخرجه مسلم وأبو داود(٣).

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «يَا عبْدَالله بْنَ قَيسٍ أَلا أَدُلُّكَ على كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟» فَقُلْتُ: بَلى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «قُلْ: لا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِالله». متفق عليه(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَالله إنِّي

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٢٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٨٨٤)، وأخرجه أبو داود برقم (١٥٢٩)، وهذا لفظه.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٤) واللفظ له.

لأَسْتَغْفِرُ الله وَأَتوبُ إلَيهِ في اليَومِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً». أخرجه البخاري[١].

وعن الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّهُ لَيُغَانُ على قَلْبِي، وَإنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله في اليَومِ مِائَةَ مَرَّةٍ». أخرجه مسلم[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيهِ عَشْراً». أخرجه مسلم[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ الله الَّذِي لا إلَهَ إلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَأَتوبُ إلَيهِ ، ثلاثاً، غُفِرَتْ ذُنوبُهُ وَإنْ كَانَ فَارّاً مِنَ الزَّحْفِ ».أخرجه الحاكم[٤].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٤٠٨).

(٤) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم (٢٥٥٠).

٣- الأذكار المقيدة

تنقسم الأذكار المقيدة إلى قسمين، وهما:

١ – الأذكار التي تقال في أوقات الشدة

- **ما يقول عند الكرب:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لا إِلَهَ إِلَّا الله العَظيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ العَرْشِ العَظيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ». متفق عليه(١).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ في بَطْنِ الحُوتِ: لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فإنه لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ في شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ الله لَهُ». أخرجه الترمذي(٢).

- **ما يقول إذا راعه شيء:**

عن ثوبان رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَاعَهُ شَيْءٌ قَالَ: «اللهُ اللهُ ربِّي لا شريكَ لَهُ ». أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة(٣).

- **ما يقول إذا أصابه هَمّ أو حزن:**

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَداً قَطُّ هَمٌّ وَلا حُزْنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتي بِيَدِكَ، مَاضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٠٥).

(٣) صحيح/ أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٦٥٧).

لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِن خَلْقِكَ، أَوْ أَنزَلْتَهُ في كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إلا أَذْهَبَ الله هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحاً». قَالَ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله ألا نَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ: «بَلَى ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا». أخرجه أحمد[١].

- **ما يقول إذا خاف قوماً:**

«اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ». أخرجه مسلم[٢].

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ في نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ» .أخرجه أحمد وأبو داود[٣].

- **ما يقول عند لقاء العدو:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا غَزَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنتَ عَضُدِي وَنَصِيري، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ». أخرجه أبو داود والترمذي[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿**حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ**﴾ قَالَهَا إبرَاهِيمُ عَلَيهِ السَّلامُ حِينَ أُلْقِيَ في النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿**إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ**﴾.أخرجه البخاري[٥].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٣٧١٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٠٠٥).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٩٩٥٨)، وأخرجه أبو داود برقم (١٥٣٧)، وهذا لفظه.

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٢٦٣٢)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٨٤).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٤٥٦٣).

• **ما يقول عند طلب النصر على العدو:**

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٧-١٤٨].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ». متفق عليه(١).

• **ما يقول إذا لحقه العدو:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: أَقْبَلَ نَبِيُّ الله ﷺ إلى المدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبا بَكْرٍ، وَأَبو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ، وَنَبِيُّ الله ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ، قَالَ فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبا بَكْرٍ فَيَقُولُ: يَا أَبا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِيني السَّبِيلَ، قَالَ فَيَحْسِبُ الحَاسِبُ أَنهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الخَيرِ، فَالْتَفَتَ أَبوبَكْرٍ فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لحِقَهُمْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ، هَذَا فَارِسٌ قَدْ لحِقَ بِنَا، فَالْتَفَتَ نَبِيُّ الله ﷺ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ » فَصَرَعَهُ الْفَرَسُ ، ثُمَّ قَامَتْ تُحَمْحِمُ. أخرجه البخاري(٢).

• **ما يقول من الدعاء على الظالمين:**

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يومَ الخَنْدَقِ فَقَالَ: «مَلأَ الله قُبورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَاراً كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ». متفق عليه(٣).

«اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيهِمْ سِنِينَ كَسِنيِّ يُوسُفَ».

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٦٦) ، ومسلم برقم (١٧٤٢).

(٢)أخرجه البخاري برقم (٤٥٦٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٢٧).

متفق عليه[1].

- **ما يقول إذا غلبه أمر:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحَبُّ إلى الله مِنَ المؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ على مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَو أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». أخرجه مسلم[2].

- **ما يقول ويفعل من أذنب ذنباً:**

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْباً فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيصَلِّي رَكْعَتَينِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ الله إِلَّا غَفَرَ الله لَهُ»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ إلى آخر الآية. أخرجه أبو داود والترمذي[3].

- **ما يقول مَنْ عليه دَيْن:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَمِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّينِ ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ». أخرجه البخاري[4].

وعن علي رضي الله عنه أَنَّ مُكَاتَباً جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنيهِنَّ رَسُولُ الله ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠٠٦)، ومسلم برقم (٦٧٥) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٢١)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٠٠٦).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٩).

جَبَلِ ثَبِيرٍ دَيْناً أَدَّاهُ الله عَنْكَ؟ قال قُلْ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ» .أخرجه أحمد والترمذي[1].

- **ما يقول من أصابته نكبة صغيرة أو كبيرة:**

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي في مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لي خَيراً مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ الله في مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيراً مِنْهَا» .أخرجه مسلم[2].

- **ما يقول لطرد الشيطان ووساوسه:**

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت:٣٦].

الأذان، المحافظة على الأذكار، تلاوة القرآن، آية الكرسي ونحو ذلك .

- **ما يقول عند الغضب:**

عن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه قال: اسْتَبَّ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَباً قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَو قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَو قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». متفق عليه[3].

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (١٣١٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٦٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١١٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦١٠).

٢ - أذكار الأمور العارضة

- **ما يقول عند دخول البيت:**

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ الله عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ :لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ الله عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ : أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ الله عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ : أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ وَالعَشَاءَ». أخرجه مسلم[١].

- **ما يقول عند القيام من المجلس:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَلَسَ في مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ في مَجْلِسِهِ ذَلِكَ». أخرجه أحمد والترمذي[٢].

- **ما يقول إذا سمع صياح الديكة، و نهيق الحمير، ونباح الكلاب:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلوا الله مِنْ فَضْلِهِ، فإنها رَأَتْ مَلَكاً، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فتَعَوَّذُوا بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ فإنها رَأَتْ شَيْطَاناً». متفق عليه[٣].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُباحَ الكِلابِ، وَنَهِيقَ الحُمُرِ بِاللَّيلِ فَتَعَوَّذُوْا بِالله، فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لا تَروْنَ».

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٠١٨).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٠٤٢٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٣)، وهذا لفظه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٠٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٢٩).

أخرجه أحمد وأبو داود[١].

- **ما يقول لمن نُصح ثم استكبر:**

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِيْنِكَ» قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لا اسْتَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إلى فِيْهِ. أخرجه مسلم[٢].

- **ما يقول إذا شرع في إزالة المنكر:**

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ وَحَوْلَ البَيْتِ ثَلاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ نُصُباً، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ في يَدِهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: «﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾». متفق عليه[٣].

- **ما يقوله لمن صَنع إليه معروفاً:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الخَلاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وُضُوءاً، قَالَ: «مَنَ وَضَعَ هَذَا؟» فَأُخْبِرَ، فَقَالَ:« اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ». متفق عليه[٤].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيهِ مَعْرُوفٌ فقال لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ الله خَيراً، فَقَدْ أَبلَغَ في الثَّناءِ». أخرجه الترمذي[٥].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٤٣٣٤)، وأخرجه أبو داود برقم (٥١٠٣)، وهذا لفظه.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٠٢١).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٧٨) واللفظ له، ومسلم برقم (١٧٨١).
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٤٧٧).
(٥) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٠٣٥).

وعن عبدالله بن أبي ربيعة رضي الله عنه قال: اسْتَقْرَضَ مِنِّي النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ أَلفاً فَجَاءَهُ مَالٌ فَدَفَعَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: «بَارَكَ الله لَكَ في أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الحَمْدُ وَالأَدَاءُ». أخرجه النسائي وابن ماجه[1].

- **ما يقوله إذا رأى الباكورة من الثمر:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاؤُا بِهِ إِلى النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا في مَدِيْنَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا في صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا في مُدِّنَا» قَالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ. أخرجه مسلم[2].

- **ما يقال عند التعجب والسرور:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه لَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ في طَرِيق مِنْ طُرقِ المَدِيْنَةِ وَهُوَ جُنُبٌ فَانْسَلَّ فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ فتَفَقَّدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ: «أَينَ كُنْتَ يَا أَبا هُرَيرَةَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَقِيْتَني وأَنَا جُنُبٌ فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ حَتَّى أَغْتَسِلَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ«سُبْحَانَ الله، إِنَّ المؤْمِنَ لا يَنْجُسُ». متفق عليه[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما -وفيه-..قَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ الله: أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ إِليَّ بَصَرَهُ فَقَالَ: «لا» فَقُلْتُ: الله أَكْبَرُ. متفق عليه[4].

---

(١) حسن/ أخرجه النسائي برقم (٤٦٨٣)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٢٤٢٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٣)، ومسلم برقم (٣٧١) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١٩١) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٧٩).

- **ما يقول إذا هاجت الريح:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عَصَفت الريح قال: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ». أخرجه مسلم[١].

- **ما يقول إذا رأى السحاب والمطر:**

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى المطر قال: «اللَّهُمَّ صَيِّباً نَافِعاً». أخرجه البخاري[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النَّبِيَّ ﷺ كانَ إذا رأى سَحَاباً مُقبلاً من أُفُقٍ منَ الآفاقِ ترَكَ ما هُوَ فيه وإنْ كانَ في صَلاتِهِ حَتَّى يَسْتَقْبِلَهُ فيقُولُ: «اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بكَ من شَرّ مَا أُرْسِلَ بِهِ» فإنْ أمطَرَ قال: «اللَّهُمَّ سَيْباً نَافِعاً» مَرَّتْينِ أو ثلاثةً، وإنْ كَشَفَهُ الله عزَّ وجلَّ ولمْ يُمطِرْ حَمِدَ الله على ذَلكَ. أخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه[٣].

- **ما يقوله بعد نزول المطر:**

« مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ ». متفق عليه[٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٩٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٠٣٢).

(٣) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم(٧٠٧)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٨٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠٣٨) ، ومسلم برقم (٧١).

- **ما يقول من الدعاء لخادمه:**

عن أنس رضي الله عنه قال: قالت أمي: يا رسول الله ، خادمك ادع الله له، فقال: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فيمَا أَعْطَيْتَهُ». متفق عليه[1].

- **ما يقول إذا أراد مدح مسلم:**

عن أبي بكرة رضي الله عنه -وفيه-.. أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحاً صَاحِبَهُ لا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلاناً، وَالله حَسِيْبُهُ، وَلا أُزَكِّي على الله أَحَداً، أَحْسِبُهُ -إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ- كَذَا وَكَذَا». متفق عليه[2].

- **ما يقول إذا زُكِّي:**

عن عدي بن أرطأة قال: كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زُكِّي قال: اللَّهُمَّ لا تُؤَاخِذْني بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لي مَا لا يَعْلَمُونَ. أخرجه البخاري في الأدب المفرد[3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٦٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٦٢)، ومسلم برقم (٣٠٠٠) واللفظ له.

(٣) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٨٢).

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٢- خزائن الأدعيـة

وتشتمل على ما يلي :

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠ الخزانة العاشرة

٢٢- رسائل الأدعية

١- الخزانة الأولى

فقه الدعاء : الدعاء هو سؤال العبد ربه طلب ما ينفعه ودفع ما يضره في العاجل والآجل .

- **والدعاء نوعان** :

الأول : دعاء ثناء وهو أن يثني العبد على ربه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى تعبدًا لله طلبًا لثوابه وتوسلًا لقضاء حاجته كما قال سبحانه : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٧] .

وقال أيوب : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[الأنبياء:٨٣] .

ومثل قول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

أو يقول في دعاء الثناء : يا رب العالمين ، يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين .

الثاني : دعاء المسألة وهو أن يطلب العبد حاجته من ربه كان يقول : رب اغفر لي وارحمني ، وارزقني ، وعافني ، وكما في كتاب الله : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[البقرة:٢٠١] .

وقال سبحانه :﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣] .. و نحو ذلك .

وكلا من دعاء الثناء والمسألة هي عبادة لله ﷻ لما يتضمنه دعاء الثناء من التعظيم للرب ، والحمد له ، وتوحيده ، وتقديسه وهذا أعظم أنواع العبادة ، أما دعاء المسألة فيتضمن الافتقار إلى الله والانكسار بين يديه وطلب الحاجة منه ؛ لأنه القادر الغني المالك لكل شيء ، الكريم الذي كل نعمة وفضل منه ، فنطلب جميع حوائجنا من ربنا ﷻ قائلين : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة:٢٠١] .

وقال سبحانه :﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

والافتقار أعظم باب يدخل منه العبد إلى ربه ، ودعاء الله وحده هو أعظم أنواع العبادة فالدعاء هو العبادة كما قال النبي ﷺ : « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ » أخرجه الترمذي [1] .

والدعاء من العبادات اللسانية وبذكر الله تعالى به ، والضراعة إلى الله بطلب الحاجات منه كما نقول : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة:٢٠١] .

وهو من العبادات القلبية لتوجه القلب إلى الله ﷻ وثقته بيه ، لمعرفة العبد كمال قدرة ربه ورحمته وغناه ، وكرمه وإحسانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٣٧٢).

وقد طلب الله منا أن ندعوه ، ولا نسأل أحد سواه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] .

وقال النبي ﷺ : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَّ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ » أخرجه أحمد(١) .

وأعظم الدعاء هو طلب الهداية من رب العالمين كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٧]

وينبغي للإنسان حال الدعاء أن يجمع في قلبه بين الخوف والرجاء ن فيكون الداعي طامع في ثواب الله ورحمته لما يعلم من فضل الله وكرمه ورحمته : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

فيكون العبد خائف من عذاب الله وعقابه لما يعلم من عظمة ربه ، وقوته وعلمه بحاله : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٧] .

ويشعر مع هذا بعظمة ربه وجلاله ، وجميل إنعامه وإحسانه ، وكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه:٨] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٧٦٣).

وبهذا يكون المسلم جامع بين الخوف والطمع ، يطير بهذين الجناحين إلى الاستقامة ، وإلى ما ينبغي كما قال سبحانه : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥ - ٥٦] .

فلا يترك العبد الرجاء لئلا يكون من القانتين كما قال سبحانه عن يعقوب : ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف:٨٧] .

ولا يترك الخوف لئلا يأمن مكر الله فيتجرأ على معصيته كم، قال سبحانه : ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:٩٩] .

ويُغلب الخوف على الرجاء أيام صحته ليجد في العمل الصالح ، ويُغلب الرجاء على الخوف إذا حضره الموت ؛ ليموت وهو يحُسن الظن بربه بأنه قادم على عفوٍ كريم رحيم ، والله عند ظن عبده به ، ويُغلب الخوف حال الصحة لِئلا يحمله حسن الظن بالله على الأمن بمكر الله فيُقبل على المعاصي كما قال النبي ﷺ: « لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ » . أخرجه مسلم(١) .

وقال ﷺ: « يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ » . أخرجه مسلم(٢) .

ويتضرع العبد إلى ربه وينكسر بين يديه ، ويخُفي دعاءه لعلمه بقرب ربه منه ، ولا يعتدي في دعائه بصراخ ، أو طلب ما لا يكون عادة كم، قال سبحانه : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٧٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٧٨).

تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف: ٥٥ - ٥٦] .

فقه الدعاء : الدعاء هو استدعاء العبد ربه العناية ، و استمداد منه المعونة .

قال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٦]

وقال سبحانه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران:٨].

وحقيقة الدعاء إظهار الافتقار إلى الله ، والاعتراف بالبراءة من الحول والقوة إلا لله : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣] .

والدعاء سمة العبودية ن وإظهار الذلة البشرية بين يدي رب البرية والانكسار لعزة الربوبية ، والثناء على الله تعالى بإضافة الجود والكرم والإحسان إليه وطلب ذلك منه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[البقرة:٢٠١] .

فمقصود الدعاء الإعلام بإظهار الذلة والانكسار بين يدي الرب العظيم ، والاعتراف بأن الحول والقوة بيد الله وحده لا بيد غيره : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف:٥٤] .

وقال الله ﷻ : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[الملك: ١] .

وأما إجابة الدعاء فحاصلة لا محالة بنص القرآن : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾[البقرة:١٨٦] .

الله كريم لا يرد سائلًا أبدًا ، والكريم من البشر من إذا قدر عفا ، وإذا سُئل أعطى ، وإذا عاهد وفى ، ولم يبالي كم أعطى ولمن أعطى ، والله ﷻ هو الكريم الذي لا أكرم منه ، لا يرد سائلًا أبدًا ، فأما أن يعجل للداعي ما طلب ، أو يدفع عنه من السوء ما هو أعظم ، أو يدخر له هذا يوم القيامة أحوج ما يكون إليه ، أو يعطي الداعي سكينة في نفسه أو انشراح في صدره ، وصبرًا يفيده أجرًا ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وكلمة التوحيد لا إله إلا الله ذكرٌ وتوحيدٌ ، وثناءٌ ، ودعاء وهكذا كل الأذكار كسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر .

- **فالدعاء نوعان :**

١ – دعاء ثناء كقول : سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر

٢–ودعاء مسألة كقول : رب اغفر لي وارحمني والمُثني على الله داع ؛ لأنه يطلب ثواب ثنائه م ربه ، والداعي مثني على ربه ؛ لأنه لم يسأل ربه إلا لثقته بغنائه وقدرته وكرمه ، ودعاء الثناء ، و دعاء المسألة كلاهما ذكر لله تعالى وعبادة له : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

- **ومن حسن الدعاء :**

اللهم ارحمني فانك قلت : أن رحمة الله قريبًا من المُحسنين ، فإن لم أكن من المحسنين ، فأنا من الصائمين المسلمين وقد قلت سبحانك : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥] .

وإن لم أكن من الصائمين فإنني من المؤمنين وقد قلت : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٤٣] .

فإن لم أستوجب ذلك فأنا شيء وقد قلت سبحانك : ﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[الأعراف:١٥٦] .

فإن لم أكن كذلك فأنا مُصاب حُرمت رحمتك بسبب سوء عملي وقد قلت : وقال الله ﷻ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

إجابة الدعاء :

الله ﷻ كريم لا يرد سائله ، لكنه لا يستجيب الدعاء من قلب غافلٍ له ، لا يستجيب الدعاء من العبد بمجرد الدعاء فقط بل لابد وأن يشعر العبد أنه في حاجة إلى ربه الغني الذي بيده ملكوت كل شيء ، وأن الله قادر على إجابته ، وأخلص الدعاء له حيث لا يتعلق قلبه بغيره ، وتيقن أن الله كريم جواد : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

وقال الله ﷻ : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

ولا يلزم للإجابة لدعوة الدعي إجابة مسألته فورًا ؛ لأن الله قد يُؤخر المسألة ليزداد الداعي تضرعًا إلى الله ؛ ليزداد إيمانه ويكثُر ثوابه ، أو يدخره له يوم القيامة ، أو يدفع عنه من السوء ما هو أعظم ، أو يكفر عنه سيئاته : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦] .

وقد دعا الأنبياء ربهم بهذا اليقين فأجاب الله عَزَّ وَجَلَّ دعائهم كما قال سبحانه عن نوح : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾[القمر:١٠-١٤] .

وقال عن إبراهيم ﷺ : ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنبياء:٦٨-٧١] .

وقال عن نوح ﷺ : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الأنبياء:٧٦ -٧٧] .

وقال عن أيوب ﷺ: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[الأنبياء:٨٣-٨٤] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٧ -٩١] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[السجدة:٢٤] .

ومن دعا على غيره وهو ظالم له فإن الله يجب دعائه ؛ لأن سبحانه لو أجاب لكان نصرًا له والله يقول : ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[البقرة:٢٧٠] .

ويقول : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الأنعام:٢١] .

ومن دعا الله ﷻ مضطرًا أجابه فورًا ، والمضطر من استنفذ الأسباب المأمور بها ، ومن دعا الله من غير اضطرار لم يجُبه : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ

إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل:٦٢] .

فافعل الأسباب ولا تعتمد عليها وادعوا الله مضطرًا إليه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن:١٣] .

فنفعل الأسباب بجوارحنا ، ونعتمد على الله بقلوبنا : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة: ٢٣] .

والدعاء لون من الأمر تظهر فيه ذلة الداعي أمام عزة المدعو جَلَّ جَلَاله .

- **وأنواع الطلب ثلاثة :**

١- طلب من أعلى لأدني

فهو أمر كما يأمر الله عباده بأوامره كم قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

٢- طلب من أدنى إلى أعلى فهذا دعاء كما يدعوا العبد ربه بقوله : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة:٢٠١] .

٣- طلب من مسوي فهذا التماس .

فلا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لك الحمد والشكر على نعمك التي لا تُعد ولا تحُصى ، لما أردت حمدك ذكرت حمد الجميع لك فقلت : الحمد لله رب العالمين ، ولما أردت العبادة ذكرت عبادة الجميع لك فقلت : إياك نعبد ، ولما أردت الاستعانة ذكرت استعانة الجميع بك فقلت : إياك نستعين ، فمن فضلك عليّ أن علمتني إذ طلبت الهداية أن

أطلبها للجميع فقلت : اهدنا الصراط المستقيم ، ولما طلبت الاقتداء بالصالحين طلبت الاقتداء بالجميع صراط الذين أنعمت عليهم ، ولما طلبت الفرار من المردودين فررت من الكل فقلت : غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

فيا من هديتني بالاقتداء بالأنبياء والصالحين في الدنيا اجمعني بهم يومك القيامة : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[النساء:٦٩-٧٠] .

- **إجابة الدعاء :**

الله عَزَّ وَجَلَّ قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه ، والداعي إما أن يكون مؤمنًا أو كافرًا ، فإن كان مؤمنًا فالله يستجيب دعائه ، فالمؤمنين لا يُرد دعائهم إما أن يُعطوا ما سألوا ، أو يدخر الله لهم خير منه ، أو يدفع عنهم من السوء بقدره ، أو يكفر بيه عنهم سيئاتهم ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾[البقرة:١٨٦] .

وإن كان الداع كفارًا فإجابة دعوته معلقة بمشيئة الله، كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٠ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ٤١ ﴾[الأنعام:٤٠ -٤١] .

ولا يجوز لإنسان أن يدعو بدعاء لا يُحب أن يُستجاب له ، كان يدعو على نفسه أو ولده بإهلاك عند الضجر من أمر من الأمور، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١ ﴾[الإسراء:١١] .

وكما قال الله ﷻ عن كفار مكة : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأنفال:٣٢-٣٣] .

ولو استجاب الله دعائهم بالشر لهلكوا، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[يونس:١١-١٢] .

وإخفاء دعاء الله أفضل من إظهاره وإعلانه؛ لأن الله سميعٌ قريب، والإخفاء يدل على كمال المعرفة وحسن الأدب، وهو أقرب من الإخلاص ، وأبعد من الرياء : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥] .

وقال الله ﷻ : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾[مريم:٢-٣] .

وقال الله ﷻ : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[الأنعام:٦٣-٦٤] .

وقال النبي ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا ، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا أقرب إلى أحدكم من شراك نعله »[1] .

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٤٩٥).

والناس محتاجون بل مضطرون إلى دعاء الله وحده لا شريك له ؛ لأنه الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العُلى والأفعال الحميدة والمثل الأعلى وبيده الملك وهو على كل شيء قدير، وهو قاضي الحاجات وحده لا شريك له : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص:١-٤] .

فالخلائق كلهم مضطرون إلى دعاء الله وحده لا شريك له إما في إعطاءهم ما يحبون كإنزال المطر ، وإنبات النبات ، وغفران الذنوب ، والعون على الطاعات ، وحصول الأرزاق ونحو ذلك .

وإما في دفع ما يكرهون كدفع الأعداء ، وتفريج الكروبات ، وشفاء الأمراض ونحو ذلك : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ ﴾ [النمل:٦٢] .

والله سبحانه عزيز كريم ، يستجيب دعاء خلقه من غير واسطة كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

٢- الخزانة الثانية

- **حكم رفع اليدين في الدعاء :**

رفع اليدين عند الدعاء له ثلاث حالات :

الأولى : المسألة وهي أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوهما ، فتجعل باطنهما إلى السماء ، وظهورهما إلى الأرض ، وهذا في دعاء الرغبة ؛ لأن الراغب كالمستطعم ، وهذا أكثر الأحوال : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠] .

الثانية : الابتهال وهو أن تمد يديك جميعًا وترفعهما حتى يُرى بياض إبطيك فتجهل بطونهما مما يلي وجهك ، وظهورهما مما يلي السماء ، وهذا في دعاء الرهبة ؛ لأن الراهب لأن المستجير المستعيذ الدافع ، وهذا كما في صلاة دعاء الاستسقاء في خطبة الجمعة ، وخطبة الاستسقاء .

فعن أنس بن مالك قال : « كان النَبِيَّ اللهَّ ﷺ كَانَ لَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ إِلَّا عِنْدَ الِاسْتِسْقَاءِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْه » . متفقٌ عليه[1] .

وكان ﷺ يدعو أحيانًا بلا إشارة ولا رفع ، والدعاء مشروع من الأدنى للأعلى ، ومن الأعلى للأدنى ، والداعي إذا دعا لغيره أثاب الله الداعي على دعائه ، ونفع المدعو له بالدعاء ، ولله المنة على الداعي ، والمدعو له حيث نصب الله سبحانه لهم أسبابًا يرحمهم بها :﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٠٣١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٩٥).

لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] .

١- والدعاء من الأعلى للأدنى كثير مثل قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [التوبة:١٠٣] .

٢- والدعاء من الأدنى للأعلى مثل : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة:٢٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣] .

وقال الله تعالى :: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وعامة أدعية القرآن من هذا .

فالخلق كلهم فقراء إلى الله سواء كانوا أنبياء أو غيرهم ، فكل مخلوق مهما كان مطبوع على أربع صفات ضعيف فقير عاجز محتاج : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] .

فمن جعل أحد من الأنبياء أو غيرهم مستغنيًا عن مزيد الرحمة والرضوان وعلو الدرجات فهو جاهل بالله ، ومن ظن أن دعاء الداعي للأنبياء وصلاته عليهم ، أو صلاته على المؤمنين منة منه عليهم فهو جاهل ، فإن الله يثيبه

على عمله ، وينفع من دعا له ، ولله المنة على هذا وهذا :﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات:١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

أما حكم طلب الدعاء من الغير فيجوز للمسلم طلب الدعاء من الصالحين سواء كان لصالح المسلمين ، أو لمصلحة نفسه فطلب الدعاء لمصلحة النفس كم قال الله عن إخوة يوسف : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف:٩١-٩٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يوسف:٩٧-٩٨] .

وطلب الدعاء لمصلحة المسلمين كما طلب أحد الصحابة من النبي ﷺ أن يستسقي لهم السماء ، فدعا الله ﷻ لهم فمُطِروا .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : « أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فبينما رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، قَامَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْمَالُ ، وَجَاعَ الْعِيَالُ ؛ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا أن يسقنا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزح قال : فطار صحابي أمثال الجبال المطر ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ قال : فَمُطرنا يومنا ذلك ، وفي الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى ، قام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال : اللهم حوالينا ولا علينا يُشِيرُ بِيَدِهِ

إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا تَفَرَّجَتْ حَتَّى صَارَتْ المُدِينَةُ فِي مِثْلِ الجَوْبَةِ حَتَّى سَالَ الْوَادِي وَادِي قَنَاةَ » . متفقٌ عليه[1] .

فقه الدعاء :

الدعاء من العبد لربه ينقسم إلى قسمين :

دعاء العبادة .. ودعاء المسألة .

أما دعاء العبادة فهو أن يقوم الإنسان بعبادة ربه ، وهذه العبادة متضمنة للدعاء سواء إن كانت صلاة أو ذكرًا أو دعًا ، وأما دعاء المسألة فهو أن يسأل العبد ربه شيئًا فيقول : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة:٢٠١] .

أو يقول : يا رحمن ارحمني ، ويا رزاق ارزقني ونحو ذلك .

وهذا الدعاء كذلك عبادة لما فيه من صفة التوجه إلى الله تعالى ، والاعتراف بفضله والله تعالى كريم رحيم يستجيب لمن دعاه ، والاستجابة في دعاء العبادة هو قبوله ، والاستجابة في دعاء المسألة إعطاء الإنسان مسألته وهذا وعد من الله ﷻ كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] .

ودعاء الله ﷻ له شروط :

الأول : الإخلاص لله في الدعاء ﷻ بأن تدعوه وحده لا شريك له ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة : ٥] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٠٣٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٩٧).

الثاني : الإخلاص لله في المسألة بأن تدعو الله وتشعر بأنك بحاجة إليه ، وغنيًا عنك ، وأنه قادر على إعطاءك ، وأنه القادر على إعطاءك وحده دون سواه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

الثالث : أن يكون الدعاء لا عدوان فيه ، فإن كان فيه عدوان فإن الله لا يقبله ؛ لأن الله لا يحب المعتدين كما لو سأل الإنسان ربه شيئًا محرمًا ، أو سأل ما لا يمكن حسًا كان أن يطلب ولد وهو لم يتزوج ، أو سأل ما لا يمكن شرعًا كان يقول : اللهم اجعلني نبيًا ، أو دعا على مظلوم فهذا وأمثاله كله دعاء لا يُقبل لأن فيه عدوان :﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ﴾ [الأعراف: ٥٥] .

الرابع : اليقين على ربه ، أن يدعو الله وهو موقن بالإجابة ، فإن دعوت ربك وأنت شاك من إجابته فإنه لا يقبل منك ، ولا يستجيب دعاءك .

الخامس : اجتناب الحرام فمن أكل الحرام ربًا أو غشًا أو كذب لا يُستجاب دعائه ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ [المطففين : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وأجمع الدعاء : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ ﴾ [البقرة:٢٠١] .

وقد كان الرسول ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ومن ذلك قول : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ ﴾ [البقرة:٢٠١] .

فجوامع الدعاء أبلغ في العموم والشمول والنفع ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[البقرة:٢٠١] .

يشمل كل حسنات الدنيا زوجة صالحة ، وعيشة هنية ، ومسكن واسع ، ومركب مريح مع الإيمان والتقوى والعمل الصالح : ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾[البقرة:٢٠١] .

يشمل كل حسنات الآخرة من الحساب اليسير ، وإعطاء الكتاب باليمين ، والمرور على الصراط بسهولة ، والشرب من حوض النبي ﷺ ، ورؤية الرب وسماع كلامه ، والقرب منه ودخول الجنة وغيره ذلك من حسنات الآخرة : ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[البقرة:٢٠١] .

نجنا من عذاب النار بقبول توبتنا من الذنوب الموجبة بدخول النار ، وقبول طاعتنا التي تكون سببًا لدخول الجنة .

ولأهمية هذا الدعاء كان النبي ﷺ يختم به أشواط الطواف بالبيت ، فيقول بين الركن اليماني والحجر الأسود في ختام كل شوط : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[البقرة:٢٠١] .

والدعاء للمؤمنين بظهر الغيب بدون وصية أو طلب منهم من سنن الرُسل وأتباعهم ، وهي تدل على محبة الداعي لإخوانه المؤمنين ، وأنه يحب لهم كما يحب لنفسه من الخير ، وذلك من مقتضيات الإيمان الذي يُوجب الأخوة والمحبة :﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحشر:١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩] .

وقال إبراهيم ﷺ : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٠ -٤١] .

وقال نوح ﷺ : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح:٢٨] .

وقال النبي ﷺ : « دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ ، قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ : آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ » . أخرجه مسلم[1] .

- **أقسام الدعاء :**

الدعاء هو الطلب من المدعو جلب نفع ، أو دفع ضر .

- **والدعاء نوعان :**

الأول : دعاء عبادة من يتعبد للمدعو طلبًا لثوابه أو خوفًا من عقابه وهذا لا يصح لغير الله ، وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة ، ومُوجب للعذاب في الآخرة لما فيه من الإعراض بالكفر والاستكبار ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] .

الثاني : دعاء المسألة وهو دعاء طلب الحاجات .

- **وهذا الدعاء ثلاثة أقسام :**

الأول : دعاء الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وهذا لا يجوز إلا لله ومن دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء إن كان المدعو حيًا أو ميتًا كطلب الشفاء من مخلوق :﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٣٣).

وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ﴾[فاطر :١٣-١٤] .

الثاني : دعاء الحي فيما يقدر عليه كأن يقول: يا فلان اسقني ماءًا فهذا جائز لا شيء فيه .

الثالث : دعاء الميت أو الغائب بمثل هذا فهذا شرك ؛ لأن الميت أو الغائب لا يقدر أن يقوم بسقيه الماء ، و دعاء غيره دليل على اعتقاده أن له تصرف في الكون مع الله وهذا ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء:٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[الأحقاف:٥-٦] .

والدعاء هو العبادة وهو من أعظم مقامات العبودية ، والمقصود من الدعاء إظهار العبودية والذلة والمسكنة لله ، والانكسار بين يدي الله بالكلية: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

وإذا دعا العبد ربه أجابه ربه إلى ما فيه مصلحة العبد بحكمته ، فإما أن يُعطى سُؤله ، أو يُعطى سكينة في نفسه ، أو يعطى انشراح في صدره .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ دَعْوَةَ المُسْلِمِ لَا تُرَدُّ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِمَّا أَنْ تُدَّخَرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يُصْرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ بِقَدْرِ مَا دَعَاهُ » أخرجه الترمذي [1] .

والله سبحانه عليم خبير لا يقضى لعبد إلى ما هو خير له في دينه ودنياه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة:١٤٣] .

والله سبحانه وعد بالإجابة فإذا استجاب ولو في الآخرة كان الوعد صدقًا ، والله سبحانه كريم أجاب دعاءك أيها العبد مع كمال غناه عنك ، فكن مجيبًا لدعائه وأمره مع أنك محتاج من كل الوجوه ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

وإجابة الله لدعاء العبد فضلًا منه ابتداءً وغير مُعلل بطاعة العبد ، والإجابة من العبد لله الطاعة ، والإجابة من الله لعبده إعطائه مطلوبه﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٦٠٤/ ٣).

٣- الخزانة الثالثة

فضل الذكر والدعاء :

أمر الله عَزَّ وَجَلَّ عباده بكثرة الذكر والاستغفار والتسبيح خاصة في العبادات الكِبار كالصلاة والصيام والحج، ففي الحج أمر الله بذكره بقوله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٨-١٩٩] .

ثم بين سبحانه أنه يجب على الناس ذكر الله كذكر الآباء وبل أشد ؛ لأنه مفاخر الآباء قليلة أما صفات الرب جَلَّ جَلَاله فهي غير متناهية، فقال سبحانه : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[البقرة: ٢٠٠] .

فبعد الذكر يكون الدعاء بعد كسر النفس ، وإزالة ظُلماتها وتنوير القلب بالذكر والدعاء إنما يكمُن إذا كان مسبوقًا بالذكر : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾[البقرة: ٢٠٠-٢٠٢] .

- **والذين يدعون الله فريقان :**

الأول : من دعائه مقصور على طلب الدنيا .

والثاني : من طلب في دعائه بين طلب الدنيا وطلب الآخرة .

أما طلب الآخرة وحدها فغير مشروع ؛ لأن الله خلق الإنسان محتاجًا ضعيفًا فقيرًا لا طاقة له بآلام الدنيا ، ولا بمشاق الآخرة ، فالأولى له أن يطلب من ربه ما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ويستعيذ بالله من شرور الدنيا والآخرة فيقول : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة:٢٠١] .

فكل مخلوق لا يستغني عن إمداد وعطاء ربه في الدنيا والآخرة : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] .

فلو سلط الله الألم على العبد عرق واحد أو منبت شعرة واحدة في البدن تشوش الأمر على الإنسان وصار محرومًا من الأنس بذكر الله والاشتغال بطاعته ، فالإنسان لا يستغني عن ربه أبدًا في الدنيا والآخرة ، والحسنات كثيرة سواء إن كانت مادية كالصحة والمال والولد الصالح والزوجة الصالحة ، او كانت روحية كالأمن والإيمان والطاعات: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣] .

وأعظم الحسنات في الدنيا الإيمان ، والعمل الصالح ، وعلم الحسنات في الآخرة دخول الجنة ورضوان الرب ورؤيته .

اللهم ربنا أتنا في الدنيا حسنة في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

والكريم سبحانه يقول للأولياء عند الحساب بعد أخذ الكتب : هذه سيئاتكم قد عفوت عنها ، وهذه حسناتكم قد ضاعفتها لكم كما في الحديث القدسي أن الله يقول : « يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ

ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللهَّ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » . أخرجه مسلم [1]

ويكون ذلك يوم القيامة ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

وإذا تيقن العبد انه عبد محتاج إلى من خلقه وحده لا شريك له فدعاه مضطرًا استجاب الله دعاءه : ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥ ﴾[العنكبوت:٦٥] .

ومن أراد أن يستجيب الله دعائه فليستجيب إلى طاعة منهج من يدعوه إن كان يحُب أن يستجيب الله دعائه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾[البقرة:١٨٦] .

ويستجيب الله دعاء من دعاه إذا كان مُؤهلا للإجابة بإخلاص الدعاء لله وحده : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾[البقرة:١٨٦] .

فإذا دعا العبد غير قادر على الوفاء فليس الله مسئولًا على إجابته : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝١٩٤ ﴾[الأعراف:١٩٤] .

وقال تعالى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧).

وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ﴾[فاطر:١٣-١٤] .

فمن استجاب لله استجاب الله له ، وأجابه لما طلب : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠] .

روح الدعاء : الإنسان يدعو ربه ؛ ليطلب منه جلب خير ، أو دفع شر ، ولا يعلم ذلك إلا الله ، فالله قد يمنعك ما تراه خيرًا ؛ لأنك ظننت أنه خير ، وهو شر عند الله: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[البقرة:٢١٦] .

والله سُبْحَانَهُ كريم لا يرد سائلا أبدًا ، فمن دعاه مخلصًا ، أجابه بعطاءٍ ، أو منع ، وذلك هو الخير ، فقد يكون الخير بعد السؤال أن تُعطى ، أو قد يكون أن تمُنع ﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴿١١﴾ ﴾ [الإسراء:١١] .

وروح الدعاء هو : الانكسار بين يد الله ، والتضرع إليه في كل حال ، فهذا هو مقصود الدعاء ، أما إجابة الدعاء فهي مضمونة ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠] .

والله سُبْحَانَهُ يجيب المضطر إذا دعاه بعد أن يستنفد الأسباب التي يقدر عليها كإنسان ، والتي أمر الله بفعلها : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل:٦٢] .

فمن جعل حظه من الدعاء الإجابة ، فهو أحمق ؛ لأن الحكمة من الدعاء العبادة ، وإظهار التذلل ، والانكسار بين يدي الله ، فالله قد يبتليك ببلاء ؛ ليظهر منك عبودية الدعاء ، لمن يقدر على رفعه ، ولمن يملك القدرة على إزالته: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقد يجيب الله العبد ، فيعطيه ما سأله ؛ ليبين له أنه لو لم يُجب ، لكان أحسن ، وإذا كان جهاز الداعي ملوثًا بالمحرمات ، التي نهي الله عنها ، فمن الحكمة ألا يجاب .

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: « يَا أَيُّهَا النَاسْ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِيْنَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِيْنَ فَقَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ [المؤمنون:٥١] .، وَقَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة:١٧٢] . ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاء ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، ومَلْبَسهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك » . أخرجه مسلم[1] .

فغشيان المحرمات مانع من إجابة الدعاء ، وقد يمنع الله عنك الإجابة ؛ لأنه سُبْحَانَهُ يريد أن يعطيك من خير الآخرة ، فيمنعك خير الفانية ، ليعطيك خير منه في الباقية ، وقد يجيب الله أحيانًا دعوة من لا يحب ، فيأمر جبريل فيعطيه ؛ لأن الله لا يحب أن يسمع صوته ، وقد يمنع أحيانًا إجابة الدعوة ، ويؤخرها ؛ لأن الله يحب سماع صوت هذا العبد الصالح ، وتضرعه ، فمن

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠١٥.)

عباد الله من يحب الله دعائهم ، فيبتليهم ؛ ليقولوا : يا رب ، يا رب :﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفرقان:٧٧] .

ومن استجاب الله له فيما أمره به ، قنع بما قدره الله عليه ، عما يطلبه منه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

فربط العبد بربه ، ربط العبد بربه بحبس حاجته عند إشعاره بحب الله له ، وأنسه بصوته ، فإبراهيم ﷺ لما أُلقي في النار ، لم ينكر حاجته ، لما قال له جبريل : ألك حاجة ؟ ، لم يستكبر على البلوى ، فقال : أما إليك فلا ، أما إلى الله فبلى ، فرأى الله أقرب إليه من جبريل ، فقال جبريل : سله ، فقال : علمه بحالي يغني عن سؤالي: ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك:١٣-١٤] .

وقال تعالى:﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود:٦١] .

وشأن العبد في كل حال الافتقار ، والتذلل ، وشأن الرب سُبْحَانَهُ الجلال والإكرام : ﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن:٧٨] .

وآدم عصى ربه ، وإبليس عصى ربه ، لكن معصية آدم كانت عن ضعف ، معصية شهوة لا عن كبر ، فتاب ، فتاب الله عليه ، ومعصية إبليس كانت عن كبر : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه:١٢١-١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

فرب طاعة أورثت استكبارًا ، وغرورًا ، كما حصل من إبليس ، فإنه كان من العباد ، وأغتر بعبادته .

ورب معصية أورثت ذلًا ، وانكسارًا ، وتوبة ، كما حصل من آدم ﷺ ، فمعصية آدم عن ضعف ، ومعصية إبليس عن استكبار ، ولهذا تاب الله على آدم ، وجعله خليفة في الأرض ، وطرد إبليس ، ولعنه .

- **حكمة الدعاء :**

الدعاء هو العبادة ، والدعاء يقبله الله تعالى عز وجل إذا أظهر العبد لربه كمال الافتقار والذل له ، وأعظم الناس افتقارا لربه سيد الخلق محمد ﷺ ، الذي وقف في العريش يوم بدر يناجي ربه ويقول عن أصحابه : اللهم إنهم جياع فأطعمهم وحفاة فاحملهم وعراة فاكسهم ، اللهم نصرك الذي وعدتني ، فنصره الله عز وجل حيث لا عدد ولا عدة ، ، كما قال الله سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٣] .

وكلما افتقر العبد إلى ربه كلما مرغ وجهه في التراب بين يديه ، وكلما وقف أمام ربه مفتقرا ذليلًا ، غمره ربه بالعطاء رفع ذكره وأغزه ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وكلما قال العبد أنا ونحن وعندي ولي كلما خذله الله ففي بدر أظهر الرسول ﷺ وأصحابه الافتقار فنصرهم الله ، وفي حنين قال بعض الصحابة : لن نغلب اليوم من قلة ، فتخلى الله عنهم ، ثم لما أنابوا وتابوا نصرهم الله كما قال الله سُبْحَانَهُ : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ

ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٧] .

فقوة الدعاء بقوة اليقين وقوة الإخلاص وكمال الخضوع والافتقار والانكسار والتذلل بين يدي الملك العزيز الجبار ، وجميع دعاء الأنبياء روحه كمال اليقين وكمال الافتقار ، وأجابهم الله ﷻ وأعطاهم ما سألوه ، ، كما قال الله سُبْحَانَهُ : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٣-٩١] .

ومن قبل دعاء نوح : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٧٦-٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥] .

قل لربك العظيم الملك الرؤوف الرحيم : يا ربي إني ضعيف فقوني ، وإني مريض فاشفني ، أنا فقير فاغنني ، وأنا جاهل فعلمني: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾[القصص:١٦] .

فشأن العبد دائمًا الخضوع ، وشأن الرب العطاء ، وبقدر ما تخضع يرفع العزيز شأنك : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾[الشرح:١-٨] .

وإذا أحبك الله ألقى محبتك في قلوب الخلق في العالم العلوي والعالم السفلي ، وإذا أحب الله عبدا كتب له القبول عند الخلق ، فليشكر ربه : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾[الأحقاف:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾[مريم:٩٦] .

والله حكيم عليم في خلقه وأمره ، خلق الإنسان ضعيفًا ظلومًا جهولًا يئوسًا ، قنوطًا ، كنودًا كفورًا ، ضالًا فقيرًا ، عجولًا جذوعًا منوعًا هلوعًا : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[المعارج:١٩-٢٢] .

وقال الله تعالى :﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

فلماذا خلق الله الإنسان كذلك ؟

لأن الله لو خلق الإنسان كامل الصفات ، قويًا غنيًا ؛ لاستغنى بقوته عن الله وشقي بذلك : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾[العلق:٦-٧] .

فخلقه ربه ضعيفًا ليسعد بافتقاره إلى القوي الذي خلقه ، لهذا بين الله للناس أنه الغني وهم الفقراء ، وهو الغني وهم الضعفاء ، ليدعوه ويسألوه فقال : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

وقال تعالى :﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾[هود:٦٦] .

ورفع مقام عباده أن يسألوه وحده فقال : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] .

والله سُبْحَانَهُ لطيف خبير خلقنا ضعفاء وساق إلينا بعض المصائب كي نفتقر إليه ، وننكسر بين يديه ، ونتصل به ونذوق طعم القرب منه ، ونسعد بقربه ، وأنه مولانا القائم على جميع أمورنا :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

فعلة الدعاء وسببه أن الله يبتلي العبد إذا ابتعد عنه ببعض المصائب ليعود إليه ، أو يبتليه لأن للعبد مقاما عند الله، لا يبلغه إلا بالصبر وكثرة الدعاء: ﴿

وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر:١٠] .

فعلة البلاء أن تتصل بالله وتنكسر بين يديه ؛ ليرفعك : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل:٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم:٤١] .

وهذا حال عامة المؤمنين ، أما الأنبياء والرسل والصديقون والربانيون فيتصلون بالله من دون مصيبة أو ابتلاء ، أما عامة المؤمنين لضعف إيمانهم فيحتاجون إلى بواعث وأسباب تلجئهم للدعاء ، فإذا أجاب الله دعاء العبد بعد البلاء الذي نزل به ، أكرمه الله بخمس كرامات ، فيحصل له إيمان جديد ، وتوبة جديدة ، ومعرفة جديدة ، وحب جديد وتعظيم جديد لله ، وعبادات جديدة ، فالضعف والنقص والفقر في حياة الإنسان لمصلحته ، ليلتجئ إلى ربه ويفتقر إليه ؛ فيدعوه فيغنيه ويسعده ، والله سُبْحَانَهُ عليم بما يسعد خلقه ، فيغني هذا بعد فقره ؛ لأن الغنى يذكره بربه فتصلح حاله ، ويفقر هذا لن الفقر يذكره بربه ، فيدعوه ويجيبه فتصلح حاله ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ

فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحديد:١٦-١٧] .

وقال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الأنعام:٤٢-٤٤] .

- **مقصود الدعاء :**

الدعاء هو العبادة ، وهو عبادة من العبادات الكبار ، فالفقير يسأل الغني سُبْحَانَهُ ، والعاجز يسأل القادر ، والصغير يسأل الكبير ، والله هو الصمد الذي تصمد إيه جميع الخلائق في جميع حاجاتها ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

وبقدر كمال الإيمان واليقين وحسن التوجه إلى الله تكون سرعة الإجابة من الرب لعبده : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾[غافر:٦٠] .

وقال الله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦] .

ومقصود الدعاء وسر الدعاء هو أن يتصل العبد بالله الذي يمك وحده جميع الحاجات ، فجميع الحاجات كلها بيد الله :﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

وجميع الحاجات مستجيبة لمشيئته سُبْحَانَهُ ، ومسرعةٌ إلى إرادته وخاضعة إلى أمره ، ومسبحة بحمده وشاهدة بوحدانيته ، فمقصود الدعاء أن يسعد العبد بمناجاة الله ويذوق طعم القرب من ربه ، وأن يرى كمال عزته

وقدرته ، وأن الأمر كله بيده ، وأن يرى افتقار جميع من في العالم العلوي والعالم السفلي إليه سُبْحَانَهُ : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

والدعاء من أعظم أسباب تقوية الإيمان ، فإذا دعوت ربك مضطرًا ، ثم أجاب دعاءك ، وأنت الذي ابتلاك هو الذي عافاك ، ورأيت أن الذي منعك هو الذي أعطاك ، وأنت لم تفعل سببًا إلا الدعاء الذي انكسرت فيه بين يدي ملك الملوك ؛ فكل مصيبة محركة للعبد للدعاء وباعثة له على سؤال الرب الذي ابتلى ليعافي والذي منع ليعطي والذي قبض ليبسط: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

فمن تذلل للعزيز أعزه ومن تصعر للكبير كبّره ، ومن افتقر إلى الغني أغناه ، ومن استعان بالقوي أعانه ، ومن استغفر الغفور غفر له ، ومن سأل الكريم أعطاه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[آل عمران:٢٦] .

فسبحان الملك الصمد الذي تصمد إليه جميع المخلوقات بحوائجها : ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾[هود:٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] .

والله سبحانه كريم وكرم الله ليس له أول ولا أخر ليس له بداية ولا نهاية ؛ لأن كرمه مطلق ، والكريم من الخلق هو الذي إذا قدر عفا ، وإذا عاهد وفى ، وإذا سُئل أعطى ، ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى .

والله سبحانه – أكرم الأكرمين ، وكل كرم في الخلق فمن فضل كرم الكريم الذي وهبه لهم ، فهو سبحانه – أكرم الأكرمين وبيده جميع حاجات الخلق ، أحيانًا يعطي بالأسباب وأحيانا يعطي بضد الأسباب وأحيانًا يعطي بدون الأسباب .

فيعطي بالأسباب كما ينزل المطر على الأرض فتنبت من كل زوج بهيج ، وكما يحصل الولد بالنكاح وأحيانًا يعطي بضد الأسباب كما جعل النار بردًا وسلاما على إبراهيم ، وحفظ الله حياة يونس في بطن الحوت ، في بطن البحر ، وأحيانا يعطي بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس:٨٢-٨٣] .

كما أعطى مريم ابنًا بلا ذكر ، وثمر بلا شجر : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَّ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ » أخرجه الترمذي [1] .

قلب الدعاء وروحه وسره أنك تذوق طعم القرب من الله ، ولذة مناجاة الرحمن الرحيم ، وحلاوة التذلل بين يدي ربك العظيم ، وهو من أعظم العبادات ، أما الإجابة للدعاء فهي متحققةٌ قطعًا بنص القرآن ﴿ وَقَالَ

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٥١٦).

رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] .

إن الله كريم لا يرد سائلا ، ولا يؤيس مؤملا ، ولا يقطع رجاء راجيًا ، فإما أن يعطي عبده فورًا ، أو يدفع عنهم من الشر أعظم مما سأل ، أو يؤخره لأنه –سبحانه يحب أن يسمع صوت عبده بالتضرع بين يديه أو يؤجل إجابته للآخرة ؛ لأنه يعلم لو أنه أعطاه ما طلب في الدنيا لأفسده وأطغاه: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق:٦-٧] .

وكلما تلقى العبد ما أصابه من ربه بالقبول والرضا والتسليم كلما كان أقرب إلى زواله واستبداله ، فإبراهيم ﷺ قبل أمر الله في ذبح ولده إسماعيل ، وباشر الذبح يقينا ؛ فأنجى الله إسماعيل من الذبح :﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات:١٠٧] .

وأخرج من نسله سيد الأنبياء والمرسلين ، كما قال إبراهيم ﷺ : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الصافات:١٠٠-١١١] .

فإبراهيم ﷺ لكما يقينه على ربه ضحى بالحياة ، فوهب الله له الحياة في مكان الهلاك ، في قعر النار ، وضحى بالبلد في العراق فأعطاه الله أحسن بلد مكة فبنا فيها البيت العتيق ، وضحى بالولد وهو إسماعيل فأحيى الله الولد وأخرج من نسله أفضل ولد محمد ﷺ، وضحى بأم الولد فتركها في

مكان غير ذي زرع فأحيى الله أم الولد ، وجعل خطواتها نسكًا يتعبد به إلى يوم القيامة في الحج والعمرة في السعي بين الصفا والمروة . اللهم ارزقنا اليقين يا ذي الجلال والإكرام .

كلما تلقى ما أصابه من مكروه من ربه بالقبول والرضا والتسليم كلما كان أقرب إلى زواله عنه واستبداله ، فإبراهيم ﷺ قبل أمر الله في ذبح ولده إسماعيل ، وباشر الذبح ؛ ولأنه رضي وسلم لله أنجى الله إسماعيل من الذبح ففداه بذبح عظيم ، وكلما تلقى العبد المصيبة بالضجر وعدم الصبر كلما أطالت مدتها حتى يأذن الله بزوالها :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ ﴾[الطلاق:٢-٣] .

والدعاء هو العبادة ، فالذي يدعو الله مؤمن بأن الله موجود ، ومؤمن بأن الله يسمعه ويراه ، ومؤمن أنه يعلم بحاله ، ومؤمن أنه قادر على تغيير حاله ، ومؤمن بأنه يحب أن يرحمه ، وأن يغير حاله إلى ما هو خير :﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا ۝٧٧ ﴾[الفرقان:٧٧] .

وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

فخلق الله الإنسان ضعيفًا فقيرًا ؛ ليسعد بسؤال ربه القوي الغني ، ويتوجه إليه في كشف كربته ، فكل دعاء رفع المحتاج لحاجته إلى قاضي الحاجات ، وليس رفع البلاء هو المقصود وإنما المقصود الأنس بقرب الله ولذة مناجاته والتوجه إليه في قضاء حاجات العبد ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١

ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤] .

وأقوى الدعاء ما كان خفيا بين العبد وربه : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم:٢-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥] .

وحظك من الدعاء الانكسار والتضرع والتذلل والبكاء بين يدي الله ولذة مناجاته، والإجابة حاصلة حاصلة من دون دعاء ، والبلاء باعث على الدعاء ، والدعاء وسيلة للقرب من الله والاتصال به فالله لا يفعل لك إلا الأصلح في دينك ودنياك ، سواء دعوته أو لم تدعه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج:٦٥] .

ولك أجر الدعاء ويقربك الكريم لكن لا يعطيك إلا ما يصلحك : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦] .

فما يختاره الله هو الأصلح : ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء:١٩] .

فما اختاره الله لك من مكروه هو الأصلح ، سواءً أعجبك أولم يعجبك ، وسوف يعجبك لأن اختيار الله أحسن من اختيار العبد لنفسه ، فالله يعلم ما كان وما يكون وما سيكون ، والله تعالى لا يحب المعتدين برفع صوت أو الإطالة على الناس بالدعاء أو الاعتداء على الناس ؛ فالاعتداء حجاب يمنع الدعاء عن الله تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ

﴿ ٥٥ ﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ٥٦ ﴾ [الأعراف: ٥٥ - ٥٦] .

وأفضل الدعاء أن يطلب العبد ما يسعده في الدنيا والآخرة ، من طلب الهداية وتيسير العمل الصالح ، وزيادة الإيمان والعلم : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢ ﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ٣ ﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿ ٤ ﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ ٥ ﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ ٦ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ ٧ ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٧]

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿ ٥٨ ﴾ [يونس:٥٨] .

وكل قوي أو غني أو طاغوت إلا الحكيم العليم يوظفه في خدمة أهل دينه وإصلاح أوليائه من دون أن يشعر ، ومن دون أن يريد ومن دون أن يؤجر ، وإن الله ليعز هذا الدين بالرجل الفاجر .

فدور هذا الطاغي بجبروته أن يرد الناس إلى الله ويرجعهم إليه إذا شردوا عنه : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿ ٧٦ ﴾ [المؤمنون: ٧٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ٤٣ ﴾ [الأنعام:٤٣]

فالجبابرة والطغاة والظلمة عِصِيٌّ بيد الله ينتقم بها من الظالمين ثم ينتقم منها ؛ فطغيان الجبابرة وشدتهم وجبروتهم وقهرهم يرد المؤمنين إلى ربهم ؛ فهم نصر سلبي للمؤمنين ، فإن انحرف الناس وتجاوزوا حدود الله غضب الله عليهم ، فأرسل إليهم طائفة من الطغاة ، تردهم إليه إن أحسنوا إليه لم يقبل وإن أساؤوا إليه لم يغفروا ، وإن رأى خيرًا كتمه وإن رأي شرًا

أذاعه ، فما من طاغ إلا ويرد الناس بطغيانه وهو لا يعلم إلى باب الله إلى باب التوبة :﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦ ﴾[القصص:٤-٦] .

وما عند الله يناله العبد من ربه بكثرة إحسانه : ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾[الأعراف: ٥٦] .

فأحسن بأقوالك وأعمالك وأخلاقك وإحسانك ، فأحسن في عبادة ربك ، وأحسن إلى والديك ، وأحسن إلى جارك ، و أحسن إلى الناس ، وأحسن في تجارتك ، وأحسن إلى موكليك ، وأحسن إلى زبائنك ، فإحسانك يحقق أهدافك من الدعاء ؛ فالدعاء حظك من القرب من الله ، ومضمون الدعاء يحقق إحسانك إلى الناس : ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾[الأعراف: ٥٦] .

٤- الخزانة الرابعة

- **أحكام الأدعية :**
- **قوة الدعاء :**

الأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه لا بحده فقط ، فمتى كان السلاح تامًا لا آفة به ، والساعد ساعدًا قويًا ، والمانع مفقودًا ، حصلت به النكاية بالعدو ، ومتى تخلف واحد من الثلاثة تخلف الأثر ، والدعاء سلاح المؤمنين ينفع مما نزل ، ومما لم ينزل ، وبقدر قوة اليقين على الله . والاستقامة على أوامر الله ، وبذل الجهد لإعلاء كلمة الله تكون إجابة الدعاء ، وحصول المطلوب: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ ﴾[الطلاق:٢-٣] .

وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وقال تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠ ﴾[غافر:٦٠] .

- **إجابة الدعاء :**

الله عَزَّ وَجَلَّ غنيٌ كريمٌ ، لا يرد من سأله أبدًا : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾[البقرة:١٨٦] .

وإذا حصل الدعاء بشروطه ، فإن الله إما أن يعطي السائل حالًا ، أو يؤخر الإجابة ليكثر المسلم من البكاء ، والتضرع ، إن الله يحب أن يسمع صوته ، أو يعطيه شيئًا آخر أنفع له من سؤاله ، أو يدفع به عنه بلاءًا ، أو يؤخره إلى يوم القيامة ، حيث يكون أحوج إليه ، فالله أعلم بما يصلح لعباده ، فلا تستعجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾ [الطلاق: ٣] .

- **موانع إجابة الدعاء :**

الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه ، وحصول المطلوب ، ولكن قد يتخلف عنه أثر ، إما لضعفه في نفسه ، بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان ، وإما لضعف القلب ، وعدم الإقبال على الله -تَعَالىَ وقت الدعاء ، وإما حصول المانع من الإجابة من أكل الحرام ، والظلم ، واستيلاء الغفلة ، والسهو ، وتراكم الذنوب على القلب ، وإما استعجال الإجابة ، وترك الدعاء ، وربما منعه الله في الدنيا ؛ ليعطيه في الآخرة أعظم منه ، وربما منعه ، وصرف عنه من الشر مثله ، وربما كان في حصول المطلوب زيادة إثم ، فكان المنع أولى ، وربما منعه لئلا ينشغل به عن ربه ، فلا يسأله ، ولا يقف ببابه .

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : « سَلَّمَ نَاسٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكُمْ » فَقَالَتْ عَائِشَةُ : وَغَضِبَتْ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ : « بَلَى ، قَدْ سَمِعْتُ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِمْ وَإِنَّا نُجَابُ عَلَيْهِمْ وَلَا يُجَابُونَ عَلَيْنَا » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢١٦٦).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا الطَّيِّبَ ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا الرُّسُلَ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ، وَقَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾[البقرة:١٧٢] . ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ سَفَرُهُ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، مَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

- **حالات الدعاء مع البلاء :**

الدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء ، يمنع نزوله ، ويرفعه إذا نزل ، أو يخففه .

- **وللدعاء مع البلاء ثلاث حالات :**

الأولى : أن يكون الدعاء أقوى من البلاء ، فيدفعه .

الثانية : أن يكون الدعاء أضعف من البلاء ، فيقوى عليه البلاء .

الثالثة : أن يتقاوما ، ويمنع كل واحد منهما صاحبه .

- **فضل الدعاء :**

قال الله تَعَالَى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠١٥).

و قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] .

- **آداب الدعاء وأسباب الإجابة :**

إجابة الدعاء آداب وأسباب : منها الإخلاص لله ﷻ وأن يبدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه ثم الصلاة على النبي ﷺ بأول الدعاء وآخره .

ومنها أن يكون الدعاء بأسماء الله الحسنى ولا يجوز لأحد أن يدعوا صفات الله فيقول يا وجه الله ، يا علم الله ، يا رحمة الله ونحوها ، لكن يستحب التوسل إلى الله بصفاته فيقول : اللهم إني أسألك بقدرتك العظيمة أن تقضي حاجتي وأسألك برحمتك الواسعة أن ترحمني ونحو ذلك .

ومنها حضور القلب أثناء الدعاء وخفض الصوت في الدعاء والاعتراف بالذنب والاستغفار منه والاعتراف بالنعمة وشكر الله تعالى عليه .

ومنها الدعاء ثلاثة الإلحاح في الدعاء وعدم استبطاء الإجابة والجزم في الدعاء مع اليقين بالإجابة ، وألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم ، وألا يعتدي في الدعاء وحسن الظن بالله تعالى .

ومنها عدم الدعاء على الأهل والنفس والمال والولد ، وأن يكون مطعمه ومشربه وملبسه من حلال ، وردّ المظالم إن كانت ، والتضرع والخشوع والطهارة من الحدث ومن الخبث .

ومنها رفع اليدين إلى المنكبين ضامًا لهما وبطونهما نحو السماء وإن شاء قنع بهما وجهه وظهورهما نحو القبلة .

ومنها استقبال القبلة أثناء الدعاء ، والدعاء في الرخاء والشدة والدعاء بالأدعية التي هي مظنة الإجابة التي مما ورد شرعًا ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٧] .

أنواع الدعاء :

- **الدعاء ثلاثة أنواع :**

الأول : أمر الله ورسوله العبد به إما أمر إيجاب أو أمر استحباب كالأدعية الواردة في الصلاة وغيرها مما ورد في القرآن والسنّة من الأدعية فهذا يحبه الله ويرضاه ، وأفضل وأعظم وأكمل دعاء هو سؤال في القرآن : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة: ٦ – ٧]

الثاني : نوع نهى الله ورسوله العبد عنه كالاعتداء في الدعاء مثل أن يسأل العبد ما هو من خصائص الرب كأن يسأل الله أن يجعله بكل شيء عليم أو على كل شيء قدير أو يطلعه على غيب أو نحو ذلك فهذا لا يحبه الله ولا يرضاه .

الثالث : نوع مباح كأن يسأل الفضول التي لا معصية فيها .

- **أفضل الأوقات والأماكن والأحوال التي يستجاب فيها الدعاء :**

أولًا : أفضل أوقات الدعاء :

١ –جوف الليل الآخر .

٢–ليلة القدر .

٣ –دبر الصلوات المكتوبات .

٤ –بين الآذان والإقامة .

٥ –ساعة من كل ليلة .

٦ –ساعة من يوم الجمعة وهي آخر ساعة بعد العصر .

٧ -وعند النداء الصلوات المكتوبة .

٨ -إذا نام على طهارة ثم استيقظ من الليل ودعي .

٩-الدعاء في شهر رمضان وفي ليلة القدر ونحو ذلك من الأزمان .

ثانيًا : أفضل أماكن الدعاء :

١ -الدعاء أثناء الطواف بالكعبة .

٢ -ودعاء يوم عرفة في عرفة .

٣ -والدعاء على الصفا .

٤-والدعاء على المروة .

٥ -والدعاء عند المشعر الحرام .

٦ -والدعاء بعد رمي الجمرة الصغرى .

٧- والدعاء بعد رمي الجمرة الوسطى في النسك ونحو ذلك .

ثالثًا : أفضل الأحوال :

١ -عند الدعاء بلا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

٢ -الدعاء حالة إقبال القلب على الله ﷻ .

٣ -الدعاء بعد الوضوء .

٤ -ودعاء المسافر .

٥-ودعاء المريض .

٦ -ودعاء المظلوم .

٧ -ودعاء الوالد لولده .

٨-ودعاء المتضرر .

٩ -والدعاء حال السجود ، وعند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر ، وعند صياح الديك .

١٠-وإذا تعرى من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثم استغفر ودعي ونحو ذلك : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء:١١٠-١١١] .

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل:٦٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

- **كيفية سؤال الله ﷻ :**

أولًا : الإكثار من ذكر الله ﷻ فإن من أكثر من ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ أعطاه أفضل ما يعطي السائلين ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

ثانيًا : تقديم الحمد والثناء على الله جَلَّ جَلاله قبل السؤال ، فإبراهيم ﷺ لما حاور قومه توسل إلى ربه بالثناء عليه قبل سؤاله ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾[الشعراء:٧٥-٨١] .

ثم مزج السؤال بالثناء فقال : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[الشعراء: ٨٢] .

ثم صرح بعدها بالسؤال فقال : ﴿ رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِى يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشعراء:٨٣-٨٩] .

ثم أنزل الرحمن الرحيم سورة الفاتحة على محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الترتيب فقال : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[الفاتحة: ٢ – ٤]

وهذا كله حمد وثناء وتمجيد محض على الله عَزَّ وَجَلَّ .

ثم قال سُبْحَانَهُ : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[الفاتحة: ٥]

وهذا كله ثناء ممزوج بالسؤال .

ثم قال سُبْحَانَهُ : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة: ٦ – ٧]

وهذا سؤال محض وأعظم سؤال وأول سؤال في القرآن .

٥- الخزانة الخامسة

- **الأدعية من القرآن الكريم :**

أنزل الله القرآن الكريم تبياناً لكل شيء وهدى وموعظة ورحمة وشفاء، وهذه بعض الأدعية مما ورد في القرآن الكريم يدعو بها المسلم، ويختار منها ما يناسب حاله، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، واليقين الكامل على أن الأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة : ١-٧].

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر :٢٢- ٢٤].

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[يس / ٣٦].

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الزخرف : ٨٢].

﴿ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة : ١٢٩].

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الأنبياء :

٨٧].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون:١٠٩].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة:٨٣].

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران:١٦].

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم:٨].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف:١٠].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان:٧٤].

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدخان/ ١٢].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس:٨٥-٨٦].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥].

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة:٤-٥].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:١٠].

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٨].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [آل عمران:١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦﴾ [الفرقان:٦٥-٦٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة:٢٨٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾ [آل عمران:٨-٩].

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران:١٩١-١٩٤].

﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ

﴿٩﴾﴾ [غافر:٧- ٩].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم:٤١].

﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل:١٩].

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ [القصص:١٦].

﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه:٢٥- ٢٨].

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠].

﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف:١٥].

﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود:٤٧].

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء:٨٣-٨٥].

﴿رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء:١١٧- ١١٨].

﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح:٢٨].

﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران:٣٨].

﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء:٨٩].

﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات:١٠٠].

﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ [المؤمنون:١١٨].

﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه:١١٤].

﴿رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾ [الإسراء:٨٠].

﴿رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩﴾ [المؤمنون:٢٩].

﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧﴾ [القصص:١٧].

﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٣٠﴾ [العنكبوت:٣٠].

من أدعية النبي ﷺ :

هذه بعض الأدعية الصحيحة التي كان يدعو بها النبي ﷺ، وعلى المسلم أن يدعو بها، ويختار منها ما يناسب حاله، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، واليقين الجازم على أن الكريم سبحانه سيجيب دعاءه.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ وَلا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لا مُسْتَكْرِهَ لَهُ». متفق عليه[1].

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، أَنتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنتَ الحقُّ، وَقَولُكَ الحقُّ، وَوَعْدُكَ الحقُّ، وَلِقَاؤُكَ الحقُّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِليكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». متفق عليه[2].

«لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ». متفق عليه[3].

«اللَّهُمَّ صَلِّ على محَمَّدٍ وَعَلى آلِ محَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ على إِبْرَاهِيمَ وَعَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ على محَمَّدٍ وَعَلى آلِ محَمَّدٍ كَمَا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٣٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

بَارَكْتَ على إِبْرَاهِيمَ وَعَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مجِيدٌ». متفق عليه[١].

«اللَّهُمَّ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ». متفق عليه[٢].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ». متفق عليه[٣].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَغْرَمِ، وَالمَأْثَمِ ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المسِيحِ الدَّجَّالِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَينَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَينَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ». متفق عليه[٤].

«اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسي ظُلْماً كَثِيراً، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ». متفق عليه[٥].

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنتَ الحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ». متفق عليه[٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٩)، ومسلم برقم (٢٦٨٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٣)، ومسلم برقم (٢٧٠٦) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٥٨٩) في كتاب الذكر.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطِيْئَتي وَجَهْلي، وَإِسْرَافي في أَمْرِي، وَمَا أَنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي جِدِّيْ وَهَزْلِيْ، وَخَطَئي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلكَ عِنْدِي ، اللَّهمَّ اغْفرْ لي ما قدَّمْتُ وَما أَخَّرْتُ، وَما أَسْرَرْتُ وَما أَعْلَنْتُ ، وَما أَنتَ أَعْلمُ بهِ مِنِّي ، أَنتَ المُقَدِّمُ وَأَنتَ المؤَخِّرُ ، وَأَنتَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». متفق عليه[1].

وكان رسول الله ﷺ «يتعوذ بِالله مِنْ جَهْدِ البَلاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ». متفق عليه[2].

«اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ خَلَقْتَني، وَأَنا عَبْدُكَ، وَأَنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنتَ». أخرجه البخاري[3].

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ». أخرجه البخاري[4].

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ القَبْرِ». أخرجه البخاري[5].

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦١٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٩).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٤).

خَيرٍ، وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍّ». أخرجه مسلم[١].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهدَى وَالتُّقى وَالعَفَافَ وَالغِنَى». أخرجه مسلم[٢].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَالهَرَمِ وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنتَ وَلِيُّهَا وَمَولاهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا». أخرجه مسلم[٣].

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي» «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهدَى وَالسَّدَادَ». أخرجه مسلم[٤].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ». أخرجه مسلم[٥].

«اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا على طَاعَتِكَ». أخرجه مسلم[٦].

«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في مَدِينَتِنَا، وَفي ثِمَارِنَا، وَفي مُدِّنَا، وَفي صَاعِنَا، بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ». أخرجه مسلم[٧].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ». أخرجه مسلم[٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٦).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٤).

(٧) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣).

(٨) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩).

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وَارْحَمْني، وَاهْدِني، وَعَافِني، وَارْزُقْني». أخرجه مسلم[١].

«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عَقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيكَ، أَنتَ كَمَا أَثنيتَ على نَفْسِكَ». أخرجه مسلم[٢].

«اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنزَلْتَهُ في كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الغَيبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاءَ حُزني، وَذَهَابَ هَمِّي». أخرجه أحمد[٣].

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ». أخرجه أبو داود والترمذي[٤].

«اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيْكَهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ على نَفْسِي سُوءاً أَوْ أَجُرَّهُ إلى مُسْلِمٍ». أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي[٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٤٣١٨).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).

(٥) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (١٢٣٩) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٢٩).

«يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ». أخرجه أحمد والترمذي[١].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَاني، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي ، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي». أخرجه الترمذي والنسائي[٢].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيةَ في دِيني وَدُنْيَايَ وَأَهْلي وَمَالي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتي، وَ آمِنْ رَوْعَاتي، وَاحْفَظْني مِنْ بَينِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِيني، وَعَنْ شِمَالي، وَمِنْ فَوقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتي». أخرجه أبو داود وابن ماجه[٣].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ وَالجنونِ وَالجُذَامِ ، وَمِنْ سيِّئ الأَسْقَام». أخرجه أبو داود والنسائي[٤].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلاقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ» .أخرجه الترمذي[٥].

«رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَليَّ، وَانْصُرني وَلا تَنْصُرْ عَليَّ، وَامْكُرْ لي وَلا تَمْكُر عَليَّ، وَاهْدِني وَيَسِّرِ الهدَى لي، وَانْصُرْني على مَنْ بَغَى عَليَّ، رَبِّ اجْعَلْني لَكَ شَكَّاراً، لَكَ ذَكَّاراً، لَكَ رَهَّاباً، لَكَ مِطْوَاعاً، لَكَ مُخْبِتاً، إليكَ أَوَّاهاً مُنيباً. رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتي، وَاغْسِلْ حَوْبَتي، وَأَجِبْ دَعْوَتي، وَثَبِّتْ حُجَّتي، وَسَدِّدْ

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٢١٠٧)، وأخرجه الترمذي برقم (٢١٤٠).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٥٥).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٥٠٧٤)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٧١)، وهذا لفظه.

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٩٣).

(٥) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٩١).

لِسَاني، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي». أخرجه أبو داود والترمذي[1].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَ آجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَ آجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ ومَا قَرَّبَ إلَيْهَا مِنْ قَولٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إلَيْهَا مِنْ قَولٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لي خَيْراً». أخرجه أحمد وابن ماجه[2].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهدْم، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الغَرَقِ وَالحَرَقِ والهرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِيَ الشَّيْطَانُ عِنْدَ المَوتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ في سَبِيلِكَ مُدْبِراً، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغاً». أخرجه أبو داود والنسائي[3].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ من الفَقْرِ، وَالقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ». أخرجه أبو داود والنسائي[4].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ يَا الله بِأَنكَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لي ذُنُوبي إنَّكَ أَنتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ». أخرجه أبو داود والنسائي[5].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبوداود برقم (١٥١٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٥١)، وهذا لفظه.
(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٥٣٣)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٤٦)، وهذا لفظه.
(٣) صحيح/ أخرجه أبوداود برقم (١٥٥٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٥٣١).
(٤) صحيح/ أخرجه أبوداود برقم (١٥٤٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٦٠).
(٥) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٩٨٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠١)، وهذا لفظه.

«اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدُ لا إلَهَ إلَّا أَنتَ، المنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَاذَا الجَلالِ وَالإكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إنِّي أَسْأَلُكَ». أخرجه أبو داود والنسائي[١].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنكَ أَنتَ اللهُ لا إلَهَ إلَّا أَنتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد». أخرجه الترمذي وابن ماجه[٢].

«رَبِّ اغْفِرْ لي وَتُبْ عَليَّ إنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». أخرجه الترمذي وابن ماجه[٣].

«اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ على الخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيراً لي، وَتَوفَّنِي إذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ في الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ في الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ القَصدَ في الفَقْرِ وَالغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَينٍ لا تَنقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ الموْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِكَ، وَالشَّوقَ إلى لِقَائِكَ، في غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ». أخرجه النسائي[٤].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِن تَحْتِي». أخرجه أبو داود والنسائي[٥].

«اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَّ، وَلا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلا مُضِلَّ لمن هَدَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا

---

(١) صحيح/ أخرجه أبوداود برقم (١٤٩٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠٠)، وهذا لفظه.

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨١٤)، وهذا لفظه.

(٤) صحيح/ أخرجه النسائي برقم (١٣٠٥).

(٥) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٥٠٧٤)، وأخرجه النسائي برقم (٥٥٢٩)، وهذا لفظه.

مَانِعَ لِمَا أَعْطَيتَ، وَلا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ.

اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ المقِيمَ الَّذِي لا يَحُولُ وَلا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَومَ العَيْلَةِ، وَالأَمْنَ يَومَ الخَوفِ، اللَّهُمَّ إنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلَينَا الإيمَانَ، وَزَيِّنْهُ في قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إلَينَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْينَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالحينَ، غَيرَ خَزَايَا وَلا مَفْتُونِينَ ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إلَهَ الحقِّ». أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد[1].

«اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي». أخرجه أحمد وابن ماجه[2].

قال ﷺ: «اسْأَلُوا الله العَفْوَ وَالعَافيَةَ، فَإنَّ أَحَداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيراً مِنَ العَافيةِ» .أخرجه الترمذي[3].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ فَإنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ فَإنهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ». أخرجه أبو داود والنسائي[4].

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَينَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٥٥٧٣)، وهذا لفظه، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٢٠).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٩٨)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٠).

(٣) حسن صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٥٨).

(٤) حسن/ أخرجه أبوداود برقم (١٥٤٧)، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٦٨).

تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تَهُوِّنُ بِهِ عَلَينَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا، مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا على مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا على مَنْ عَادَانَا، وَلا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا في دِينِنَا، وَلا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَرْحَمُنَا».

أخرجه الترمذي[1].

«اللَّهُمَّ مَتِّعْني بِسَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الوَارِثَ مِنِّي، وَانْصُرْني على مَنْ يَظْلِمُني، وَخُذْ مِنْهُ بِثَأْرِي». أخرجه الترمذي[2].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّينِ، وَغَلَبَةِ العَدُوِّ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ». أخرجه أحمد والنسائي[3].

---

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٠٢).

(٢) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (٣٦٠٤).

(٣) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٦٦١٨)، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٧٥)، وهذا لفظه.

٦- الخزانة السادسة

- **أفضل الأدعية الجامعة النافذة :**

أدعية القرآن والسنة ثم بعد ذلك ما يوافقهم من الأدعية المختارة التي توافق الكتاب والسنة ، ومن ذلك :

الحمد لله الأول قبل كل شيء الآخر بعد كل شيء الظاهر فوق كل شيء الباطن دون كل شيء .

الحمد لله الأول دون أول قبله الأخر دون أخر يكون بعده .

الحمد لله الذي ابتدع الخلق بقدرته ابتداعًا وجعلهم في قبضته أحياءً وأمواتًا وجعل لكل روح منهم قوتًا معلومًا ورزقًا مقسومًا ثم ضرب له في الحياة أجلًا محدودًا ونصب له أمدًا معلومًا يخطو إليه بأيام عمره حتى إذا بلغ أقصى أثره واستوعب حساب عمره قبضه إليه ثم ساقه إلى ما ندبه إليه من عظيم ثوابه أو شديد عقابه عدلًا منه وإحسانا ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى .

والحمد لله الذي عرفنا بنفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله وآلاءه وفتح لنا أبواب العلم بروبيته وألوهيته وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته وهدانا إلى الإخلاص له وتوحيده ، وعصمنا من الإلحاد والشك في أمره والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق وأجرى علينا طيبات الرزق وسخر لنا ما في السماوات والأرض وكل المخلوقات منقادة لنا بقدرته وسائرة إلى طاعتنا بعزته .

والحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه وركب فينا أعضاء البسط والقبض وخلق فينا جوارح الأعمال وغذانا بطيبات الرزق ثم أمرنا ونهانا ليختبر طاعتنا وابتلانا بالسراء والضراء ليختبر صبرنا وشكرنا ، ثم خالفنا أمره وركبنا متون زجره فلم يعجل لنا بعقوبته بل أكرمنا بواسع رحمته ، وشملنا بحلمه وعفوه وانتظر توبتنا ورجعتنا إليه برأفته .

والحمد لله الذي فتح لنا أبواب غضبه وفتح لنا أبواب رحمته وفتح لنا أبواب جنته والحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام وأرسل إلينا سيد الأنام ووضع عنا ما لا طاقة لنا به ولم يكلف نفسا إلا وسعها ، الحمد لله بكل ما حمده به خلقه وأقرب ملائكته إليه وأكرم خليقته عليه ، وأرضى حامديه لديه حمدًا يفضل سائر الحمد .

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده عدد ما حاط بعلمه حمدًا لا منتهى لحده ولا حساب لعدده ولا بلوغ لغايته ولا انقطاع لأمده .

والحمد لله الذي من علينا بعزة محمد ﷺ دون الأمم الماضية فأدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى إله وأصحابه أجمعين .

والحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وأمسكهم بقدرته ورفع السماء بقوته ودحا الأرض بمشيئته وملئ الكون برحمته ، والحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته وميز بينهم بقدرته وجعل لكل واحد منهم حدًا محدودًا وأمدًا ممدودًا ونفعًا معلومًا .

والحمد لله عدد ما خلقت في الأرض والسماء وعدد ما علا في الهواء وعدد ما كن تحت الثري ، ليس لنا من الأمر إلا ما قضيت ولا من الخير إلا ما أعطيت .

اللهم أنى أشهدك وكفى بك شهيدًا وأشهد ملائكتك وحملة عرشك وجميع سكان أرضك وسماواتك لكل ذرة في ملكك أنى أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك .

اللهم يا من لا تنقضي عجائب عظمته ولا تفنى خزائن رحمته ولا تنتهي مدة ملكه صلى وسلم على آل محمد وعلى أصحاب محمد وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم .

اللهم يا ربي من لي إله غيرك اسأله كشف ضري والنظر في أمري وقبول توبتي وستر ذلتي .

اللهم يا ربي ويا مولاي أجريت على حكما اتبعت في الهوى نفسي وغرني فيه عدوي فتجاوزت حدودك وخالفت أمرك فلك الحجة علي ولا حجة لي عليك ، وقد وقفت ببابك نادما فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت انك أنت الغفور الرحيم .

اللهم يا من بدأ خلقي وساق إلي رزقي وشق سمعي وبصري ارحم ضعف بدني وشدة فاقتي يا أرحم الراحمين .

اللهم يا عزيز يا رحيم ارحم ذلي بين يديك وتورعي إليك وشدة حاجتي إليك وانكساري بين يديك يا ارحم الراحمين .

اللهم يا كريم يا رحمن ارحم وجوهًا خرت لعظمتك ساجدًا وألسنة نطقت بتوحيدك وذكرك ولهجت بحمدك وشكرك وقلوبٌ ذلت لعز ربوبيتك وألوهيتك خاشعة ، وعقولا تصاغرت لكبريائك خائفة وعيونًا من خشيتك باكية وجوارحًا سعت إلي أماكن عبادتك طائعة يا واسع الرحمة يا واسع الرضا ارحم عبدك الذليل بين يديك .

اللهم يا مالك الملك العظيم نحن عبادك الضعفاء نسألك إلا تحرق أبداننا بنار السموم ولا تسلط نار جهنم على وجوهنا يا رب العالمين يا راحم المساكين يا ارحم الراحمين .

اللهم ربنا اعتق رقابنا من نار جهنم التي لا طاقة لنا بها ولا قوه لنا على تحمل سعيرها ولا صبر لنا على شده لهيبها ولا طاقه لنا بتحمل ضرب زبانيتها يا أرحم الراحمين .

اللهم نسألك برحمتك التي وسعت كل شيء وبقوتك التي قهرت بها كل شيء وبعزتك التي لا يون لا شيء وبعظمتك التي ذل لها كل شيء وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء أن تنصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .

اللهم أعزنا بعزك الذي لا يرام واحفظنا بعينك التي لا تنام انك أنت الكبير المتعال .

- **من الأدعية الموافقة للكتابِ والسُنة :**

اللهُم أنت المنان بالجزيل والغافرُ للعظيم الشاكرُ للقليل الجابرُ للكثير ، أرحما برحمتِكَ يا أرحم الراحمين .

اللهُم يا من تحُل بهِ عُقد المكاره ولا يُستغاثِ إلا بهِ عند الشدائد يا كاشف كُل كرب يا مجُيب دعوة المُضطر يا من زلة لقدرتهِ الصِعاب وخضعت لجبروتهِ الشدائد الصِلاب واستجاب لمشيئتهِ جميع المخلوقات ، وأسرعت لإرادتهِ جميع الكائنات لا إله إلا أنت أنت المفزع في المُلِمات ، وأنت المدعو للمُهِمات لا يندفعُ منها إلا ما دفعت ولا ينكشفُ منها إلا ما كشفت ، اكشُف ما بنا من الضُرِ والبلاء يا أرحمُ الراحمين لا إله إلا أنت لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت ولا مُقدم لما أخرت ولا مُؤخر لما قدمت ولا فاتح لما أغلقت ، ولا مُغلق لما فتحت ولا مُيسر لما عسرّت ، ولا ناصرٍ لمن خذلت ولا باسطِاً لما قبضت ولا قابض لما بسطت بيدك الأمر إنك علي كُل شيء قدير .

اللهُم إني أعوذُ بك من شدة الحرص وثورة الغضب وغلبة الحسد وقلة الصبر وسوء الخُلُق ومخُالفة الهدي ومُتابعة الهوى ، وحِرمان الثواب وحِلول العِقاب .

اللهُم إنا نعوذُ بك من سوء السريرة واحتقار الصغيرة ومُقارفة الكبيرة ومن معيشةٍ في شِدة وميتةٍ علي غير عُدةَ .

اللهُم لا حول لنا ولا قوة إلا بك أهدنا لما يُرضيكَ عنا ، ووفقنا إلي ما تحُبهُ وترضاه ، من مجُيبات ثوابكَ حتى لا تفوتنا حسنةً نستحقُ بها ثوابكَ ولا تبقي لنا سيئة نستوجب بها عقابك يا ذا الجلالِ والإكرام .

اللهُم لك الخلقُ كُلهُ ولك الأمر كُلهُ إن عفوتَ عنا فبِفضلكَ وإن عذبتنا فبعدلكَ ولا نجاةَ لأحدٍ منا إلا بعفوكَ فأعفوا عنا واغفر لنا يا خير الغافرين .
يا أغني الأغنياء نحنُ عبيدكَ الفُقراء فاجبر فاقتنِا من فضلكَ ولا تقطع عنا بذنوبنا رزقكَ اللهُم ارحم تضرُعِنا إليك وانظر إلي ذُلنا بين يديك يا عزيز المُلك والسُلطان أغننا إذ طرحنا أنفُسنا بين يديك فإنكَ رحيم بمن دعاك ومُستجيب لمن نادك يا أرحم الراحمين .
اللهُم يا من طاعتهُ نجاةً للمُطِيعين وذكره شرفٌ للذاكرين أشغل قلوبنا بذكركَ عن كُل ذِكر وأشغل ألسنتنا بشُكركَ عن كُل شُكر واستعمل جوارحنا بطاعتِكُ عن كُل طاعة ، إلهي أنا عبدُكَ الذليل الواقف ببابِ عزك فلا تطردني من جنابكَ فإن طردتني فلا حول لي ولا قوةَ إلا بك سُبحانك ما أرحمك لا أيأسُ منك وقد فتحت لي أبواب التوبةِ إليك وغفرت لي ما يسوئني بين يديك لأنكَ أنت الرؤوف الرحيم .
اللهُم ارحم عبدك الذي تلقاكَ بالإنابة واخلص لك التوبة وطقطق رأسهُ لعظمتِكَ وخشع قلبهُ لجلالكَ وذرفت عيونهُ من خشيتكَ وسجد وجههُ لعظمتِكَ يا من رحمتهُ وسعت كُل شيء ومغفرتهُ أوسع من عقوبتهِ وعفوهُ أكثر من انتقامهِ ورِضاهُ أوفر من سخطهِ وإحسانهُ أعظم من عدلهِ يا عظيم الصفح يا جزيل العطاء يا حسِن التجاوز ، يا فعّالٍ لما تشاء يا سريع الرضاَ يا باسط اليدين بالعطاء .
اللهُم يا من خزائنهُ مليئةَ بكُل شيء يا من عندهُ نيل الطلبات يا من لهُ مُلك الأرضِ والسموات ويا من نابع نعمهُ بالأثمان ، ولا يُكدر عطاياهُ بالامتنان ويا من يُستغني بهِ ولا يُستغني عنهُ ويُرغب إليهِ ولا يُرغب عنهُ يا من لا تفني

خزائنهُ ، يا من لا تُفني خزائنهُ المسائِل نسألُكَ الفوز بالجنة والنجاةِ من النار يا عزيز يا غفار .

اللهُم إن تُعذبني فبعدلِك وأنا لذلِك أهل وأن تعفو عني فبِفضلِكَ وأنت لذلك أهل ، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة .

اللهُم إني أسألُكَ بأسمائك الحُسني وصِفاتُكَ العُلا وبِكُل اسمٍ هو لك سميت بهِ نفسك أو أنزلتهُ في كِتابك ، أو علمتهُ أحدٍ من خلقك أو استأثرت بهِ في عِلم الغيب عندك أسألك بأسمائك الحُسني ما علمتُ منها وما لم أعلم وما أظهرتهُ منهُ وما أخفيتهُ أن ترحم هذا المخلوق الجذوع وهذا الإنسان إلهلوع وهذا المملوك الضعيف وهذا العبدُ الفقير فإنه لا يستطيع حر شمِسكَ فكيف يطيق حر نارِكَ ولا يستطيع احتمال صوت رعدِكَ فكيف يستطيع سماع صوت غضبكَ وهبهُ صبرًا على بلائك وعذابك فكيف يصبر على فراقكَ فارحمهُ يا ارحم الراحمين .

اللهُم أنت ربي الغني وأنا عبدُكَ الفقير ، وعذابي لا يزيدُ في مُلكِكَ مثقالِ ذرة ، أنت ذا المُلكِ والملكوت وذا العزةِ والجبروت وذو الجلالِ والإكرام لا تزيدُ في مُلكك طاعةُ الطائعين ، ولا تنقصُ معصية العاصين فاغفر لنا وارحمنا برحمتِكَ يا ارحم الرحيم .

اللهُم لك الحمد كُلهُ ومنك الفضل كُلهُ وإليكَ يرجعُ الأمر كُلهُ ، وبيدك الأمر كُلهُ فأهلٌ أنت أن تحُمد وأهلٌ أنت أن تُعبد فأنت الرب الرؤوف الرحيم لك الحمدُ حمدًا كثيرًا مُباركًا فيه ملئ السموات وملئ الأرض وملئ ما بينهُما وملئ ما فوقهُما وملئ ما شئت من شيء بعد لك الحمد الذي لا

نهايةٍ لعدده ولا انقطاع لأمدهِ علي عظمتِكَ وعظمة أسمائك وصفاتكَ وعظيم إحسانكَ وجزيل عطائكَ وعظمةِ مُلكك وسُلطانكَ .

إلهي أنت الذي خلقتني وأنت الذي هديتني وأنت الذي رزقتني وأنت الذي أجبت عند الاضطرار دعوتي ، وأنت الذي سترت زلتي ، وأنت الذي دفعت عني ما يضُرني إلهي أستغفرك وأتوبُ إليك وأسألُك أن تعفو عني وتغفر لي فلستُ بريئًا فأعتذر ولا قويًا فأنتصر ولا مفر لي فأفر لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك إلهي أستقيلَكَ عثراتي وأعتذرُ إليك من هفواتي وأفرُ لك من ذنوبي التي أوبقتني وسيئاتي التي أحطت بي فأهلكتني فاغفر لي وارحمني وتب عليّ .

إلهي جئتُكَ مُستجيرًا فلا تخذُلني وسائلًا فلا تحرمني ومُعتصمًا فلا تُسلمني وداعيًا فلا ترُدني يا أكرم الأكرمين ، إلهي ومولاي أنا عبدُك الضعيف العاجز الفقير المُحتاج أسألُك أن تُغنيني بحلالِكَ عن حرامك وبطاعتِكَ عن معصيتكَ وبفضلكَ عمن سِواك ، إلهي أشكو إليك ضعفُ نفسي عن المُسارعةِ إلي الخيرات وجرأتها على الموبِقات فإن تُعذبني فأنا الظالم المُفرط وأن تغفر لي فأنت أرحم الراحمين .

من الأدعية الموافقة للكتاب والسنة والتي للعبد أن يدعو بها بعد أدعية القرآن والسنة ومن ذلك :

اللهم أنت الذي تسمع من شكا إليك ، وتنصر من توكل عليك ، وتخلص من الشدة من اعتصم بك ، وتفرج كربة من لاذ بك ، وتجيب دعاء من دعاك .

اللهم أنت الملك الحق القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، الذي لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، الحي والقيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم .

إلهي كيف يخفي عليك ما أنت خلقته ؟ وكيف يغيب عنك ما أنت تدبره ؟ وكيف لا تحصي ما أنت صنعته ؟ وكيف يهرب منك من لا حياة له إلا برزقك ؟ وكيف ينجو منك من لا مذهب له في غير ملكك ؟ .

سبحانك لا إله إلا أنت الواحد الأحد ، المحيط بكل أحد القادر على كل أحد ، الغني عن كل أحد ، والذي يحتاج إليه كل أحد ، لا إله إلا أنت سبحانك أخشى خلقك لك أعلمهم بك ، وأخضعهم لك أحسنهم طاعة لك وأهونهم عليك ، من أنت ترزقه وهو يعبد غيرك .

سبحانك ما أعظم شانك وما أعز سلطانك ، وما أوسع حلمك ، لا ينقص سلطانك من أشرك بك ، وكذب رسلك ، ولا يستطيع من كره قضائك أن يرد أمرك ، ولا يفوتك من عبد غيرك ، ولا يعمرَ في الدنيا من كره لقائك ، والكل صائر إليك موقوف بين يديك ، لا إله إلا أنت أمنت بك ، وكفرت بكل معبود سواك .

إلهي ومولاي ، أنا عبدك المقر بذنبي هذه يدي المذنبة مرفوعة إليك ، وهذه ناصيتي الخاطئة بين يديك ، وأنت الرب الرؤوف الرحيم ، أقلني عسرتي

وزلت قدمي وأرحم شيبتى وضعفي ومسكنتي وقلة حيلتي ونفاذ أيامي واقتراب أجلي ، مولاي ، وارحمني إذا خرجت روحي من بدني ، وانقطع من الدنيا أثري ، ونسي الأحياء ذكري ، وتغيرت حالي وصورتي .

اللهم فارج إلهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطر ، أسألك سؤال من اشتدت فاقته ، وعظمة كربته ، وضعفت قوته ، وكثرت ذنوبه ، أن ترزقني يقين ينفع من استيقن به ، وعملًا تحب من عبدك به ، وخلقًا ترحم من اتصف به ، اللهم إني أسألك خشية العالمين بك ، وخوف العابدين لك ، وعبادة الخاشعين لك ، ويقين المتوكلين عليك .

سبحانك الله وبحمدك وتبارك أسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك .

سبحانك العز إزارك ، والكبرياء ردائك ، والخلق خلقك ، والأمر أمرك ، والملك ملكك ، وأنت الرب الرؤوف الرحيم ، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عشره ، ومداد كلماته .

سبحان العلي الأعلى الذي يسمع ويرى ما تحت الثرى ، الشاهد بكل نجوى ، العليم بكل شكوى ، الكاشف كل بلوىَ ، الحمد لله الذي تجلى للقلوب بالعظمة ، واحتجب عن الأبصار بالعزة ، واقتدر على الأشياء بالقدرة ، وعلا فوق كل شيء بالكبرياء .

أنت الرب الذي تمجد بالعظمة والجلال ، وملك بالعزة والكبرياء ، وتقدس بالحسن والجمال ، وتعالى بالمجد والإحسان .

الحمد لله الأول قبل كل شيء ، الأخر بعد فناء كل شيء ، العليم الذي ينسى من ذكره ، الكريم الذي لا ينقص من شكره ، ولا يخيب من دعاه ، ولا يقطع من رجاه .

أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، إلهي ثبت قلبي على دينك ما أحييتني ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الكريم الوهاب .

بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا أرجوا إلا فضله ، ولا أخشى إلا عدله ، ولا أتمسك إلا بحبله ، ولا أتوكل إلى عليه ، ولا أطمئن إلا إليه ، الله أنى أعوذ بك ربي من همزات الشياطين ، وأحترز بسلطانك من جور السلاطين ، اللهم إني أسألك يا من يملك الحاجات كلها ، وهي مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، ومنقاضةٌ لأمره ، أن تجعل لي من كل هم فرج ، ومن كل ضيق مخرجًا ، ومن كل بلاء عافية ، وأن تغفر لي وترحمني يا من هو الإله ، ولا يغفر الذنوب سواه .

الحمد لله رب العالمين ، وأعوذ به من شر نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء ، إلا من رحم ربي إن ربي غفور رحيم نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، واعتصموا بالله من كل شيطان مارد ، ومن كل جبار فاجر ، ومن كل سلطان قاهر ، ومن كل عدو ظالم .

اللهم اجعلني من جندك ، فأن جندك هم الغالبون ، واجعلني من حزبك ، فإن حزبك هو المفلحون ، واجعلني من أوليائك فإن أوليائك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

اللهم أصلح لي ديني فأنه عصمه أمري ، وأصلح لي آخرتي ، فإنها دار مقري وإليها من مجاورة اللئام مفري .

الحمد لله رب السموات والأرض ، والحمد لله خالق السموات والأرض ، الحمد لله الذي له ملك السموات والأرض ، الحمد لله الذي له خزائن

السموات والأرض ، الحمد لله الذي له جنود السموات والأرض ، الحمد لله الذي له ميراث السموات والأرض .

بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله خير الأسماء ، بسم الله رب الأرض والسماء ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، أستدفع كل مكروه أوله سخطك ، واستجلب كل محكوم أوله رضاك ، اللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا لا ينقطع أبدًا ، ولا يحصي له الخلائق في العالم عددا ، اللهم يا رءوف بالعباد أجعل قوتي في طاعتك ، ونشاطي في عبادتك ، ورغبتي في ثوابك ، وزهدي في ما يوجب لي أليم عقابك .

اللهم يا أكرم الأكرمين أسألك توحيدًا خالصا ويقينًا صادقًا ، وقلبًا خاشعا ، وسلامة أقوى بها على طاعتك ، وعبادة أستحق بها جزيل مثوبتك ، وسعة في الحال من الرزق الحلال ، ولسان على الدوام لك ذاكرًا ، وبدنًا على البلاء صابرًا .

اللهم يا واهب الفضل العظيم ، ويا جابر العظم الكسير ، ويا غافر الذنب الكبير ، أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، وأن تغفر لي ذنوبي وتستر عيوبي يا أرحم الراحمين .

اللهم يا كاشف الضر ، يا مجيب دعوة المضطر ، يا عظيم البر ، يا واسع المغفرة ، يا جميل الستر ، يا كريم الصفح ، يا حسن التجاوز ، لا ملجأ منك إلي إليك ، فارحمني يا أرحم الرحمين .

اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، ولا تسود وجوه خرت لعظمتك ساجدة ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين .

اللهم ارحم قلوبًا انطوت على محبتك ، وألسنة نطقت بذكرك وحمدك وشكرك والثناء عليك ، وأذانًا تلذذت بسماع ذكرك وكتابك ، وأكف رفعت رجاء رحمتك ، وأرجل سعت مجاهدة في سبيلك ، وأبدان عملت بطاعتك ابتغاء مرضاتك .

اللهم أفتح لنا باب رحمتك ، ويسر لنا سبل رضاك ، ولا تحجب مشتاقين عن النظر إلى وجهك الكريم .

إلهي ومولاي من الذي نزل بك ملتمسًا قراك فما قريته ، ومن الذي أناخ ببابك راجيًا فضلك فما أوليته ، أنت الملك العزيز الكريم الرحيم .

إلهي يا من بيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، أسألك الفوز بالجنة ، والنجاة من النار يا أرحم الراحمين .

إلهي ومولاي يا خير مرجو ويا أكرم مدعو ، يا من بابه مفتوح لداعية ، وحجابه مرفوع لراجيه ، يا مجيب السائلين ، يا أكرم المعطين ، أخلص لي توحيدك واجعلني من صفوة عبيدك برحمتك يا أرحم الراحمين .

إلهي إن كان قل زادي في المسير إليك ، فلقد حسن ظني بالتوكل عليك ، وإن كان ذنبي قد عرضني لعقابك ، فقد أمنني حسن ثقتي بثوابك .

أسألك بأسمائك الحسنى ، وبأنوار قدسك ، وبلطائف برك ، أن ترضى عني ولا تشوي وجهي بالنار يا أرحم الراحمين .

اللهم يا رب ما بدأت به من فضلك علي فتممه ، وما وهبت لي من كرمك فلا تسلبه ، وما علمته من قبيح فعلي فغفره ، ومن سترته علي بحلمك فلا تهتكه ، يا ولي الإنعام يا معروفًا بالإحسان لا إله إلا أنت .

اللهم يا من عم إحسانك جميع خلقه، وجهت إليك وجهي ، ورفعت إليك يدي ، طامعًا في إحسانك ، راغبًا في غفرانك ، طالبًا مرضاتك ، خاشعا لعظمتك ، مريدًا لوجهك ، طارقًا لبابك ، فأفعل بي ما أنت أهله من المغفرة والرحمة ولا تفعل بي ما أنا أهله من العذاب والنقمة برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم يا سابغ النعم ، يا دافع النقم ، لا إله إلا أنت لا أحصي ثناء عليك ، خلقت فسويت وصورت فأحسنت ، وأنعمت وأعطيت وهديت وأكرمت ، وأنت الرب الرؤوف الرحيم البر الكريم ، بساحتك تحط رحال الراجين ، يا من لا يخيب قاصديه ، ولا يطرد عن بابه مؤمليه ، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء .

يا رب تصاغر عند عظيم نعمك علي شكري ، وتضائل أمام إكرامك إياي ثنائي ، فأنت الذي هديتني للإسلام ، وعلمتني السنة والقرآن ، وأحطتني بلطائف برك ، وجميل إحسانك ، كللتني بنعمة الإيمان ، وقلدتني قلائد الإنعام ، وطوقتني بأطواق المعروف والإحسان ، فلك الحمد حمدًا كثيرًا يوافي نعمك ، ويكافئ مزيد ك على عظيم جلالك وجزيل عطائك ، و سبوغ نعمائك وحسن بلائك ، حمدًا يوافي رضاك ويجلب لي العظيم من برك وتقواك ورضاك .

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ، وإلهامنا طاعتك وجنبنا معصيتك ، وأذقنا حلاوة حبك وقربك ، واجعلنا من المصطفين الأخيار ، وألحقنا بالصالحين الأبرار ، المسارعين إلى الخيرات ، العاملين بالباقيات الصالحات إنك على كل شيء قدير .

سبحانك ما أعز سلطانك ، وما أعظم إحسانك ، وما أوسع غفرانك ، سبحانك ما أظلم الطرق على ما لم تكن دليله ، وما وضح الحق عند من هديته سبيله ، أسالك أن تدلني على ما يرضيك عني ، وأن تغفر ذلتي ، وأن تقبل توبتي ، أنك أنت التواب الرحيم .

الله اجعلنا ممن اصطفيته بقربك ، وأخلصت ه بمحبتك ، وكتبته من أوليائك ، وخصصته بمعرفتك ، ووهبت له من علمك ، وأهلته لعبادتك ، واجتبيته لمشاهدتك ، وفرغت فؤاده لحبك ، وشغلت جوارحه بطاعتك ، أوزعته دوام شكرك ، وحفظته من معصيتك ، وقطعت عنه كل شيء يشغله عنك إنك أنت العزيز الكريم .

اللهم أجعلنا من أولي الألباب ، المقربين الأخيار ، الذين جباهم ساجدةٌ لعظمتك ، وعيونهم ساهرة في عبادتك ، وقلوبهم ممتلئةٌ بمحبتك ، وأفئدتهم وجلة من مهابتك ، ودموعهم سائلة من خشيتك ، اللهم اجعل حبي لك قائدًا إلى رضوانك ، وشوقي إليك مانع لي من عصيانك ، وامنن علي بالنظر إلي وجهك الكريم يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم يا من لا يفد الوافدون على أكرم منه ، ولا يجد القاصدون أرحم منه ، يا خبير يا خير من خلى به العبيد ، يا أرحم من أوى إليه طريد ، إلى سعة عفوك مددت يدي ، وإلى عظيم كرامك نصبت ناصيتي ، فأعطني ولا تحرمني وأكرمني ولا تهني يا ارحم الراحمين .

اللهم يا ولي الصالحين ، ويا أمان الخائفين ويا مجيب دعوة المضطرين ، ويا غياث المستغيثين ، ويا أكرم الأكرمين ، ويا أرحم الراحمين ، أنا عبدك الذليل ذو اللسان الكليل والعمل القليل ، واقف بباب كرمك ، طارق لباب

رحمتك ، متعرض لنفحات برك ، معتصمٌ بحبلك الشديد ، فأمنن عليك بقولك الجزيل ، ورضوانك الجميل ، يا كريم يا جميل يا أرحم الراحمين .
اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وجزيل إحسانك .
إلهي ومولاي أنت الرحمن الرحيم ، الملك العظيم ، الكريم الحليم ، السميع البصير ، القوي القادر ، الغني الشاكر ، لا تطمئن القلوب إلا بذكرك ، ولا تأتي النعم إلا من بابك ، ولا تندفع المكارة إلا بأمرك ، ولا تزول المحن إلا بإذنك .
سبحانك قصرت الألسن عن الثناء عليك بما يليق بجلالك ، وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك ، وانحصرت الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهك ، وخشعت جميع الخلائق لهيبتك ، وذل الأقوياء لقوتك ، وسبحت جميع الكائنات بحمدك ، أجعلنا من أخص عارفيك ، وأصلح عابديك ، وأصدق طائعيك يا أرحم الراحمين .
إلهي ومولاي أنت المدعو بكل بلسان ، وأنت المعظم في كل جنان ، وأنت المسبح في كل مكان ، وأنت المعبود في كل زمان ، أعتذر إليك من كل كلمة بغير ذكرك ، واستغفرك من كل لذة بغير طاعتك ، ومن كل راحة في غير عبادتك .
اللهم بقدرتك علي تب على ، وبحلمك علي أعفو عني ، وبعلمك بضعفي أرفق بي ، يا ولي المؤمنين أنت ربي ومولاي فأغفر لي يا أرحم الراحمين .
إلهي ومولاي هل يرجع العبد الأبق إلا إلى مولاه ، وهل يجير من سخطه أحدًا سواه ؟

أنت الكريم الذي فتحت لعبادك بابًا إلى عفوك سميته باب التوبة ، فتب عليّ أنك أنت التواب الرحيم .

إلهي ومولاي إن قبح الذنب من عبدك ، فليحسن العفو من عندك يا كاشف الضر ويا مجيب دعوة المضطر ، لست بأول من عصاك فتبت عليه ، وتعرض لمعروفك فجودت عليه ، يا عظيم البر يا جميل الستر ، يا واسع المغفرة أغفر لنا وأرحننا برحمتك التي وسعت كل شيء .

اللهم لك الحمد على ما أكرمتني به من سلامة بدني ، ولك الحمد على ما أصابني من علة في جسدي ، إلهي ما أدري أي الحالين أحق بالشكر لك أوقت الصحة التي هنأتني فيها بطيبات رزقك ، وقويتني فيها على ما وفقتني إليه من عبادتك ، وأعنتني بها على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ؟ أم وقت العلة التي محصنتي بها من الذنوب ، وطهرتني بها من السيئات ، ورفعت لي بها الدرجات ، ونبهتني بها إلى التوبة ، وذكرتني بها النعمة ؟ .

إلهي يا أنيس كل مستوحش ، يا فرج كل مكروب ، يا عضد كل محتاج ، أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلمًا ، وأنت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمك سهما ، وأنت الذي سبقت رحمته غضبه ، وأنت الذي عطاءه أكثر من منعه .

إلهي لا تعرض عني وقد أقبلت عليك ، ولا تحرمني وقد رغبت إليك ، ولا تخذلني وقد توكلت عليك ، إلهي أنا عبدك الفقير الذي فاض دمعه من مخيفتك ، ووجل قلبه من خشيتك ، وانتفضت جوارحه من هيبتك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

إلهي ومولاي لك الحمد أنت الغفور الرحيم ، كم من عيب سترته علي فلم تفضحني ، وكم من ذنب غطيته علي فلم تشهرني ، اللهم وهذه رقبتي

أرقتها الذنوب فاعتقها ، وهذا ظهري قد أثقلته الخطايا فأغفرها برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم ارحم شدة مسكنتي وذل افتقاري وطول تضرعي ، وضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، اللهم صلي وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

اللهم إني نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم ، ونعوذ بك من إتباع خطواته وكيده ومكايدة ومصايده ومواعيده وغروره وأمانيه ، اللهم أجعل بيننا وبين الشيطان سترًا لا يهتكه ، وبابًا لا يفتحه ، واشغله عنا بأعدائك واكفينا شره وأسلك بنا من التقوى خلاف سبيله من الردى .

اللهم لا تجعل للشيطان في قلوبنا مدخلاً ، ولا تسكنه في ما بيننا منزلًا ، اللهم أشرب قلوبنا إنكار عمله ، حول سلطانه عنا ، وأقطع رجاءه منا يا من بيده مقاليد الأمور ، اللهم اهزم جنده وأبطل كيده ، اللهم إنا نستعين بك عليه حتى لا نطيع له أمرًا إذا استهوانا ، ولا نستجيب له إذا دعانا ، أنت المستعان وعليك التكلان ولا حول لنا ولا قوة إلا بك .

اللهم افتح لنا بركات السموات والأرض ، واسقنا غيثًا نافعًا تحي به ما قد مات ، وترد به ما قد فات ، وتخرج به ما هو آت ، وتنبت لنا به الزرع ، وتدر به الضرع ، وتكمل لنا به طيبات الرزق إنك على كل شيء قدير .

اللهم هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وزودنا من الإيمان ، ووفقنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق .

اللهم استعمل ألسنتنا بذكرك ، وجوارحنا بطاعتك ، وأوقاتنا بحسن عبادتك ، وأموالنا فيما يرضيك عنا أنك جواد كريم .

اللهم هب لنا معالي الأخلاق ولا تجعل أعمارنا مرتع للشيطان ، ولا تدع خصلة تعاب منا إلا أصلحتها إنك أنت العزيز الكريم .

اللهم أبدلني من بغض أعدائي المحبة ، ومن حسد أهل البغي المودة ، ومن عقوق ذوي الأرحام المبرة أنك أنت البر الرؤوف الرحيم .

اللهم وفقني لحسن السيرة والسبق إلى كل فضيلة ، وشكر الحسنة ، والعفو عن السيئة ، والصبر الجميل ، والإعراض عن السفيه ، وكظم الغيظ ، وحسن الصفح ، وأكمل ذلك بدوام الطاعة ولزوم الجماعة والعمل بالسنة ورفع البدعة مقرونًا بالحكمة والرحمة يا خبيرًا بضعفي وفقري وعجزي .

اللهم صون وجهي باليسار حتى لا أسأل أحدًا سواك ، ولا أفتن بحمد من أعطاني من دونك وأنت ولي الإعطاء والمنع ، وارزقني صحة أستعملها في طاعتك وعلمًا أستعمله في عبادتك وأعلم به عبادك ، ومالًا أنفقه في سبيلك .

اللهم يا ذا الجلال والإكرام لا تصرف عني وجهك الكريم ، ولا تمنعني فضلك العظيم ، ولا تطردني عن أبواب رحمتك ، ولا تحذر علي رزقك ، فلا إله لي غيرك ، ولا رب لي سواك ، ولا راحم لي إلا أنت ، أنا عبدك الضعيف ناصيتي بيدك ، وبدني في قبضتك ، ماضٍ في حكمك ، عدلٌ في قضائك ، لا أمر لي مع أمرك ، ولا ملجأ ولا منجى لي منك إلا إليك فارحمني يا أرحم الراحمين .

٧- الخزانة السابعة

- **من الأدعية الموافقة للكتاب والسنة :**

اللهم خذ بنفسي إلا ما يرضيك عني ، وأحجبها عن ما يسخطك علي ، وأملئ قلبي بالإيمان حتى أعبدك كأني أراك وأتقرب إليك بالطاعات شوقًا ، وابتعد عن معاصيك فرقا ، يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم يا ذا العزة ، والعظمة ، يا دائم السلطان ، والقدرة ، يا شديد البطش ، والقوة ، يا نافذ الأمر ، والإرادة ، يا واسع الرحمة ، والمغفرة ، يا رب الدنيا ، والآخرة ، يا رب الناس ، يا ملك الناس ، يا إله الناس ، لك الحمد على كل حال ، كم أنعمت عليا بالنعم ؟ ، وكم دفعت عنى من النقم ؟ ، كنت ضالًا فهديتني ، وعائلًا فأغنيتني ، وعاريًا فكسوتني ، وجاهلًا فعلمتني ، ومعدومًا فأوجدتني ، أحمدك حمدًا يبلغ رضاك ، وأشكرك شكرًا يكافئ مزيدك ، يا دائم المعروف ، والإحسان ، يا لطيف البر ، والإكرام ، لا إله إلا أنت ، أنت الملك الحق ، الذي خلقت السموات السبع ، وملأتها ملائكة تسبح بحمدك ، وتقدسك ، وتمجدك ، وتعظمك ، وتأتمر بأمرك ، ألبستهم لباس التقوى ، وجعلتهم أقرب خلقك إليك ، وأعظم معرفة بجلالك ، وجمالك ، وعظمتك ، وأدومهم لك طاعة ، وعبادةً ، وخشوع ، فلك الحمد .

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، وأبواب نعمك ، وأبواب مغفرتك ، وأبواب رضاك ، وخزائن علمك ، وسبل معرفتك .

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور .

اللهم أنت المستعان في الأمور كلها ، والصاحب في الأحوال كلها ، والمنعم بالنعم كلها ، والواقي من الشرور كلها ، لك الحمد على حسن قضائك ، ولك الشكر على جزيل عطائك .

لا إله إلا الله ، إلها واحدًا ، ونحن له مسلمون ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

اللهم يا كريم العفو ، يا حسن التجاوز ، يا عظيم المن ، يا منقذ الغرقى ، يا منجي الهلكى ، يا عماد من لا عماد له ، يا سند من لا سند له ، يا غياث من لا غيث ، ارحم ضعفنا ، وأجبر كسرنا ، وأختم بالصالحات أعمالنا ، يا أرحم الراحمين .

اللهم أنت العزيز الجبار ، أذلت لقدرتك الصعاب ، وأسرعت إلى إرادتك الأشياء ، أنت المدعو للمهمات ، وأنت المفزع في الملمات ، لا يندفع منها إلا ما دفعت ، ولا ينكشف منها إلا ما كشفت ، لا إله إلا أنت .

اللهم أكرمنا بالهدى ، والاستقامة ، وسدد ألسنتنا بالصواب ، والحكمة ، وأملأ قلوبنا بالعلم ، والمعرفة ، وطهر قلوبنا من النفاق ، والرياء ، وكُف أيدينا عن الظلم ، والسرقة ، وطهر بطوننا من الحرام ، والشبهة ، وغض أبصارنا عن الفجور ، والخيانة ، واحفظ أسماعنا من اللغو ، والغيبة ، يا سميع الدعاء .

اللهم يا عظيم العفو ، والرحمة ، والإحسان ، تفضل على علمائنا بالزهد ، والتواضع ، وعلى المتعلمين بالعمل والاستقامة ، وعلى كبارنا بالوقار ، والسكينة ، وتفضل على شبابنا بالإنابة ، والتوبة ، وعلى نسائنا بالحياء ، والعفة ، وعلى أغنيائنا بالبر ، والتقوى ، وعلى فقرائنا بالصبر ، والقناعة ، وتفضل على الغزاة في سبيل الله بالنصر ، والغلبة ، وعلى الأسرى بالخلاص ، والحرية ، وعلى المرضى بالشفاء ، والعافية ، وعلى الأمراء بالعدل ، والشفقة ، وعلى الرعية بالطاعة ، وحسن السيرة ، يا رب العالمين .

اللهم يا رحيم بعبادك اغفر لنا الذنوب التي تهتك العصم ، والمعاصي التي تنزل النقم ، والآثام التي تغير النعم ، والخطايا التي تمنع إجابة الدعاء ، والمحرمات التي تنزل البلاء .

اللهم يا عليم بكل شيء ، أنت الذي تعلم ما في نفسي ، وأنت الخبير بأحوالي ، وبيدك لا بيد غيرك حياتي ، وموتي ، ونفعي ، وضري ، إن حرمتني فمن يعطيني ، وإن خذلتني فمن ينصرني ، وإن طردتني فمن يؤويني ، أنت مولاي ، فنعم المولى ، ونعم النصير .

إلهي ما أعظم برك بي في حياتي ! ، فلا تقطع عني برك في مماتي ، إنك أنت البر ، الرؤوف ، الرحيم .

إلهي أنت السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر أسألك الأمان يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأسألك الأمان يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذ لله ، وأسألك الأمان يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود يجازي عن والده شيئًا .

وأسألك الأمان يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه ، وأبيه ، وصاحبته ، وبانيه ، لكل مريء منهم يومئذ شأنٌ يغنيه ، وأسألك الأمان يوم يعض الظالم على يديه ، ويقول : يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، وأسألك الأمان يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء الدار ، وأسألك الأمان يوم يعرف المجرمون بسيماهم ، فيؤخذ بالنواصي ، والأقدام .

اللهم يا غافر الذنب الكبير ، ويا جابر العظم الكثير ، ويا راحم العبد الفقير ، بقدرتك علي تب علي ، وبعلمك بي أرفق بي ، فأنا عبدك الضعيف ، الفقير ، المسكين .

اللهم يا عظيم البر ، يا مجيب المضطر ، يا كاشف الضر ، يا جميل الستر ، يا عليم بما في السر ، أقبل توبتي واغفر لي ذلتي .

إلهي إليك أشكو نفسًا بالسوء إمارة ، طويلة الأمل ، كثيرة العلل ، إن مسها الشر تجزع ، وإن مسها الخير تمنع ، ميالةً إلى اللعب ، واللهو ، مملوءةً بالغفلة ، والسهو .

إلهي ، ومولاي أشكو إليك عدو يضلني ، وشيطان يغوني ، وقد ملأ بالوسواس صدري ، وأحاطت هواجسه بقلبي ، أدعوني إلى الهوى ، ويبعدني عن الهدى ، ويزين لي حب الدنيا ، ويحول بيني ، وبين طاعتك ، أعوذ بك منه ، ومن شروره ، ومكائده .

إلهي ، ومولاي لا حول لي ولا قوة إلا بك ، ولا نجاة لي من مكاره الدنيا إلا بعصمتك ، أسألك بعظمة جلالك وعز سلطانك أن توفقني إلى ما تحبه ، وترضاه ، وأن تحول بيني وبين ما لا تحبه ولا ترضاه يا مولاي .

اللهم أدخلني الجنة برحمتك ، وأجعل دمعي غزيرًا في طاعتك ، وأسكب عبرتي من خشيتك ، وأصرف قلبي عن الحرام ، وأغلق عني أبوابه ، وحبب إليّ الحلال ، وافتح لي أبوابه ، ولا تسلبني ما مننت به علي ، ولا تنزع مني النعم التي أنعمت بها عليّ ، ولا تسلط علي أيدي الجبابرة يا إلهي ، ومولاي .

اللهم يا عزيز يا كريم وفر حظي من كل خيرٍ أنزلته ، ومن كل برٍ نشرته ، ومن كل رزقٍ بسطته ، ومن كل بلاءٍ رفعته ، ومن كل عيبٍ سترته يا أرحم الرحمين .

يا من بيده ناصيتي يا عالمًا بضري ومسكنتي يا خبيرًا بفقري وفاقتي يا من عليه معولي أعني على ذكرك وشكرك وحسن عباداتك ، واقلني عذرتي ، وأغفر لي ذلتي يا ذا الجلال والإكرام .

إلهي وَمَوْلايَ إِلَيْكَ نَصَبْتُ وَجْهِي ، وَإِلَيْك يَا رَبِّ مددتُ يَدِي ، فَبِعِزَّتِكَ اسْتجِبْ لِي دُعَائِي ، وَلا تقْطعْ رجائِي ، وَاكْفِنِي شَرَّ أَعْدَائِي .

يا واسع الرحمة يَا سَرِيعَ الرِّضَا ، اغْفِرْ لمِنْ لا يَمْلِكُ إِلاَّ الدُّعَاءَ ، ورَأْسُ مَاله الرَّجَاءُ ، وَسِلاحُهُ الْبُكَاءُ ، يَا سَابِغَ النِّعَمِ ، يَا دَافِعَ النِّقَمِ يا مجيب دعوة المضطر افعل بنا بما أنت أهله ، ولا تعاملنا بما نحن أهله .

إلهي أنت كاشف الكرب والبلوى ، وأنت ربُّ الآخرة والأولى ، ونحن عبديك الفقراء نسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عمل برحمتك يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم إن نسألك باسمك العظيم الذي إذا سُئلت به أعطيت ، وإذا دعيت به أجبت ، وإذا استُرحمت به رحمت ، وإذا دُعيت به على العسير تيسر ، وإذا دعيت به على كشف البلاء انكشف .

ونسألك بجلال وجهك الكريم الذي عنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، وخشعت له الأصوات ، ووجلت له القلوب ، ونسألك بقوتك التي تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك ، وتمسك السماوات والأرض أن تزولا ، وبكلمتك التي خلقت بها كل شيء ، وبمشيئتك التي استجاب لها كل شيء ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء ، وبعزتك التي خضع لها كل شيء أن تعز الإسلام والمسلمين ، وتنصر عبادك الموحدين ، وتجمع أمة محمد ﷺ على الحق أجمعين يا رب العالمين .

اللهم من أرادنا بسوءٍ أو مكروهٍ من شيطانٍ مريض أو سلطانٍ عنيد أو حاسدٍ على نعمة أو ظالمٍ أو باغ فكف عنا يده ، واصرف عنا شره ، واشغله عنا بنفسه ، واجعل كيده في نحره ، وتدميره في تدبيره إنك أنت القوي العزيز .

اللهم سخر لي قلب من أحوجتني إليه ، واكفني شر من قدر علي ولا أقدر عليه ، واغنني بفضلك عمن سواك يا من بيده ملكوت كل شيء .

اللهم اكفنا شر الأشرار ، وكيد الفجار ، واطمس على وجوه أعدائنا وفرق بينهم وبين أسلحتهم ، وحيرهم في سبيلهم ، واقطع عنهم المدد ، وانقص منهم العدد ، وأملأ أفئدتهم بالرعب ، وانصرنا على من عدانا أنت مولانا فنعمة المولاة ، ونعمة النصير .

اللهم أنصر لعبادك المجاهدين في سبيلك في كل مكان ، وامددهم بالملائكة المسومين ، وأملأ قلوبهم بالإيمان ، واستعمل جوارحهم في

طاعتك ، واشغل المشركين بالمشركين ، واضرب الظالمين بالظالمين ، وأخرجنا من بينهم سالمين برحمتك يا ارحم الرحمين .

إلهي لا إله إلا أنت ، أنت الواحد الأحد لك وحدانية الخلق والأمر ، ووحدانية العبادة ، وملكة القدرة ، وعظمة السلطان ، وعزت الربوبية ، وفضيلة الحول والقوة ، وجمال الإحسان والأنعام ، وعلو الذات والأسماء والصفات ، وكل ما سواك فقيرٌ إليك ، مغلوبٌ على أمره ، مقهورٌ على شأنه ، موسومٌ بسمة الضعفاء والفقراء والعبيد .

اللهم إنك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء الظن وفي آجالنا بطول الأمل حتى التمسنا أرزاقك من عند المرزوقين ، وطمعنا في آمالنا في أعمار المعمرين .

نسألك اللهم أن تهب لنا يقينا صادقًا تكفينا به مئونة الطلب ، وتقطع طلبه ممن سواك فإنك أنت الذي قسمت الأرزاق ، وتكفلت بإيصالها إلى كل مخلوق .

اللهم أجري من أسباب الحلال أرزاقي ، ووجه في أبواب البر إنفاقي ، وازوي عني من الأموال والأشياء ما يشغلني عنك ، واجعل ما أعطيتني عونًا لي على طاعتك ، وما منعتني سببًا لتفرغي لعبادتك يا أرحم الراحمين .

مولاي هذا مقام العائذ بك من كل سوء يرجو رحمتك ويخشي عذابك تلقاك بنفسٍ خاشعة ، ورقبةٍ خاضعة ، وظهرٍ مثقلٍ بالذنوب والخطايا ، واقفٌ بين يديك بالرغبة إليك ، والرهبة منك وأنت أولى من رجاه وأحق من خشيه واتقاه فاغفر له ، وارحمه يا ولي المتقين .

أشهد انك قسمت معايش العباد بالعدل ، وأحسنت إلى جميع خلقك بالفضل، واشهد أن الشريف من شرفته طاعتك، والعزيز من أعزته عبادتك .
مولاي اجعل شكري لك على ما زويت عني أوفر من شكري إياك على ما خولتني ، ولا تشغلني عنك بغيرك فإن الغني من أغنيت ، والسالم من وقيت لا إله إلا أنت تحكم بما شئت على من شئت ، وتقضي بما أردت على من أردت فلك الحمد على ما واقيتنا من البلاء ، ولك الشكر على ما خولتنا من النعمة . سبحانك أنت المنعم بكل نعمة ، وأنت الذي تدفع كل نقمة .
أشكر عبادك عاجزٌ عن شكرك ، وأعبدهم مقصرٌ في عبادتك لا يستحق أحدٌ أن تغفر له باستحقاقه ، ولا أن ترضى عنه باستجابة فمن غفرت له فبقولك ، ومن رضيت عنه فبفضلك .
سنتك الإنعام والإفضال ، وعادتك الإكرام والإحسان ، وسبيلك العفو والرحمة ، وثوابك الجنة فلك الحمد والشكر .
لا إله إلا الله عدد ما مشى فوق السماوات والأراضين ودرج لا إله إلا الله الذي بيده مفاتيح الفرج لا إله إلا الله المعروف بالجمال والجلال لا إله إلا الله المعروف بالإحسان والإنعام لا إله إلا الله المذكور بكل لسان لا إله إلا الله الذي كل يوم هو في شأن .
اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك ولك الحمد على نعمك التي لا يحصيها سواك ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .
لا إله إلا أنت و رب لي سواك أنا المخلوق الذي خلقت فلك الحمد وأنا الفقير الذي أطعمت فلك الحمد وأنا السائل الذي أعطيت فلك الحمد وأنا

المخطئ الذي عفوت عنة فلك الحمد ، وأنا الضال الذي هديت فلك الحمد وأنا المريض الذي شفيت فلك الحمد أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك .

اللهم يا من هو في السماء إله وفى الأرض إله يا من يسمع كل من ناجاه يا من يجيب المضطر إذا دعاه يا من عنت له الوجوه يا من ذلت لعظمته الجباة يا من ليس معه إله يدعى ورب يرجى ولا كبير يخشى ، أسألك أن تقبل قولي وعملي وان تقبل معذرتي وأن تستجيب دعائي يا أرحم الراحمين .

يا من لا يمل من الخلق الدعاء يا من لا تنقص خزائنه من العطاء ، يا من لا يخيب فيه الرجاء ، يا من يعز من يشاء ويذل من يشاء ارحم ضعفنا وذلنا يا أرحم الراحمين .

يا كبيرًا خضع لكبريائه كل شيء ، يا عظيمًا تواضع لعظمته كل شيء ، يا أحسن الخالقين يا أحكم الحاكمين يا خير الفاتحين يا خير الرازقين يا أرحم الراحمين .

يا مغيث اللهفات يا مقيل العثرات يا غافر الزلات يا مجيب الدعوات سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت ما أغناك عنى وما أحوجني إليك .

لا إله إلا أنت الواحد الأحد الصمد ذو الكرم والجود والعطاء الممدود .

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الرب الرؤوف الرحيم إذا أسئنا حلمت ورحمت وإذا أحسنا تفضلت وقبلت وإذا عصينا سترت وأمهلت وإذا أذنبنا غفرت وعفوت وإذا ذكرناك ذكرتنا وإذا تقربنا إليك قربت فلا إله إلا أنت .

لا إله إلا الله الواحد الأحد ليس في الكون من مخلوقاتك ولا في الفضاء من هباءاتك ولا في الأرض من ذرات ولا في البحار من قطرات ، ولا في

الأشجار من ورقات ولا في الأجسام من حركات ولا في النفوس من خطرات إلا وهى بك عارفة و لك عابدة وإليك مشاهدة وبحمدك مسبحة ، ولك خاضعة ، يا من بيده ملكوت كل شيء سخر لي قلب من أحوجتني إليه ، واكفني شر من قدر على ولا أقدر عليه انك أنت العزيز القهار .

لا إله إلا أنت ولا رب لي سواك أنت خير من سُئِل وأجود من أعطى ، وأكرم من عفي وأعظم من غفر ، وأعدل من حكم وأصدق من حدّث ، وأوفى من وعد وأبصر من راقب وأسرع من حاسب وأرحم من عاقب وأجزل من أعطى وأبر من أجاب وأحق من عبد وأحسن من خلق ، وأحكم من شرع .

اللهم ما قدرت عليَّ من قضاء فأعطني مائه صبرًا وما أعطيتني من عطاء فأعطني مائه شكرًا ، فجميع الخيرات بيدك وكل النعم منك .

اللهم أنت اللطيف في قضاءه الرحيم في بلاءه الكريم في عطائه لا إله إلا الله العزيز الكريم يا من إذا دعيا أجاب يا سريع الحساب يا عالم السر والنجوى إليك ترفع الحاجة والشكوى لا إله إلا أنت بابك مفتوح للسائلين وفضلك مبذول للنائلين سبحان خالق المخلوقات ، سبحان وأهب الحياة وباعث الأموات عظيم الملك ، والسلطان دائم النعم والإحسان ، لا إله إلا أنت أين المفر منك وأنت المحيط بالأكوان ؟ وكيف البراح عنك وأنت الذي قيدتنا بلطائف الإحسان ؟ اللهم إني أسألك نفسا مطمئنه تؤمن بلقائك وتقنع بعطائك ، و ترضى بقضائك وتصبر على بلائك .

اللهم اغفر لي كل ذنب و أحفظني من كل جنب وفرج عنى كل كرب يا أرحم الراحمين ، اللهم إني لست بريئًا فأعتذر ولا قويًا فأنتصر لكنى مذنبٌ مستغفر فاغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم .

اللهُم نسألك إيمانًا نهتدي به ونورًا نقتدي به وعونًا على طاعتكَ وأعمالًا صالحِةً ترضي بِها عنا ، اللهُم إنكَ خلقتنا ورزقتنا وحفظتنا وهديتنا للإسلام .

اللهُم لك الحمد حتى ترضي ولك الحمد إذا رضيتَ ولك الحمد بعد الرِضا فأهلٌ أنت أن تحُمد ، وأهلٌ أنت أن تُعبد ، وأنت أهل التوبة وأهل المَغفرة اغفر لنا ما قدمنا وما آخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم بهِ منا أنت المُقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت .

٨- الخزانة الثامنة

- **من الأدعية الموافقة للكتاب والسنة :**

اللَّهُمَّ فَرِّغْنِي لمِا خَلَقْتَنِي لَهُ ، وَلا تَشْغَلْنِي بِمَا تَكَفَّلْتَ لي بِهِ ، وَلا تحَرِمْنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ ، وَلا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ .

لا إله إلا الله القوي العزيز القهار أمر الليلِ فدجى وأمر النهارَ فقضيَ ، وأمر السماءَ فاستقلت ، وأمر الأرض فاستقرت وأمر السُحب فسارت وأمر الجبالَ فرست وأمر الرياحَ فهبت ، وأمر الأرض فأنبتت وأمر المياه فسالت ، وأمر اللِسان فتكلم وأمر الأُذن فسمِعت ، وأمر العين فأبصرت وأمر الرجلُ فمشت وأمر النجوُم فأضاءت وأمر الشمسَ فجرت .

يا من بيدهِ الخلق والأمر وبيدهِ مقاليد الأمور اللهُم هب لي إيمانًا أقدم بهِ عليك ويقينًا يُغنني عن سِواك حتى لا ألهوُ عن شُكركَ ولا أنعمُ إلا بذكركَ .

اللهُم إن حسناتنا من عطائكَ وسيئاتنا من قضائكَ لن تُطاعَ إلا بإذنك ، ولن تُعصي إلا بعِلمكَ تُطاع فتشكُر وتُعصيَ فتغفر لأنك أنت العزيز الكريم الغَفُور .

اللهُم أن الخالق الذي خلقتني وأنت الرزاق الذي رزقتني وأنت المُصور الذي صورتني وأنت الهادي الذي هديتني وأنت الحيُ الذي أحييتني وأنت الكريم الذي أعطيتني في أحسن صورةٍ صورتني ومن كُل نعمةٍ أعطيتني ومن خيرِ أُمةٍ أخرجتني ، لك الحمدُ حتى ترضيَ ولك الحمدُ بعدَ الرِضا ، فأهلٌ أنت أن تحُمد وأهلٌ أنت أن تُعبد لا إله إلا أنت الملك العزيزُ القادر .

إن أطعتُكَ فبفضلك وإن عصيتُكَ فبعلمك ما عصيتُكَ استكبارًا عن طاعتك ولا استخفافًا بعذابكَ ولكن بسابقةٍ سبق بِها علمُك وغلبَ عليَّ الهوى فإن غفرت فأنت خير راحم ، وإن عذبت فقد عذبت فقيرًا ظالم ، فأنتَ الذي تُعذب فأنا عبدُكَ الجاني وإن تغفر فأنكَ أنت الغفور الرحيم .

اللهُم ما رزقتني مما أُحب فأجعله عونًا لي على ما تحُب وما زويتَ عني مما أُحب فأجعلهُ فراغًا لي فيما تحُب، فالحمدُ لله الذي خلق كُل شيء، الحمدُ لله الذي أنشأ كُل شيء، الحمدُ لله الذي يُدبرَ كُل شيء، الحمدُ لله الذي أبدع كُل شيء، العليم الذي لا يعزِب عن علمهِ مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء .

البصير الذي لا يغيب عن بصرهِ كُل ذرةٍ في الأرضِ والسماء ، لهُ ما في السمواتِ وما في الأرض وما بينهُما وما تحتُ الثري .

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت الحي القيُوم إلهي ومولاي أدعوكَ باسمك العظيم الأعظم ، وأسألُكَ باسمك العليُ الأعلى أنت أول من يسمَعُني وأكرم من يجُيبُني اقض حوائجنا حاجةٍ حاجةَ واغفر لجميع المُسلمين والمُسلمات والمؤمنينَ والمُؤمنات الأحياءُ مِنهِم والأموات يا ذا الجلالِ والإكرام .

اللهُم تقبل عملنا هذا بأحسنِ قُبول واجزنا بهِ أحسنَ جزاء ، إنكَ أنت العزيز الرؤوف الرحيم .

اللهُم إني أسألُك من كُل خيرًا أحاط بهِ علمُكَ ، وأعوذُ بك من كُل شرٍ أحاط بهِ علمُك .

اللهُم إني أسألُكَ العافية في أموري كُلُها ، وأعوذُ بك من الشرورِ كُلُها وأعوذُ بك من خِزيِ الدنيا وعذابَ الآخرة .
اللهُم إني أعوذُ بوجِهكَ الكريم وعِزكَ الذي لا يُرام وقُدرتِكَ التي خضع لها كُل شيء من شرِ الدُنيا والآخرة ، ومن شرِ الأوجاعِ كُلِها ، ومن شرِ الفِتنِ كُلِها ومن شرِ كُل دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتِها إن ربي علي صراطٍ مُستقيم .
اللهُم يا من بيدهِ ملكوتُ كُل شيء يا من لا يمتنعُ عليهِ شيء يا مُدبر الأمور ويا مُصرفَ الأحوال ، ويا قاهر كُل قاهر يا مجُيب كُل مُضطر ، يا مجُيب السائلين يا راحم المساكين يا عفو يا غفور أغفر لنا ما قدمنا وما آخرّنا وما أسررنا وما أعلناَ وما أنت أعلم بهِ منا لا إله إلا أنت .
سُبحانَ العلي الذي علا فقهر ، وملكَ فقدر وبطنُ فخبر ، وعُبد فشكر ، وعُصيَ فغفر ، إلهي ومولاي يا من أحاط بكُل شيء يا من لا يدركهُ بصر ولا يخفي عليهِ أثر ، يا خالقَ البشر يا رازقَ البشر يا مُقدر كُل قدر يا عظيم الشأن ، يا من هو كُل يومًا في شأن ، يا من لا يشغلهُ شأنٍ عن شأن ، يا ذا العزةِ والسُلطان ، يا ذا المنِ والإحسان يا سامع الأصوات ، يا مجُيب الدعوات ، يا قاضي الحاجات ، يا كاشف الكرُبات يا جامع الشتات ، يا من مُطلعٍ علي النيات يا محُيي الأموات نسألُكَ الجنة وما قُربَ إليها من قولًا وعملٍ ، ونعوذُ بكَ من النارِ وما قُربَ إليها من قولٍ وعمل .
اللهُم يا بارئ النسمة ، يا جامع الأُمم يا سابغَ النِعم ، يا دافعَ النِقم ، يا كاشف الكَرب ، يا شافي السُقم ، يا ذي الجودِ والكرم يا من بيدهِ التقدير والتدبير ، يا من هو على كُل شيء قدير ، يا من هو بكُل شيء عليم ، يا من هو بكُل شيء بصير ، يا من هو بكُل شيء خبير ، يا سامع كُل صوت يا

سابق كُل فوت ، يا محيي كُل نفسٍ بعد الموت يا فالق الإصباح يا فالق الحبِ والنوى يا فاطر السمواتِ والأرض يا من بيدهِ كُل مُفتاح افتح لنا أبوابِ رحمتِكَ وأبواب فضلكَ يا ذا الجلالِ والإكرام .

اللهُم يا رادَ يوسُفُ علي يعقوب أُردُ عليّا ضالتي ، يا كاشف ضُرِ يعقوب أكشفَ ضُري يا غافر ذنبَ داود اغفر لي ، يا مجُيب نداءَ يونس في الظُلُمات استجب دُعائي، يا مُصطفي موسي بالكلمات اجعلني من عِبادِكَ المُصطفينَ الأخيار .

إلهي يا من غفر لآدم خطيئتهَ يا من نجي نوحٍ من الغرق يا من أهلك عادٍ الأولي وثمود فما أبقي وقوم نوحٍ من قبل إنهُم كانوا هُم أظلمي وأطغيَ والمؤتفكة أهوي ، يا من اتخذ إبراهيمَ خليلا يا من اتخذ موسيَ كليما يا من اتخذ محُمدً خليلا ، ووهبت لسُليمانَ مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدهَ يا من بشر زكريا بيحيى يا من فدي إسماعيل بذِبحٍ عظيم ، يا هازم الأحزاب صلِ علي محُمدٍ وعلى آلِ محُمد وعلي جميع الأنبياءِ والمُرسلين ، وعلى أهلِ طاعتِكَ من الناس والجنةِ أجمعين .

إلهي ومولاي لك الحمد حتى ترضي ولك الحمد بعد الرِضا كم من نعمةٍ أنعمت بِها عليّ وكم من ذنبٍ غفرتهُ ليّ وكم من قبيحٍ سترتهُ عليّ وكم من مكروه دفعتهُ عنيّ ، وكم من ثناءٍ جميلٍ لستُ أهلًا لهَ نشرتهُ ليّ أسألُكَ بعزتِكَ ألا يحجُب عنكَ دُعائي سوء أعمالي ولا تُعاجلني بالعقوبةَ على ما عملتَ في خلواتي من سوء أفعالي ، ولا تفضحني بما تعلمهُ من سريِ .

اللهُم يا أكرم الأكرمين أسألُكَ بأسمائكَ الحُسني وصِفاتُكَ العُلا أن تهبَ ليّ في هذهِ الساعة كُل ذنبٍ أذنبتهُ وكُل جُرمٍ أجرمتهُ وكُل قبيحٍ أسررتهُ وكُل

سوءٍ عملتهَ وأسألُكَ أن توفرَ حظي من كُل خيرٍ أنزلتهَ ومن كُلٍ برٍ نشرتهَ ومن كُل رزقٍ بسطتهَ ومن كُل ذنبٍ غفرتهَ إنكَ أنت الغفورُ الرحيم .

اللهُم إنكَ أمرتنا بدُعائِكَ ووعدتنا بالإجابة فإليكَ ربي نصبتَ وجهي ومددتُ يدي بعزتِكَ وكرمك استجب دُعائي .

اللهُم إني أسألُكَ باسمكَ الأعظم الذي إذا دُعيتَ بهِ أجبت وإذا سُئلتَ بهِ أعطيت وبجلالِ وجهكَ الكريم الذي عّنت لهُ الوجود وخضعت لهُ الرِقاب وخشعت لهُ الأصوات ، وأسألكَ بقوتِكَ التي أمسكت بها السماء أن تقع علي الأرض إلا بإذنك ، وبقُدرتك التي أمسكتَ بِها السمواتِ والأرض أن تزولا وبمشيئتكَ التي خضع لها كُل شيء وبرحمتِكَ التي وسِعت كُل شيء ، وبكلماتِكَ التي خلقت بها السموات والأرض وما فيهِما وما عليهِما وما بينهُما وبمجدكَ العظيم ، الذي ظهر في كُل شيء وبكلماتكَ التامات التي خلقت بها كُل شيء وسالت بها البحار والأنهار ، وجمدت بها الأرض والجِبال وخمدت بها النيران وجرت بها الرياح أن تغفر لنا ذنوبنا وتُيسر لنا أمورنا وتفعل لنا ما أنت أهلهُ ولا تفعل بنا ما نحنُ أهلهُ أنت أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة .

اللهُم يا ذا الجلالِ والإكرام تفضل علي فُقراء المؤمنين بالغنى وعلى مرضي المؤمنين بالشِفا وعلى أحياء المؤمنين بكمال الإيمان والتقوى وعلى أمواتِ المؤمنين بالمغفرةِ والرحمة إنك أنت الغفور الرحيم .

اللهم إني أسألك باسمك الأعظم ، باسمك الواحد الأحد ، وأدعوك باسمك الصمد ، يا ذا القدرة والسلطان ، يا ذا المن والإحسان ، يا ذا الجلال والإكرام اغفر لي وارحمني برحمتك التي وسعت كل شيء .

اللهم يا ذا الجلال والإكرام ، ادخل على قلوب المؤمنين الأمن والسرور اللهم اغن منهم كل فقير ، وأهد منهم كل ضال . واشبع كل جائع ، واكسِ كل عار . ورد كل غائب ، واشف كل مريض ، وفك كل أسير ، وأصلح كل فاسد ، وفرج كرب كل مكروب يا من بيديه مقاليد الأمور .

اللهم يا مقيل العثرات ، يا غافل الزلات ، يا فاطر الأرض والسموات ، يا قريبًا لمن دعاك ، يا حليمًا على من عصاك ، يا غنيًا عمن سواك ، يا من لا يُعز من عاداه ، يا من لا يُذل من ولاه ، يا من لا يضل من هداه ، ولا يشقى من أسعده وعافاه . يا من يجيب المضطر إذا دعاه ، اغفر لنا وارحمنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم يا من له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، يا من له الحمد في الآخرة والأولى ، يا من خلق فسوى ، يا من قدر فهدى ، يا حي يا قيوم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا ، وما أنت اعلم به منا . إنك أنت الغفور الرحيم .

اللهم يا قاضي الحاجات ، يا مجيب الدعوات ، يا كاشف الكروبات ، أشكُ إليك ما لا يخفى عليك ، وأسألك ما لا يعسر عليك ، هذه ناصيتي الخاطئة بين يديك ، وهذه يدي ممدودة بالضراعة إليك ، وهذا قلبي مؤمن بك متوكل عليك ، ارحم ضعفي وذلي بين يديك ، واجعل في قلبي نورًا اهتدي به إليك ، ووفقني للأعمال الصالحة التي تقربني إليك ، ولا تفضحني يوم العرض عليك ، وعند القيام بين يديك . فإن الفضل والحمد كله منك و لك واليك يا ارحم الرحمين .

اللهم إني أسألك يا رب أن تحيي قلبي بنور معرفتك، وتملؤه بعظيم محبتك ، وأن تحيي بدني بنور عبادتك، ولزوم طاعتك، وأن تشملني برحمتك وعفوك وإحسانك، وأن تملكني زمام نفسي حتى أقودها إلى ما فيه رضاك، وأن تطهرني من دنس الآثام والمخالفات، يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم يا مجيب السائلين ، ويا مفزع الخائفين ، آمن روعتنا ، واستر عوراتنا ، واغفر ذلاتنا ، يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم أحرسني بعينك التي لا تنام ، وأكلئني بحفظك الذي لا يرام ، ولا أهلك وأنت رجائي ، كم من نعمة أنعمت بها عليّ قل لك عندها شكري فلم تحرمني ، وكم من بلية ابتليت بها قل عندها صبري فلم تخذلني ، بك ادرأ في نحر عدوي ، واستعيذ بك من شره ، فإنك على كل شيء قدير.

سبحانك ما أعظم كرمك في معاملة من أطاعك أو عصاك ، تشكر للمطيع ما أنت أنعمت به عليه ، وتحلم على العاصي فيما تملك معاجلته فيه تطاع فتشكر ، وتعصى فتغفر ، وتفضلت على كل منهما فيما يقصر علمه عنه .

لأنك أنت الرب الرؤوف الرحيم يرضيك العمل القليل وهو من فضلك ، وتجازي صاحبه بالثواب العظيم ، والمقام الأمين في جوارك ، لا إله إلا أنت ، ما أكرمك وما أرحمك .

إلهي ومولاي يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت، تباركت أن توصف إلا بالإحسان، وكرمت أن يخاف منك إلا العدل، لا يخشى جورك على من عصاك ، ولا يخاف نقصك ثواب من أرضاك .

اللهم إني اعتذر إليك ظُلم بحضرتي فلم انصره، ومن معروف أُسدي إلي فلم اشكره، ومن مسيء اعتذر إلي فلم اعذره ، ومن فقير سألني فلم أعطه ، ومن عيب مؤمنٍ ظهر لي فلم استره ، ومن كل إثم عرض لي فلم أهجره .

اللهم اجعل رغبتي في طاعتك ، واخلص محبتي لنفسك ، واكسر شهوتي عن كل محرم ، يا من بيده مقاليد الأمور .

اللهم كل عبدا نال مني ما حرمته عليه ، وانتهك مني ما حجبته عليه ، فاغفر له ما ألم به مني وعوضني من عفوي عنه عفوك عني ، ومن دعاءي له رحمتك لي ، يا ارحم الرحمين .

اللهم وكل عبد ناله مني أذى أو لحقه بسببي ظلم ، فارضه عني بما شئت وأوفه حقه من عندك ، إنك أنت الكريم الرحيم ، اللهم إني أستوهبك يا إلهي ما لا ينقصك بذل أن تهب لي نفسي ، وتعتقها من النار يا ربي .

فكم عمّ عفوك الظالمين وكم تكرمت بالتوبة على المجرمين ، لأنك أنت التواب الغفور الرحيم ، أنت الرب العظيم الذي لا يمنع أحدًا فضله ، ولا يستقصي من أحد حقه ، تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، اللهم زدنا من الإيمان والتقوى ، وأكرمنا في الآخرة والأولى ، واجعل الموت بابًا من أبواب مغفرتك ، ومفتاحًا من مفاتيح رحمتك ، أحينا مسلمين وأمتنا مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، تائبين غير عاصين .

اللهم شرف درجتي برضوانك ، وأكمل كرامتي بغفرانك ، واجعلني من عبادك المقربين ، ومن حزبك المفلحين ، وأعمر في مجالس الصالحين ، وأدخلني في غمرة الفائزين يا رب العالمين .

اللهم ارحمنا إذا حان الفراق ، وساقنا يوم الموت إلى يوم التلاق ، وصارت الأعمال قلائل في الأعناق ، يا غفور يا رحيم ، اللهم اجعل قبورنا بعد فراق الدنيا خير منازلنا ، وأفسح بنا برحمتك ضيق ملاحدنا ، وارحم بالقرآن يوم العرض عليك ذل مقامنا ، وثبت به على الصراط أقدامنا ، واتمم به نورنا .

اللهم صل وسلم على محمد وآله آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه اللهم مقامًا محمودًا الذي وعدته وأحينا على سنته وتوفنا على ملته ، واحشرنا في زمرته ، وأوردنا حوضه يا أكرم الأكرمين .

اللهم إنا نسألك أن ترزقنا إيمانًا صادقًا نكف به جوارحنا عن معصيتك ، ونستعملها به فيما يرضيك ، حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو ، ولا ننظر بأبصارنا إلى لهو ، وحتى لا نبسط أيدينا إلى محظور ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور ، وحتى لا يدخل بطوننا إلا ما أحللت ، ولا تنطق بألسنتنا إلا بما أمرت ، إنك على كل شيء قدير .

اللهم ارزقنا الإخلاص في توحيدك ، واستعمل ألسنتنا بذكرك وتحميدك ، وجنبنا الإلحاد في توحيدك ، والتقصير في تمجيدك ، والشك في دينك ، والعمل عن سبيلك ، يا من بيده مقاليد الأمور .

اللهم يا بصيرًا بالعباد ، يا لطيف ، يا خبير استعمل أبداننا بعبادتك ، وزين أوقاتنا بطاعتك ، وإن ملنا فعدلنا ، وإن زغنا فقومنا ، وإن أسرنا الشيطان فاستيقظنا ، وإن تسلط علينا العدو فانصرنا ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

اللهم يا من لا يندم على العطاء ، ولا يرغب في الجزاء ، عقوبتك عدل ، وعفوك إحسان ، وقضاءك كله خير ، ونعمك على خلقك لا تعد ولا تحصى .

تشكر من شكر وأنت ألهمته شكرك ، وتكافئ من حمدك وأنت علمته حمدك ، وتستر على من شئت لفضيحته ، وتجود على من لو شئت لمنعته ، وكل منهما أهل للفضيحة والمنع ؛ لأنك واسع الفضل والرحمة ، عظيم الجود والإحسان ، عظيم المغفرة والحلم .

إلهي أنت الكريم الذي فتحت على عبادك أبواب التوبة ، وأبواب الرحمة ، وأبواب العفو ، وأبواب الخير ، وأبواب الرزق ، وأبواب الدعاء ، وأبواب العمل الصالح .

اللهم أدخلنا أبواب الخير كلها ، وامنعنا من أبواب الشر كلها يا رؤوف يا رحيم .

اللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه حتى ترضى ، وإذا رضيت إقرار بالإساءة ، واعتراف بالإضاعة لك الحمد من ألسنتنا بصدق الاعتذار ومن قلوبنا بصدق الندم فأجرنا على ما حمدنا ، واغفر لنا ما قصرنا يا من لا يغفر الذنوب سواه ، ولا يعطي الجزيل غيره .

اللهم إنا نتوب إليك في جميع أوقاتنا من كل ذنب أذنبناه ، ونحمدك على كل خير عملناه ، ونشكرك على كل رزق عطيتنا يا أكرم من رغب خلقه إليه ، وأكفأ من توكل عباده عليه يا من يرحم من لا يرحمه العباد ، ويا من يقبل من لا تقبله البلاد يا من يشكر السير العمل ويجازى بالعظيم من الأجر .

يا من لا يغير النعمة ، ولا يبادل بالنقمة يا من يضاعف الحسنات ، ويعفوا عن السيئات يا من يذكر من ذكره ، ويتقرب إلي من تقرب إليه ، ويدعو إلى نفسه من أدبر عنه أنت رب العزة والجلالة ، وأنت ذو الجبروت ، والملكوت ، وذو الكبرياء والعظمة أنت الأعلى فوق كل عال ، وأنت الكريم بكل نعمة امتلأت بفيض جودك جميع أوعيه الطلبات فما أعظم شأنك ، وما أعز سلطانك بابك مفتوح للوافدين وجودك ، مباح للسائلين ، وعونك شامل للخلق أجمعين ، ورزقك مبسوط على العالمين .

حلمت على من عصاك لعله يتوب إليك ، وأمهلت من نواك ثقته بدوام ملكك فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها ، ومن كان أهل الشقاوة خذلته بها سبحانك ما أعدلك ، وما أرحمك هديتنا إلى الدين ، وأظهرت البينات أقمت الحجج وتلطفت في الترغيب ، وتقدمت بالوعيد ، وضربت الأمثال ، وأعطيت الإمهال .

وأخرت العقوبة ، وأنت تستطيع المعاجلة لتكون حجتك أبلغ ، وكرمك أكمل ، وإحسانك أوفي، ونعمتك أتم لا إله إلا أنت الواحد الأحد لا شريك لك أنت الأول قبل كل أحد ، وأنت الآخر بعد كل عدد أنت المحيط التي أحط بكل شيئا علمًا، وأحصيت كل شيئا عددًا، وجعلت لكل شيءٍ أمدًا .

لا إله إلا أنت رب السموات، والأرض ، ومن فيهن، وأنت ملك السموات، والأرض ومن فيهن ، وأنت الخالق الذي خلق جميع المخلوقات ، وأنت المصور الذي صور جميع المصورات لا إله إلا أنت ، أنت القوي القادر الذي أردت ما كان فكان ما أردت ، وحكمت فكان عدلًا ما حكمت ،

وخلقت فكان حسنًا ما خلقت ، وقدرت فكان حقًا ما قدرت أنت المقدم ، وأنت المؤخر لا إله إلا أنت .

لا إله إلا أنت ما جل شأنك ، وما أعظم سلطانك ، وما أوسع رحمتك ، وغفرانك ، لا إله إلا أنت سبحانك بسطت بالخير يدك ، وهديت الإسلام خلقك سبحانك خضع لك من جرى في علمك ، وخشع لعظمتك ما تحت عرشك ، وانقادت لك كل ذرة في ملكك لا رد لقضائك ، ولا معقب لحكمك .

اللهم لك الحمد حمدًا يليق بعظمتك ويكافئ إحسانك ، ويليق بعز جلالك إلهي ومولاي أنت الكريم الحليم الذي يسترضي المسيئين ، ولا يعاجل المذنبين، ويمهل المخطئين، ويقيل عثرات المذنبين ، ويتوب على التائبين .

أنا المسيء الخاطئ أنا الظالم العاثر أنا الذي عصاك متعمدًا أنا الذي استخفي من عبادك وبارزك أنا الجاني على نفسه أنا المرتهن بذنبه أنا قليل الحياء .

أسألك أن تغفر لي ذنوبي ، وأن تجيرني من النار برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم يا مولاي لا تعرض عني إعراض من لا ترضي عنه ، ولا ترسلني إرسال من لا خير فيه ، ولا ترمي بي رمى من سقط من عينك ، ولا تطوقني طوقًا يحبط الحسنات ، ويذهب بالبركات انزع من قلبي كل شهوة تشغلني عن عبادتك .

اللهم زين لي التفرد بمنجاتك ، وهب لي نورًا يملأ قلبي بعظمتك ، ويقينًا يدفعني إلي خشيتك ، وعلمًا أعرف به عظمتك ، وتمنعني به من ركوب محارمك ، وتعينني به علي طاعتك يا ذا الجلال والإكرام

اللهم ما زلت من خير ، و صحة ، وسلامه ، وسعة رزق اجعل لنا منه أثر الحظ ، والنصيب ، وما أنزل من شرٍ ، وفتنة ، وبلاء أصرفه عنا ، وعن المسلمين ، وارزقنا اللهم غنًا لا يطغينا ، وصحةٍ لا تلهينا ، واجعلنا أفقر عبادك إليك ، وأغني خلقك بك أنك أنت العزيز الكريم .

إلهي ومولاي لم أصب خيرًا قط إلا منك ، ولم يصرف عني سواءً قط غيرك أنت رجائي وملاذي ، فاغنني بفضلك عن من سواك ، وبطاعتك عن معصيتك يا أرحم الراحمين .

اللهم إني أسالك يا مولاي بأسمائك الحسني ، وصفاتك العلى ، وقدرتك التي خلقت بها السموات ، والأرض ، وما فيهن ، وما فوقهما ، وحركت بها كل متحرك ، وسكنت بها كل ساكن ، وحييت بها أموات العباد ، ونشرت بها أقوات البلاد ، ورحمت بها من تشاء ، وعاقبت بها من تشاء ، وأعطيت بها من تشاء ، ومنعت بها من تشاء أن ترضي عنا ، وتدخلنا دار السلام أنك أنت السلام ، ومنك السلام لا إله إلا أنت .

اللهم إني أسالك برحمتك التي وسعت كل شيء ، وبقوتك التي قهرت بها كل شيء ، وبعزتك التي ذل لها كل شيء ، وبعظمتك التي ملأت كل شيء ، وبسلطانك الذي علا كل شيء ، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء ، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء ، وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء أن تغفر لنا الذنوب التي تهتك العصم ، وتنزل النقم ، وتغيير النعم ، وتنزل البلاء ، والفتن يا أرحم الراحمين .

أسألك يا مولاي أن توزعني شكرك ، ودوام ذكرك ، وحسن عبادتك ، والإحسان إلى خلقك ، وأسألك سؤالا من اشتدت طاقته ، وعظمت فيما عندك رغبته فاستجب دعائي يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم يا قوي أسألك بعزتك إلا تحجب عنك دعائي بسوء أفعالي ، ولا تعاجلني بالعقوبة أن عصيتك في خلواتي، وكن بي في جميع الأحوال رؤوفًا رحيمًا لا إله غيرك أسألك كشف ضري، ومغفرة ذنبي يا غفور يا رحيم .

اللهم ارحم قلوبًا امتلأت بتوحيدك، وألسنةً نطقت بذكرك وتمجيدك ، ووجوهًا خرت لعظمتك ساجدة ، وجوارح في عبادتك خاشعة .

اللهم صل وسلم على نبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى إله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه الغر الميامين ، وعلى خلفائه الراشدين أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي خير الخلفاء بعد الأنبياء ، وأفضل أئمة الهدى ، وعلى من تبعهم بإحسان إلي يوم الدين .

اللهم اغفر للمسلمين، والمسلمات، والمؤمنين، والمؤمنات الأحياء منهم ، والأموات .

اللهم إنا دعوناك كما أمرتنا فأستجب لنا كما وعدتنا يا سميع الدعاء هذا الدعاء ، ومنك الإجابة ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك سبحانك اللهم ، وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك ، وأتوب إليك لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم سبحانك ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام علي المرسلين، والحمد لله رب العالمين .

٩- الخزانة التاسعة

ما يعتصم به العبد من الشيطان من الأدعية ، والأذكار :

- **أقسام الأمراض :**

تنقسم الأمراض التي تصيب الإنسان إلى قسمين :

أمراض القلوب .. وأمراض الأبدان .

- **وأمراض القلوب نوعان :**

الأول : مرض شبه، كما قال سبحانه عن المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة: ١٠] .

الثاني : مرض شهوة، كما قال الله عز وجل لأمهات المؤمنين : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الأحزاب:٣٢] .

أما أمراض الأبدان فهو ما يصيبها من الأدواء ، والعلل الحسية ، وطب القلوب يعرف بواسطة الرسل عليهم الصلاة والسلام فقط ، فإنه لا صلاح للقلوب أن تكون عرفةً بربها ، وفاطرها علمه بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وشرائعه مؤثرةً لمرضاته ومحابه مجتنبا لمناهيه ومساخطه.

قال الله تَعَالىَ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢].

وطب الأبدان نوعان :

١- نوع فطرة الله عليه الحيوان ناطقه، وبهيمة فهذا لا يحتاج إلى طبيب كالجوع، والعطش، والتعب تعالج بأضدادها من الأكل، والشرب، والراحة.

٢ - ونوعٌ يحتاج إلى فكر ، وتأمل ، وعلاج يكون بالأدوية الطبيعية أو الإلهية أو بهما معا .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ الرعد:٢٨ -٢٩] .

- **أمراض القلوب :**

مرض القلب خروج عن صحته ، واعتداله فإن صحته أن يكون عارفًا بالحق محبًا له مؤثرًا له على غيره ، فمرضه إما الشك فيه ، وإما بإيثار غيره عليه .

فمرض المنافقين مرض شك ، وشبه ، ومرض العصاة مرض شهوة ، وللقلب أمراض أخرى من الرياء ، والكبر ، والعجب ، والحسد ، والفخر ، والخيلاء ، وحب الرئاسة ، والعلو في الأرض ، وهذه الأمراض مركبة ومتولدة من مرضي الشبهة والشهوة .

نسأل الله الصحة ، والعافية رب العالمين.

قال الله تَعَالىَ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[الشعراء : ٧٨-٨٠] .

- **دفع شرور شياطين الإنس ، والجن :**

أمر الله عز وجل بمصانعة العدو الإنسي ، وملاطفته ، والإحسان إليه ليرضه عن طبعة الطيب الأصل إلى المولاة ، وكريم الأخلاق :﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت:٣٤- ٣٥].

وأمر الله عز وجل بالاستعاذة بالله من العدو الشيطاني الذي لا يقبل مصانعةً ولا إحسانًا بل طبعة إغواء بني آدم ، وعداوتهم : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت: ٣٦] .

والملك والشيطان يتعقبان على قلب ابن آدم تعاقب الليل والنهار فمن الناس يكون ليله أطول من نهاره ، ومنهم ما يكون نهاره أطول من ليله ، ومنهم من يكون زمانه كله ليلاً ، ومنهم من يكون زمانه كله نهارًا : ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[البقرة:٢٥٧] .

وللملك بقلب ابن آدم لمه ، وللشيطان لمه ، وما أمر الله بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان :

فإما إلى غلو ، ومجاوزة .. وإما إلى تفريطٍ وتقصير .

والفلاح بطاعة الرحمان ، ومعصية الشيطان .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

عداوة الشيطان لبني آدم :

اختص الله عز وجل المخلوقات المكلفة ، وهي الإنس ، والجن بثلاث نعمٍ أساسية وهي :

العقل .. والدين .. وحرية الاختيار .

وإبليس أول من أساء استخدام هذه النعم بتمرده على أوامر ربه ، وعصيانه ، واستكباره عن أمر ربه بل أصر على العصيان ، وطلب الإمهال إلى يوم البعث لاستغلال هذه النعم أسوء استغلال بإغواء بني آدم ، وتزيين المعاصي لهم ليتبعوه إلى النار: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[ص: ٨٢-٨٣] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

وقال الله تَعَالىَ : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾[يوسف:٥] .

عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ، فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً » . أخرجه مسلم[1] .

- **مظاهر عداوة الشيطان لبني آدم:**

عداوة الشيطان للإنسان أشكال وألوان يعرضها على بني آدم بصور مختلفة:

فمنها: إغواء بني آدم ، وتزيين الشرور والآثام لهم ، ثم يتبرأ منهم.

ومنها: إغواء بني آدم بالوسوسة في النية والقول والعمل.

ومنها: أنه يضل بني آدم ، ويَعِدُهم ويُمنِّيهم ، وينزغ بينهم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨١٣).

ومنها: أنه يَؤُزُّهم إلى المعاصي وسائر المحرمات والفواحش والكبائر.

ومنها: أنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها يمنعه منها، ويثبطه، ويَعُوقه، ويخوِّفه.

ومنها: أنه يسعى في التحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم.

ومنها: إثارة الحسد والغل في قلوبهم ليهلك بعضهم ببعض.

ومنها: إيذاؤهم بأنواع الشرور والأسقام، وصدهم عن سبيل الله بكل ما يقدر عليه.

ومنها: أنه يبول في أذن العبد حتى ينام إلى الصباح، ويعقد على رأسه عُقَداً تمنعه من اليقظة، وتحرمه من العمل الصالح.

فمن سمع للشيطان وأطاعه وانقاد له صار من حزبه، وحُشر معه في النار، ومن أطاع ربه، وعصى الشيطان، حفظه منه، وأدخله الجنة.

قال الله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة:١٩].

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء:٦٣-٦٥].

وعن سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإسلام، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبائِكَ وآباءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ.

ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ

المهَاجِرِ كَمَثَلِ الفَرَسِ في الطِّوَلِ ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ.
ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جُهْدُ النَّفْسِ وَالمَالِ ، فتُقَاتِلُ فتُقْتَلُ فتُنْكَحُ المَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ المَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ» فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقّاً على الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّة». أخرجه أحمد والنسائي[1].

- **سبل الشيطان :**

السبل التي يسلكها الإنسان أربعة :

اليمين .. والشمال .. والأمام .. والخلف .

وأي سبيل سلكه الإنسان من هذا ، وجد الشيطان عليها راصدًا له فإن سلك العبد في طاعة الله ورسوله ، وجد الشيطان عليها يثبته عنها ، ويبطئه ، ويعوقه ، ويخوفه ، وإن سلكها في معصية وجد الشيطان عليها حاملاً له ، وخادما ، ومعينا ، ومزينا كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف/ ١٦-١٧].

مداخل الشيطان :

المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها إلى الإنسان ثلاث :

الشهوة .. والغضب .. والهوى .

الشهوة بهيمية وبها يصير الإنسان ظالما لنفسه ، ومن نتائجها الحرص والبخل .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٦٠٥٤) ، وأخرجه النسائي برقم (٣١٣٤) وهذا لفظه.

والغضب سبعوية وهو آفةٌ أعظم من الشهوة ، فبالغضب يصير الإنسان ظالمًا لنفسه ، وظالما لغيره ، ومن نتائجه العجب ، والكبر . ؟

والهوى شيطانية وهو آفة أعظم من الغضب ، وبالهوى يتعدى ظلمه إلى خالقة بالشرك ، والكفر ، ومن نتائجه الكفر ، والشرك ، والبدع .

وأكثر ذنوب الخلق بهيمية لأعجزهم على غيرها ، ومنها يدخلون إلى بقية الأقسام، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يس:٦٠-٦٢] .

خطوات الشيطان :

الشيطان هو سبب جميع الشرور في العالم ، ولكن انحسر شره في سبع خطوات لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحدةً أو أكثر فأول ، وأعظم شر يريده من العبد شر الكفر ، والشرك ، وعداوة الله ورسوله ﷺ .

فإن يأس منه نقله إلى شر البدع وهي الثانية ، فإن عجز عنه نقله إلى شر الكبائر على اختلافها وهي الثالثة .

فإن عجز عنها نقله إلى شر الصغائر وهي الرابعة .

فإن عجز عنه أشغله بالمُباحات التي لا ثواب بها ولا عذابا ولا عقاب عن الطاعات ، والواجبات وهي الخامسة .

فإن عجز عنه أشغله بالمفضول عن الفاضل كإشغال بالنوافل حتى تفوت الفرائض وهكذا وهي السادسة .

فإن عجز عنه سلط عليه حزبه من شياطين الإنس والجن بأنواع الأذى ليشغله ويشوش عليه فالمؤمن لا يزال في جهاد حتى يلقي الله نسأل الله العون ، والثبات ، والسداد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة:١٦٨-١٦٩] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور : ٢١] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء:٣٨] .

١ - ما يعتصم به العبد من الشيطان

يتحصن العبد من الشيطان ويحترز من شره بما ورد في القرآن الكريم ، وثبت في السنة النبوية الصحيحة ، من الأدعية والأذكار، وفيهما الشفاء والرحمة، والهدى والعصمة من جميع الشرور في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى، ومن ذلك:

الحرز الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

فقد أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن يستعيذ بالله من الشيطان على وجه العموم، وعند قراءة القرآن، وعند الغضب، وعند الوسوسة، وعند الحُلْم المكروه على وجه الخصوص.

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت:٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾ [النحل:٩٨-٩٩].

الحرز الثاني: التسمية

فالتسمية حرز من الشيطان، وعصمة من مخالطته للإنسان في طعامه وشرابه، وجماعه، ودخوله بيته ونحو ذلك مما ورد.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ الله عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ الله عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ الله عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ وَالعَشَاءَ». أخرجه

مسلم[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَو أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتيَ أَهْلَهُ فَقَالَ: بِاسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ في ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبدًا». متفق عليه[2].

الحرز الثالث: قراءة المعوذات.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ عند النوم، وأدبار الصلوات الخمس، وعند المرض.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «قُلْ» قُلْتُ: وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» فَقَرَأَهُنَّ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «لَمْ يَتَعَوَّذِ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ، أَوْ لَا يَتَعَوَّذُ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ». أخرجه النسائي[3].

الحرز الرابع: قراءة آية الكرسي.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَكَّلَنِي رَسُولُ الله ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَاني آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ الله

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٠١٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٣٤).

(٣) صحيح/ أخرجه النسائي برقم (٥٤٣١).

ﷺ، فَقَصَّ الحَدِيثَ فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَمْ يَزَلْ مَعَكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ». أخرجه البخاري معلقاً ووصله النسائي[1].

الحرز الخامس: قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة.

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ هَاتَينِ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». متفق عليه[2].

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة:٢٨٥-٢٨٦].

الحرز السادس: قراءة سورة البقرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ». أخرجه مسلم[3].

الحرز السابع: كثرة ذكر الله تعالى

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً برقم (٥٠١٠)، ووصله النسائي في الكبرى برقم (١٠٩٧٥) بسند صحيح.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٠٩)، ومسلم برقم (٨٠٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٧٨٠).

بقراءة القرآن، والتسبيح والتحميد، والتكبير والتهليل، ونحوها من الأعمال الصالحة، فمن ذَكَر الله ذَكَره وحفظه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مِائَةَ مَرَّةٍ ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَومَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ». متفق عليه[1].

الحرز الثامن: الدعاء إذا نزل منزلاً.

عن خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا نزلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلاً فَلْيقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ». أخرجه مسلم[2].

الحرز التاسع: كظم التثاؤب، ووضع اليد على الفم لئلا يدخل الشيطان.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ فَليُمْسِكْ بِيَدِهِ على فيهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ». أخرجه مسلم[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ». متفق عليه[4].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٩١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٨٩)، ومسلم برقم (٢٩٩٤) واللفظ له.

الحرز العاشر: الأذان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ أَدْبَر الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ المرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُر حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لا يَدْرِي كَمْ صَلَّى». متفق عليه(١).

الحرز الحادي عشر: دعاء دخول المسجد.

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كَانَ إِذَا دَخَلَ المسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِالله العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ القَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» قَالَ: أَقَطُّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ اليَومِ. أخرجه أبو داود(٢).

الحرز الثاني عشر: الوضوء والصلاة، ولا سيما عند الغضب والشهوة، فما أطفأ العبد جمرة الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة:١٥٣].

الحرز الثالث عشر: طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، واجتناب المعاصي، وتجنب فضول النظر، وفضول الكلام، وفضول الطعام، وفضول المخالطة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٣٨٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٦٦).

وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾

[المائدة:٩٠- ٩١].

الحرز الرابع عشر: تطهير البيت من الصور، والتماثيل، والكلاب، والأجراس، لتدخل الملائكة، وتخرج الشياطين .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ تَمَاثِيلُ أَوْ تَصَاوِيرُ». أخرجه مسلم(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَصْحَبُ المَلائِكَةُ رُفْقَةً فِيْها كَلْبٌ وَلا جَرَسٌ». أخرجه مسلم(٢).

الحرز الخامس عشر: اجتناب مساكن الجن والشياطين

كالأماكن الخربة، والأماكن النجسة كالحشوش، والمزابل، والأماكن الخالية من الإنس كالصحاري، وشواطئ البحار البعيدة، ومرابض الإبل ونحوها.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١١٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١١٣).

١٠- الخزانة العاشرة

- **أحكام السحر والسحرة :**

السحر: هو عزائم ورقى وعُقَد تؤثر في القلوب والأبدان.

والسحر شر محض، وظلم وبغي وعدوان، واعتداء على حقوق العبد إما في بدنه، أو ماله، أو عقله، أو علاقته مع غيره.

المس: هو صرع الجن للإنس.

- **أسباب المس:**

المس يقع بشكل مباشر من الجن إما عن شهوة وهوى وعشق كما يقع للإنس ، أو يقع عن بغض ومجازاة لمن ظَلمهم أو آذاهم من الإنس إما بقتل بعضهم، أو صب ماء حار، أو البول على بعضهم، وقد يكون عن عبث وشر من الجن كسفهاء الناس.

قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾[البقرة/ ٢٧٥] .

- **أحوال الإنس مع الجن:**

الجن أحياء عقلاء، مكلَّفون مأمورون منهيون، لهم طاعات ومعاص، ولهم ثواب وعقاب، فمَنْ كان من الإنس يأمر الإنس ويأمر الجن بما أمر الله ورسوله به من الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهذا من أفضل أولياء الله.

ومَنْ استعمل الجن فيما نهى الله ورسوله عنه من الشرك، أو قَتْل معصوم الدم، أو عدوان كأن يمرضهم ، أو بضربهم أحداً من الناس، أو يستعملهم في فاحشة ، أو سرقة ، فهذا قد استعان بهم على الكفر والإثم والعدوان .

ومَنْ استعان بهم على ما يظن أنه من الكرامات فهذا مغرور قد مكروا به.

ومَنْ استعمل الجن في أمور مباحة فهذا يُمنع منه ؛ لعدم وروده في الشرع.

• **حكم إتيان السحرة:**

يحرم على الإنسان الذهاب إلى السحرة ومن في حكمهم من الكهان والعرافين والمنجمين، وسؤالهم وتصديقهم ، وذلك من كبائر الذنوب ، بل قد يصل إلى الكفر .

فمن سأل الساحر أو الكاهن أو المنجِّم عن شيء من أمور الغيب فصدقه فقد كفر، ومن سأله ولم يصدقه لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً ، سواء قابله، أو شاهده في قنوات الإعلام ، أو سأله سؤال استهزاء ، أو تسلية ، أو حب استطلاع، وإن سأله ليمتحن حاله ويفضحه ويكشف أمره ليُحذِّر منه فهذا مشروع لمن له قدرة ليدفع شره عن الناس.

١- عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَتى عَرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه فيمَا يقولُ فقد كَفرَ بما أُنزِلَ على مُحمَّدٍ ﷺ ».أخرجه الحاكم[١].

٢- وعَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَتى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً». أخرجه مسلم[٢].

---

(١) صحيح / أخرجه الحاكم برقم (١٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣٠).

• **حكم تعلُّم السحر:**

يحرم على الإنسان تعلُّم السحر وتعليمه وفعله، وكل ذلك من الكبائر، بل من الكفر؛ لما فيه من الشرك والكذب والعدوان، وادّعاء علم الغيب، والاستعانة بالشياطين، ونشر الباطل: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنبُوا السَّبْعَ المُوبقَاتِ» قَالُوا :يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بالله ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالحقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المؤمِنَاتِ الغَافِلَاتِ». متفق عليه[١].

• **حكم أخذ الأجرة على السحر:**

يحرم على الساحر أخذ الأجرة على فعل السحر ، أو على فك السحر ، كما يحرم على الناس دفع المال للساحر أو الكاهن ونحوهم ؛ لأنها عوض عن محرم ، وأكل لأموال الناس بالباطل، وتعاون على الإثم والعدوان: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

وعَنْ أبي مسعود الأنصاري رَضِي الله عَنْه أنَّ رسول الله ﷺ نهى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ، وَمَهْرِ البَغِيِّ، وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ. متفق عليه[٢].

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٨٩).

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٢٣٧) ، ومسلم برقم (١٥٦٧).

• **أسباب انتشار السحر:**

لانتشار السحر والسحرة بين الناس أسباب كثيرة، أهمها ما يلي :

١- الجهل بأحكام الله، والجهل بحقيقة السحر والسحرة والكهَّان والمشعوذين.

٢- ضعف الإيمان والتقوى ، فيُؤْثِر الساحر الشرك على التوحيد ،والمعصية على الطاعة ، والدنيا على الآخرة ، ثم يستحلي السحر ، ويتكسب به.

٣- كثرة الوسائل والقنوات المعينة على انتشار السحر والسحرة.

٤- الطمع والرغبة في كسب المال من قِبَل السحرة والشركات والقنوات التي تروِّج للفساد.

٥- رغبة بعض الناس في معرفة أحوال الغيب المستقبل.

٦- كثرة الأمراض والأوهام والمشكلات التي تجعل المصاب يتعلَّق بأي شيء ، ويركن إلى أهل الدَّجَل الذين يُمَنُّونه بالأماني الباطلة ، والوعود الكاذبة .

٧- مشاهدة الأفلام التي تنشر الكفر والشرك والسحر كأفلام الكرتون المشتملة على الخرافة والدَّجَل والخداع ونحو ذلك مما يُفسد التوحيد.

٨- كثرة من يأتي السحرة من ضعاف الإيمان، وقلَّة العقوبات الرادعة للسحرة والمشعوذين: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥].

• **أنواع السحر:**

السحر هو كل أمر خَفِيَ سببه، مؤلَّف من عزائم وعُقَد ورُقَى شركية، تؤثِّر في الأبدان والقلوب بمرض ، أو قتل ، أو تفريق أو تجميع ، أو حب أو كره.

والسحر أنواع كثيرة :

فمنه الخداع والتمويه كأن يطير الساحر في الهواء، أو يَدخل في حلقة ضيقة، أو يمشي على الماء، أو يمشي على خيط معلَّق، أو يقلب الحمامة إلى إنسان ونحو ذلك مما فيه صَرْف الشيء عن حقيقته، وإخراج الباطل في صورة الحق، فهذا كله من السحر والشعوذة، والأخذ بالعيون كما قال سبحانه عن سحرة فرعون: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وهناك أعمال يمكن إلحاقها بالسحر لِمَا بينهما من التشابه والاشتراك في ادّعاء علم الغيب، وسلوك الطرق المنحرفة للوصول إلى ذلك، وفَتْح أبواب الدَّجَل والخرافة، والتعلق بغير الله، ومن ذلك: الكهانة، والعِرَافة، والتنجيم ، والطِّيَرة ، والخط على الرمل ونحو ذلك.

• **علامات السحرة والدجالين:**

للسحرة والدجالين والمشعوذين علامات منها :

١- أن يسأل الساحر عن اسم المريض، أو اسم أمه، أو اسم أبيه، ليستعين بذلك على معرفة المريض عن طريق الشياطين.

٢- أن يخبر الساحر المريض باسمه واسم أمه، ويخبره بعلَّته قبل أن يتكلم؛

لأن الشيطان أخبره.

٣- أن يطلب الساحر أثراً من آثار المريض كشعره ، أو ثوبه ، أو صورته، ليستعين بذلك على معرفته عن طريق الشياطين.

٤- أن يشتمل كلام الساحر أو المشعوذ على استعانةٍ بالجن والشياطين أو عبارات غير مفهومة.

٥- أن يطلب الساحر من المريض أن يذبح حيواناً ، أو طيراً ، ولا يذكر اسم الله عليه، ليضعه على صدره، أو تحت وسادته.

٦- أن يعطي الساحر المريض حرزاً مختوماً لا يعلم ما فيه، ويمنعه من فتحه.

٧- أن يطلب الساحر من المريض ألا يمس الماء مدة معينة ، أو يطلب منه وضع أوراق محترمة في النجاسة قد تكون من المصحف.

٨- أن يطلب الساحر من المرأة أن تتكشف وتتبرَّج أمامه، ويخلو بها في ظلام من دون مَحْرم.

٩- أن يعطي الساحر المريض أشياء يدفنها في الأرض، أو يعطيه أوراقاً مختومة ليحرقها ويتبخَّر بها، أو يبول عليها قد تكون من المصحف.

١٠- أن يكون الساحر معروفاً بالانحراف، وغشيان المحرمات، تاركاً أو مقصِّراً في الشعائر الظاهرة كالصلاة مع الجماعة ونحو ذلك.

- **حكم حَلّ السحر عن المسحور:**

لا ريب أنَّ السحر داء يؤثِّر في الناس بالمرض أو القتل أو التفريق بين المرء

وزوجه ، ولَمَّا كان لكل داء دواء شُرِع للمصاب أن يسعى في علاجه بالرقية الشرعية ، والأدوية النافعة المباحة.

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْه عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا أَنزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنزَلَ لَهُ شِفَاءً». أخرجه البخاري[1].

• **حكم حَلّ السحر بالسحر:**

ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواءً مباحاً أو مشروعاً ، فلا يجوز حَلّ السحر بالسحر ؛ لما في ذلك من التقرُّب إلى الشياطين بالشرك والكبائر، ليَحِلَّ الشيطان السحر عن المسحور .

ولا يَحِلّ السحر إلا ساحر يتقرَّب إلى الشيطان بما يحب من الشرك كالسجود له ، أو ذَبْح حيوان على غير اسم الله ، أو تلطيخ المصحف بالنجاسة ونحو ذلك مما يُسخِط الله.

فإذا فعل الساحر ذلك ساعده الشيطان ، وكلَّم إخوانه الشياطين الذين عملوا السحر ، فأبطلوا ذلك العمل عن المسحور، وهؤلاء وأولئك: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١١٢].

وعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَتى عَرَّافاً أو كاهناً فصدَّقهُ فيمَا يقولُ فقد كَفرَ بما أُنزِلَ على مُحمَّدٍ ﷺ ». أخرجه الحاكم[2].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨).

(٢) صحيح / أخرجه الحاكم برقم (١٥).

• **حد الساحر:**

حد الساحر القتل ؛ لما في السحر من الشرك ، وادِّعاء علم الغيب ، والاستعانة بالشياطين ، والسعي في الأرض بالفساد ، وإذا قَتل الساحر بسحره قُتِل حداً.

وتُقبَل توبة الساحر إذا تاب؛ لأنه مشرك ، والمشرك إذا تاب تاب الله عليه ، ولهذا قَبِل الله توبة سحرة فرعون: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة:١٠٢].

وقال الله تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة/ ٣٩].

• **علاج السحر والمس:**

علاج السحر والمس له حالتان:

الأولى: أن يُعرف موضع السحر، فيُستخرج ويُتلف ، فيبطل معه السحر بإذن الله، وهذا أبلغ ما يُعالج به المسحور، ويمكن معرفة موضع السحر إما بالرؤيا في المنام، أو يوفقه الله لرؤيته أثناء البحث عن السحر، أو عن طريق الجن إذا قرأ على المسحور، فينطق الجني، ويخبر بمكان السحر، فيؤخذ ويُتلَف.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رسول الله ﷺ سُحِرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أنه يَأْتي النِّسَاءَ وَلا يَأْتيهِنَّ. قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان

كذا، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَعَلِمْتِ أَنَّ الله قَدْ أَفْتَانِي فِيْمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فيهِ؟ أَتَانِي رَجُلانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقاً، قَالَ: وَفيمَ؟ قَالَ: في مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَأَينَ؟ قَالَ: في جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ تَحْتَ رَعُوفَةٍ في بِئْرِ ذَرْوَانَ» قَالَتْ: فَأَتى النَّبِيُّ ﷺ البِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ... متفق عليه[1].

الثانية: ألّا يعرف موضع السحر ، فيعالج حينئذ بأمرين:

الأول: الرقية الشرعية: وتكون بالقراءة على المريض رغبة إلى الله في شفائه بما ورد من الأدعية في القرآن والسنة أو بما يوافقهما.

والرقية الشرعية تكون من السحر، والمس، والحسد، والعين، والصرع، والجنون ، والسم، واللدغة، والألم، والمرض، والهمّ وغير ذلك من الأمراض الظاهرة والباطنة، فالحمد لله الذي جعل لكل داء دواء، وجعل القرآن هدىً وشفاء، وجعل الشفاء بيده سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

وشروط الرقية الشرعية ما يلي :

١- أن تكون بكلام الله ورسوله، أو بالأدعية الموافقة للشرع.

٢- أن تكون باللسان العربي أو بغيره مما يُفهم معناه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٨٩).

٣- أن يعتقد الراقي والمصاب أن الرقية سبب، فلا يعتمد عليها، بل يتوكل على الله في الشفاء.

٤- ألا تشتمل الرقية على شيء يخالف الشرع كدعاء غير الله ، والسب والشتم ونحو ذلك.

والأحسن أن يقرأ الإنسان على نفسه أو مريضه ، ويجوز له طلب الرقية من غيره من أهل التقوى والصلاح، ومن استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه.

الثاني: الدواء المباح شرعاً كالعسل، وماء زمزم، والعجوة، والحبة السوداء، والحجامة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الشِّفَاءُ في ثَلاثَةٍ: في شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتي عَنِ الكَيِّ». أخرجه البخاري[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرُّهُ ذَلِكَ اليَومَ سُمٌّ وَلا سِحْرٌ». متفق عليه[2].

وفي رواية لمسلم: «مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بَيْنَ لابتَيْهَا حِينَ يُصْبِحُ لَمْ يَضُرَّهُ سُمٌّ حَتَّى يُمْسِيَ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ في الحَبَّةِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٨١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٩)، ومسلم برقم (٢٠٤٧) واللفظ له.

السَّودَاءِ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ». متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ احْتَجَمَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ، وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ، كَانَ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ» .أخرجه أبو داود[2].

- **كيفية الرقية الشرعية :**

يتوضأ الراقي، ثم يبدأ بالقراءة على نفسه أو المريض، مرتلاً للآيات، وينفث على نفسه أو المريض بما تيسر من القرآن، ومن ذلك: سورة الفاتحة، آية الكرسي، خواتم سورة البقرة، سورة الكافرون، والمعوذات، وآيات السحر والجان، ومنها:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[يونس: ٧٩-٨٢].

﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٨٨)، ومسلم برقم (٢٢١٥) واللفظ له.

(٢) حسن/ أخرجه أبو داود برقم (٣٨٦١).

لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة:١٠٢].

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾

[الصافات: ١-١٠].

﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٣٢﴾ [الأحقاف: ٣١-٣٢].

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام:١٧- ١٨].

«اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أذْهِبِ البَأْسَ، وَاشْفِهِ وَأَنتَ الشَّافي، لا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَماً». متفق عليه(١).

«بِاسْمِ الله أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ الله يَشْفِيكَ ، بِاسْمِ الله أَرْقِيك». أخرجه مسلم(٢).

«بِاسْمِ الله يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَشَرِّ كُلِّ ذِيْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٩١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١٨٦).

عَينٍ». أخرجه مسلم[١].

«امْسَحِ البَأْسَ ، رَبَّ النَّاسِ، بِيَدِكَ الشِّفَاءُ، لا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنتَ». أخرجه البخاري[٢].

«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ» .أخرجه البخاري[٣].

«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ». أخرجه مسلم[٤].

«بِاسْمِ اللهِ (ثَلاثاً) ، أَعُوذُ بِالله وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ» سبع مرات، واضعاً يده على مكان الألم. أخرجه مسلم[٥].

«أَسْأَلُ الله العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ» سبع مرات. أخرجه أبو داود والترمذي[٦].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٨٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٣٧١).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٩).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٢).

(٦) صحيح/ أخرجه أبوداود برقم (٣١٠٦)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٢٠٨٣).

٣ - رقية العيـن

• **العين:**

هي سهام تخرج من نَفْس الحاسد والعائن نحو المحسود والمَعِين.

فتصيبه تارة، وتخطئه تارة ، فإنْ صادفَتْه مكشوفاً لا وقاية عليه أثَّرت فيه ولا بد، وإن صادفته حذراً مُحصَّناً لا منفذ فيه للسهام لم تؤثر فيه.

والعين التي تصيب بني آدم نتيجة من نتائج الحسد، أو انبهار شديد بما يرى العائن مع غفلة عن ذكر الله تعالى، وقد يتبعها شيطان من شياطين الجن.

• **كيفية الإصابة بالعين:**

يطلق العائن الوصف على من يريد بدون ذكر اسم الله تعالى ولا تبريك، فتَتَلَقَّفُه الأرواح الشيطانية الحاضرة، وتعمد إلى إهلاك المعيون أو إيذائه إذا أراد الله عز وجل، ولم يكن ثمة تحصين بذكر، أو دعاء ، أو قرآن: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١].

• **علاج من أصابته العين :**

من أصابته عين فله حالتان:

الأولى: إن عَرف العائن فعليه أن يأمره بالاغتسال ، وعلى العائن أن يمتثل ويغتسل طاعة للهِ ورسوله ﷺ، ثم يُؤخذ الماء الذي اغتسل فيه العائن، ويُصب من خلف المَعِين دفعة واحدة، فيبرأ بإذن الله تعالى.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «العَيْنُ حَقٌّ، وَلَو كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَتْهُ العَينُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلتُمْ فَاغْسِلُوا». أخرجه مسلم(١).

● **صفة الاغتسال:**

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ.. -وَفِيهِ- فَلُبِطَ بِسَهْلٍ، فَأُتِيَ رَسُولَ الله ﷺ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ لَكَ في سَهْلٍ وَالله مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَمَا يُفيقُ، قَالَ: «هَلْ تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَظَرَ إِلَيهِ عَامِرُ بنُ رَبِيعَةَ.

فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَامِراً فتَغَيَّظَ عَلَيهِ وَقَالَ: «عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاه؟ هَلَّا إِذَا رَأَيتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ» ثُمَّ قَالَ له: «اغْتَسِلْ لَهُ». فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ في قَدَح ، ثُمَّ صَبَّ ذَلِكَ المَاءَ عَلَيهِ ، يَصُبُّه رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ يُكْفِئُ القَدَحَ وَرَاءَهُ، فَفَعَلَ به ذَلِكَ ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. أخرجه أحمد وابن ماجه(٢).

الثانية: إذا لم يُعرف العائن فيرقِي نفسه أو غيره بالقرآن

كالفاتحة، وآية الكرسي، وخواتم سورة البقرة، وسورة الإخلاص، والمعوذتان، **وإن شاء قرأ من القرآن ما يلي:**

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس:١٠٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٨٨).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٦٠٧٦)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٥٠٩).

﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة:١٣٧].

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [القلم:٥١-٥٢].

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾[النساء:٥٤].

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢].

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤].

ثم يرقيه بالأدعية الثابتة عن رسول الله ﷺ التي تقدمت في كيفية الرقية الشرعية.

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٣- خزائن الحقوق والواجبات

وتشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٢٣-رسائل الحقوق والواجبات

١- الخزانة الأولى

- **حقوق الله عز وجل :**

من أعظم حقوق الله على خلقه :

توحيده ، والإيمان به ، وعبادته وحده لا شريك له ، فالعبادة حقٌّ خالصٌ لله وحده كخلق السماوات والأرض ، وخلق البحار والجبال والرياح وغيرها من المخلوقات : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

والرسل وأتباعهم يصرفون هذا الحق لله وحده لا شريك له ، فالذي خلق المخلوقات كلها هو الذي بيده كشف الكروب ، والشدائد ، لا يكشفها إلا هو، كما قال سبحانه : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل:٦٢].

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[البقرة: ٢١ - ٢٢]

ولكمال معرفة الرسول ﷺ بحقوق ربه كان يتوجه إليه في كل حال ، وعند الشدائد والكروب ، فيستجيب دعائه ، كما قال سبحانه : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال:٩-١٠] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران:١٢٣] .

وقد أرسل الله من الأنبياء والرسل مائة وأربعةٍ وعشرين نبيًا ، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر كلهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦] .

فأعظم حقوق الله على عباده هو عبادته وحده لا شريك له .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٤-٦٦] .

- **والحقوق ثلاثة :**

١- حق محضٌ لله وهو عبادة الله وحده لا شريك له وأعظمها الصلاة .

٢- وحق للآدمي محض .

٣- وحق مشترك كالزكاة فهي حق لله ؛ لأن الله فرض على عباده الزكاة وجعلها من أركان الإسلام ، وهي عبادة من العبادات ، وكونها حق للآدمي فلما فيها من قضاء حوائج المسلمين .

وأما حق الآدمي المحض فهو : بذل النصيحة له كما قال النبي ﷺ: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا : لمِنْ ؟ قَالَ : للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » . أخرجه مسلم[١] .

وعن جرير رضي الله عنه قال : « بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَلَقَّنَنِي : فِيمَا اسْتَطَعْتُ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » . أخرجه البخاري[٢] .

وبعبادة الله وحده لا شريك له يحصل للأمة الأمن .

- **فالأمن لا يحصل إلا بأمرين :**

الإيمان بالله .. وعدم الظلم .

قال الله عز وجل:﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ** ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢].

ولا يزول الظلم عن العالم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يحصل الإيمان إلا بالدعوة إلى الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٧٢٠٤).

وقال الله عز وجل: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

فالأمن كل الأمن لا يحصل إلا من المؤمن الذي يملك الأمن وهو الله عز وجل : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر: ٢٣] .

فالأمن لا يحصل بكثيرة الجنود ، ولا بكثرة السلاح ، ولا بقوة الملاحظة والمراقبة ، وإن كان ذلك مطلوبًا إنما يحصل الأمن التام الكامل بهذين الأمرين فقط : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢].

وقال الله عز وجل:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

- **الحقوق الواجبة تنقسم إلى قسمين :**

الأول : حقوق الخالق كالتوحيد والإيمان ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب الكفر والشرك والمعاصي : ﴿ ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ ﴾[النساء:٣٦] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧] .

- **وحقوق الله عز وجل ثلاثة أقسام هي :**

الأول : ما هو خالص لله وحده كالتوحيد والإيمان ، وعبادته وحده لا شريك له ، والإيمان بما يجب الإيمان به كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

الثاني : ما يتركب من حقوق الله وحقوق العباد كالزكوات ، والصدقات ، والكفارات ، والمنذورات ، والهدايا ، والوصايا والأوقاف ، والأضاحي ونحو ذلك ، فهذه كلها قربةٌ إلى الله من وجه ، ونفع للعباد من وجهٍ آخر ، والغرض الأظهر منها نفع العباد ، وما وجب من ذلك ، أو ندب إليه فهو قربة لباذليه ، ورزق لآخذيه .

ثالثًا : ما يتركب من حق الله ، وحق رسوله ﷺ ، وحق المكلف كالآذان والإقامة ، فحق الله تكبيرات ، والشهادة له بالوحدانية ، وحق الرسول ﷺ الشهادة له بالرسالة ، وحق العباد الإعلام بدخول الوقت في الأذان ، والإعلان بقيام الصلاة في الإقامة .

وكذا الصلاة حق الله فيها كثير كالتكبير والتسبيح والركوع ، والسجود ، والتحيات وغيرها ، وحق الرسول ﷺ الصلاة والسلام عليه ، والشهادة له بالرسالة ، وحق العبد الدعاء بالهداية ، والإعانة على العبادة ، ودعاء الاستفتاح والتسليم على نفسه ؛ ولهذا كانت الصلاة من أفضل الأعمال فهي الركن الثاني بعد الشهادتين .

وكذا الجهاد فحق الله فيه : محو الكفر ، وإزالته من قلوب الكفار ، وكسر الأصنام والصلبان ، وحق المسلمين الذب عن أنفسهم وأموالهم ، وما يحصل لهم من الغنائم ، وحقه في نفسه دفعهم عنه ، وما يأخذه من حقه من الغنيمة .

الثاني : حقوق الخلق وذلك بجلب المصالح لهم ودفع المفاسد عنهم .

- **وهو ثلاثة أقسام** :

الأول : حقوق المكلف على نفسه كتقديم نفسه للكساء والمسكن والنفقة ، وحقوقه في العلاج والنوم والأكل ونحو ذلك .

الثاني : حقوق بعض المكلفين على بعض ، فكل أحد له حقوق وعليه لغيره حقوق ، وضابطها تحصيل المصالح ودرأ المفاسد ، لكل منهما ، ومن كل منهما : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢]

وقال الله عز وجل:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

وكذلك السلام ورد السلام ، وعيادة المريض ، وتشميت العاطس ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الإثم والعدوان ، وحقوق الأزواج ، وحقوق الآباء ، وحقوق الأولاد ، وحقوق الجيران ونحو ذلك من ستر الزلات وتعليم الشريعة والقرآن .

• **وحقوق العباد قسمان :**

١- حقوق في حياتهم كما تقدم .

٢- وحقوق بعد مماتهم من إكرامهم وغسلهم وتكفينهم ، وحملهم ، والصلاة عليهم ، ودفنهم ، وزيارتهم ، والاستغفار لهم .

ثالثًا : حقوق البهائم ، والحيوان على الإنسان بأن ينفق عليها ، ولا يحملها ما لا تطيق ، وأن يرفق بها ، ولا يجمع بينها ، وبين ما يؤذيها ، ويحسن ذبحها إذا ذبحها ، ولا يذبح أولادها وغيرها في مرأى منها كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» أخرجه مسلم [(١)].

والله تبارك وتعالى هو العلي الكبير ، وهو الخالق لكل شيء فله وحده حق العبادة لا شريك له ، وله حق التشريع وحده لا شريك له ، وكما أنه لا شريك له في عبادته ، فكذلك لا شريك له في حكمه، كما قال سبحانه : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الكهف:٢٦] .

فهو سبحانه الحاكم وحده ، فالحلال ما أحله ، والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه ، وليس لأحدٍ البتة تشريعٌ مع الله ، فكل من أتبع تشريعًا سوى ما

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٩٥٥).

أنزل الله فهو كافرٌ بالله كفرًا بواحًا مخرجًا من الملة ، وربه ذلك التشريع الذي وضعه إبليس على ألسنة أولياءه من كفرة الإنس والجن .

لأن التشريع والعبادة لا يمكن أن يكون إلا للخالق العظيم الذي خلق هذا الكون العظيم العلي الكبير ، الذي له الكبرياء في السماوات والأرض : ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾[غافر : ١٢] .

فالشرك بالله في حكمه كالشرك بالله في عبادته ، كلاهما شركٌ أكبر مخرجٌ من ملة الإسلام ، وعبادة الشيطان هي إتباع نظامه وتشريعه في سن المعاصي والكبائر والفواحش والكفريات التي يجر الخلق بها إلى الشرك ، ثم إلى النار : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يس:٦٠-٦٢] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

أعظم حقوق الله على عباده هي :

امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ابتغاء مرضاته : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران:١٣٢] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب: ٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

فيجب على كل مسلم ومسلمة أداء الحقوق ، وفعل الواجبات ، وامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي التي جاءت في القرآن والسنة .

قال الله تعالى : ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأنعام:١٥١-١٥٣] .

- **والدين ركنان :**

١- عبادة الحق .

٢-والإحسان إلى الخلق .

ومن أعظم الحقوق في بين العبد وربه ، وفيما بين العبد وخلقه ما ذكره الله في كتابه بقوله : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة:١٧٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

ومن الحقوق الواجبة فيما بين العبد وربه ، وفيما بين العبد وخلقه ما ذكره الله في قوله : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء:٣٦] .

والمسكين حقه الإطعام ، ودفع حاجته ، واليتيم حقه :

الإكرام إن كان غنيًا ، يكرم ليتمه ولا يطعم لغناه ، وإن كان اليتيم فقيرًا فإنه يُكرم ليتمه ، ويطعم لفقره ، والرفق بالضعفاء والفقراء والمساكين ، واليتامى وإكرامهم فيه مواساة لهم ، ويكرم الله من فعل ذلك بالرحمة واللين والإنابة

كما قال النبي ﷺ: « وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ » أخرجه البخاري [1] .

وقال عز وجل : ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفجر:١٩-٢٠] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٦٥٥).

وقال عز وجل : ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون:١-٣] .

والجيران ثلاثة ولكل جار حق :

فأولًا : الجار المسلم القريب له حق الجوار ، وحق القرابة ، وحق الإسلام فهذه ثلاثة حقوق .

ثانيًا : جار مسلم غريب ، فهذا له حق الجوار ، وحق الإسلام .

الثالث : جار كافر فهذا إن كان قريبًا له حق الجوار ، وحق القرابة ، وإن كان غريبًا فله حق الجوار فقط ، قال النبي ﷺ: « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ » . متفقٌ عليه[1] .

فلله عز وجل حقوق ، وللرسول ﷺ حقوق ، وللجيران حقوق ، وللقرابة حقوق .

- **فأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمان :**

الأول : كفار فهؤلاء ليسوا من أهل بيته ، وإن كانوا أقارب له في النسب كأبي لهب .

كما قال الله عز وجل لنوح : ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود:٤٥-٤٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٢٤).

الثاني : المؤمنون من قرابته ﷺ فهؤلاء هم أهل بيته ، ومنهم زوجاته، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾ [الأحزاب:٣٢-٣٣] .

- **ولأهل بيت الرسول ﷺ حقان** :

١-حق الإيمان .

٢- وحق القرابة من رسول الله ﷺ.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وآل البيت هم كل من حرم الصدقة بعده ، وهم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس .

٢- الخزانة الثانية

- **واجبات الخليفة :**

الخلافة عبادة من أعظم العبادة لما يحصل بها من كثير من المنافع والمصالح في الدنيا والآخرة ، وللقيام بها على الوجه الأكمل يجب على خليفة المسلمين ما يلي :

الأول : إقامة الدين .

وذلك بحفظه ، والعمل به ، والدعوة إليه ، ودفع الشبه عنه ، وتنفيذ أحكامه وحدوده ، والحكم بين الناس بما أنزل الله ، والجهاد في سبيل الله، كما قال سبحانه : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل:١٢٥] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾ [ص:٢٦] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [النساء:٥٨] .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ ﴾ [التوبة:٧٣] .

الثاني : اختيار الأكفاء للمناصب والولايات كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص:٢٦] .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ المُسْلِمِينَ ، ثُمَّ لَا يجْهَدُ لهُمْ ، وَيَنْصَحُ ، إِلَّا لمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الجَنَّةَ » . أخرجه مسلم[1] .

الثالث : محاسبة الإمام عماله على ما يقولون ، ويفعلون .

عن أبي حميد رضي الله عنه قال : استعمل النبي ﷺ رجلًا من الأزدي يقال له ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم ، وهذا أهدي إليَّ ، قال : « فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ ، فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ : اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا » . متفق عليه[2] .

الرابع : تفقد أحوال الرعية ، وتدبير أمورها بما يحقق المصلحة .

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ فِي

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٤٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢١).

مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ : وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ » . متفق عليه[1] .

الخامس : الرفق بالرعية ، والعناية بهم ، والنصح لهم .

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا : لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» . أخرجه مسلم[2] .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ المُسْلِمِينَ ، ثُمَّ لَا يجْهَدُ لهَمْ ، وَيَنْصَحُ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الجَنَّةَ » . أخرجه مسلم[3] .

السادس : مشاورة أهل الشورى من المسلمين في الأمور .

قال الله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢]

وقال الله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران:١٥٩] .

السابع : رعاية مصالح الأمة الداخلية والخارجية .

قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٥١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٢٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٤٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله يقول في بيتي هذا « اللهُمَّ ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ ، فَارْفُقْ بِهِ » . أخرجه مسلم[1] .

الثامن : أن يكون قدوة حسنة لرعيته لدينه وخلقه .

قال الله تعالى عن نبينا ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[السجدة:٢٣-٢٤] .

التاسع : حسن الظن بالمسلمين وعدم تتبع عوراتهم .

قال الله تعالى : ﴿ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الحجرات: ١٢] .

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« إنَّكَ إن اتَّبعتَ عَوراتِ الناسِ أَفْسَدْتَهُم، أو كِدْتَ أن تُفْسِدَهُم». أخرجه أبو داود بسندٍ صحيح[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٨٢٨).

(٢) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٤٨٨٨).

العاشر : اختيار البطانة الصالحة .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ : بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، فَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى » . أخرجه البخاري[1] .

- **واجبات الأمة :**

يجب على الأمة نحو إمام المسلمين الوظائف الآتية :

الأولى : طاعة ولي الأمر في غير معصية الله .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء:٥٩].

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧١٩٨).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أنه قال : « عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ » . متفق عليه[1] .

الثانية : المناصحة لولاة الأمر .

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» . أخرجه مسلم[2] .

الثالث : نصره ومؤازرته في الحق

قال الله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة:٢]

الرابعة : عدم الغش والخيانة لولاة الأمر ولغيرهم .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨﴾[الأنفال:٢٧-٢٨]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٩٥٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٣٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٦).

الخامسة : لزوم الصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم .

عن أسيد بن حضير رضي الله عنه أن رجلًا من الأنصار خلى برسول الله ﷺ فقال : ألا تستعملني كما استعملت فلانًا ، فقال : « إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي وَمَوْعِدُكُمُ الحَوْضُ » متفق عليه[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » . متفق عليه[2] .

السادسة : طاعة الأمراء في غير معصية الله وإن منعوا الحقوق .

« سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الجُعْفِيُّ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ الله ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا ، فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ، وَقَالَ : « اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا ، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ » . أخرجه مسلم[3] .

السابعة : من الواجب على الأمة لزوم جماعة المسلمين وإمامهم عند ظهور الفتن وفي كل حال .

حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللهَّ الحَضْرَمِيُّ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ الخَوْلاَنِيَّ ، أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ ، يَقُولُ : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ عَنِ الخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، مخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٩٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٦١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٥٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٤٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٨٤٦).

إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ » قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ : « قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ » قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ : « هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا » قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : « تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ » قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ ؟ قَالَ : « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ » . متفق عليه[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصَبِيَّةِ وَيَدْعُو لِلْعَصَبِيَّةِ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لَا يَتَحَاشَى عَنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِأَهْلِ عَهْدِهَا فَلَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ » . أخرجه مسلم[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا ، فَمَاتَ ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ » . متفق عليه[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٨٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٤٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٨٥١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٥٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٤٩).

الثامنة : الإنكار بالحكمة على الأمراء فيما يخالف الشرع ، وترك قتالهم ما صلوا.

قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٥] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ ؟ قَالَ : « لَا ، مَا صَلَّوْا » . أخرجه مسلم[1] .

فهذه واجبات الأمة لإمام المسلمين ، وعليهم السمع والطاعة له في غير معصية الله ، وبذل النصيحة له سرًا وعلانية ، والقيام بنصرة إمام المسلمين باطنًا وظاهرًا لما فيه من نصرة المسلمين وكف المعتدين ، وأن يعرفوا له عظيم حقه، وما يجب له من تعظيم قدره، واحترام شخصه، وإيقاظه عند غفلته، وإرشاده عند هفوته شفقة عليه وحفظًا لدينه ولعرضه وصيانة لمقامه، وتحذيره من عدوه، وإخباره بمن يكيد له، أو حاسدٍ يرومه بأذى، أو أي أمرٍ يُخاف عليه منه .

وإعلامه بسير عماله في مملكته ؛ ليثبت العادل ويزيل الظالم حتى تصلح الأحوال ولا يضطرب الناس، وإعانته على تحمل، وإعانته على ما تحمل

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٨٥٤).

من أعباء مصالح الأمة، ومساعدته فكل ما يحقق المصلحة للأمة في دينها ودنياها، ورد القلوب والنفوس النافرة عنه إليه ، وجمع قلوب الأمة عليه بما في ذلك من جمع الكلمة ، وانتظام حال الملة ، والذب عنه بالقول والفعل ، والمال والنفس في الظاهر والباطن، والسر والعلانية لما في استقامته وبقائه من صلاح أحوال الأمة وحفظها وسعادتها في الدنيا والآخرة .

- **رؤوس الناس ثلاثة** :

العلماء .. والحكام .. والأغنياء .

وعلى كل واحدٍ منهم من الواجبات ما ليس على غيرهم .

أما واجب العلماء فيجب على أهل العلم والإيمان وخلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته أن يدعو إلى الإسلام ، وأن يفقهوا إخوانهم في الدين ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى ، وأن يقولوا بالحق لا يخافون لومة لائم ، وأن يقوموا بالحق أينما كانوا ما استطاعوا لهذا أمر الله عموم المسلمين بالرجوع إلى العلماء فيما أشكل عليهم، كما قال سبحانه : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[النحل:٤٣] .

وأمر العلماء ببيان الحق، فقال سبحانه : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وأخذ سبحانه الميثاق على العلماء أن يبينوا الحق ، ولا يكتمونه، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ

فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٧] .

وتوعدهم على الكتمان أو التقصير في البيان بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩- ١٦٠] .

إلا الذين تابوا من بعد ما ظلموا ، وأصلحوا ما أفسدوا ، وبينوا ما كتموا أولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ، وقد أمر الله رسوله محمدًا ﷺ في حجة الوداع أن يحمل أعلم الخلق بعد الأنبياء ، وهم أصحاب النبي ﷺ أن يبلغوا هذا الدين العظيم إلى من بعدهم من الخلق بقوله : « أَلاَ لِيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ » . متفق عليه [1] .

فيجب على العلماء وطلبة العلم إبلاغ الدين وتعليمه للجاهل، وإجابة السائل، وتذكير الغافل، وكشف الشبه، ورد البدع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ما لا يجب على غيرهم من عامة المسلمين لتمام النعمة عليهم بالعلم ، وشدة حاجة المسلمين إلى علمهم : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

وقال عز وجل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٤٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٧٩).

وقد قام الصحابة بذلك خير قيام فبلغوا دين الله إلى الناس ، ولما اتسعت الفتوح ، واشتدت الحاجة إلى العلم تفرق الصحابة رضي الله عنهم في الأمصار يعلمون الناس سنن الدين ، وأحكامه ويفقهون الداخلين في الإسلام ، فلتكن لنا بالأنبياء والصحابة أسوة : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

والعلم قسمان :

١- علم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ويسمى علم التوحيد .

٢- وعلم بأوامره الشريعة التي بينها الله ورسوله .

- **والعلم بالأوامر الشريعة ينقسم إلى قسمين :**

١-.علم الفضائل .

٢- وعلم المسائل .

فيجب علينا إبلاغ هذا الدين ، وبذل الوقت والمال والنفس في سبيل إيصال الحق إلى الخلق : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

أما واجب الحكام فالله سبحانه ابتلى الحكام والأمراء في ولاية أمر الرعية ، واستخلفهم بعد من قبلهم لينظر كيف يعملون ، والواجب عليهم إقامة الدين الحق في الأرض ، ودعوة الناس إليه ، وحفظ حقوق المسلمين ، وكف الشر عنهم ، وصيانة حرماتهم ، والحكم بينهم بما أنزل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل ، فإذا قاموا بذلك حفظهم

الله ونصرهم على عدوهم كما قال سبحانه : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤٠-٤١] .

وقال عز وجل : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص:٢٦] .

أما واجب الأغنياء فالمال نعمة من الله عز وجل يؤتيه من يشاء من عباده ، والله عز وجل استخلف الإنسان على المال ، وابتلاه به لينظر أين يصرفه ، ومن أين يكتسبه ؟ .

وأنفاق المال في مرضاة الله هو المأمور به شرعًا ، وإنفاقه في مجال الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله من أعظم أسباب رضاه، كما قال سبحانه : ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الحديد:٧] .

فينبغي على من أتاه الله فضلًا من رزقه أن ينفقه في سبيل الله ، في نصرة دين الله ونشره وتعليمه وإيصاله إلى من لا يعلمه :﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ البقرة: [البقرة:٢٧٤] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص:٧٧] .

وكل من أمسك ماله عن الإنفاق في الأمور المشروعة ابتلي في الإنفاق في الأمور المحرمة ، فصار إنفاقه وبالًا عليه في الدنيا وعذابًا له في الآخرة، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال:٣٦].

وقد قام أصحاب النبي ﷺ بإنفاق أموالهم في سبيل الله كما أنفقت خديجة رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ مالها في سبيل الله ، وكذا أبو بكر وعمر وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة وغيرهم من أغنياء الصحابة .

فيجب على الأغنياء بذل أموالهم في سبيل، وتعليم شرع الله ليكون الدين كله لله .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – هَذَا حَدِيثُ قُتَيْبَةَ – أَنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالُوا : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ ، فَقَالَ : « وَمَا

ذَاكَ ؟ » قَالُوا : يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ ، فَقَالَ رَسُولَ الله ﷺ: « أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ » قَالُوا : بَلَى ، يَا رَسُولُ الله قَالَ : « تُسَبِّحُونَ ، وَتُكَبِّرُونَ ، وَتحْمَدُونَ ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً » قَالَ أَبُو صَالِحٍ : فَرَجَعَ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالُوا : سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا ، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ، فَقَالَ رَسُولِ الله ﷺ: « ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ » أخرجه مسلم (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ ، وَآخَرُ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » . متفق عليه(٢) .

وقال رسول الله ﷺ: « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ، وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا ، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ ، وَآنَاءَ النَّهَارِ » . أخرجه مسلم (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٣٢٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨١٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٨١٥).

٣- الخزانة الثالثة

- **واجبات الشريعة .**

الحقوق تنقسم إلى قسمين :

أحدها : ما لا تشترط فيه الدعوة ، وهو حقوق الله عز وجل على عباده ، كمن ترك الصلاة والزكاة ونحوهما .

الثاني : ما تشترط فيه الدعوة ، وهو حقوق العباد التي تسقط بإسقاطهم كالديون والقصاص والديّات ونحو ذلك .

- **أما واجبات الشريعة التي هي حقٌ لله تعالى فهي ثلاثة أقسام :**

عبادات .. وعقوبات .. وكفّارات .

فالعبادات كالصلاة والزكاة والصيام .

- **والعقوبات إما :**

أولًا : مقدّرة كالحدود والقصاص

ثانيًا : مفوّضة إلى الحاكم كالتعزيرات .

أما الكفّارات فككفارة اليمين ونحوها .

وكل واحد من هذه الواجبات ينقسم إلى بدني ومالي ومركب منهما :

فالعبادات البدنية : كالصلاة والصيام .

والعبادات المالية : كالزكاة والصدقات .

والمركبة منهما : كالحجّ .

والكفّارات المالية : كالإطعام .

والبدنية : كالصيام .

والمركبة : كالهدى الذي يُذبح في مكة ويُقسم على الفقراء .

والعقوبات البدنية : كالقتل وقطع اليد في السرقة .

والمالية : كإتلاف أوعية الخمر .

والمركبة : كجلد السارق من غير حرز وتضعيف الغرم عليه وكقتل الكفار وأخذ أموالهم .

- **وأما العقوبات البدنية :**

أولًا : فتارة تكون جزاءً على ما مضى كقطع يد السارق .

ثانيًا : وتارةً تكون دفعاً عن الفساد المستقبل كحد الحرابة .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ ﴾ [المائدة:٣٣-٣٤] .

ثالثًا : وتارةً تكون العقوبات مركبة : كقتل القاتل .

- **أما العقوبات المالية فهي ثلاثة أقسام :**

منها ما هو من باب إزالة المنكر وتنقسم كالبدنية إلى :

أولًا : إتلاف كالمنكرات من الأعيان والصور والأصنام والكتب المُضلّة وآلات اللهو .

عن أبي هيّاج الأسدي قال : قال لعلي بن أبي طالب : « أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ؟ « أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ »أخرجه مسلم [١] .

ثانيًا : إلى تغييرٍ كالسُترة التي فيها صور ، تغير إلى وسائد تمُتهن أو فُرشٍ تُعطى .

ثالثًا : إلى تمليكٍ للغير .

فهذه واجباتُ الشريعة فالحمدُ لله أن أنزل علينا كتاباً فيه تبيانُ كل شيء ، ورسولاً قد بين لنا كل شيء : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

والنبي ﷺ ما ترك خيراً إلا وقد دلّ الأمة عليه ، وما ترك شراً إلا حذرها منها : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

أولًا : الله أرسل نبيّه ﷺ بالدين الكامل كما قال سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ ﴾[المائدة:٣] .

وقد بيّن الله في القرآن وبيّن كل شيء من الحقوق والواجبات على مستوى الأفراد والجماعات والرؤساء والحكّام ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩٦٩).

وبيّن الله في القرآن الكريم ما يحقق للأمة العدل والأمن والسعادة في الدنيا والآخرة .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام/ ٨٢].

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

فأمر الله سبحانه الحاكم والرئيس الكبير بما يفعله مع رعيّته بقوله : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص:٢٦] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨] .

فأمر الله الحاكم بحكم الحقّ وعدم إتباع الهوى ، وخشية الله وعدم الخشية من الناس ، وعدم شراء الدنيا بالدين ، فقال عز وجل : ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[المائدة:٤٤] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة:٤٩-٥٠] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[المائدة:٤٢] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٥] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

، فهذه سياسة الحاكم مع رعيّته .

ثانيًا : أمر الله الأمّة بما تفعله مع حكامها ورؤسائها وملوكها، بقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النساء:٥٩].

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٢] .

وأمر سبحانه المجتمع العام أن يتعاملوا فيما بينهم بالإخوة والمحبة والتعاون على البرّ والتقوى ، فقال سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة:٢]

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾[الحجرات:١٠] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

وأمر سبحانه الإنسان بما يفعله مع مجتمعه الخاص وهم زوجته وأولاده وأهله ، فقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[التحريم:٦] .

وقال النبي ﷺ: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي »أخرجه ابن ماجه (١) .

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[التغابن:١٤] .

ولما كان الإنسان لا يخلو من عدو سواءً كان من شياطين الجنّ أو الإنس ، أمر الله بالإعراض عن الجاهل ، وأمر بالإحسان إليه إن كان من الإنس ،

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (١٩٧٧).

وبالاستعاذة بالله من العدو الجنّي ، فقال سبحانه في العدو الإنسي : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥] .

وقال في العدو الإبليسي : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٦] .

- **وجوب طاعة أولو الأمر :**

أولو الأمر هم الأمراء والعلماء ، العلماء ولاة أمورنا في بيان شريعة الله، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء:٨٣] .

والأمراء ولاة أمورنا في تنفيذ شريعة الله والحكم بما أنزل الله، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء:٥٩].

ولا يستقيم الأمراء إلا بالعلماء ، ولا يستقيم العلماء إلا بالأمراء ، فالأمراء عليهم أن يرجعوا إلى العلماء لمعرفة شريعة الله، والعلماء عليهم أن ينصحوا الأمراء ويعظوهم ليطبقوا شريعة الله في عباد الله ، وعلى الأمراء أن يطيعوهم وعلينا طاعة الأمراء والعلماء في غير معصية الله ، فالأمراء والعلماء هم روح

الحياة وهم أئمة الناس في الخير والشر، وصلاح الدنيا والآخرة بصلاح الأمراء والعلماء، وفساد الدنيا والآخرة بفساد الأمراء والعلماء .

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا واجعلنا هداة مهتدين ووفقنا وإياهم لما تحب وترضاه يا كريم :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء:٥٩].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ » . متفقٌ عليه[1] .

وإذا استأثر الولاة بالأموال التي للمسلمين فيها حق فيجب أن نؤدي حقهم علينا من السمع والطاعة ولا ننازعهم الأمر الذي أعطاهم الله ونسوا الحق الذي لنا من ربنا عز وجل فنسأل الله أن يهديهم ليؤدوا الحق الذي لنا عليهم ، ونصبر على ذلك ولا ننزع يدًا من طاعة فالناس كما يكونون يولى عليهم ، والأصل أن صلاح الراعي شرطٌ لصلاح الرعية ، فإنّ الإمام راعٍ يُقتدى به ، وهو مسئول عن رعيته .

ويجب على حكام المسلمين أن يحكموا بما أنزل الله ولا يتم إيمانهم إلا بثلاثة شروط :

الأول : تحكيم الرسول ﷺ في جميع الأمور .

الثاني : ألا يجد الحاكم في نفسه حرجًا مما قضاه الرسول ﷺ.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٣٩).

الثالث : أن يسلم تسليمًا تامًا بالغًا وينقاد لحكم الله ورسوله بقلبه وجوارحه، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] .

وإن لم تتم هذه الثلاثة فإما هو خالٍ من الإيمان مطلقًا ، أو ناقص الإيمان ، ومن حقه المناصحة والطاعة في غير معصية الله ، ويجب على جميع المسلمين السمع والطاعة لولي الأمر ، لكن إن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة في هذا الأمر وما سوى ذلك فتجب طاعته .

- **وما أمر به الإمام له ثلاثة أحوال** :

الأول : أن يكون ما أمر به ولي الأمر مأمورًا به شرعًا كالصلاة ونحوها ، فهذا يجب لأمر الله ورسوله به ولأمر ولي الأمر به .

الثاني : إما أن يكون الإمام يأمر بمعصية الله من ترك واجب أو فعل محرم ، فهذا لا سمع ولا طاعة ولكن يطاع فيما سواه ، ولا تُنزع يدًا من طاعة .

الثالث : إما أن يأمر بما ليس فيه أمرٌ شرعي ولا معصية شرعية ، هذا يجب طاعته فيه لأن طاعة وليّ الأمر في غير معصية الله طاعةٌ لله ورسوله .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النساء:٥٩].

ويجب على جميع المسلمين في جميع أوامر الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، كما قال-سبحانه- : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ

وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة:٢٨٥].

فيسلّم المسلم لأوامر الله ورسوله تسليمًا مطلقًا سواءً عرف الحكمة أو لم يعرفها ، ولا يقول لماذا أمر الله بكذا ؟ أو لمِ يأمر بكذا على سبيل التشكيك .

فمثلًا لا يقول : لماذا أمرنا الله ورسوله بالوضوء من لحوم الإبل ولم يأمرنا بالوضوء من لحم البقر أو الغنم مع أن كلاهما حيوان ؟ ولا يقول : لماذا أمرت الحائض في صيام رمضان بقضاء الصيام ولم تؤمر بقضاء الصلاة مع أنّ كلًا من أركان الإسلام ، بل يقول : الله الذي شرع الأحكام وهو أعلم وأحكم : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

٤ - الخزانة الرابعة

- **حكم اختلاط النساء بالرجال في أماكن العمل :**

اختلاط النساء بالرجال في المدارس والجامعات وأماكن العمل المختلفة محرّمٌ لا يجوز ، والشهامة العربية والغيرة الطبيعية المملوءة بالأنفة تقتضي التباعد عنه ، وتجنب الوسائل المفضية إليه .

- **وذلك للأمور الآتية :**

الأول : في القرآن الكريم أمر الله جميع الرجال ألا يسألوا نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا من وراء حجاب لتكون قلوب الإنسين في غاية الطهارة من أدناس الريبة:﴿ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٣] .

وهذا تشريعٌ لأمهات المؤمنين ولنساء المسلمين ورجالهم إلى يوم القيامة .

الثاني : أمر الله الرجال والنساء بغضِّ البصر عن الآخر ، ليطهر كل منهما من الريبة، كما قال سبحانه : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ

﴿ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[النور:٣٠- ٣١] .

فيغض كل من الرجل والمرأة بصره حياءً من الله وخوفًا منه وامتثالًا لأمره ، لأنّ غضّ البصر عبادة أمر الله بها الرجال والنساء عمّا حرّم الله .

الثالث : أنّ الله عز وجل أمر أمهات المؤمنين ألا يخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض، وأن تبقى النساء في البيوت وألا تخرج إلا لحاجة لأنّ الله عز وجل يريد لنساء المسلمين الطهر والعفاف، كما قال سبحانه : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب:٣٢-٣٣] .

الرابع : حذرّ النبي ﷺمن الخلوة بالمرأة الأجنبية لما تسببه تلك الخلوة من الوقوع في الفاحشة وانتهاك الفضيلة والشرف عن طريق الرؤية والكلام الليّن ، وقد قال النبي ﷺ: « وَلَا يخْلَوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا » أخرجه أحمد [١] .

وقال النبي ﷺ عن الحمو قال : « الحَمْوُ المَوْتُ »أخرجه البخاري [٢] .

الخامس : أنّ هذا الزمان انعدم فيه الخوف من الله والحياء منه، وانتشرت به الإباحية التي يعرق بها الجبين لأنها من موبقات العار، واختلاط الذكور

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١١٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٢٣٢).

بالإناث في أماكن العمل يغذي الفاحشة ويفتح أبواب الرذيلة ، لهذا وجب سدّ الذرائع الموصّلة إلى فاحشة الزنا .

السادس : أنّ الشيطان يحاول إهانة بني آدم بكشف العورة وإبداء السوءة ، وأول إهانة ظفر بها إبليس إهانة آدم وحواء في الجنة ، لأنّ إهانة الآدمي تسرّه ومعصيته تُفرحه ، وقد حمل العرب في الجاهلية حتى خلعوا ثيابهم وطافوا بالبيت عُراة حتى يهينهم بكشف العورة في حرم الله في حالة مُزرية رجالًا ونساءً .

فأنزل الله عز وجل قوله : ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف:٣١] .

وللشيطان مقصد آخر وهو أن كشف العورة يدعو إلى فاحشة الزنا ، وهذا ما حصل ويحصل الآن في أنحاء العالم .

السابع : أنّ من طبيعة العرب الغيرة على النساء وعدم الدياثة ، لأنّ ضمائرهم حيّة وطبائعهم أبية لا تأبى دنس الأعراف وقذارتها ، والاختلاط في أماكن العمل ينافي أصول الشرف والمروءة .

الثامن : الاختلاط كما هو مشاهد يسبب كثرة الجرائم وكثرة الزنا ، وكثرة أولاد الزنا ويولّد الشك ، ويضاعف حالات الطلاق والانتحار ، وهذا كما هو محرّم شرعًا واقعٌ حسًا ، فنسأل الله السلامة والعافية لجميع المسلمين والمسلمات : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣ ﴾ [النور:٦٣] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا

نَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الأعراف:٢٧-٢٨] .

فيجب على الرجال أن يكونوا في أماكن العمل لوحدهم ، والنساء في أماكن العمل لوحدهن طاعةً لله ورسوله ، وحفظًا للجميع من الوقوع في الزنا ووسائله ، وعدم تهيئة الفرصة للوقوع بفاحشة الزنا .

- **الواجبات الكبرى في الإسلام :**

يجب على كل مسلم ومسلمة تصديق أخبار الله ورسوله ، وامتثاله أوامر الله ورسوله ، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر: ٧] .

- **فيجب على عموم المسلمين الواجبات الآتية :**

أولًا : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[النساء:١٣٦] .

ثانيًا : إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له واجتناب عبادة ما سواه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[البينة: ٥]

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢]

وقال الله تَعَالىَ:﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ ﴾[النساء:٣٦] .

ثالثًا : طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ وطاعة ولي الأمر في غير معصية الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء:١٣٦] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ » . متفقٌ عليه(١) .

رابعًا : تعلم العلم الشرعي وتعليمه : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

خامسًا : الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

وقال الله تَعَالىَ: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٣٩).

وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة: ٧١].

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وعن تميم الداري رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا : لِمَنْ؟ قَالَ:« للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». أخرجه مسلم[1] .

سادسًا : الجهاد في سبيل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[التوبة:٧٣] .

وقال تعالى:﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[الأنفال:٣٩] .

سابعًا : الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٣] .

ثامنًا : الاستقامة على الدين ظاهرًا وباطنًا ، قال عز وجل : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٥٥.

تاسعًا : حسن الخُلق مع الخَلق والخالق ، فحسن الخلق مع الخالق بتوحيده والإيمان به وعبادته وحده لا شريك له ، وحسن الخلق مع الخلق ببذل الندى وكفّ الأذى .

- **فالدين ركنان :**

١- عبادة الحق .

٢- والإحسان إلى الخلق .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ ﴾ [النساء:٣٦] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

عاشرًا : لزوم الاستغفار والتوبة في كل حال : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣ ﴾ [النصر:١-٣] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾ [النور:٣١] .

حكم دفع الصائل :

من صال عليه آدمي أو بهيمة وجب عليه أن يدافع عن نفسه وأهله للأمور الآتية :

أولًا : أنّ الله عز وجل أمر بالدفاع عن النفس ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ

ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [البقرة:١٩١-١٩٣] .

ثانيًا : أنّ الله عز وجل نهى الإنسان أن يلقي بنفسه إلى التهلكة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

ثالثًا : أنّ النفس محترمة ، ونفس الصائل معتدية ليس لها حُرمة ، فيجب فداء النفس المحترمة بالنفس المعتدية .

رابعًا : ولأنّ نفس الإنسان محترمة وأمانة عنده وجب عليه أن يدافع عنها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي ؟ قَالَ : « فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ » قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ؟ قَالَ : « قَاتِلْهُ » قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي ؟ قَالَ : « فَأَنْتَ شَهِيدٌ »، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ ؟ قَالَ : « هُوَ فِي النَّارِ » . أخرجه مسلم[1] .

أما إذا حصلت فتنةٌ عظيمة ، واضطرب الناس ، واضطرب الأمن فصار بعضهم يقتل بعضًا فيجب الدفاع عن النفس والأهل بقدر الاستطاعة ، فإن كانت المدافعة لا تجدي لكثرة الغوغاء أو ترتب على المدافع فيها شرٌ أكبر ، أو كان الإنسان لا يستطيع المدافعة ففي هذه الحالات لا يجب الدفع ، ويعتزل الإنسان الفتنة وأهلها ، كما قال النبي ﷺ: « سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤٠).

خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، مَنْ تَشَرَّفَ لهَا تَسْتَشْرِفُهُ ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ » . متفقٌ عليه[1] .

وقال النبي ﷺ: « إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونهَا » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ ؟ قَالَ : « تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ » . متفقٌ عليه [2] .

أما إذا وجد الإنسان مع امرأته رجلًا يزني بها فله قتله دون إنذار ، لأنّ هذا من باب عقوبة المعتدي لا من باب دفع الصائل ، أما الدفاع عن المال فيجوز ولا يجب ، وإن لم يندفع إلا بالقتل قتل لانتهاك حرمة المال ، كما قال النبي ﷺ : « مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ » . متفقٌ عليه[3] .

ومن نظر من خصاص الباب إلى البيت فهذا تُفقأ عينه دون مدافعة لأنّ هذا ليس من باب دفع الصائل ، بل من باب عقوبة المعتدي .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « لَوْ أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ ، فَخَذَفْتَهُ بِحَصَاةٍ ، فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ جُنَاحٍ » [4]متفقٌ عليه

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٨١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٦٠٣)، ومسلم برقم: (١٨٣٤) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٨٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٦٩٠٢، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢١٥٨.

٥- الخزانة الخامسة

من حقوق المسلم على أخيه إجابة الدعوة ، فمن حق المسلم على أخيه إذا دعاه أن يجيبه ، إذا كان الداعي مسلمًا ولم يكن مجاهرًا بالمعصية ، ولم تكن الدعوة مشتملة على معصيةٍ لا يستطيع إزالتها ، وتجب الدعوة في العرس خاصة .

فإذا كان الداعي غير مسلم فلا تجب الإجابة وتشرع إجابة دعوة الكافر لمصلحة كرجاء إسلامه أو تأليف قلبه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب دعوة يهوديٍ في المدينة .

وإن كان الداعي مسلمًا مجاهرًا بالمعصية كحلق اللحى أو شرب الدخان علنًا أو غير ذلك من المحرمات ، فإن إجابته ليست بواجبة ، وكذا لو كان الإنسان معذورًا بمرضٍ أو مناسبةٍ أخرى أو غير ذلك من الأعذار ، وإن كان في إجابة المجاهر بالمعصية مصلحة أجابه ، وإن كان ليس في إجابته مصلحة نظر فإن كان في عدم إجابته مصلحة فلا تجبه لعلّ الله يهديه .

وإن كان لا فائدة من ذلك فأنت بالخيار ، وإن كان بالدعوة منكر فإن كان الإنسان قادرًا على تغييره وجب عليه الإجابة لإزالة المنكر وإجابة دعوة أخيه ، وإن كان المنكر لا يستطيع تغييره كالأغاني وشرب الدخان ونحو ذلك من المحرمات فلا يجوز إجابته ، لأن حضور المحرّم ولو مع كراهة الإنسان له في قلبه يكون الإنسان مشاركًا للفاعل ، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا

مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ [النساء:١٤٠] .

فعلى المسلم لأخيه المسلم حقوق يجب عليه أداؤها بقدر الاستطاعة ، عن أنسٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ » . أخرجه البخاري(١) .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : « أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ سَبْعٍ ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ فَذَكَرَ: عِيَادَةَ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعَ الجَنَائِزِ ، وَتَشْمِيتَ العَاطِسِ ، وَرَدَّ السَّلاَمِ ، وَنَصْرَ المَظْلُومِ ، وَإِجَابَةَ الدَّاعِي، وَإِبْرَارَ المُقْسِمِ » . متفقٌ عليه(٢) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال : « المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُّ فِي حَاجَتِهِ » . متفقٌ عليه(٣) .

والشرائع الإسلامية مبنية على جلب المصالح ودفع المفاسد ، فإذا عظمت المصلحة أوجبها الله سبحانه في كل شريعة ، كالتوحيد والإيمان والعدل ونحو ذلك ، وإذا عظمت المفسدة حرّمها الله في كل شريعة ، كالكفر والشرك والقتل والزنا والظلم والغصب وأمثالها من المحرمات ، فإن

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٤٤٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٤٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠٦٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٥١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٦٤).

تفاوتت رتب المصالح والمفاسد فقد يقدم الشرع بعض المصالح في بعض الشرائع على بعض ، ويخالف ذلك في بعض الشرائع ، وكذلك المفاسد .
فالقصاص في شريعة موسى واجبٌ حق حقًا لله في حد الزنا والسرقة ، وهو في شريعتنا حقٌ للعبد مقترنٌ بحق الرب ، ورجح فيه حق العبد على حق الرب في شرعنا وذلك نظرًا للجاني ولولي الدم .
وكذلك حرّم الله النكاح بأكثر من امرأة في شرع عيسى ﷺ نظرًا للنساء حتى لا يتضررن بكثرة الضرائر والإيماء ، وأباح الله سبحانه في شرع موسى صلى الله عليه وسلم النكاح من غير حصر لمن قدر على القيام بحقوقه . وأباح سبحانه في شرعنا الزيادة على واحدة نظرًا للرجال ، وحرّم الزيادة على أربع نظرًا لمصلحة النساء ورحمةً بهن ، وجوز وطئ الإيماء من غير حصر نظرًا للرجال وحاجتهم .
فلله الحمد والمنّة على أن أكمل لنا الدين ، وأتمّ علينا النعمة ، كما قال سبحانه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[المائدة:٣] .
وقال الله تعالى : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية:٣٦-٣٧] .

- **أقسام المسؤولية :**

المسؤولية الواجبة على كل مسلم ومسلمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

المسئولية الأولى : الجهد على النفس

بتزكيتها بالتوحيد والإيمان والتقوى ، وتطهيرها من الشرك والنفاق والفجور ، لتنتقل من النفس الأمارة إلى النفس اللوامة ثم إلى الملامة ثم إلى النفس المطمئنة ثم إلى الراضية ثم إلى المرضية ثم إلى الزاكية الصافية النقية التقية ، وذلك بتحقيق أعمال النبوة في الإيمان والعبادة والدعوة والتعلم والتعليم والأخلاق.

قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى:١٤-١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢] .

وهذا الجهد يتحقق بالمجاهدة ولزوم بيئة الإيمان والأعمال الصالحة .

قال عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

المسئولية الثانية : إصلاح البيئة .

فالإنسان في البيئة الصالحة يزداد صلاحًا ، وفي البيئة الفاسدة يزداد فسادًا كالماء يجمد أو يسخن حسب البيئة .

- **والبيئة الصالحة نستفيد فيها خمسة أمور** :

أن نتعلم الدين .. ونعمل بالدين .. ونثبت على الدين .. ونترقى في الدين .. وننشر الدين .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨]

ويتم ذلك بإحياء حلقات الإيمان والتعليم في البيوت والمساجد ، ومذاكرة فضائل الأعمال ، والإكثار من ذكر الله واليوم الآخر ، والمحافظة على العبادات في أوقاتها فنجلس في البيئة الإيمانية ليزيد إيماننا ، ثم نخرج إلى الساحة الميدانية لننقل بإذن الله الغافلين إلى بيئة الذاكرين ليكونوا جميعًا سوا في كل شيء ، ويعودوا مذكرين للغافلين: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة: ٧١] .

فالبيئة الإيمانية يدخل بها الإنسان كافرًا ويخرج مؤمنًا ، ويدخل فيها فاسقًا ويخرج صالحًا ، ويدخل فيها جاهلًا ويخرج منها عالمًا .

المسئولية الثالثة : مسؤولية العالمَ .

فنحن مسئولون عن العالمَ كله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

فنبلغ الناس دين رب الناس ليعبد كل الناس رب الناس ، ففكر العالمِ للعالمَ كلّه ، وعِلم العالمِ للعالمَ كله في مشارق الأرض ومغاربها ، فالدنيا كلها ميدان جهد العلماء والدعاة إلى الله : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

وبهذا الجهد العظيم والقيام بالمسؤوليات الثلاث تتحقق جميع دوائر الهداية التي أكرمنا الله بها وشرفنا بالقيام بها ، دائرة هداية النفس ، ودائرة هداية الأسرة ، ودائرة هداية العشيرة ، وهداية البلد ، وهداية القارة ، وهداية العالم كله : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وبهذا الجهد العظيم نبقى دائمًا في بيئةٍ صالحة مع رفقةٍ صالحة مع أعمالٍ صالحة مع مجموعةٍ صالحةٍ ومُصلحة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧-١٨].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

وهذه الأنوار الثلاثة تضرب ظلمات البيئة الفاسدة والصحبة الفاسدة والأعمال الفاسدة : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[البقرة:٢٥٧] .

وقال تعالى:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

وعد الله أهل التوحيد والإيمان الذين أدوا الحقوق وقاموا بالواجبات في الدنيا بموعوداتٍ كريمة .

- **ومن أعظمها :**

الفلاح : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾[المؤمنون:١] .

والهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

والنصر : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الروم:٤٧] .

والعزّة : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨] .

والخلافة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[النور:٥٥] .

والتمكين في الأرض والدفاع عنهم والأمن : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام/ ٨٢].

والنجاة وحصول البركات وعدم تسليط الكفار عليهم ومعيّة الله الخاصة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل:١٢٨] .

ومحبته لهم .

أما موعد رؤية الله عز وجللهم في الآخرة فقد أعدّ لهم من النعيم المقيم والملك الكبير ما لم تره عين وما لم تسمعه أذن ولم يخطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٧] .

ومن أعظم كرامات أهل التوحيد والإيمان في الدنيا والآخرة ما يلي :

الأولى : الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

الثانية : دخول الجنة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾[الحج:١٤] .

الثالثة : الخلود في نعيم الجنة : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥] .

الرابعة : رضوان الرب عليهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢]

الخامسة : رؤية الرب جل جلاله في الجنة : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢ -٢٣] .

السادسة : القرب من الرب جل جلاله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر:٥٤-٥٥] .

السابعة : سماع كلام الرب جل جلاله : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس:٥٥-٥٨] .

الثامنة : النجاة من النار : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم:٧١-٧٢] .

والصفات الموعودة في الدنيا غير موجودة في حياة كثيرٍ من المسلمين اليوم ، مما يدل على ضعف إيمانهم ولا سبيل للحصول عليها إلا بتقوية الإيمان الموجود بالإيمان المطلوب لنحصل على موعودات الله المذكورة في الدنيا على الإيمان بأن يكون إيماننا وأعمالنا كإيمان وأعمال الأنبياء والصحابة على وجه الحقيقة : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن

نَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾[البقرة: ١٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء:١٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

فلا سبيل للحصول على هذه الثمرات العظيمة في الدنيا والآخرة إلا بأداء الحقوق والواجبات كما ذكرها الله عز وجل في كتابه وهي ستة أمور : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧١ - ٧٢]

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٤- خزائن العهود والأمانات

وتشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٢٤-خزائن العهود والأمانات

١ - الخزانة الأولى

- **العهد والميثاق :**

الميثاق : هو العهد المؤكد

فكل ميثاق عهد وليس كل عهد ميثاق ؛ لأن العهد لا يسمي ميثاقًا إلا إذا كان مؤكدًا خاصة :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[الأعراف:١٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾[الإسراء:٣٤] .

وقد أثني الله عز وجل على أوليائه الذين يوفون بعهده ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الرعد:١٩-٢٤] .

وذم من نقض العهد ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، فقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الرعد:٢٥] .

فالميثاق هو : العهد المؤكد ، بفعل شيء ، وترك شيء ، وقد أخذ الله العهد على بني إسرائيل ، بفعل أشياء ثمانية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[البقرة:٨٣] .

وأخذ عليهم الله عز وجل العهد بترك أشياء ، ولكنهم لم يستجيبوا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٨٤-٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم

مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[البقرة:٨٩-٩٣] .

ولكن بني إسرائيل نقضوا العهد ، فغضب الله عليهم ، ولعنهم .

قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[المائدة:١٣] .

والعهد المضاف إلى الله عز وجل يشمل أمرين :

الأول : عهد بين المخلوق ، والخالق

وهو الاعتراف بربوبية الله ، وعبادته ، وتوحيده ، وطاعته ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره ، وشره ، فهذه وأمثالها عهود الله على خلقه ، يجب عليهم الوفاء بها ، كما قال سبحانه : ﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[الأنعام:١٥٢] .

الثاني : عهد بين المخلوق ، ومخلوق ؛ لأن العهد فيما بينك ، وبين أخيك هو عهد الله ؛ لأن الله أخذ العهد على كل واحد أن يفي لأخيه بما عاهده عليه ، وألا يفعل معه إلا خيرًا :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ

﴿ ١ ﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿ ٢ ﴾ ﴾

[المائدة:١-٢] .

- **العهود قسمان :**

الله عز وجل له مع خلقه عهدًا ، ولخلقه معه عهدًا .

فالعهد الذي أخذه الله على العباد ليس إلا عهد الطاعة ، والعبودية لله ، والعهد الذي التزمه الله من جهته ليس إلا عهد الرحمة ، والربوبية ، ومن تأمل في هذه المعاهدة لم يجد من نفسه إلا نقض العهد ، ومن ربه إلا الوفاء بالعهد ، ومن أوفى بعهده من الله !

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿ ١١١ ﴾ ﴾ [التوبة:١١١] .

وأعظم الخلق وفاءً بالعهد هم الأنبياء ، والرسل : ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿ ٩٠ ﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وما أعظم وفاء الله بعهده ! حيث خلقنا ، ورزقنا ، وهدانا ، وأعطانا العقول ، والأسماع ، والأبصار ؛ لنقوم بعبادته ، وطاعته ، وشكره : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿ ٥٦ ﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿ ٥٧ ﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿ ٥٨ ﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل:٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[البقرة: ٢١ – ٢٢]

وعهد الربوبية وفى الله به على أكمل وجه فالله عز وجل أنعم علينا بنعم لا تعد ، ولا تحصى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

فأنعم علينا بنعمة الخلق ، والإيجاد ، ونعمة القوت ، والإمداد ، ونعمة الهداية ، والإسعاد : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤]

وعهد العبودية يقتضى منا كمال العبادة ، والطاعة لله سبحانه والتي يعطينا الله عليها أعظم الثواب : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[النحل:٩١].

وعهد الله مع الإنسان أن يقيمه بأنواع النعم ، وقد فعل : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾

[إبراهيم:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦] .

وعهد الإنسان مع ربه أن يصرف هذه النعم في سبيل مرضاته ، لكنه لم يفعل : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق:٦-٧] .

إلا من منّ الله عز وجل عليه بالهداية ، فإن استقام على أوامر ربه جل جلاله صدق أخباره ، وامتثل أوامره ، واجتنب نواهيه .

والله سبحانه أخذ العهد على بني آدم بالإيمان به ، وبربوبيته، فقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٢] .

ثم أخذ الله العهد على الأنبياء ، والرسل أن يبشر أولهم بآخرهم ، ويؤمن آخرهم بأولهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران:٨١] .

وأخذ الله العهد على الأنبياء أن يؤمنوا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم ويتبعوه إذا بعُث ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ

ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران:٨١] .

وعهد الله عز وجل إلى خلقه ثلاثة عهود :

العهد الأول : العهد الذي أخذه الله على آدم ، وذريته ، وهو الإقرار بربوبيته ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٢] .

العهد الثاني : العهد الذي أخذه الله على النبيين أن يبلغوا الرسالة ، ويقيموا الدين ، ولا يتفرقوا فيه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٧-٨] .

العهد الثالث : العهد الذي أخذه الله على العلماء أن يبينوا للناس شرائع الدين : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٧] .

وحذر الله عز وجل علماء هذه الأمة من كتمان الحق ، وعدم بيان العلم ، والحق للناس ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠] .

فعهد الله لعباده أن يعبدوه وحده لا شريك له ، وينصر رسله ، فيكفر عنهم سيئاتهم ، ويسعدهم في الدنيا ، والآخرة ، فالوفاء بعهدهم مع الله يكون بالإيمان ، والعمل الصالح ، ووفاء الله لهم إن فعلوا ذلك يكون بالمغفرة ، ودخول الجنة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾[البقرة:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾[المائدة:١٢] .

فقه العهد :

العهد هو : ما يعاهد الإنسان به غيره ، والعهد نوعان :

الأول : عهد مع الله ، فقد أخذ الله العهد على عباده جميعًا ، حين خلقهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئًا ؛ لأنه الرب الذي خلقهم سبحانه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[الأعراف:١٧٢] .

الثاني : عهد مع عباد الله، وهي العهود التي تقع بين الناس ، بين المسلم ، والمسلم ، أو بين المسلم ، والكافر ، ونحو ذلك ، وقد أمر الله عز وجل

بالوفاء بالعهود كلها ، سواء كانت بين الله ، وخلقه ، أو بين الناس مع بعضهم ، أو بين المسلمين ، والكفار ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء:٣٤] .

وقال عز وجل : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل:٩١].

كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ [المائدة:١] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » متفق عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٨).

٢- الخزانة الثانية

- **حكم الوفاء بالعهد :**

يجب على المسلم إذا عاهد مسلمًا ، أو كافرًا ، أن يفي بعهده معه ، سواء كان فردًا ، أو حاكمًا ، وإذا عاهد الإمام المشركين على ترك القتال فله معهم ثلاث حالات :

الأولى : أن ينقض العهد ، فحينئذٍ يبطل العهد الذي بيننا وبينهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[التوبة:١٢-١٣] .

الثاني : أن يستقيموا على العهد ، فحينئذ يجب علينا أن نستقيم على العهد حتى تنتهي المدة ، كما قال سبحانه : ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾[التوبة:٧] .

وقال عز وجل : ﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾[التوبة:٣-٤] .

الثالث : أن نخشى أن ينقضوا العهد ، فهنا ننبذ إليهم العهد ، ونقول لهم صراحة أنه لا عهد بيننا وبينكم الآن ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾[الأنفال:٥٥-٥٨] .

الأمانة هي حفظ كل ما استودعك الله ، وأمرك بحفظه من امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وحفظ قلبك وجوارحك عن ما لا يرضي الله عز وجل وحفظ ما اؤتمنت عليه من حقوق الناس ، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾[الأنفال:٢٧] .

وقد وصف الله المؤمنين بصفات منها رعاية الأمانة ، وأدائها ، كما قال سبحانه : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾[المؤمنون:١-١١] .

والأمانة التي عرضها الله على آدم ﷺ هي التكاليف الشرعية مع ما يتبعها من ثواب ، وعقاب ، وقد عرضها الله على السموات ، والأرض ، والجبال ، فأبين أن يحملن ، وأشفقن منها خوف من عواقب حملها أن يشاء لهن من ذلك عذاب الله ، وسخطه ، ثم تحمل هذه الأمانة الإنسان الذي هو آدم ﷺ والإنسان ظلومٌ جهول ظلومٌ لنفسه ، جهول بعواقب الأمور .

- **لهذا انقسم بنو آدم إلى قسمين :**

الأول : من تحمل الأمانة ، وأداها ، وهم المؤمنون .

الثاني : من تحمل الأمانة ، وخانها ، وهم المنافقون ، والمشركون ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣] .

والأمانة أنواع :

١- فامتثال أوامر الله أمانة .

٢- واجتناب النواهي أمانة .

٣- والعبادة أمانة .

٤- والمعاملات أمانة .

فالصلاة أمانة ، والزكاة أمانة ، والصوم أمانة ، والأمانة تحقق الأمان ، والطمأنينة في الدنيا ، والآخرة :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢].

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨]

وكل رسولٍ قال لقومه : ﴿ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الشعراء:١٠٧] .

والأمين المؤمن في الجنة ، والخائن في النار ، والولاية أمانة ، فيجب أدائها بحق ، وإلا كانت سببًا لهلاك الإنسان .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي قَالَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةُ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » . أخرجه مسلم(١) .

فلا دين لمن لا أمانة له ، والمؤمن هو من أمنه الناس على دمائهم ، وأموالهم ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ، ويده ، ومن علامات الساعة : خيانة الأمانة ، فإذا ضيعت الأمانة ، فانتظر الساعة .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ في مجَلِسٍ يحُدِّثُ القَومَ ، جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحُدِّثُ ، فَقالَ بَعْضُ القَومِ : سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لمَ يَسْمَعْ ، حَتَّى إذَا قَضَى حَدِيثَهُ قالَ : أيْنَ السَّائِلُ عَنِ

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٨٢٥).

السَّاعَةِ ؟ قال : هَا أنا يَا رسُولَ الله . قال : إذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ قال : كَيفَ إضَاعَتُهَا ؟ قال : إذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » . رواه البخاري[1] .

ومن خان الله ، ورسوله ، فهو جديرٌ بخيانة كل أحد : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنفال:٧١] .

- **فقه الأمانة :**

الأمانة هي : ما يكون للغير عندك من حقوق ، وأنت أمين عليها ، إن شئت فعلتها ، وإن شئت لم تفعلها ، وهي شيء تقبله ممن ائتمنك ، وليس للغير شاهد عليك إلا أمانتك ، وذمتك ، إن شئت أقررت ، أو أنكرت :﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢] .

ولما تحمل الإنسان الأمانة ، فمنهم من أداها ، ومنهم من خانها : ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٧٣] .، وهؤلاء الذين خانوا الأمانة .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب: -٧] . ، وهؤلاء الذين أدوا الأمانة .

والله عز وجل يقول : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأعراف:١٠٢] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٩).

فالله أودع فينا أمانات في قلوبنا ، وجوارحنا ، وأعطانا الاختيار في أداء الأمانة ، وعدم أدائها .

- **ومن لوازم الأمانة الاختيار :**

١- اختيار الإيمان ، أو الكفر .

٢- اختيار الطاعات ، أو المعاصي .

٣- اختيار الخير ، أو الشر ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٢-٣] .

والله سبحانه لما خلق آدم ﷺ أخرج من صلبه جميع ذريته ، وأشهدهم على أنفسهم ، ألست ربكم ، قالوا : بلى ، ثم أعادهم إلى صلب آدم ، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق ، من أصلاب الرجال ، وأرحام النساء فإذا اكتملوا ، أذن الله بقيام الساعة : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف:١٧٢] .

والدين كله أمانة ، فقد ائتمن عليه آدم ، وذريته ، وائتمن عليها الجن ، والإنس ، فالدين أمانة ، وكلمة الحق أمانة ، والدعوة أمانة ، والعبادات كلها أمانة ، والمعاملات أمانة ، والحكم بما أنزل الله أمانة ، والأخلاق العالية أمانة ، والأمر بالمعروف أمانة ، والنهي عن المنكر أمانة ، وتعليم شرع الله أمانة ، والجهاد في سبيل الله أمانة ، والنصيحة أمانة ، والتواصي بالحق أمانة ، وعقد ، وعهد : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة:١] .

وقال الله تعالىَ : ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء:٣٤] .

وقال الله تعالىَ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨] .

وخيانة الأمانة من أعظم الجرائم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال:٢٧-٢٩] .

- **والحكم بما أنزل الله أمانة ، والحكام ثلاثة أقسام :**

الأول : حاكم يحكم بشرع الله ، ويتقيه ، فهذا يجب محبته ، ومعاونته ، ويحرم الخروج عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النساء:٥٩].

الثاني : حاكم يحكم بشرع الله ، ولكن فيه فسق ، وجور ، وظلم ، فهذا الذي ينبغي أن نصبر عليه ، كما قال النبي ﷺ: « عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ ، إِلا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَمَنْ أَمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ عَلَيْهِ وَلا طَاعَةَ » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٨٣٩).

الثالث : الحاكم المبدل لشرع الله ، الخارج عن شرع الله ، الكافر بدين الله .

- **فهذا يجوز الخروج عليه بشرطين :**

الأول : أن يأتي بكفر بواح .

الثاني : أن يغلب على الظن أن الخروج عليه سوف يزيله .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة:٤٤] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة:٤٥] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة:٤٧] .

لم يخلق الله عباده عبثًا ، ولم يتركهم سدى لا أمر ولا نهى ، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٥]

بل خلقهم الله عز وجل لأمرٍ عظيم هو عبادته وحده لا شريك له ، واجتناب عبادات من سواه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

فالله عز وجل خلق العباد لأمرٍ عظيم عرضه على السموات ، والأرض ، والجبال ، فأبين أن يحملهن ، وأشفقن منه ، وحملها الإنسان على ضعفه ، وعجزه عن حمله ؛ لظلمه وجهله ، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم ؛

لشدة مئونته عليهم ، وثقله ، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة لا ينظرون إلى معرفة موجدهم ، ولا إلى حقه عليهم ، ولا في المراد من إيجادهم ، وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي معبرٌ إلى دار القرار ، ولا يتفكرون في قلة مقامهم في هذه الدنيا الفانية ، وسرعة رحيلهم إلى الدار الآخرة الباقية ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤] .

ملكهم باعث الحس ، وغاب عنهم داعي العقل ، وشملتهم الغفلة ، وغرتهم الأماني الباطلة ، فآثروا ما يفنى عن ما يبقى :﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤] .

فما أشد غفلة الإنسان عن ربه !

ما أجهله بربه ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وملكه ، وسلطانه ، ودينه ، وشرعه :﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩] .

فما أعظم غفلة الإنسان عن ربه وعن ما يراد به ، فأنفاسهم معدودة ، وأيامهم محدودة ، ومطايا الليل ، والنهار تسرع به ، ولا يتفكر إلى أين يحمل ، ولا يدرى إلى أي الدارين ينقل إذا نزل به الموت اشتد قلقه ؛ لخراب ذاته ، وذهاب لذاته لا لما سبق من جناياته ، وسلف من تفريطه أجير إن ربى غفور رحيم .

كأنه لم ينبأ بأن عذاب الله هو العذاب الأليم يبيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر في أبدٍ لا يزول بأضغاث أحلام ، وباع جنة عرضها السموات ، والأرض بسجن ضيق بين أرباب العاهات باع لذة النظر إلى وجهه العزيز الرحيم بالنظر إلى الناقص الفاني ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾[لقمان:٣٣] .

فالأمانة هي التكليف ، والإلزام بما يجب ، وقد عرضها الله على السموات ، والأرض ، والجبال ، فأبت حملها لما فيها من المشقة ، ولما تخشى من إضاعتها ، وحملها الإنسان بأمرين :

العقل .. والرسل .

العقل الذي أعطاه الله للإنسان ؛ ليعقل به الأمور يعرف به ما ينفعه ، وما يضره : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل:٧٨] .

والرسل الذين أرسلهم الله للناس يبينون لهم الحق من الباطل ، فلم يبقى للناس عذر : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣] .

٣- الخزانة الثالثة

- **أقسام الأمانة :**

الأمانة تطلق على معانٍ عدة يجمعها أصلان :

الأول : أمانة في حقوق الله:

وهى جميع العبادات التي ائتمن الله عباده عليها، وكلفهم بها كالوضوء، والصلاة، والصيام ، والزكاة، والحج، والجهاد وغيرها من أنواع العبادات .

الثاني : أمانة في حقوق البشر:

وهى كثيرة جدًا منها أمانة الولاية ، وهى أعظمها مسئولية فالحاكم أمين على مصالح الأمة الدينية ، والدنيوية ، وأمانة القاضي في عمله ، وأمانة الرجل في أهله ، وأمانة المعلم على طلابه ، وأمانة الطبيب على مرضاه ، وأمانة التاجر على زبائنه ، وغير ذلك من أنواع الأمانات .

ثانيًا : الأمانة المالية:

وهي الأموال التي تكون بيد الإنسان؛ لمصلحته كالعارية، أو لمصلحة مالكها كالوديعة، أو لمصلحتهما معا كالدار المستأجرة، أو السيارة المستأجرة، فهذه مصلحتها للجميع ، فيجب حفظها ، وأداؤها لأهلها .

ثالثًا : الأمور الخاصة التي تكون بين الرجل ، وصاحبه ، أو بين الزوج ، وزوجته ، فهذه أمانة لا يجوز له أن يفشيها لأحد .

وأعظم الأمانات ما كان بين العبد ، وربه بعبادة الله عز وجل وحده لا شريك له واجتناب عبادة ما سواه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ ﴾[المائدة:٧] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

فأعظم الأمانات ما كان بين العبد ، وربه بالعبادة ، وما يجب على خلقه بالدعوة لأن حق الرب أعظم الحقوق ثم حقوق الخلق ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء: ٥٨ – ٥٩].

- **فقه حمل الأمانة :**

إن السموات ، والأرض ، والجبال من المخلوقات العظيمة ، التي يبدو الإنسان أمامها شيئًا صغيرًا ، ضئيلًا ، هذه الخلائق تعرف بارئها بلا محاولة ، وتهتدي إلى من يحكمها ، ويدبرها ، وتطيع أمر الخالق طاعة مباشرة بلا تدبر ، ولا وساطة ، وتجري ، وتمضي في تنفيذ أوامر خالقها دائبةٌ منقادة : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾[الإسراء: ٤٤] .

فهذه الشمس تدور في فلكها ، وترسل أشعتها ، وتجري لمستقر لها ، وتؤدي وظيفتها التي قدر الله لها بلا إرادة منها ، وهي مسرعة في تنفيذ أوامر ربها ، وطاعته ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾[يس:٣٨] .

وهذا القمر ، وهذه النجوم ، والكواكب ، وهذه الرياح ، والسحب ، وهذا الهواء كلها تمضي بشأنها بإذن ربها ، وتعرف بارئها ، وتخضع لمشيئته ، بلا جهد منها ، ولا كد ، ولا محاولة :﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس:٣٩-٤٠] .

وهذه السماء المرفوعة ، بما فيها من عجائب ، والمخلوقات الهائلة ، وهذه الأرض بما فيها من الآيات ، والعبر ، تخرج زرعها ، وتقوت أبنائها ، وتوارى موتاها ، وتفجر ينابيعها ، وفق سنة الله ، بلا إرادة منها ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١] .

وهذا الماء الجاري، وهذه النباتات المختلفة، وهذه الأشجار المثمرة، وهذه الجبال العالية ، وهذه البحار الواسعة ، وهذه السهول ، وهذه المهاد ، وهذه البطاح كلها تؤدي دورها ، وتطيع ربها ، وتقوم بوظيفتها طائعة منقادة بإذن ربها ، خاشعة لربها تنفذ أمره بلا إرادة منها .

هذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي وفي العالم السفلي ، كلها أشفقت من أمانة تبعة ، أمانة الإرادة ، أمانة المعرفة الذاتية ، أمانة المحاولة الخاصة ، وحملها الإنسان الذي يعرف الله بإدراكه ، وشعوره ، ويهتدي إلى بارئه بتدبره ، وبصره ، ويطيع الله بإرادته ، وحمله لنفسه ، ومقاومة انحرافاته ، ونزغاته ، ومجاهدة ميوله ، وشهواته :﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢] .

حقًا إنها أمانة عظيمة ، حملها هذا المخلوق صغير الحجم ، القليل القوة ، الضعيف الحول ، المحدود العمر ، الظلوم ، الجهول ، الكفور ، العجول ، اليئوس ، القنوط ، الذي تحيط به المغريات ، وتناوشه الشهوات ، وتستبد به النزعات ، والميول ، والأطماع ، وإنها حقًا لتبعةٌ ثقيلة جسيمة ، وبسبب ظلمه لنفسه ، وجهله بطاقته ، زج نفسه لحملها ، وأنه لمقامٌ عالٍ كريم ، حين رضي الإنسان بالتبعة ، ويصل لمعرفة بارئه ، والاهتداء المباشر إلى ربه ، والطاعة الكاملة لإرادة ربه ، كالمخلوقات الأخرى ، التي فطرها الله على معرفته ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ [الأعلى: ١ -٣] .

فالمخلوقات الأخرى تعرف ربها مباشرة ، وتهتدي مباشرة ، وتطلع مباشرة ، ولا يحول بينها ، وبين بارئها حائل ، ولا تقعد بها المثبطات عن الانقياد ، والطاعة ، والأداء ، فهي جميعًا في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، شاهدة بوحدانية الله ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، وخاضعة لأمره ، ومسبحة بحمده: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤ ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

إن الإنسان حين يصل إلى هذه الدرجة ، وهو واعٍ ، مدركٌ ، مريد ، أنه يحصل حقًا إلى مقام كريم ، ومكان عظيم بين خلق الله الفريد: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

إن الإرادة ، والإدراك، والمحاولة، وحمل التبعة، هي ميزة الإنسان على كثير من خلق الله في السماء، والأرض، وهى مناط التكريم الذي أعلنه الله

في الملأ الأعلى، وهو أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأكرم بذلك ذريته من بعده .

فليعرف الإنسان مناط تكريمه عند الله ، ولينهض بالأمانة التي اختارها ، والتي عرضت : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢] .

واختصاص الإنسان بحمل الأمانة ، وأخذ على عاتقه أن يعرف بنفسه ، ويهتدي بنفسه، ويعمل بنفسه، ويصل بنفسه، هذا كان؛ ليتحمل عاقبة اختياره، وليكون جزائه على عمله، وليحق العذاب على المنافقين، والمنافقات، والمشركين، والمشركات، وليمد الله يد العون للمؤمنين، والمؤمنات؛ ليتوب عليهم مما يقعون فيه تحت ضغط، مما ركب فيهم من ضعف، ونقص، ما يقف في طريقهم من حوله، من عواجز، وموانع، وما يشدهم، ويجذبهم من الشهوات، والمغريات ، فذلك فضل الله، وعونه: ﴿ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الحديد:٢٩] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

وقد حمل الإنسان هذه الأمانة: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٣] .

الأمانات في الدين كثيرة ، وقد أمر الله عز وجل بأداء جميع هذه الأمانات ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم

بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨] .

والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى ، الأمانة التي ناط الله بها فطرة الإنسان ، والتي أبت السموات ، والأرض ، أن يحملنها ، وشفقنا منها ، وحملها الإنسان ، وهي أمانة الهداية ، والمعرفة ، والإيمان بالله عن قصد ، وإرادة ، وجهد ، واتجاه ، ومحبة ، فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

فكل ما عدا الإنسان ، ألهمه ربه الإيمان به ، والاهتداء إليه ، ومعرفته ، وعبادته ، وطاعته ، وألزمه طاعة أمره بغير جهد منه : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء: ٤٤] .

والإنسان وحده هو الذي وكله الله إلى فطرته ، وإلى عقله ، وإلى معرفته ، وإلى إرادته ، وإلى اتجاهه ، وإلى جهده الذي يبذله للوصول إلى الله ، بعون من الله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

وقد حمل الإنسان هذه الأمانة العظيمة ، وعليه أن يؤديها أول ما يؤدي من الأمانات ، ومن هذه الأمانة الكبرى ، تنبثق سائر الأمانات التي أمر الله أن تؤدى .

• **ومن هذه الأمانات :**

١- أمانة الوقت ، فالوقت كالسيف ، إن لم تقطعه قطعك ، والنفس أن لم تشغلها بالخير ، شغلتك بالشر ، فالمكان ظرف للأشياء ، والزمان ظرف للأعمال ، ولأهمية الوقت أقسم الله به في القرآن بجميع الأوقات ، فأقسم الله بالليل ، والنهار ، فقال سبحانه : ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل:١-٢] .

وأقسم الفجر، وبالعصر، والضحى ، فقال سبحانه : ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢﴾ [الفجر:١-٢] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾[العصر:١-٢].

وقال الله تَعَالىَ : ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى:١-٢] .

وقسم العبادات على الأوقات : كالصيام ، والحج ، والأذكار ، وغيرها .

وملأ حياة الإنسان بالأعمال الصالحة ، التي تستغرق حياة الإنسان ، وتسعده في دنياه ، وأخراه ، كما قال سبحانه : ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٣]

وقال الله تَعَالىَ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٧٧﴾ [الحج:٧٧] .

ومن هذه الأمانات، أمانة الشهادة لهذا الدين ، فالشهادة له في النفس البشرية أولًا بمجاهدة النفس، حتى تكون ترجمة له، ترجمة حية في شعورها، وسلوكها ، وظاهرها، وباطنها حتى يرى الناس صورة الإيمان في هذه

النفس الجميلة، فيقولون ما أحسن هذا الإيمان، وأطيبه ، وأزكاه ، وهو يصوغ أصحابه على الجمال ، والكمال ، وحسن الأخلاق ، والآداب : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

فتكون هذه شهادة ، لهذا الدين في النفس ، يتأثر بها الآخرون فيدخلون فيه ، والشهادة له كذلك بدعوة الناس إليه ، وبيان فضله ، وجماله ، وسننه ، وأحكامه ، فما يكفي أن يؤدي المؤمن الشهادة للإيمان في ذات نفسه ، إذا هو لما يدعو إليها الناس كذلك ، وما يكون قد أدى أمانة الدعوة ، والتبليغ ، والبيان ، وهي إحدى الأمانات الكبرى ، التي شرف الله بها الإنسان :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران:٨١] .

ثم الشهادة لهذا الدين ، بمحاولة إقراره في الأرض منهجًا للبشرية كلها ، تسير على هداه ، وتتميز عن البهائم ، والسباع ، والكفار ، فإقرار منهج لله في حياة الفرد ، وحياة الأمة ، في حياة البشر ، هو كبرى الأمانات بعد الأيمان بالله ، ولا يعفى من هذه الأمانة فرد ، ولا جماعة : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٥] .

ومن الأمانات التي يجب أدائها ، أمانة التعامل مع الناس ، ورد أمانتهم إليهم ، وأمانة المعاملات ، والودائع ، وأمانة النصيحة للراعي ، والرعية ، وأمانة القيام على الأهل ، والأولاد ، وأمانة المحافظة على العبادات ، وأدائها في وقتها بصفتها خالصة لله ، وسائر ما ورد في الدين من أحكام ، وواجبات ، وسنن ، وآداب ، فهذه من الأمانات التي يجب أن تؤدى ، كما أمر الله بقوله : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨] .

ومن أعظم الأمانات ، وأهمها :

الحكم بما أنزل الله في أي جيل ، وفي أي قبيل ، ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فإنما يرفض ألوهية الله ، ويرد أمره ، وذلك كفر ، وخيانة للأمانة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال:٢٧]

٤ - الخزانة الرابعة

- **وصف الله عز وجل من لم يحكم بما أنزل الله بثلاث صفات :**

الكفر .. الظلم .. الفسق .

فقال سبحانه : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة:٤٤] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة:٤٥] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة:٤٧] .

فالظلم صفة أخرى لمن لم يحكم بما أنزل الله ، فهو كافر باعتباره رافض للألوهية الله سبحانه ، واختصاصه بالتشريع لعباده وحده ، وهو ظالم بحمل الناس على شريعة ، غير شريعة الله الصالحة المصلحة لأحوالهم ، وهو ظالم لنفسه بإيرادها موارد الهلكة ، وتعرضيها لعقاب الكفر ، وتعريض حياة الناس ، وهو معهم للفساد .

وصفة الفسق ، صفة ثالثة تضاف إلى صفة الكفر ، والظلم من قبل ، فمن رد الأمانة ، ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فهو فاسقٌ بخروجه عن منهج الله ، وإتباع غير طريقه .

فالكفر برفض ألوهية الله مثلًا في رفض شريعته ، والظلم بحمل الناس على غير شريعة الله ، والفسق بالخروج عن منهج الله ، وتجاوزه إلى غيره .

لقد ربى الله تبارك وتعالى هذه الأمة بمنهج القرآن ، وقوامة رسول الله ﷺ ، حتى وصلت إلى المستوى الذي تؤتمن فيه على دين الله في نفوسها ، وحياتها ، وقوامتها على البشرية ، لقد رباها الله عز وجل بشتى التوجيهات ، وشتى المؤثرات ، وشتى التشريعات ، وشتي الابتلاءات :﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨ ﴾[التوبة:٨٨] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وقد حقق الله ما يريده بهذه الأمة ، فقامت في واقع الحياة الأرضية ، في عهد ﷺ تلك الصورة المضيئة من دين الله ، حين كان دين أولئك سمعنا ، وأطعنا :﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾[البقرة:٢٨٥].

وبأداء هذه الأمانة ، وتحقيقها في واقع النفس ، وفي واقع الحياة ، صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، ونقلها الله عز وجل من شر القرون إلى خير القرون ، ومن شر البرية إلى خير البرية ، فنقلها من الشرك إلى التوحيد ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن الفرقة إلى الوحدة ، ومن الجهل إلى العلم ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، وكانت أبرها للأمة قلوبا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ

عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

وتملك البشرية ذلك اليوم حين تعود إلى ربها ، وتجاهد لبلوغ رضاه ، فيعينها الله ، والله غالب على أمره ، وبيده مقاليد الأمور .

- **والناس في أداء الأمانة قسمان :**

القسم الأول : قسم خلقه الله لجهنم ، وهؤلاء هم الذين خانوا الأمانة ، الذين ينكرون الحق ، ويكذبون به ، فلهم جنهم .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

القسم الثاني : قسم متمسكون بالحق ، ويدعون الناس إليه ، ويحكمون به ، ويدافعون عنه ، ولا ينحرفون عنه ، وهم الذين أدوا الأمانة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾ [الأعراف:١٨١] .

فهذه الأمة ثابتة على الحق ، العاملة به في كل حين ، هي الحارسة لأمانة الله في الأرض ، فهم يهدون بالحق ، ويدعون إلى الحق ، ويعملون بالحق ، فهم لا يقتصرون على معرفة الحق ، والعمل به ، إنما يتجاوزونه إلى الهداية به ، والدعوة إليه ، ويتجاوزون معرفة الحق ، والهداية به إلى تحقيق هذا الحق في حياة الناس ، والحكم بينهم تحقيقًا للعدل الذي لا يقوم إلا بالحكم بهذا الحق .

فما جاء هذا الحق ليكون مجرد علمٍ يعرف ، ويدرس ، ولا مجرد وعظٍ يهدى به ، ويعرف ، إنما جاء هذا الحق ؛ ليحكم أمر الناس كله بلا استثناء .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾[المائدة:٤٨] .

يحكم اعتقادهم ، ويحكم شعائرهم التعبدية ، ويحكم حياتهم الواقعية ، ويحكم أخلاقهم ، وسلوكهم ، ويحكم أفكارهم ، وعلومهم ، يصبغها بلونه ، ويضبطها بموازينه .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ ﴾[البقرة:١٣٨] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠ ﴾[الأعراف:١٧٠] .

وبهذا كله يوجد هذا الحق في حياة الناس ، ويقوم العدل الذي لا يقوم إلا بهذا الحق وحده : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾ [الأنعام:١٥٣] .

والأموال ، والأولاد فتنة ، قد تقعد الناس عن استجابة الله ، والرسول ؛ خوفًا ، وبخلا ، والحياة التي يدعو إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حياة كريمة ، لابد لها من تكاليف ، ولابد لها من تضحيات ، ولقلب هذا الحرص ، ينبه الله عبادة إلى فتنة الأموال ، والأولاد ، فهي موضع فتنة ، وابتلاء ، ويحذرهم من الضعف عن اجتياز هذا الامتحان ، ومن التخلف

عن دعوة الجهاد ، وعن النقوص عن تكاليف الأمانة ، والعهد ، والبيان ، واعتبار هذا كله خيانة لله ، والرسول ، وخيانة للأمانات التي تطلع بها الأمة المسلمة في الأرض ، والتي تميزها عن سائر البشر ، وهي إعلاء كلمة الله في الأرض ، وتقرير ألوهيته وحده للعباد ، والوصاية على البشرية بالحق ، والعدل ، وتنفيذ أوامر الله في عباده على مدار الزمان ، ومع هذا التحذير ، التذكير بما عند الله من أجر عظيم ، يرجح بالأموال ، والأولاد التي تقعد الناس عن التضحية ، والجهاد في سبيل الله ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾[النساء:٥٨] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾[الأنفال:٢٧-٢٨]

فعلى الأمة المسلمة ، التي آمنت بالله ، أن تجاهد لتقرير عقيدة الإيمان في القلوب ، وإقامة منهج الله في خلقه ، وبذلك تكون قد أدت الأمانة ، التي حملتها .

الإسلام ليس كلمة تقال باللسان فقط ، وليس مجرد عبادات ، وأدعية ، وأذكار فقط ، إنما هو مع ذلك منهج حياة كاملة ، شاملة ؛ لبناء واقع الحياة الإنسانية ، على قاعدة أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، وذلك برد الناس إلى العبودية لربهم الحق ، ورد المجتمع كله إلى حكمه ، وشرعه ، ورد الطغاة المعتدين على ألوهية الله ، وسلطانه ، من الطغيان ، والاعتداء ،

وتأمين الحق ، والعدل ، ومكارم الأخلاق للناس جميعًا ، وإقامة القسط بينهم بالميزان الثابت ، وتعمير الأرض ، والنهوض بتكاليف الخلافة فيها عن الله بمنهج الله ، وفق سنة رسول الله ﷺ.

قال الله تَعَالىَ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل:٩٠] .

وكل هذه أمانات عظيمة ، من لم ينهض بها فقد خانها ، وخان عهد الله الذي عاهد الله عليه ، ونقض بيعته التي بايع بها رسوله ، وأداء ذلك كله يحتاج إلى الصبر ، والتضحية ، وإلى الاستعلاء على فتنة الأموال ، والأولاد ، وإلى التطلع إلى ما عند الله من أجر عظيم ، لمن أدى الأمانة ، واعلموا : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ [التغابن:١٥] .

فقد وهب الله عباده الأموال ، والأولاد ليبلغهم بها ، ويفتنهم بها ، فهي من زينة الحياة الدنيا ، التي تكون موضع امتحان ، وابتلاء ، ليرى الله فيها صنع العبد ، وتصرفه ، أيشكر الله عليها ، ويؤدى حق النعمة فيها ؟ أم يشتغل بها حتى يغفل عن أداء حق الله فيها ، أمانة الله الذي أتمنه الله عليها ، فإذا انتبه القلب لموضع الامتحان ، والاختبار ، كان ذلك عونًا له على الحذر ، واليقظة ، لئلا يخفق في الامتحان ، ثم لا يدعه الله بلا عون منه ، ولا عوض .

فقد يضعف الإنسان بثقل الأمر ، خاصة في موطن الضعف في الأموال ، والأولاد ، فيلوح الله له بما هو خير له من ذلك ، وأبقي ؛ ليستعين به على

مقاومة الفتنة ، ويتقوى ، ويثبت: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[آل عمران:١٤-١٦] .

وبعض الناس يظن أن الاعتراف بألوهية الله في ذاته ، والإيمان ، وأن الناس متى اعترفوا بأن الله إلههم ، فقد بلغوا الغاية ، دون أن يربتوا على الألوهية مقتضاها ، وهو العبودية ، فيطيعونه ، ويخضعون له في كل شيء ، فلا يتقدمون بالشعائر التعبدية إلا له ، ولا يحكمون في أمرهم كله غيره :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وبعضهم يظن أن العبودية ، تتحقق بمجرد تقديم الشعائر لله ، ويحسبون أنهم متى قدموا الشعائر لله وحده ، من صلاة ، وذكر ، وتلاوة قرآن ، فقد عبدوا الله وحده ، بينما كلمة العبادة اشتقت من عبد ، وعبد تقيد ابتداء ، وهو عبد تفيد ابتداء دان ، وخضع ، وما الشعائر إلا مظهر واحد من مظاهر الدينونة ، والخضوع لله ، وهذا لا يستغرق كل حقيقة الدينونة ، ولا كل مظاهرها .

يا حسرة على العباد من سوء الفهم ! وسوء الظن ! وسوء الجهل ! .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[يس: ٣٠] .

إن الجاهلية ليست فترة من الزمان مرت فقط ، إنما هي انحصار معنى الألوهية ، والعبادة على هذا النحو ، هذا الانحصار الذي يؤدي بالناس إلى الشرك ، وهم يحسبون أنهم على دين الله ، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[البقرة: ٨٥] .

فهل يليق بالمسلمين أن يؤدوا الشعائر لله ، بينما أربابهم في الحياة غير الله يشرعون لهم ما لم يأذن به الله ، فيطيعونهم ، وتلك عبادتهم إياهم.

قال الله تَعَالىَ : ﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾[يس:٦٠:٦١].

والله عز وجل هو الذي خلق هذا الكون ، وله الأمر ، والحكم فيه ، وحده لا شريك له ، فهو الذي يحكم لعباده بسلطانه ، وشريعته ، وهو الذي يدينون له وحده ، ويخضعون لأمره ، ولنهيه وحده ، ويتبعون ما شرعه لهم في جميع أحوالهم ، ولا يجوز لهم أن يشركوا معه أحدًا سواه .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦] .

إن على المصلحين ، والدعاة إلى الله ، والعلماء ، أن يعملوا لإعادة هذا الدين في حياة الأمة إلى الوجود الفعلي في مختلف شعب الحياة ، بعد أن انقطع هذا الوجود منذ حلت شرائع البشر محل شريعة الله ، في أغلب بقاع الأرض ، وخلى وجه الأرض من الوجود الحقيقي للإسلام ، وإن بقيت المآذن ، والمساجد ، والأدعية ، والشعائر ، تخدر مشاعر الباقيين على الولاء العاطفي ، الغامر ، لهذا الدين ، وتوهمهم أنه لا يزالوا بخير ، وهو يمحى من الوجود محوًا ، وتطرد شرائعه ، وأحكامه من واقع الحياة طردًا ، وتهمد أركانه ، وواجباته ، وسننه كل حين:﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾[البقرة:٢١٧] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[البقرة: ١٠٩- ١١٠] .

إن مجتمع التوحيد ، والإيمان قد وجد في مكة قبل أن توجد الشعائر التعبدية من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج ، وغيرها .

وقبل أن توجد المساجد ، وجد من يوم قيل للناس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ - ٢٢]

ومن حين قيل للناس : ﴿ ۞ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ ﴾ [الأعراف:٦٥] .

فعبدوه ، ولم تكن عبادتهم حين إذا ممثلة في الشعائر ، فالشعائر لم تكن بعد قد فرضت إنما كانت عبادتهم له ممثلة في الدينونة لله وحده في كل شيء قبل نزول الشرائع .

وحين أصبح لهؤلاء الذين قرروا الدينونة لله وحده سلطانٌ ماديٌ ، فالأرض تنزلت الشرائع ، والشعائر ، وأدان الناس لربهم بهذا ، وهذا على حدا سواء .

إن الناس لا تتحول أبدًا من الجاهلية ، وعبادة الطواغيت إلى الإسلام ، وعبادة الله وحده إلا عن طريق ذلك الطريق الطويل البطيء الذي سارت فيه دعوة الإسلام في كل مرة من أول يوم فأفلحت .

ذلك الطريق الذي بدأ بفرد وهو الرسول ﷺ ثم تتبعه طليعة مؤمن ، ثم تتحرك هذه العصبة في وجه الجاهلية ، وتعانى ما تعانى حتى يحكم الله بينها ، وبين قومها بالحق ، ويمكن لها في الأرض ، فتقيم الشعائر ، والشرائع في جميع أحوالها ، ثم يدخل الناس في دين الله أفواجًا.

قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ [الحج:٤٠-٤١] .

وهذه الأمة التي اختارها الله لحمل أمانة الدين ، والدعوة إليها لها صفات ، وعليها واجبات ، ولها مكانة عند الله ، ومكانة عند الناس .

وقد جمع الله المنهاج الذي رسمه لهذه الأمة ، ولخص التكاليف التي ناطها به ، وقرر مكانها الذي قدره لها بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ [الحج:٧٧-٧٨] .

إن الله عز وجل يناديهم بالصفة الذي ميزهم بها عن غيرهم ، وهى الإيمان ، ثم يأمرهم بالركوع ، والسجود ، وهم ركنا الصلوات البارزات ، ثم يأمرهم ثالثًا بالأمر العام بالعبادة ، وهى أشمل من الصلاة ، فعبادة الله تشمل الفرائض كلها ، وتزيد عليها كذلك كل عمل ، وكل حركة ، وكل نية يتوجه بها العبد إلى ربه ثم يختم بفعل الخير عامة بالتعامل مع الناس بعد التعامل مع الله فالصلاة ، والعبادة .

٥- الخزانة الخامسة

يأمر الله عز وجل الأمة المسلمة بذلك رجاء أن تُفلح ، فهذه أسباب الفلاح العبادة تصله بالله خالقها ، وفعل الخير يؤدي إلى استقامة الحياة على قاعدة الإيمان بالله ، فإذا استعدت الأمة المسلمة بهذه العدة من الصلة بالله ، واستقامة الحياة نهضت بالتبعة الشاقة :﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾[الحج:٧٨] .

- **والجهاد في سبيل الله يشمل :**

جهاد النفس ، وجهاد العدو ، وجهاد الشر ، والفساد كلها سواء : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾[الحج:٧٨] .

فقد انتدبكم لهذه الأمانة الضخمة ، واختاركم لها من بين عباده ، وإنه لإكرام من الله لهذه الأمة ينبغي أن يقابل منها بالشكر ، وحسن الأداء لهذه الأمانة .

وهو تكليفٌ محفوف برحمة الله ، فلا حرج فيه ، ولا مشقة ، وهذا الدين كله بتكاليف ، وعباداته ، وشرائعه ملحوظٌ في فطرة الإنسان ، وطاقته ، فلا تبقى طاقة حبيسة مكتومة .

ولا تنطلق انتقال الحيوان الغشيم ، البهيم الذي يتلف كل شيء بلا حساب ، إنه منهج الله الذي أكرم به البشرية ملة أبيكم إبراهيم منبع التوحيد الذي بقى في ذريته لم ينقطع من الأرض كما انقطع من قبل إبراهيم ، وقد سماكم الله بالمسلمين من قبل ، وبعد نزول القرآن ، فالإسلام هو إسلام الوجه والقلب لله وحده لا شريك له فكانت الأمة المسلمة ذات منهج واحد على تتابع

الرسل والرسالات والأجيال حتى انتهى بها المطاف إلى امة محمد ﷺ وحتى سُلمت إليها الأمانة عهد الله عليها بالوصاية على البشرية إلى يوم القيامة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠] .

فهذه الأمة هي القوامة على البشرية بعد نبيها صلى الله عليه وسلم وهي الوصية على الناس في موازين شريعتها ، وهي أمينةٌ على ذلك ، ومسئولة عنه ، فعليها أداء الشهادة لهذا الدين من خلال واقعها ومنهج حياتها كما أراد الله ليدخل الناس في دين الله أفواجًا ، وهي مسئولة عنهم ، وشاهدة عليهم فما أعظم الكرامة ! وما أكبر المهمة ! وما أثقل الأمانة ! .

فالرسول ﷺ يشهد على هذه الأمة ، وهذه الأمة تشهد على الناس:﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[الحج:٧٨] .

وقد ظلت هذه الأمة وصية على البشرية طالما استمسكت بهذا المنهج الإلهي العظيم ، وطبقته في حياتها الواقعية ، ومشيت به في الناس: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وقال الله تَعَالىَ : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

حتى إذا انحرفت عنه ، و تخلت عن تكاليفه ردها الله من مكان القيادة والعزة إلى مكان التابع في ذيل القافلة حتى تحكم فيه أحفاد القردة ، والخنازير من اليهود والنصارى .

فما تزال ولن تزال حتى تعود إلى هذا الأمر الذي اصطفاها الله له ، وهذا الأمر العظيم يقتضى الاحتشاد له ، والاستعداد له ﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج:٧٨] .

بهذه العدة تملك الأمة المسلمة أن تنهض بتكاليف الوصاية على البشرية التي اجتابها الله لها ، وشرفها بها إن الإيمان أمانةٌ في الأرض ، ولابد من الابتلاء ؛ ليعلم الله الصادق من الكاذب ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان:٥١-٥٢] .

إن الإيمان أمانة الله في الأرض ، ولابد من الابتلاء ؛ ليعلم الله الصادق من الكاذب ، كما قال سبحانه : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٢-٣] .

ومن الفتن أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل ، وأهله ثم لا يجد النصير الذي يساعده ، ويدافع عنه ، ولا يملك النصر لنفسه ، ولا المنعة ، ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان ، وهذه هي الصورة البارزة للفتنة ، ولكنها ليست أعنف صور الفتنة ، فهناك فتن كثيرة في صور شتى ربما كانت هي أمر وأدهى .

هناك فتنة الأهل ، والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم أذى بسببه ، وهو لا يملك عنهم دفعًا .

وقد يهتفون به ؛ ليسالم ، أو يستسلم ، وينادونه باسم الحب ، والقرابة ، واتقاء الله في الرحم التي يعرضها للأذى ، أو الهلاك .

وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين ، ورؤية الناس لهم ناجحين ، ومرموقين تهتف لهم الدنيا ، وتصاغ لهم الأمجاد وهو مهملٌ منكر لا يحس به أحد ولا يحامى عنه أحد ، ولا تقضى له حاجة ، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئًا .

وهناك كذلك فتنة الغربة في البيئة حين يرى المؤمن كل من حوله غارقًا في طيار الضلالة سابحًا في بحر الشهوات ، وهو وحده موحشٌ ، غريبٌ ، طريد .

هناك كذلك فتنةٌ من نوع آخر فتنة أن يجد المؤمن أممًا ودولًا غارقة في الرذائل ، وهى مع ذلك راقية في مجتمعها يجد الفرد فيها من الرعاية ، والحماية ما يناسب قيمة الإنسان ، ويجدها غنية قوية ، وهى مشاقة لله ، ورسوله .

وهناك فتنةٌ أكبر من ذلك كله إنها فتنة النفس ، والشهوة ، وجاذبية الأرض ، والرغبة في المتاع ، والسلطان ، وفى الدعة ، والراحة ، وفى صعوبة الاستقامة على صراط الله مع المعوقات ، والمثبطات في أعماق النفس ، وفى ملابسات الحياة ، وفى منطق البيئة ، فإذا طال الأمد ، و أبطيء نصر الله

كانت الفتنة أشد وأقصى ، وكان الابتلاء أشد ، وأعنف ، ولم يثبت إلا من عصم الله .

وهؤلاء هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان ، ويؤتمنون على تلك الأمانة الكبرى أمانة السماء في الأرض ، وأمانة الله في قلب الإنسان ، وحاشا الله أن يعذب المؤمنين بالابتلاء ، وأن يؤذيهم بالفتنة ، ولكنه الإعداد الحقيقي ؛ لتحمل الأمانة فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية الشاقة ، وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات ، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام ، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله ، أو في ثوابه على الرغم من طول الفتنة ، وشدة الابتلاء ، واقتحام الأهوال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾[يوسف:١١٠] .

والنفس تطهرها الشدائد ، فتنفى عنها الخبث ، وتستجيشوا كامن قواها ، وتطرقها بعنف ، وشدة ، فيشتد عودها ، وكذا تفعل الشدائد بالمؤمنين ، فلا يبقى صامدًا إلا أصلبهم عودًا ، وأشدهم اتصالًا بالله وثقة فيما عند الله :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢].

وهؤلاء هم الذين يسلمون الراية في النهاية ، مؤتمنين عليها بعد الاستعداد ، والاختبار ، وإن هؤلاء الأخيار من المسلمين يتسلمون الأمانة وهى عزيزة على نفوسهم بما أدوا لها من غالٍ ثمين ، وبما أدوا لها من عال الثمن ، وبما بذلوا لها من الصبر على المحن ، وبما ذاقوا في سبيلها من الآلام ،

والتضحيات: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[العصر:١-٣].

فهؤلاء هم الذين يشعرون بقيمة الأمانة ، فلا يهون عليهم أن يسلموها رخيصة بعد كل هذه التضحيات ، والآلام .

فأما انتصار الإيمان ، والحق ، في النهاية فأمر تكلف الله به وما يشك مؤمنٌ في وعد الله ، فإن أبطيء فلحكمة مقدرة فيها الخير للإيمان ، وأهله ، وليس أحد بأغير على الحق ، وأهله من الله .

وحسب المؤمنين الذين تصيبهم فتنة ، ويقع عليهم البلاء أن يكون هم المختارين من الله ؛ ليكونوا أمناء الله على حق الله ، ودينه ، وأن يشهد الله لهم بأن في دينهم صلابة هو اختارهم للابتلاء حسب إيمانهم فأشد الناس بلاء الأنبياء ، والأمثل ، والأمثل.

كما سئل ﷺ: « أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ : الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » رواه الترمذي وابن ماجه بسندٍ حسن[1] .

والذين يفتنون المؤمنين ، ويعملون السيئات ، فما هم بمفلتين من عذاب الله ، ولا ناجين مهما انتفخ باطنهم ، وانتفش: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤﴾[العنكبوت:٤] .

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٩٨)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (٤٠٣٢).

فلا يحسبن مفسد أنه مفلت ، ولا سابق ، ومن يحسب هذا ، فقد ساء حكمه ، وفسد تقديره : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء:١٢٣] .

فإن الله عز وجل الذي جعل الابتلاء سنة ؛ ليمتحن إيمانهم ، ويميز بين الصادقين ، والكاذبين ، وهو الذي جعل أخذ المسيئين سنة لا تتبدل ، ولا تتخلف ، ولا تحيد ، وإذا كانت الفتنة سنةٌ جارية ، لامتحان القلوب ، وتمحيص الصفوف ، فخيبة المسيئين ، وأخذ المفسدين سنة جارية ، لابد أن تجيء ، وهذه النفوس التي تحتمل تكاليف الإيمان ، ومشاق الجهاد ، إنما تجاهد لنفسها ، ولخيرها ، ولاستكمال فضائلها ، وإصلاح أمرها ، وحياتها ، وإلا فما بالله حاجة لأحد ، وأنه الغني عن كل أحد :﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦] .

فلا يقفن أحد في وسط الطريق يطلب من الله ثمن الجهاد ، ويمن عليه ، وعلى دعوته ، ويستبطئ المكافأة على ما ناله ، فإن الله لا ينال من جهاد العبد شيء ، وليس في حاجة إلى جهد بشرٍ ، ضعيفٍ ، هذيل ، وإنما هو فضل من الله ، أن يعينه في جهاده ، وأن يستخلفه في الأرض به ، وأن يأجره في الآخرة بثواب: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [العنكبوت:٧] .

فليطمئن المؤمن على ما له عند الله ، وليصبر على تكاليف الجهاد ، وليثبت على ما وراء الفتنة ، والابتلاء: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الشورى:٣٦] .

ومن أدى الأمانة فاز بالجنة ، والرضوان ، ومن ضيع الأمانة باء بالنار ، والخسران :﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[السجدة:١٨-٢٠] .

هذا مبدأ الجزاء العادل ، الذي يفرق بين المحسنين ، والمسيئين في الدنيا ، والآخرة ، والذي يعلق الجزاء بالعمل على أساس العدل ، والإحسان ، فما يستوي المؤمنون ، والفاسقون في طبيعة ، ولا شعور ، ولا سلوك حتى يستووا في الجزاء في الدنيا والآخرة سواء ، المؤمنون متجهون إلى الله ، مؤمنون به ، عاملون بمنهجه .

والفاسقون منحرفون ، شاردون ، مفسدون في الأرض ، لا يرتقون مع المؤمنين على منهج الله في الحياة ، فلا عجب أن يختلف طريق المؤمنين ، وطريق الفاسقين في الآخرة ، وأن يلقى كل منهم الجزاء الذي يناسب رصيده ، وما قدمت يداه :﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[آل عمران:١٦٢-١٦٣]

موسوعة خزائن العلوم الاسلامية

٢٥- خزائن خلق الجن

وتشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٢٥- خزائن خلق الجن

١- الخزانة الأولى

الله ﷻ هو الخلاق العليم ، الذي خلق كل شيءٍ فقدره تقديرا : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾[الزمر:٦٢-٦٣] .

وأعظم المخلوقات التي خلقها الله ﷻ العرش العظيم ، الذي استوى عليه برحمته كما قال سبحانه : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ ﴾[طه:٥] .

- **والمخلوقات الكبرى التي خلقها الله عز وجل بعد ذلك هي :**

عالم الجماد وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الإنسان وعالم الجان وعالم الملائكة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

ومن هذه المخلوقات ما هو مكلفٌ ، ومنها ما هو مسخر .

فالمكلفون هم الملائكة والإنس والجن ، الملائكة مخلوقاتٌ مكلفةٌ مسخرة ، فهم يسبحون بحمد ربهم ، وهم المدبرات أمرًا في العالم العلوي والعالم السفلي وعالم الدنيا وعالم الآخرة ، والإنس والجن مكلفون بعبادة الله ، لكن تكليفهم اختياري لا تسخيري : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا

لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

الله تبارك وتعالى خلق الملائكة من نور ، وخلق الجن من نار ، وخلق البشر من تراب كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحجر:٢٦-٢٧] .

والجان مخلوقون قبل آدم ، قال النبي ﷺ: « خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » . أخرجه مسلم[1] .

والجان هو أبو الجن ، وفيهم المؤمن والكافر ، وإبليس هو أبو الشياطين ، وله ذريةٌ لا يموتون إلا معه ، وهو من الجن ولكنه تمحض للشر : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾ [الكهف:٥٠-٥١] .

وآدم ﷺ هو أبو الإنس ، وفيهم المؤمن والكافر ، والملائكة خلقهم الله من نور ، وهم مجبولون على الطاعات : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٠] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٩٦).

فالملائكة تمحضوا للخير، والشياطين تمحضوا للشر، والجن والإنس قابلون للإيمان والكفر، مستعدون للهدى والضلال، قائمون بالطاعة أو المعصية، ولا سبيل إلى معرفة الملائكة والجن إلا عن طريق الوحي الإلهي.

وإبليس هو الشيطان ، وهو من الجن ، وله ذرية كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف:٥٠] .

والجن من خلق الله ولهذا الجنس من الخلق خصائص منها :

خلقهم من نار : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الحجر: ٢٧] .

ومنها أنهم يرون الناس ولا يراهم الناس ، كما قال الله عن الشيطان : ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف:٢٧] .

وللجن تجمعاتٌ معينة تشبه تجمعات البشر في قبائل وأجناس ، ولهم قدرة على الحياة في هذه الأرض مع البشر كما قال الله عن آدم وإبليس : ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأعراف:٢٤].

ولهم قدرة كذلك على الحياة خارج الأرض ، والصعود إلى السماء كما قال سبحانه عن الجن : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا

﴿ ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡـَٰٔنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ۝٩ ﴾ [الجن:٨-٩] .

والجن يستطيعون أن يسمعوا أصوات الإنسان ، ويفهمون لغته ، ويتأثرون به ، كما قال الله عنهم : ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ ﴾ [الأحقاف:٢٩] .

وإبليس وذريته يملكون التأثير على البشر وإغوائهم إلا عباد الله المخلصين ، فلا سلطان لهم عليهم، كما قال سبحانه عن إبليس : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٨٣ ﴾ [ص:٨٢-٨٣] .

والجن كالإنس ، يعرفون الحق من الباطل ، والرشد من الغي ، والخير من الشر ، قد شاء الله عز وجل أن تعرف الجن نبأ الرسالة الأخيرة وأن يؤمن فريقٌ منهم لما سمعوا القرآن ، ثم دعوا قومهم إليه : ﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣١ ﴾ [الأحقاف:٣٠-٣١] .

وحين سمعوا الهدى من ربهم أسلموا فورًا كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ۝١٣ ﴾ [الجن: ١٣] .

وهؤلاء الجن الذين سمعوا القرآن من النبي ﷺ شعروا أن عليهم واجبًا في الإنذار لابد أن يؤدوه ، واعتبروا نزول هذا الكتاب العظيم إلى الأرض دعوةً من الله لكل من بلغته من إنسٍ وجن ، فنادوا قومهم بقولهم : ﴿ يَٰقَوۡمَنَآ

أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣١].

والله تبارك وتعالى خلق الجن والإنس ليعبدوه، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

للجن طبيعةٌ مزدوجة كطبيعة بني آدم في الاستعداد للهدى والضلال ، وقبول الخير أو الشر ، ومعرفة الحق من الباطل ، كما قال سبحانه عنهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ﴿١١﴾ ﴾ [الجن:١١] .

وقد أنزل الله في القرآن سورةً كاملة باسم الجن ، فقال سبحانه عنهم : ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡـَٰٔنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن:١-١٥] .

وهذا الإقرار من الجن يفيد ازدواج طبيعة الجن واستعدادهم للخير والشر كبني آدم، إلا من تمحض للشر منهم وهو إبليس وقبيله، ليس كل الجن يمثلون الشر، بل فيهم المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، ولكن تمحض من الجن للشر إبليس وذريته، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤] .

والمؤمنون من الجن يعرفون عظمة الله وقدرته، ويدركون أنهم لا يستطيعون الهرب من سلطانه ولا الإفلات من قبضته ، كما حكى الله عنهم أنهم قالوا : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ ﴾[الجن: ١٢] .

وهم يتأثرون بسماع الهدى كالإنس فيؤمنون ، وهم مطمئنون إلى عدل الله وقدرته ، مؤمنون أن الله لا يبخس المؤمن حقه ولا يرهقه فوق طاقته ، والجن كالإنس في الهدى والضلال ، والجزاء على الهدى والضلال، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾[الجن:١٤-١٥] .

فالجن كالإنس يعذبون بالنار ويتنعمون بالجنة حسب إيمانهم وأعمالهم ، وكلٌ ميسرٌ لما خُلق له والله عز وجل أمر الإنس والجن بعبادته ، وأعطاهم القدرة على امتثال الأوامر والعمل بالشر ، وأعطى كل جنسٍ من الطاقات والقدرات ما يناسب حاله ، فإذا استطاع إنسانٌ أن يسخر جنيًا فقد حصل على فرصةٍ أكبر من أفراد جنسه ، فهو يستطيع أن يفعل ما لا يستطيع أن يفعله غيره من البشر ، فإذا استبد بهذا الإنسان هواه وأنانيته ، واستخدم هذه الميزة في الشر بدلًا من الخير سلط الله عليه ما يجعله مرهقًا متعبًا في حياته ،

ولذلك نجد أمثال هؤلاء الناس يعيشون حياةً تعيسةً شقية ، وينتهي أمرهم بالانتحار أو الجنون أو النكد ، فالذي يأخذ فرصةً أعلى من غيره قد تشقيه ولا تسعده ، والذي يعطيه الله فرصةً أقوى إذا لم يستخدمها في الخير سلط الله عليه الشقاء .

فالذي يستعين بقوىً غير قوى البشر كالجن مثلًا نجد شكله منفرًا ، ورغم أنه قد يستخف بعقول بعض البشر ، ويحصل منهم على الأموال ، إلا أننا نجده دائما مفلسًا معسرًا قلقًا ، ويموت غالبًا على سوء حال ، فالفرصة غير متكافئة لا تجلب له إلا الشقاء، كما قال سبحانه : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن:٦] .

والله سبحانه حينما سخر الجن لسليمان ﷺ سخرهم لنفع الناس وعمارة الأرض ، ولم يسخرهم في الإيذاء كما قال سبحانه عن سليمان ﷺ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٢- ١٣] .

وما أكثر الغاوين الذين أغواهم الشيطان وأضلهم من الجن والإنس ، أعطاهم الله القلوب والأسماع والأبصار ، ولكنهم لم يستعملوا هذه النعم فيما خلقت له من معرفة الله والإيمان به وطاعته ، فهؤلاء جديرون بأن يكونوا من أهل النار :﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ:٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

- **من أنكر الجن فهو كافر لأنه مكذبٌ للقرآن والسنة .**

وفي القرآن : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات:٥٦] .

وفي القرآن : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الحجر: ٢٧] .

وأما من جحد دخول الجن في الإنس فهو ضال ، وليس بكافر ، لأنه قال قولًا ينكره الواقع ، وينكره الثابت في السنة ، فليعلم ذلك . وقد قال النبي ﷺ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ قَالُوا : وَإِيَّاكَ ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : وَإِيَّايَ ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » . أخرجه مسلم(١) .

فالجن كالإنس مكلفون ، ومنهم المسلم والكافر ، وأهل سنة وأهل بدعة ، كافرهم يدخل النار كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ ﴾[الأعراف:٣٨] .

ومؤمنهم يدخل الجنة كما قال سبحانه عن الإنس والجن : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الرحمن:٤٦] .

والجن تهاب الإنس كما تهابهم الإنس ، ولكن خوفهم من الإنس أشد ، فمن حمل عليهم هربوا منه ، ومن خاف منهم ركبوه وآذوه ، والعين عينان : عينٌ إنسية ، وعينٌ جنية .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨١٤).

عن أم سلمة رضي الله عنها : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ ، فَقَالَ : « اسْتَرْقُوا لَهَا ، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ » . أخرجه البخاري[1] .

والجنون الذي يصيب بعض الناس مرضٌ من الأمراض أو عابرٌ من الجن ، والمجانين كالعقلاء ، فيهم من فيه صلاحٌ وفيهم من لا صلاح له ، وعقلاء الجن قومٌ لهم تألُّه وإنابة إلى الله ، ومحبةٌ له ، وإعراضٌ عن الدنيا ، أعطاهم الله عقولًا وأحوالًا ، فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم ، فأسقط ما فرض بما سلب ، وسبب الجنون إما واردٌ ورد عليه من المحبة أو الخوف أو الحزن أو الفرح حتى انحرف مزاجه ، أو خلطٌ غلب عليه من السوداء ، أو قرينٌ قُرِن به من الجن .

- **وأسباب مس الجن للإنس ثلاثة :**

أولًا : فصرع الجن للإنس له حالات ، فقد يكون هذا الصرع عن هوًى وشهوة وعشق كما يحصل بين الإنس .

ثانيًا : وقد يكون عن بغضٍ ومجازاة وهذا هو الأكثر ، مثل أن يؤذيهم الإنسان ، فيظنون أن هذا الإنسي يتعمد أذاهم ، إما ببولٍ على بعضهم ، وإما بصب ماءٍ حارٍ عليهم ، أو بالوقوع عليهم من مكانٍ عالٍ ، وإما بقتل بعضهم خطأً ، وفي الجن جهلٌ عظيم وظلم ، فيعاقبونه بأكثر مما يستحق .

ثالثًا : وقد يكون الصرع عن عبثٍ من الجن وشرٌ كما يحصل من سفهاء الإنس على بعض الناس .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٧٣٩).

فما كان من الأول فهو من الفواحش التي حرمها الله ، فيخاطب الجن بذلك ، ويُعرّف أن هذا فاحشةٌ وعدوانٌ محرم ، لتقوم الحجة عليه بذلك ، ويعلمه أنه يحكم فيه بحكم الله ورسوله الذي أرسله إلى جميع الثقلين ، الجن والإنس .

وإن كان من القسم الثاني ، فإن كان الإنسي لم يعلم بالجنى فيقال له بأن هذا لم يعلم ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة ، وإن كان فعل ذلك في داره وملكه فله أن يتصرف فيها بما يجوز ، وأنت أيها الجني لا يحل لك أن تمكث في ملك الإنس بغير إذنهم .

والجن ريحٌ يدخلون في الإنسان عن طريق المسام في جسم الإنسان ، وظلم الجن للإنس أن يمسه دون سبب ، ويدخل فيه عبثًا ، ولا يتسنى له ذلك إلا في إحدى حالاتٍ أربعة :

١- عند الغضب الشديد .

٢- وعند الخوف الشديد .

٣- وعند الغفلة الشديدة .

٤- وعند الانكباب على الشهوات .

٥- وعند المفاجآت ونحو ذلك ، كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ الشَّيْطَانَ يجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مجْرَى الدَّمِ » . متفقٌ عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٨١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١٧٤).

• **والصرْع هو المس ، وهو صرع الجن للإنس وهو قسمان :**

الأول : صرعٌ سببه تشنج الأعصاب .

وهذا مرضٌ عضوي يمكن أن يعاج كغيره من قِبل الأطباء بدواءٍ يسكنه أو يزيله .

الثاني : صرعٌ سببه تسلط الجن على الإنس ليصرعه ، ثم يغمى عليه من شدة الصرع ولا يحس ، ثم يتكلم الجني على لسانه .

وقد ثبت هذا النوع بالقرآن والسنة والواقع ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ [البقرة:٢٧٥] .

وهذا النوع يعالج بالقراءة من أهل الإيمان والتقوى والعلم إذا وقع ، ويدفعه عن نفسه بالأوراد الشرعية صباحًا ومساءً كما مر معنا سابقًا .

الله ﷻ خلق الجن والإنس وجعلهم مختارين ، إن شاءوا آمنوا وإن شاءوا كفروا ، وإن شاءوا أطاعوا وإن شاءوا عصوا ، وأرسل إليهم الرسل ، وشياطين الجن والإنس مشتركون في الضلال والإضلال لبني آدم ، وجعلهم الله عز وجل أعداءً للأنبياء ، لأن الأنبياء يدعون إلى الحق ، وشياطين الجن والإنس يدعون إلى الباطل ، كما قال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[الأنعام: ١١٢-١١٣] .

والله سبحانه يؤيد أولياءه بالحق وينصرهم على من عاداهم ومن ناوأهم .

وقد أرسل الله ﷻ برحمته الأنبياء والرسل إلى الجن والإنس معًا، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١ ﴾[الأنعام:١٣٠-١٣١] .

والله ﷻ هو الهادي إلى كل خير ، ولو شاء لهدى الإنس والجن جميعًا : ﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩ ﴾[الأنعام:١٤٩] .

ولكنه لحكمته جعلهم مختارين وأرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب امتحانًا وابتلاءً .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣ ﴾[السجدة:١٣] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩ ﴾[هود:١١٨-١١٩] .

وكل ما في الكون في قبضة الله ، فلن يفلح أحد ولن يهرب أحد بلا محاسبة وثوابٍ أو عقاب .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣ ﴾[الرحمن:٣٣] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ ﴾[الصافات:٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] .

الله سبحانه في قبضته كل شيء : ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود:٥٦] .

وإبليس من الجن ، لا من الملائكة ، كان لقوة عبادته رفعه الله مع الملائكة في السماء ، فنُسِب إليهم .

- **ويدل على كون إبليس من الجن لا من الملائكة أمران :**

أحدهما : شهادة الله للملائكة بالعصمة، كما قال سبحانه : ﴿ **لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾** ﴾ [التحريم:٦] .

وإبليس عصى الله ما أمره ، فدل على أنه ليس من العباد المكرمين ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤] .

الثاني : أن الله صرح بأن إبليس كان من الجن ، وكونه من الجن هو الذي جعله يعصي ربه ، ولو كان من الملائكة لفعل كما فعل الملائكة في حُسن الطاعة : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف:٥٠] .

وشر الشيطان على الإنسان أعظم من شر النفس الأمارة بالسوء ، لأن شر النفس وفسادها إنما ينشأ من وسوسة الشيطان ، كما وسوس لآدم وزوجه فأكلا من الشجرة ، فالنفس مركب الشيطان ، وموضع شرعه ، ومحل طاعته ، ولهذا أمر الله سبحانه بالاستعاذة منه كثيرًا لعظيم شره :﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت: ٣٦] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

وقد حذر الله آدم ﷺ وزوجه من عداوة الشيطان من أول يوم ، فقال سبحانه : ﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه:١١٧] .

والنفس أمارةٌ بالسوء بسبب اقتران الشيطان بها ، وجاءت الاستعاذة من شرها في خطبة الحاجة كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » . إلى آخر الخطبة[1] .

وقال تعالى:﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] .

(١) صحيح/ أخرجه الطبراني برقم: (١٠٤٩٩).

٢- الخزانة الثانية

- **وسوسة الشيطان للإنسان :**

الشيطان عدوٌ مبينٌ للإنسان.

قال الله تَعَالىَ : ﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ ﴾[يس:٦٠:٦١].

فالشيطان يوسوس في صدور الناس ، والقلب في الصدر ، فهو يوسوس في الصدور لا في القلوب ، لأنه ضعيف لا يستجيب له إلا من أصغى إليه فهو ضعيف في ذاته سريع الاندحار ، كلما قاومه الإنسان ولم يبالِ به واستعاذ بالله من شره ، فكلما دافعه المؤمن خنس ورجع، كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦ ﴾[الناس: ١ – ٦]

فالشيطان كلما ذكر العبد ربه خنس وهرب ، لأنه ضعيف لا يقاوِم ، لكنه مؤثرٌ في القلب الذي يصغي إليه ، ملازمٌ لكل إنسان ، فالمؤمن لا يلتفت إلى وسوسة الشيطان ، بل يذكر ربه فيفر منه الشيطان ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾[الأعراف:٢٠١] .

والشيطان مثل الكلب إن التفت إليه لحقك وتحرش بك ، وإن أهملته وتركته نبح مرة أو أكثر ، ثم تركك: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

ومدافعة وسوسة الشيطان محض الإيمان ، لأن الله رد كيده إلى الوسوسة : ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[إبراهيم:٢٢] .

فلا يضر الشيطان إلا من أصغى إليه ، وعن أبي هريرة أنهم قالوا : « إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ، قَالَ : « وَقَدْ وَجَدْتمُوهُ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : « ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ » . أخرجه مسلم[1] .

- **ومداخل الشيطان على ابن آدم ثلاثة :**

فهو يدخل على ابن آدم ليضله من أحد ثلاثة أبواب :

الباب الأول : باب حب التملك وطول الأمل ، كما قال لآدم ﷺ : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[طه:١٢٠] .

فغرّ إبليس آدم ليعصي ربه بقوله : كل من هذه الشجرة لتكون مَلَكًا خالدًا في الحياة .

فإذا يئس من الإنسان من باب حب التملك ، من باب حب الملك والدنيا ، جاءه من باب العبادة والطاعة : ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا

(١) أخرجه مسلم رقم: ١٣٢.

وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف:١٩-٢٠] .

الباب الثاني : باب العبادة والطاعة وطول الأمل .

فقال لآدم ﷺ وزوجه : كلا من هذه الشجرة لتكون عبادتكما كاملة ، وطاعتكما كاملة كالملائكة المخلدون ، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون : ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:٣٥-٣٧] .

الباب الثالث : أنه أقسم لآدم أنه ناصحٌ له .

وهذه أخطر الثلاث ، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف:٢١-٢٥].

فأقسم الشيطان بالله أن هذا الأمر فيه نجاتك وحياتك وسعادتك ، وذلك بالأكل من الشجرة ، وقد غر إبليس آدم وزوجه فأكلا من الشجرة .

قال الله تَعَالىَ : ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ﴾[الأعراف:٢٢].

ثم تاب الله على آدم وزوجه وأهبطه للأرض بعد أن حذره من إبليس .

قال الله تَعَالىَ : ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤﴾[الأعراف:٢٤].

فقه عداوة الشيطان :

لما أمر الله ﷻ الملائكة بالسجود لآدم ، سجدوا كلهم أجمعون ، ولكن إبليس لم يسجد لآدم متعللًا بأنه أشرف من آدم ، ولم يلتفت إلى الآمر له سبحانه بالسجود وهو الله عز وجل فلعنه الله وطرده، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾[الحجر:٣٣-٣٥] .

فتأصلت العداوة بين الشيطان وبين آدم ﷺ ففكر في الانتقام والتشفي منه ومن ذريته ، فنطق على عجل قائلًا : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[الحجر:٣٦-٤٤] .

فطلب إبليس من الله عز وجل النظرة إلى يوم القيامة ، لا ليندم على خطيئته ومعصية ربه أمام الخالق العظيم ، ولا ليتوب إلى الله ويرجع عن إثمه العظيم ، ولكن لينتقم من آدم وذريته جزاء ما لعنه الله وطرده ، فربط لعنة الله له بآدم ، ولم يربطها بعصيانه لله .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[الأعراف:١١-١٨] .

والله ﷻ هو الخلاق العليم ، الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي ، وجميع مخلوقاته شاهدةٌ بوحدانيته ، ودالةٌ على عظمته ، ومسبحةٌ بحمده ، وخاضعةٌ لأمره ، ومستجيبةٌ لمشيئته : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[النحل:٤٩] .

والمخلوقات التي خلقها الله عز وجل على قسمين :

١- مخلوقاتٌ غير مكلفة ، وهم عالم الجماد والنبات والحيوان .

٢- ومخلوقاتٌ مكلفة وهم ثلاثة أصناف : الملائكة والجن والإنس .

فالملائكة خلقهم الله من نور ، وكلهم مؤمنون ، ولكنهم مسخرون : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٢٠] .

والجن خلقهم الله من نار ، ومنهم المؤمن والكافر ، وأعظم كفارهم إبليس وذريته ، وأبوهم الجان .

والإنس خلقهم الله من تراب ، ومنهم المؤمن والكافر ، وأعظم كفارهم فرعون، وأبوهم جميعًا آدم ﷺ، ولا شك أن المكلف أفضل من غير المكلف، والملائكة أفضل من الجن، والبشر المؤمنون أفضل من الملائكة، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:٣٣-٣٤] .

وجهد الشيطان على الناس متصل ، ليلًا ونهارًا في جميع الجهات ، وجهدنا على غيرنا منفصل ، فنجتهد أحيانًا ونترك كثيرًا ، فجهد الشيطان في إضلال الناس متصلٌ في كل وقت ، عامٌ لكل الخلق ، محيطٌ بكل الجهات ، فهو عدوٌ راصدٌ لكل إنسان من كل جهة ليوقعه في الفخ في معصية ربه : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[ص:٨٢-٨٣] .

وقال تعالى:﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[الأعراف:١٦ -١٨] .

- **فنصب الشيطان لكل إنسان أربعة أفخاخ :**

من الأمام .. والخلف .. واليمين .. والشمال .

وكل فخ لا يشعر به الإنسان ولا يراه فخًا ، والصياد الماهر لا يمكن الصيد من رؤيته ، وكذلك الشيطان ، الذي حذرنا الله عز وجل منه بقوله : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأعراف:٢٧-٣٠] .

فالشيطان يأتي الإنسان من حيث لا يشعر ، ويزين له ما يضره ، بل يجعله أحيانًا يدافع عنه ، وتمجد أحيانًا اختياره لك من حيث لا تشعر ، فيأتيك من الأمام وينسيك الله والدار الآخرة ، ويأتيك من الخلف فيذكرك بزخارف الدنيا وشهواتها ، فمن دخل في الصلاة فقلبه متعلقٌ بالله والدار الآخرة .

فيأتي الشيطان إليه ويزين له أن يؤخر الله والدار الآخرة ويقدم الدنيا والشهوات ، فالمؤمن حقًا من أمامه الله والدار الآخرة ، وخلفه الدنيا والشهوات ، وعلى يمينه تكون محبوبات الرب من الإيمان والأعمال الصالحات ، وعلى شماله محبوبات النفس من الأموال والشهوات يأخذ منها بقدر الحاجة ، ويعطي للدين بقدر الطاقة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

عداوة إبليس للإنسان :

إبليس مخلوقٌ مطرودٌ من رحمة الله ، لأنه كفر واستكبر على أوامر الله ، وأخذ على عاتقه إغواء بني آدم ليعصوا ربهم مثله ، ومن رحمة الله عز وجل أن بين لنا أنه عدوٌ مطرودٌ من رحمة الله لئلا يظن العبد به خيرًا ، ولكن لا سلطان له على أحدٍ من الخلق إلا من علم الله أنه يطيعه ، كما قال سبحانه :

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾[فاطر:٦].

وقد ترك الله عز وجل أمر الهداية للاختبار من الناس ، ومن أراد الله هدايته فلا يضله هو ولا غيره : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ ﴾[ص:٨٢-٨٣] .

وطرق الشيطان التي يسلكها لإغواء بني آدم أربعة كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾[الأعراف:١٦ -١٧] .

فالشيطان يقعد للبشر على الطريق المستقيم ، ولا يقعد على الطريق المعوج ، لأن سالكه شيطان ، فهو يلاحق أهل الطاعات الذين يسيرون على الصراط المستقيم ، لا أهل المعاصي الذين يسيرون على الصراط المعوج ، فهو يضل الإنسان من اليمين والشمال ، ومن الأمام والخلف ، أما الفوق والتحت ، فلا يقدر الشيطان عليهما ، لأن الشيطان يعلم أن من تمثل الفوقية الإلهية والتحتية العبودية لا يقدر عليه أبدًا ، لأنه يعيش في مستوً إلهي فوقي ، وحظيظ عبوديةٍ تحتي .

ولهذا جاءت جميع رافدات الإلحاد من الجهات الأربع ، فهذا تقدمي وهذا رجعي ، وهذا يميني وهذا يساري ، أما المؤمنون فهم أمةٌ محمديةٌ فوقية ، خاضعون لله لا لغيره : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢- ٤].

والفرق بين معصية آدم وإبليس أن آدم ﷺ عصى ربه ، وإبليس عصى ربه .

- **والفرق بينهما :**

أولًا : أن معصية إبليس عن كبرٍ برد الأمر على الآمر سبحانه : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤] .

ثانيًا : أن معصية آدم عن شهوة ، فقد أكل من الشجرة عن شهوة ولم يرد الأمر على من أمره ، فهو يقول الأمر صحيح ، والتكليف حق ، ولكني ضعيف لم أستطع أن أمنع نفسي من المعصية والأكل من الشجرة .

فآدم بسبب الاعتراف والاستغفار تاب الله عليه ومن فعل مثله من ذريته : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[البقرة:٣٧].

وذلك حين أقر لربه بالذنب واستغفره منه : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف: ٢٣]

أما إبليس فمصممٌ على الكفر والكبر والإغواء ، فلهذا طرده الله وأبعده من رحمته : ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾[الحجر:٣٤-٣٥] .

وخطوات الشيطان في الإغواء :

إن الشيطان أقسم بعزة الله على أن يغوي بني آدم بكل وسيلة ومن كل جهة وفي كل وقت ووفي كل مكان ، يبدأ أولًا بتزيين الكفر للإنسان ، فإن لم

يستطع انتقل منه إلى ما دونه من الكبائر ، وإذا امتنع عليه خلقٌ في معصية نقله إلى معصيةٍ أخرى ، مسموعةً أو مرئيةً أو غيرها ، يضله من الباب الذي يريحه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

وهذا هو الفرق بين معصيةٍ يوحي بها الشيطان ، ومعصيةٍ تصر عليها النفس .

- **فالمعاصي نوعان :**

١- معصية يوحي بها الشيطان .

٢- ومعصيةٌ تصر عليها النفس .

فمن حدثته نفسه بمعصية ، ولم تتراجع عنها ، بل أصرت عليها ، هذه معصيةٌ من النفس ، كمن يصر على شرب الخمر أو الدخان أو الزنا أو غيرها ، لأن النفس تريد المعصية من هذا اللون فقط الذي يحقق لها الشهوة العاجلة .

أما الشيطان فهو يريد الإنسان عاصيًا لربه بأي شكل ، فإن عز عليه في باب من أبواب المعصية ، طرق عليه بابًا آخر حتى يصيده به ويجره إليه ليُسخط ربه .

- **والسلطان نوعان :**

الأول : سلطان القهر والغلبة ، وهو القهر على فعلٍ لا يريده من يفعل .

الثاني : سلطان الحُجّة ، وهو الإقناع ، لتُقبِل النفس على الفعل وهي راضية ، سواءٌ كان حسنًا أو سيئًا .

فالأول تفعله وأنت مقهورٌ كاره ، والثاني تفعله وأنت مقتنعٌ راضٍ ، والشيطان يزيين للناس بسلطان التزيين ، لأن سلطانه على الذين يتولونه ويطيعونه كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[النحل: ١٠٠] .

فذو السلطان إما أن يقهر غيره بالقوة ، وإما أن يقنعه بالحجة ، فالأول سلطان الجبارين ، والثاني سلطان النبيين ، والشيطان يوم القيامة يتبرأ من أتباعه من سلطان القوة وسلطان الحجة بقوله : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[إبراهيم:٢٢] .

٣- الخزانة الثالثة

- **مجامع تلبيس إبليس :**

لمّا طلب إبليس من الله إمهاله إلى يوم القيامة أمهله ، فالشيطان يريد إغواء بني آدم وإضلالهم، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الأعراف:١٦ -١٧] .

وقامَ الشيطان بإفسادِ أكثر بني آدم : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[سبأ:٢٠] .

واستعملَ الشيطانُ جميعَ الأسلحةَ في إفساد بني آدم ، وتوعده الله على هذا الإفساد بجهنم : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٦١-٦٥] .

فلا إله إلا الله كم أضلّ الشيطان من الخلق ، وكم جرّهم إلى معصيةِ الذّي خلقهم ، ورزَقَهُم وَهداهُم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ

كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٨] .

فالشيطانُ يقولُ للإنسان لا جنّة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب ، ويقول للإنسان شهواتُ الدنيا حاضرةٌ مُتيَقّنَة فاستمتع بها ، وشهواتُ الآخرةِ غائبةٌ غيرُ مُتيقّنة ، ويقول هذه العبادات لا فائدة فيها للعابدِ والمعبود فهي عبثٌ محض والعياذُ بالله ، ثم يقول إنها تُوجِبُ التعب والمحنةَ وذلك من أعظم المضار ، ويعدهم بالأماني الباطلة وإيثار العاجل على الآجل وتسويف التوبة وشفاعة الأصنام لعابديها ، فهذه مجامعُ غرور، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الإسراء: ٦٤] .

والشيطانُ يدعو بغروره إلى ثلاثةِ أمورٍ مُهلِكة :

١- قضاءُ الشهوات .

٢- وإمضاءُ الغضب .

٣- وطلبُ الرياسة .

ولا يدعو أبدًا إلى معرفة الله عزّ وجلّ ولا إلى عبادته وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩١] .

وبهذا التزيين وهذا الإغراء غرّ أكثرُ الخلق ، لكنّه لا سلطانَ له على أولياء الله أهلُ الفضل والعلمِ والإيمان .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٥] .

ومداخل الشيطان التي يفسد بها الإنسان ثلاثة :

١- الشهوة .

٢- والغضب .

٣- والهوى .

فالشهوة بهيمية يشتركُ فيها الإنسان مع الحيوان ، كما قال سبحانه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤] .

والشهوة آفة لكنّ الغضب أعظم منها ، والغضبُ آفة لكنّ الهوى أعظمُ منه ، فبالشهوة يصير الإنسان ظالمًا لنفسه بإتباعه الشهوات وتركه أوامر ربه عز وجل : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

وبالغضب يصير الإنسان ظالمًا لغيره ، وبالهوى يصير الإنسان ظالمًا لنفسه وظالمًا لغيره ، ومُشركًا بمولاه الحق : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠] .

والظلمُ ثلاثة أنواع :

١ - ظلمٌ لا يغفر وهو الشرك بالله .

٢ - وظلمٌ لا يترك وهو ظلمُ العبادِ بعضُهم بعضًا .

٣- وظلمٌ عسى الله أن يتركه وهو ظلم الإنسان نفسه بإتباع شهوات نفسه وتركِ أوامرِ ربه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[النساء:١١٦] .

فمنشأ الظلم الذي لا يُغفر هو الهوى : ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص:٥٠] .

ومنشأُ الظلم الذي لا يُترك هو الغضب ، ومنشأ الظلم الذي عسى الله أن يتركه هو الشهوة . ولهذه الآفات نتائج .

فالحرصُ والبُخُل نتيجة الشهوة ، والعُجبُ والكِبر نتيجة الغضب ، والكفرُ والبدعة نتيجةُ اتباعِ الهوى ، فإن اجتمعت هذه الآفات الست في بني آدم تولد منها آفةٌ سابعة وهي أعظمُ الشرور وهي الحَسَد ، والحسد نهاية الأخلاق الذميمة ، والشيطانُ هو النهاية في الأشخاص المذمومة :﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾[فاطر: ٦-٨] .

ولهذا السبب ختم الله مجامعَ الشرور الإنسانية بالحسد فقال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفلق:١-٥] .

وخَتَمَ سُبحانه مجامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة فقال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس: ١ – ٦]

فليس في بني آدم أشرُ من الحسد ، وليس بالشياطين أشرُ من الوسوسة ، والحاسِدُ أشرُّ من إبليس ، وما خلا جسدٌ من حسد ولكنّ الكريم يُخفي واللئيمَ يُبدي : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [النساء:٥٤ -٥٥] .

الجانّ هو أبو الجن خلقه الله من النار بل من أشدها وهي نار السموم شديدةِ الحرارة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحجر: ٢٧] .

وخلقه من مارجٍ من نار وهو اللهب الذي لا دخان فيه كما قال سبحانه : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الرحمن:١٥] .

وإبليس أول من استكبر وعصا ربه وامتنع من السجود لآدم، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤] .

فإبليس أول من استكبر وتعاظم ، لعنه الله فأهبطه من السماء إلى الأرضِ صاغرًا ذليلًا مدحورًا كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ ﴾[الأعراف:١٨-١٩] .

وقال عز وجل لإبليس : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ ﴾[الأعراف:١٢-١٣] .

والمتكبر لا يمكن أن ينال ما أراد من العظمةِ والرفعة ، وإنما يعاقبه الله بنقيضِ قصده من الذلّةِ والصغار والهوان ، كما قال سبحانه : ﴿ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم ﴾[غافر:٥٦] .

ومن عقوبات الكبر أنه سببٌ لصرف صاحبه عن فهمِ آيات الله عز وجل، كما قال سبحانه : ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧ ﴾[الأعراف:١٤٦-١٤٧] .

والكبرُ ذنبٌ عظيمٌ وسببٌ للشواء في النار، كما قال سبحانه : ﴿ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠ ﴾[الزمر:٦٠] .

والمتكبر لا يحبه الله، كما قال سبحانه : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ٢٣ ﴾[النحل:٢٣] .

والكبر من أعظم الآفات والشرور : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾[غافر:٢٧] .

أما التواضع فهو سبيل الفوز والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة : ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾[القصص:٨٣] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[الأنعام:٨٢].

والشيطانُ عدوٌ مبينٌ للإنسان، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾[البقرة:٢٠٨] .

فالشيطان يجتهد على المسلم ألا يقوم بأي عمل صالحٍ من دعوةٍ أو عبادةٍ أو تعليمٍ أو إحسانٍ إلى الخلق ، فإن قام به تسلّطَ عليه بإضاعة الأوقات ، فإن لم يقدر اجتهد علينا لكي تكون أعمالنا لغير الله ، فإن لم يقدر اجتهد لإفسادِ أخلاقنا لتحصل العداوةُ وسوءُ الظن لكي لا نجتم، فإن لم يقدر علينا كجماعة اجتهد على كل فردٍ بإشغاله بالمباحات ثم ينقله إلى الصغائر ثم ينقله للكبائر ثم إلى الردة :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة:٢٠٨] .

فهذه خطوات الشيطان فاحذروه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾[البقرة:١٦٨] .

وشياطين الإنس والجنّ مع أعداء الأنبياء والرسل والمؤمنين ، وقد بيّنّ اللهُ عزّ وجلّ أنّ لكلِّ واحدٍ من شياطين الإنس والجن علاجٌ خاص .

- **وبيّنَ هذا العلاج الشافي في ثلاثة مواطن في كتابه :**

الأول : شياطين الإنس :

وهو كل من أراد أن يَضُرّ من الإنسِ غيره ويجره إلى الشر وإلى معصيةِ الله .

هذا علاجه الوحيد الذي ينجيك هو أن لا تتبعه في شره ، وأن تقابل إساءته بالإحسان إليه والصفح عنه ، هذا الفعل يجعله يندحر وينكسر ، ويكونُ صديقًا بعد أن كان عدوًا ، ولا يحصلُ على هذا إلا من تحلّى بالصبر، كما قال سبحانه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٣-٣٥] .

الثاني : شياطين الجن

وهم شياطين الجن الكفرة الذين يضرون الناس ويفسدون حياتهم ويجرونهم إلى معصية الله .

وشيطانُ الجنّ لا علاج له البتة إلا بالاستعاذة بالله منه ، لأن الملاينة لا تزيده إلا طغيانًا ، وأنت لا تراه لكي تنتصف منه، فلا دواء له إلا بالاستعاذة بالله من شره .

وقد ذكر الله هؤلاء وهؤلاء في ثلاثةِ آيات من كتابه، كما قال سبحانه : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩-٢٠٠] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت:٣٣-٣٦] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٩٦-١٠٠] .

وهذا العلاج لا يعطيه الله لكل أحد ، بل لا يعطيه إلا من جعل له الحظ الأعظم والنصيب الأوفرِ عنده ، وهو كل مسلمٍ تقي : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت:٣٥] .

خَطرُ الشياطين :

الشيطان هو إبليس الذي يدعو إلى الكفر والمعاصي ، وكل متمردٍ عاتٍ شيطان ، وسمي إبليس بالشيطان لأمرين :

الأول : لشدة بعده عن رحمة الله وعن طاعة الله ، فهو مأخوذٌ من شَطَنَ بمعنى بَعُدَ .

الثاني : ولأنه هالك ، فهو من شَطَنَ يشيطُ إذا هَلَكْ .

والشيطانُ عدوٌ لبني آدم لأنه يزعم أنّ سبب شقائه هو آدم ﷺ ، وأنه أُخرج من الجنةِ بسببه ، وأقسم بعزة الله أن يبذل كل مجهودٍ لإغواء بني آدم، كما قال عز وجل عن الشيطان : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾[الأعراف:١٦ -١٧] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ٤٤ ﴾ الحجر: [الحجر:٢٨-٤٤] .

وقد خضع للشيطان أكثر الخلق وزينّ لهم معصية الله فجرّهم من التوحيد إلى الشرك ومن طاعة الله إلى معصيته، كما قال الله سبحانه عن الشيطان : ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠ ﴾[سبأ:٢٠] .

ولما وقعت الزلّة من أبوي البشر آدم وحواء فأكلا من الشجرة أهبطهم الله من الجنة إلى دار الدنيا، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[طه:١١٦-١٢٢] .

وحكم الله عزّ وجلّ أنه لا يدخل أحدٌ من ذريته الجنة إلا بعد الامتحان والابتلاء في الأوامر والنواهي، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٧] .

والشياطين أخطرُ الخلقِ على البشر كما قال سبحانه : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[يس:٦٠:٦١].

- **وقد أكثر الجنّ من إغواء الإنس وإضلاله ، والشياطين يستكثرون من الإنس من جهتين :**

الأول : من يتبع تشريعهم وقوانينهم كما هو الحال الآن في أقطار الدنيا:﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[سبأ:٢٠] .

الثاني : يستكثرون من جهة تزيين الشهوات للإنس كالزنا والسرقة وشرب الخمر والربا وغيرها من المعاصي .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] .

فهؤلاء وهؤلاء كلهم أولياء للشيطان لأنهم أطاعونهم ، هؤلاء يوالونهم في التشريع ، وهؤلاء يوالونهم في الطاعة بشأن المحرمات ، والكل في جهنّم .

والكافرُ ولي الكافرُ والفاجرُ وليّ الفاجرِ ، والمؤمنُ وليّ المؤمن، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٨-١٣٠] .

واستمتاعُ الجنِّ بالإنس أن التمتع هو استمتاعُ البعضِ بالآخر ، أما انتفاعُ الإنس بالشياطين هو أنّهم يدلونهم على لذّاتِ الدنيا المحرّمة ويزينونها لهم

فيستمتعون بِزِنا وشُرب الخمر وأكل المال الحرام بالسرقة والغصبِ والربا ونحو ذلك من المنافع التي تضر بها الشياطين جهلة الإنس .

وأما انتفاعُ الشياطين هو أنّهم يكونوا سادةً مطاعين ، لأنّ لذة الطاعة والرياسة أمرٌ عظيم، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[الأنعام:١٢٨] .

وكلُّ من كفر بالله وعصاه إنما أغرّته الحياة الدنيا لأنّ الدنيا دار الغرور تغر الجاهل فيشتغل بشهواتها ولذاتها وراحاتها عن موجبات الجنة من الإيمان والأعمال الصالحة لأنّ الجنة حُفت بالمكاره وما يُدخل الجنة فيه تكاليف شاقة على من لم يهده الله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٥-٦] .

فالرجل أحيانًا يكون عزيزًا مطاعًا فإذا أسلم كان من عامّةِ الناس ، وكذلك أوقات التكاليف الشرعية من صلاةٍ وصوم يفضّلون عليها لذّات الدنيا التي تشغل الإنسان عن معاده، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

وقال عز وجل : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[الأنعام: ١٣٠] .

٤ - الخزانة الرابعة

أنواعُ الشياطين :

الشياطينُ نوعان :

أولاً : نوعٌ يُرى عياناً وهم شياطين الإنس .

ثانياً : نوعٌ لا يُرى وهم شياطين الجن .

وقد أمرنا الله سبحانه أن نكتفي من شر شياطين الإنس بالإعراض عنهم والعفو والدفع بالتي هي أحسن، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥] .

وأمرنا سبحانه أن نكتفي من شر شياطين الجن بالاستعاذة منهم وبذكر الله، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٦] .

فلكل داءٍ دواءٌ يدفعه ، فالإعراضُ عن شيطان الإنسِ أبلغ ، والاستعاذة بالله من شيطان الجنِّ أبلغ .

وطرق الشيطان إلى الإنسان ثلاثة فالشيطانُ يدخل على الإنسان من ثلاث جهات :

الأولى : الإسرافُ والتبذير، فما زاد عن حاجة الإنسان فهو حظ الشيطان ومدخله إلى القلب ، ومتى أغلق العبد هذا الباب أمِن من دخول العدو عليه : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف:٣١] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء:٢٦-٢٧] .

الثانية : الغفلة ، والذاكر في حصن الذكر فإذا غفل العبد ولج العدو فعسر إخراجه من قلبه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٣] .

الثالثة : تكلف ما لا يعنيه من كل شيء ، وهذه سلع الشيطان التي يصد بها العبد عن طاعته ومولاه، وقد قال النبي ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» أخرجه أحمد [1] .

والشيطان هو عدو الإنسان ، فالله عزّ وجلّ بحكمته سلّط على الإنسان عدواً عالماً بطرق هلاكه لا يفتر عنه بل هو مترصدٌ له في أربع جهات وسبع خطوات ، وهذا يجعل الإنسان المؤمن من المجاهدين في سبيل الله لينال أجر المجاهدين في المجاهدة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

- **فالشيطان يرصد الإنسان في أربع جهات وسبع خطوات :**

الأولى: أن يحول بين الإنسان وبين الإيمان بالله والعلم به ويوقعه بالكفر والجهل.

الثانية : إن فاته وأسلم ألقاه في البدعة ، وهي أحب إليه من المعصية : ﴿ **قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾** ﴾[الأعراف:٣٣] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٧٣٧).

الثالثة : إن عجز عنه أي إلقاءه في البدعة ، ألقاه في الكبائر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾[النساء:٣٨] .

الرابعة : فإن عجز عنه ألقاه في الصغائر وهي اللَمَمْ .

الخامسة : إن عجز عنه ألقاه وأشغله بالمباحات والشهوات عن الأوامر الشرعية : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾[مريم:٥٩] .

السادسة : إن عجز عنه شغله بالعمل المفضول على العمل الفاضل الذي ينفع الناس: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

السابعة : إن عجز عنه سلّط عليه حزبه يؤذونه ويرمونه بالعظائم ليحزنه ويشغل قلبه عن العلم والعمل : ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ ﴾[يس: ٦٠ – ٦٢]

أعمال الشيطان الحسية :

الشيطان مخلوقٌ يأكل ويشرب ويبول ويتغوط ، ويضرط ويتقيأ ويجري من ابن آدم مجرى الدم، ويعقد على قافية ابن آدم العقد لينام، ويأكل ويشرب ويأخذ ويعطي بشماله ونحو ذلك من الأعمال، فعن ابن عمر رضي الله

عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ ».أخرجه مسلم[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ » . أخرجه ابن ماجه بسندٍ صحيح[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينُ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ ، أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ لَهُ : اذْكُرْ كَذَا وَاذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى » . متفقٌ عليه[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ، بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ، فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ» . متفقٌ عليه[4] .

وأكل الشيطان وشربه وبوله وتقيؤه أمورٌ غيبية لا نراها لكن نؤمن بها لأنه أخبر بها الصادق المصدوق محمدٌ ﷺ، وإذا استيقظ الإنسان من نوم الليل

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٢٠).

(٢) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٣٢٦٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٨٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ١١٤٢، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٧٦).

وذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت العقدة الثانية ، فإن صلى انحلت عقدة ثالثة ، ولذلك كان النبي ﷺ يفتتح قيام الليل بركعتين خفيفتين لأنّ ذلك أسرع في حل عقد الشيطان .

وقد وصف الله عزّ وجلّ الشيطان بأنه عدوٌ مبينٌ للإنسان مع أننا لا نرى ذاته ولا نسمع كلامه : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يس: ٦٠ – ٦٢]

وسرُ ذلك أن المبين سبحانه لما بين عداوة الشيطان لآدم وذريته صحّ أن يوصف بأنه عدوٌ مبين وإن لم نشاهد فوجب التصديق بالوحي وتكذيبُ الحِسّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

- **فالشيطانُ عدوٌ للإنسان من جهتين :**

الأولى : أنه يحاول إيصال الضرر إلينا ولكنّ الله يمنعه، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[الحجر:٤٢] .

الثانية : أنه يوسوس للناس ويزين لهم المعاصي وإلقاء الشبهات ليقع الناس في الباطل ويحرم الثواب وينال العقاب : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] .

- **مظاهر عداوة الشيطان لبني آدم:**

عداوة الشيطان للإنسان أشكال وألوان يعرضها على بني آدم بصور مختلفة:

فمنها: إغواء بني آدم ، وتزيين الشرور والآثام لهم ، ثم يتبرأ منهم.

ومنها: إغواء بني آدم بالوسوسة في النية والقول والعمل.

ومنها: أنه يضل بني آدم ، ويَعِدُهم ويُمنِّيهم ، وينزغ بينهم.

ومنها: أنه يَؤُزُّهم إلى المعاصي وسائر المحرمات والفواحش والكبائر.

ومنها: أنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها يمنعه منها، ويثبطه، ويَعُوقه، ويخوِّفه.

ومنها: أنه يسعى في التحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم.

ومنها: إثارة الحسد والغل في قلوبهم ليهلك بعضهم ببعض.

ومنها: إيذاؤهم بأنواع الشرور والأسقام، وصدهم عن سبيل الله بكل ما يقدر عليه.

ومنها: أنه يبول في أذن العبد حتى ينام إلى الصباح، ويعقد على رأسه عُقَداً تمنعه من اليقظة، وتحرمه من العمل الصالح.

فمن سمع للشيطان وأطاعه وانقاد له صار من حزبه، وحُشر معه في النار، ومن أطاع ربه، وعصى الشيطان، حفظه منه، وأدخله الجنة: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة:١٩].

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء:٦٣-٦٥].

وعن سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بَأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإسلام، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبائِكَ وآباءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ.

ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ المهَاجِرِ كَمَثَلِ الفَرَسِ في الطِّوَلِ ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ.

ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جُهْدُ النَّفْسِ وَالمالِ ، فتُقَاتِلُ فتُقْتَلُ فتُنْكَحُ المَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ المَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ» فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقّاً على الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّة». أخرجه أحمد والنسائي[1].

- **فقه الاستعاذة :**

الاستعاذة بالله هي الالتجاء إليه والاستجارة به .

- **والاستعاذة النافعة لا تتم إلا بثلاثة أمور :**

علمٌ .. وحالٌ .. وعمل .

أما العلم فأن يعلم الإنسان أنه عاجزٌ عن جلب المنافع الدينية والدنيوية ، وعاجزٌ عن دفع المضارّ الدينية والدنيوية ، وأنّ القادر على ذلك كله هو الله وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

فإذا عرف القلب ذلك تولّد فيه الانكسار والتواضع والافتقار إلى ربه والخضوع له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٦٠٥٤) ، وأخرجه النسائي برقم (٣١٣٤) وهذا لفظه.

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال:٢- ٤].

فإذا استقر ذلك في القلب نشأ عنه صفتان هما :

الأولى : صفة في القلب

وهي أن يصير العبد مريدًا بأن يصونه الله عزّ وجلّ عن الآفات ويخصه بإفاضة الخيرات والحسنات .

الثانية : صفة في اللسان

وهي أن يصير العبد طالبًا لهذا المعنى من الله بلسانه بالاستعاذة بالله قائلًا : أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [النحل:٩٨-٩٩] .

فقه الاستعاذة :

والفعلُ الصادر عن الإنسان هو العلم والعمل ، وهو في كل ذلك عاجزٌ عن تحصيل ذلك إلا إذا التجأ إلى ربه الذي يحتاج إليه في كل شيء : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر:١٥] .

فإذا حَصل في قلبه الطلب وفي لسانه اللفظ الدال على الطلب حقق الله له ما يحبه ودفع عنه ما يضره : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت: ٣٦] .

فالعبدُ عاجزٌ عن تحصيل مصالحه بنفسه ، فعليه أن يستجير بربه ليعيذه من كل شرٍّ في كل حال : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت: ٣٦] .

وقال تعالى: **وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾** ﴾[المؤمنون:٩٧-٩٨] .

فهذا فقه الاستعاذة .

- **فقه المستعاذ به :**

أما فقه المستعاذ به ، فالمستعاذ به ورد في القرآن والسنّة على وجهين :

أحدهما : كما قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[النحل:٩٨] .

والثاني : كما قال النبي ﷺ : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ » أخرجه البخاري [1] .

فالاستعاذة بالله لكونه موصوفًا بصفات الجلال والجمال وله الأسماء الحسنى والصفات العُلا والأفعال الحميدة والقدرة القاهرة والمشيئة النافذة ، والاستعاذة بكلمات الله المراد بها : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[يس:٨٢] .

فقدرته نافذة فيما يريد، ومشيئته سائرة في الكائنات كلّها لا ردّ لقضائه ولا مُعقّبَ لحكمة ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨٢] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٣٧١).

فالعبد يستجير بربّه وكلماته بكل ما يضره ويلتجأُ إليه في تحصيل كل ما ينفعه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

فقه المستعيذ .

ورد الأمر بالاستعاذة بالله لكل مخلوق على سبيل العموم من الأنبياء والأولياء فقال الله عزّ وجلّ عن نوحٍ ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ ﴾ [هود:٤٧] .

فأعطاهُ الله السلامة والبركات : ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨ ﴾ [هود:٤٨] .

وقال يوسف ﷺ: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾ [يوسف:٢٣]

فأعطاه الله سلعتين : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤ ﴾ [يوسف:٢٤] .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧ ﴾ [غافر:٢٧] .

فأعطاه الله مُراده : ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧ ﴾ [الأعراف:١٣٧] .

وقالت أم مريم : ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران:٣٦] .

فوجدت الخِلَع والقبول : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران:٣٧] .

قالت مريم لما رأت جبريل في صورة بشر : ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [مريم:١٨] .

- **فوجدت نعمتين :**

الأولى : ولدًا من غيرِ ذَكَر .

الثانية : تنزيهُ الله إياها عن السوء بلسانِ ذلك الولد، كما قال عيسى ﷺ: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [مريم:٣٠-٣٢] .

وأمر الله محمدًا ﷺ بالاستعاذة مرةً بعدَ أخرى : ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفلق:١-٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس: ١ – ٦]

وقال الله تَعَالىَ : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨] .

فهذا يدل على أنّ الأنبياء كانوا أبدًا في جميع الأحوال في الاستعاذة بالله من شرّ شياطين الإنس والجنّ .

- **أما فقه المستعاذ منه :**

فالمستعاذ منه هو الشيطان ، والمقصود من الاستعاذة دفع شر الشيطان ، وشر الشيطان يكون بالوسوسة وتزيين المعاصي للناس : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨] .

والجنّ والشياطين أجسامٌ هوائية قادرة على التشكل بأشكالٍ مختلفة ، ولها عقول وأفهام وقدرة على أعمالٍ صعبة ، والجنّ منه أرواحٌ مؤمنة مشرقة خيّرة وهم الصالحون من الجنّ ، ومنهم أرواح كدرة سفلية شريرة وهم الشياطين كما قال سبحانه عن الجن أنهم قالوا : ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن:١٤-١٥] .

والجنّ موجودون يذهبون ويجيئون كما قال سبحانه : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٢] .

والشيطانُ يجري من ابن آدم مجرى الدم كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّم » أخرجه البخاري [1] .

ولما كانت حاجات العبد غير متناهية فلا خير من الخيرات إلا وهو محتاجٌ إلى تحصيله ، ولا شر من الشرور إلا وهو محتاجٌ لدفعه وإبطاله ، فلهذا شُرع له الاستعاذة بربه من جميع المضارّ الدينية والمناهي الشرعية والمضارّ الدنيوية كالآلام والأسقام والعمى والفقرِ ونحوها ، **ويجمعها ثلاثة أمور كلها لا نهاية لها وهي** :

أولًا : الجهل .

فأنواع المعلومات غير متناهية ، وكذا أنواع الجهالات غير متناهية ، فيستعيذ العبد من جميعها بربّه كمذاهب أهل الكفر ومذاهب أهل البدعة وأهل الضلال .

ثانيًا : الفسق .

فأنواع الصلاح غير متناهية ، وكذا أنواع الفسق غير متناهية ، فيستعيذ العبد من جميع أنواع الفسوق : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ ﴾[الحجرات:٧] .

ثالثًا : المكروهات والآفات والمخافات ، وأنواعها غير متناهية .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧١٧١).

فإذا قال العبد : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ، فعليه أن يستحضر هذه الأنواع الثلاثة :

الجهالات .. والفسوق .. والمكروهات .

وهذه الثلاثة لا حدّ لها واعلم أن قدرة جميع الخلائق لا تقدر على دفعها فحينئذٍ يحمله طبعه وعقله على اللجوء إلى الله القادر على كل شيء : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود:٥٦] .

فهو سبحانه وحده القادر على دفعها وحده لا شريك له ، فيقول : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ، وهذا اعترافٌ بأمرين :

الأول : عجز النفس البشرية .

الثاني : قدرة الربّ جلّ جلاله .

ولمّا كان قرآن فيه جميع أنواع الخيرات أمر الله أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءته بقوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [النحل:٩٨-٩٩] .

٥- الخزانة الخامسة

- **جهد الشيطان على الإنسان :**

لمّا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم سجدوا جميعًا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤] .

فطرد الله إبليس ولعنه بسبب كبره وكفره ومعصيته ، فندر الشيطان نفسه لإغواء بني آدم جميعًا: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[ص:٨٢-٨٣] .

وأول : جهدٍ للشيطان على الإنسان أن يقطع علاقته بربه .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحشر:١٦-١٧] .

الثاني : إضعافُ العلاقة مع الله .

وهو يُضعفها بأمرين :

الأول : التوسع والاشتغال بالحلال الذي يصرف الإنسان عن الله والعمل بشرعه والمبادرة إلى الطاعات : ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[الأعراف:٣١] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الإسراء:٢٦-٢٧] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

فهذا إذا كان الإنسانُ مؤمنًا صالحًا .

الثاني : إذا كان الإنسانُ فاسقًا شغله بالحرام عن الله وعن عبادته ، وإذا عجز الشيطان عن ذلك قال للمسلم :

كن قويًا مع الله واعبد ربك وأصلح نفسك لتنجو من عذاب ربّك واحذر أن تنصح أحدًا أو تعلِّمَ أحدًا لكيلا ينالك الأذى فذلك الشيطان : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[آل عمران:١٧٥] .

ثمّ يخذلك ويصغرّك فيقول لك : شكلك لا يصلح للدعوة ، لا علم لا منصب لا فقه والقول على الله بلا علمٍ عظيم ، وسوف تُسأل عنه ، لماذا يقول ذلك ؟

لأنّ الشيطان يريد الدعوة له ولجنوده إلى الباطل ، ودعوة الحق تُبطِلُ جهده وتطّفي الحرائق التي يُشعلها وتأخذ أتباعه :﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

والشيطانُ لا يريد أن تكون نداء الحق دكان في السوق أبدًا، يريد السوق كله له: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص:٨٢-٨٣] .

وبالأخير يقول للمسلم إذا عجِزَ عنه :

لابأس ادعُ إلى الله وعظ الناس حتى يبكون ، لكن احذر أن تأمرهم أن يقوموا بالدعوة إلى الله .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

فإذا يأس من ذلك قال :

ادعُ إلى الله ورغّب الناس في الدعوة إلى الله ولكن لا تقول للناس ادعو إلى الله .

فالأنبياء والرسل وأتباعهم عندهم الإصرارُ على الحق والعمل بالحق والدعوة إلى الحق ، وإبليس وجنوده عندهم الإصرار على الباطل والعمل به والدعوة إليه ، وقوة الأنبياء وأتباعهم في إيصالهم على الحق والدعوة إليه ، وقوة إبليس وجنوده في إيصاله على الباطل والدعوة إليه ، لهذا علينا معرفة سيرة الأنبياء والمرسلين لنقتدي بهم في أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم، لهذا يقول الله عز وجل : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ ﴾ [مريم:٤١] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ ﴾[مريم:٥٤] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ ﴾ [مريم:٥١] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ ﴾[مريم:٥٦] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧ ﴾ [ص:٤٥-٤٧] .

وكذا يجب علينا معرفة سيرة إبليس وجنوده لنحذرهم ونتقي شرّهم كما قال الله عزّ وجلّ لآدم وزوجه في الجنة : ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه:١١٧] .

وقال الله عز وجل لبني آدم : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

والمسلمُ له عدوان :

الأول : عدوٌ ظاهر .

الثاني : عدوٌ باطن .

والمسلمُ مأمورٌ بمحاربتهما ثم الله ينصره عليهما ، فإذا حارب عدوه الظاهر من البشر أمدّه الله بالملائكة: ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٥-١٢٦] .

وإذا حارب المسلم عدوه الباطن وهو الشيطان كان مدده الملك سبحانه، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[الحجر:٤٢] .

ومحاربة العدو الباطن يجب أن تسبق محاربة العدو الظاهر ، لأنّ العدو الظاهر إن وجد فرصة ففي متاع الدنيا ، والعدو الباطن إن وجد فرصةً ففي الدين والإيمان واليقين .

والعدو الظاهر إن غلبنا كنا مأجورين ، والعدو الباطن إن غلبنا كنا مفتونين ، وما قتله العدو الظاهر كان شهيدًا ، ومن قتله العدو الباطن كان طريدًا : ﴿

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت:٣٣-٣٦] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦]

ما يعتصم به العبد من الشيطان

الشيطان ندر نفسه لإغواء بني آدم، كما قال الله عز وجل عنه أنه قال : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٦ -١٧] .

يتحصن العبد من الشيطان ويحترز من شره بما ورد في القرآن الكريم ، وثبت في السنة النبوية الصحيحة ، من الأدعية والأذكار، وفيهما الشفاء والرحمة، والهدى والعصمة من جميع الشرور في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى، **ومن ذلك:**

الحرز الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

فقد أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن يستعيذ بالله من الشيطان على وجه العموم، وعند قراءة القرآن، وعند الغضب، وعند الوسوسة، وعند الحُلْم المكروه على وجه الخصوص: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت:٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [النحل:٩٨-٩٩].

الحرز الثاني: التسمية.

فالتسمية حرز من الشيطان، وعصمة من مخالطته للإنسان في طعامه وشرابه، وجماعه، ودخوله بيته ونحو ذلك مما ورد.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ الله عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ الله عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ الله عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ وَالعَشَاءَ». أخرجه مسلم[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَو أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتيَ أَهْلَهُ فَقَالَ: بِاسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ في ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبدًا». متفق عليه[2].

الحرز الثالث: قراءة المعوذات.

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾

و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾

و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ عند النوم، وأدبار الصلوات الخمس، وعند المرض.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٠١٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٣٤).

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «قُلْ» قُلْتُ: وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» فَقَرَأَهُنَّ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «لَمْ يَتَعَوَّذِ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ، أَوْ لَا يَتَعَوَّذُ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ». أخرجه النسائي [1].

الحرز الرابع: قراءة آية الكرسي.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَكَّلَنِي رَسُولُ الله ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَصَّ الحَدِيثَ فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَمْ يَزَلْ مَعَكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ». أخرجه البخاري معلقاً ووصله النسائي [2].

الحرز الخامس: قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة.

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ هَاتَينِ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ في لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». متفق عليه [3].

---

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم (٥٤٣١).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً برقم (٥٠١٠)، ووصله النسائي في الكبرى برقم (١٠٩٧٥) بسند صحيح.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٠٩)، ومسلم برقم (٨٠٨) واللفظ له.

وقال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ ﴾ [البقرة:٢٨٥-٢٨٦].

الحرز السادس: قراءة سورة البقرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ». أخرجه مسلم(١).

الحرز السابع: كثرة ذكر الله تعالى

بقراءة القرآن، والتسبيح والتحميد، والتكبير والتهليل، ونحوها من الأعمال الصالحة، فمن ذَكَر الله ذَكَره وحفظه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَومَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ». متفق عليه(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٨٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٩١).

الحرز الثامن: الدعاء إذا نزل منزلاً.

عن خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا نزلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلاً فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ». أخرجه مسلم(١).

الحرز التاسع: كظم التثاوب.

ووضع اليد على الفم لئلا يدخل الشيطان.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ على فيهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ». أخرجه مسلم(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ». متفق عليه(٣).

الحرز العاشر: الأذان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ أَدْبَر الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ المرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُر حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لا يَدْرِي كَمْ صَلَّى». متفق عليه(٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٨٩)، ومسلم برقم (٢٩٩٤) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٣٨٩).

الحرز الحادي عشر: دعاء دخول المسجد.

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كَانَ إِذَا دَخَلَ المسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِالله العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ القَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» قَالَ: أَقَطُّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ اليَومِ. أخرجه أبو داود[1].

الحرز الثاني عشر: الوضوء والصلاة.

ولا سيما عند الغضب والشهوة، فما أطفأ العبد جمرة الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة:١٥٣].

الحرز الثالث عشر: طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، واجتناب المعاصي، وتجنب فضول النظر، وفضول الكلام، وفضول الطعام، وفضول المخالطة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [المائدة:٩٠- ٩١].

الحرز الرابع عشر: تطهير البيت من الصور، والتماثيل، والكلاب، والأجراس، لتدخل الملائكة، وتخرج الشياطين.

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٦٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ تَمَاثِيلُ أَوْ تَصَاوِيرُ». أخرجه مسلم(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَصْحَبُ المَلائِكَةُ رُفْقَةً فِيْها كَلْبٌ وَلا جَرَسٌ». أخرجه مسلم(٢).

الحرز الخامس عشر: اجتناب مساكن الجن والشياطين

كالأماكن الخربة، والأماكن النجسة كالحشوش، والمزابل، والأماكن الخالية من الإنس كالصحاري، وشواطئ البحار البعيدة، ومرابض الإبل ونحوها.

والله عزّ وجلّ اختص المخلوقات المكلفة وهي الإنس والجن بثلاث نعم أساسية وهي :

- نعمة العقل
- ونعمة الدين
- ونعمة حرية الاختيار .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [الكهف:٢٩] .

وإبليس أول من أساء استخدام هذه النعم بتمرده على أمر ربه ، بل أصرّ على العصيان وطلب الإمهال إلى يوم البعث لاستغلال هذه النعم أسوء استغلال بإغواء بني آدم وتزيين المعاصي لهم ليتبعوه إلى النار.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١١٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١١٣).

قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[سبأ:٢٠] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ ، فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً » . أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨١٣).

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٦-خزائن خلق الإنسان

وتشتمل على ما يلي:

٢٦-خزائن خلق الإنسان

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٢٦-خزائن خلق الإنسان

١- الخزانة الأولى

خلق الله أدم بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وجعله في الدنيا خليفة ويوم القيامة إن كان مؤمنًا جليس .

- **والأطوار التي يمر بها الإنسان تسعة :**

الأول : سلالة الطين وهي الخلاصة لأنها نسل من بين الكدر .

الثاني : نطفة التي تقذف من أصلاب الرجال في أرحام النساء .

الثالث : تحول النطفة إلى علقة وهي الدم الجامد الذي يعلق بالرحم .

الرابع : تحول العلقة إلى مضغة وهي قطعة اللحم .

الخامس : تحول المضغة إلى عظام .

السادس : كسوة العظام باللحم .

السابع : إنشاء خلق آخر مباين للخلق الأول ، حيث جعله الله حي سميعًا بصيرًا ناطقًا ، وأودع فيه الروح .

الثامنة : الموت وهو مفارقة الحياة .

التاسعة : البعث بعد الموت .

وهو إعادة الحياة لمن مات وقد قال الله عز وجل في هذه الأطوار : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح:١٣ -١٤] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[المؤمنون:١٢-١٦] .

وقد أمر الله ﷻ كل إنسان أن ينظر في أطوار خلقه ليعلم كمال قدرة الله بنقله من طور إلى طور حتى صار بشرًا سويًا، فقال سبحانه : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الطارق:٥-١٠] .

وقد خلق الله عز وجل أدم من تراب ثم جعل نسله من ماء مهين، كما قال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[السجدة:٦-٩] .

ومن عجائب خلق الله للإنسان أن نقله من نطفة إلى علقة إلى مضغة ثم خلق المضغة عظام ، ثم كسا العظام لحمًا، ثم أنشأه خلق أخر فتبارك الله أحسن الخالقين .

- **وخلق الله الإنسان وجعله يمر بأطوار في بطن أمه في ظلمات ثلاث :**

١- ظلمة بطن الأم .

٢- وظلمة الرحم .

٣- وظلمة المشيمة المحيطة بالجنين .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ٦ ﴾ [الزمر:٦] .

وقد خلق الله هذا الإنسان في أحسن تقويم ، وجعله يمر بطور بعد طور، كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦ ﴾ [التين:٤-٦] .

ثم أنشأه خلقًا أخر فجعله حيًا وكان ميتًا ، وحيوانًا بعد أن كان جماد ، وناطقًا وكان أبكم ، وسميعًا وكان أصم ، وبصيرًا وكان أكمه فتبارك الله أحسن الخالقين ، ونقله سبحانه من طور إلى طور نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم جنينًا ثم وليدًا ثم طفلًا ثم محتلمًا ثم شابًا ثم كهلًا ثم شيخًا ثم هرمًا ليدل على كمال قدرته سبحانه وعظيم صنعه وانفراده بالربوبية ، وانفراده بالألوهية ووجوب الإيمان به واستحقاقا للعبادة وحده لا شريك له : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ ﴾ [النحل:١٧] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا

يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[الحج:٥] .

وخلق الله ﷻ جميع بني أدم ذكورًا وإناثًا من نسله، كما قال سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء:١]

وجميع الناس يبعثون يوم القيامة للحساب والجزاء على ما عملوا في هذه الدنيا، كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[المؤمنون:١٥-١٦] .

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وجعله خليفةً في الأرض، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾[البقرة:٣٠]

وسخر للإنسان ما في السموات وما في الأرض، كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان:٢٠] .

وخرج الله الجوارح والأعضاء في الإنسان بشكل عجيب ، فخلق سبحانه في كل إنسان عضوًا واحدًا كالرأس واللسان والفرج والفم لعدم الحاجة إلى غيره ، وخلق في كل إنسان عضوين للحاجة إليهما كالعينين والأذنين واليدين والرجلين ونحوهما .

وخلق في كل إنسان أربعة أعضاء كالكعبين وأشفار العينين للحاجة إلى ذلك ، وخلق الله سبحانه في الإنسان ثلاثمائة وستون عظمة فلو زادت واحدًا لكان ضارًا ولو نقصت واحدًا كان النقص يحتاج إلى جبر ، وخلق الله الرأس وركبه على البدن وجعل في الرأس الحواس الخمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس، وخلق الله الإنسان وزوده بملكات وطاقات وأكرمه بالعقل، والعقل كافي لمعرفة من يستحق العبادة وحده ، لكنه غير قادر على معرفة ما يريد ، لهذا لابد من بلاغ عنه بكتبه ورسله لمعرفة أمره ونهيه .

والله سبحانه خلق آدم وخلق من أحد أضلاعه المرأة فخلق الله المرأة من ضلع الرجل ، فهي تابعة له وهي كذلك جزء منه، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[النساء:١]

ومن لوازم كون وجود المرأة تابع لوجود الرجل ، أن جعل الله الطلاق بيد الرجل لا بيد المرأة ، ونسبة الأولاد إلى الرجل لا إلى المرأة وتفضيل الرجل على المرأة في الميراث ، فللذكر مثل حظ الأنثيين ، والرجل يجمع بين امرأتين إلى ثلاث إلى أربع وليس للمرأة ذلك ، وشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد إلى غير ذلك من الفوارق الشرعية المستندة إلى الفوارق القدرية التي جبل الله عليها الجميع : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[المؤمنون:١٤] .

- **والجسم ينقسم إلى قسمين :**

فالجسم إما نامي .. أو غير نامي .

فغير النامي كالحجر مثلًا .

- **والنامي إما حساس وغير حساس :**

١- وغير الحساس كالنبات مثلًا .

٢- والحساس إما ناطق أو غير ناطق .

فغير الناطق هو الحيوان والناطق هو الإنسان ، فأصح المخلوقات مزاجًا هم بني آدم ، وأصح بني أدم مزاجًا هم المؤمنون ، وأصح المؤمنون مزاجًا هم الأنبياء والرسل ، وأصح الأنبياء والرسل مزاجًا هم أولي العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام وأصحهم مزاجًا الخليلان إبراهيم ومحمد –عليهم الصلاة والسلام- وأفضلهما سيد الأولين والآخرين خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[الأحزاب:٤٠] .

الذي أثنى عليه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

ومما أكرم به الإنسان اللسان والسمع والبصر، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل:٧٨] .

واللسان عنوان الإنسان يترجم عن مجهولة، ويبرهن عن محصوله، يظهر به حسن البيان، ظاهُر يخبر عن الباطن، وشاهد ينبئ عن الغائب، وحاكم يفصل به الخطاب، وناطق يرد به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف يعرف به المجهول، ومؤنس تذهب به الوحشة، وملهم يأسر الأسماع، وواعظ ينتهي عن القبيح ، وحاصُد يستأصل الضغينة : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ﴾[الرحمن:١-٤] .

والبيان ثلاثة أقسام :

١- البيان النطقي : باللسان .

٢- والبيان الإشاري : بحركة الرأس أو اليد أو الجسم .

٣- والبيان الرسمي : بالكتابة : ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ ﴾[القلم:١] .

فسبحان من خلق الإنسان وجعل فيه هذه العجائب : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾[الذاريات:٢١] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧ ﴾[النحل:١١٧-١١٦] .

خلق الله أدم من تراب وخلق نسله من نطفه من ماء مهين، كما قال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ ﴾[الحج:٥] .

وأصل النطفة أن النطفة جسم يتولد من فضله الهضم الرابع ، فالغذاء يمر في جسم الإنسان بأربع مراحل فيحصل له في المعدة هضم أول ثم يحصل له في الكبد هضم ثاني ، ثم يحصل له في العروق هضم ثالث ، ثم يحصل له في جواهر الأعضاء هضم رابع ، وفي هذا الوقت وصل بعض أجزاء الغذاء إلى العظم ثم عند هيجان الشهوة يحصل ذوبان من جملة الأعضاء وذلك هو النطفة فتبارك الله أحسن الخالقين : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٧٧-٨٢] .

وخلق الله الإنسان في أحسن تقويم فخلق الله في ظاهره وباطنه مخلوقات عظيمة وعجيبة ، فخلق الله في الإنسان ملكات عجيبة ففي دماغ الإنسان ملكات كثيرة ، ملكة العقل ، وملكة التصور ، وملكة التخيل وملكة الحفظ وملكة التفكر وملكة التذكر ، وملكة الذكاء .

وفي قلب الإنسان ملكات كثيرة ملكة الحب والبغض، وملكة الرحمة والقسوة، ملكة العفو والانتقام، ملكة الغضب والرضا، ملكة اللين والشدة ، ملكة الولاء والبراء، ملكة الأمن والخوف، ملكة الإيمان والكفر .

وفي بدن الإنسان طاقات كثيرة الطاقة البدنية ، الطاقة السمعية ، الطاقة البصرية ، الطاقة الحسية ، الطاقة الذوقية ، الطاقة الجنسية وغير ذلك من الطاقات : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات:٢١] .

وقيمة هذا الإنسان بصفاته لا بذاته ولا بأمواله، فلا قيمة للإنسان إلا بالإيمان والأعمال الصالحة : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

وقال الله تَعَالىَ : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ ﴾[التين:٤-٦] .

وتكمل حياة الإنسان بأمرين :

١- معرفة عزة الربوبية .

٢- ومعرفة ذله العبودية .

فمن شاهد عزة الربوبية وشاهد ذلة العبودية فقد وصل إلى معراج الأرواح القدسية ، ومعرفة الله من لوازمها التضرع والانكسار بين يديه والخوف منه والرجاء له : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٥] .

والإنسان مركب من بدنٍ وروح ، فالبدن هو الحامل للروح ، والأرواح البشرية نورانية إلا أنها محبوسةٌ في قعر ظلمات الأبدان البشرية ، فلا تستطيع النظر إلى عالم الأنوار الإلهية ، فإذا مات الإنسان انقشع السحاب وزال الحجاب وعند ذلك يحصل للروح الإبصار التام :﴿ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق:٢٢] .

والله عز وجل هو الخلاق العليم الذي خلق هذا الإنسان في ظلمات ثلاث ، وخلقه في أحسن تقويم ، والإنسان في بطن أمه يخرج إلى الدنيا صارخًا لا ضاحكًا مع أنه خرج من الظلمات إلى النور ومن بحر السوائل إلى بحر الهواء الطلق ، ومن ضيق الأرحام إلى رحابة الكون والسبب أن الشيطان يمسه فيصرخ .

وكل إنسان يولد صارخًا إلا مريم وابنها كما قال النبي ﷺ: « مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ ، إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ" ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٦] . »[1] متفق عليه .

خلق الله ﷻ جميع المخلوقات بأمره وخلق الإنسان بيده ، وكرمه بالعقل الذي يعرف به ربه ، ويعرف به مصالحة ويميز به بين البدائل ، وخلق سبحانه في الإنسان قوًى كثيرة

ومراتب القوى في الإنسان خمس :

الأولى : القوة الحساسة :

وهي التي تتلقى ما تريده الحواس الخمس العين والأذن والشم والذوق واللمس وكلها تصب في القلب معلومات .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٧١٨٢).

الثاني : القوة الخيالية :

وهي التي تستثبت ما أوردته الحواس الخمس وتحفظه لتعرضه على القوة العقلية التي فوقها عند الحاجة إليه .

الثالثة : القوة العقلية : المدركة للحقائق الكلية للكون والشرع .

الرابعة : القوة الفكرية :

التي تأخذ المعارف العقلية وتألفها ثم تستنتج من تأليفها علمًا بمجهول كمختلف الصناعات والاختراعات والاكتشافات .

خامسًا : القوة الروحية القدسية :

التي تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت والأنبياء والأولياء أخص بها ، فسبحان من خلق هذه الطاقات وحركها لمنافع الإنسان : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات:٢١] .

ومتى يكون الإنسان ملكًا في الدنيا والآخرة يكونه ملكًا بأمرين :

الأول : إذا انقطعت حاجة الإنسان عن غير الله ، كان ملكًا مطلقًا حيث ملك نفسه وملك شهواته وملك جوارحه وجعل الكل مسخر في طاعة مولاه الذي خلقه ورزقه وهداه ، فمن كان لله كان الله له :﴿ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ [لقمان: ٢٢ - ٢٤]

وفي أعلى هذا المقام محمد ﷺ الذي كان أحسن الخلق خلقًا وخُلقًا وكان خلقه القرآن : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

الثاني : أن القلب شبه المملكة وسلطانه هو الروح ، وخصم هذا السلطان النفس والحرب قائمة بينهما والملائكة مع الروح والشياطين مع النفس .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم:٨٣] .

فإذا أشرقت في القلب شمس الهداية استولى سلطان الروح على سلطان النفس وقهره وأباد جمعه وفرق شمله وخلصت له هذه المملكة :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وإن جاءت ظلمات الخذلان من مغرب القهر والكبرياء استولى سلطان النفس على الروح وقهره وأخرجه من المملكة وامتلأت المملكة من رايات الشياطين وأعلام المبطلين :﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد:١٢] .

٢- الخزانة الثانية

خلق الله عز وجل آدم ثم خلق من أحد أضلاعه زوجه حواء ، ثم أسكن الله آدم وزوجة جنة في السماء ليربيه على امتثال الأمر واجتناب النهي ، وإذا أخطأ قوم خطأه ، فأخطأ وزوجة وأكلا من الشجرة التي نهاه الله عنها فتاب إلى ربه فتاب الله عز وجل عليه : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[البقرة:٣٧].

ولما أخرجه الله من الجنة وأسكنه الأرض حاسبه وعاقبه وذريته على مخالفة أمره ، ففي الجنة أسكنه ليقومه وفي الأرض أسكنه ليثيبه على فعل الأمر ويعاقبه في فعل النهي : ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾[البقرة:٣٨-٣٩] .

ففي الجنة يصوب المخطئ ولا يؤدب ، وفي الأرض بعد التربية والتدريب يؤدب ولا يصوب ، فآدم في الجنة غير معصوم ولما أسكنه الله الأرض كان معصومًا لأنه رسول من ربه إلى ذريته : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

وقد خلق الله آدم ليكون خليفة في الأرض ، والخليفة من يخلف غيره وآدم وذريته خلفوا الجن في عمارة الأرض ، وذريته يخلف بعضهم بعض والله أستخلف آدم وذريته لإبلاغ دينه والعمل به : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة:٣٠]

والخليفة له ثلاثة مهام :

الأول : خليفة يخلف الله بإبلاغ شريعته لعباده ، كما من على آدم وذريته فجعل منهم خلفاء الأرض يحكمون بين الناس بالحق والعدل كما قال سبحانه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[البقرة:٣٠]

وقال تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص:٢٦] .

الثاني : خليفة يخلف من سبقه ، لأن الأرض كانت معمورة قبل آدم بالجن كما قال سبحانه : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾[الأنعام:١٦٥] .

الثالث : خليفة يخلف من سبقه بعضهم يخلف بعض ، فإذا مات هذا خلفه هذا كل هذا محتمل وكل هذا واقع .

والله ﷻ خلق الإنسان مركب من بدن وروح ونفس ، والروح مخلوق يسكنه الله في الأجساد فتنبعث بالحياة والنفس إذا اتصلت الروح بالجسد ظهرت النفس الشهوانية والروح قبل أن تتصل بالجسد خيرة طيبة والأجساد قبل أن

تتصل بها الروح خيرة طيبة ، فإذا اتصلت الروح بالجسد تحركت النفس بالشهوات ، فإذا خرجت الروح مات الإنسان وذهبت الروح إلى عالمها ، وذهبت النفس إلى عالمها .

والنفس تنفذ ما يريد الإنسان وإن كانت كاره ، لأنها مسخرة طائعة لإرادة الإنسان : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس:٧-١٠] .

فأرواحنا وأنفسنا وجوارحنا مسخرة لنا قابلة للطاعة وللمعصية : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف:٢٩] .

فالروح لذتها بالإيمان والطاعة لله ، والنفس لذتها بالشهوات شهوة البطن والفرج وشهوة المراكب والمساكن والملابس ونحو ذلك من الشهوات : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤] .

والروح لها معنيان :

الأول : أن الروح ما به حركة الحياة .

الثاني : ما به ضبط حركة الحياة بمنهج الله في الدنيا .

فالأولى الحيوان والمسلم والكافر فيها سواء وبها يتميز الحي من الميت .

والثانية خاصة بالإنسان يهتدي بها لأحسن السبل في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ

كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

ولهذا سمى الله القرآن روح بقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[الشورى:٥٢] .

فهذه الروح تجعل حركة الإنسان في الحياة مجزية ونافعة ومفيدة ، فمن لم يرزق هذه الحياة صارت حياته كالبهائم بل أضل : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٩] .

والروح الأولى تتحرك بها المادة الساكنة والروح الثانية تجعل حركة الإنسان نافعة ومفيدة ، وهذه هي الحياة المطلوبة التي جاء بها الرسل ، وهي حياة وهي حياة القيم والأخلاق .

فلابد لكل إنسان ليسعد في الدنيا والآخرة من نفختين ، نفخة الرسول الملكي بالحياة حينما كان في بطن أمه فينفخ فيه الروح ، والثاني نفخة الرسول البشري وذلك بالدعوة إلى الله فإذا اهتدى صار حيًا بعد موته : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٢] .

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وزوده بملكاتٍ متعددة ، فله عينٌ ترى، وله أذنٌ تسمع، وله لسان يتكلم، وله فكرٌ يعقل، وله قلبٌ يعتقد، وله جوارح تعمل ، فالمؤمن سخر جميع ملكاته في طاعة ربه، وضبط استعمالها فيما يحب ربه ويرضاه ، فلا تنازع بينها: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

والكافر سخر جميع ملكاته في طاعة هواه والشيطان ، ونفسه الأمارة بالسوء ، فهو يحصد الذنوب بها في جميع أوقاته ، ويعصي بها من خلقه ورباه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق:٦-٧] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد:١٢] .

وقال الله ﷻ: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الفرقان:٤٤] .

والمؤمن عقد السلام مع ربه ، ومع نفسه ، ومع مجتمعه الذي يعيش فيه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

والكافر عقد السلام مع نفسه ، وفقد السلام مع ربه ، ومع مجتمعه : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

وسيعلم يوم القيامة أن سلامه مع نفسه وهمٌ مؤقت ، وسلام المؤمن حقيقي ، فلا تناقض بين قوله وفعله ، ولا بين ما رآه وما سمعه ، ولا بين دنياه وآخرته ، فالمؤمن أعلن إيمانه فسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢].

والكافر أعلن كفره : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٤] .

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال:٣٦].

أما المنافق فهو متناقض مضطرب ، مريضٌ متنازع النفس الإنسانية ، يرى الصلاح فسادًا ، والسفاهة عقلًا ، والشر خيرًا : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [البقرة:١٣] .

فهم يظهرون الإيمان خوفًا ، ويبطنون الكفر جبنًا ، يستعملون ملكاتهم في الظاهر استعمال المؤمنين ، ويستعملونها في الباطن استعمال الكافرين ، فالمنافق أظهر الإسلام وأبطن الكفر :﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[البقرة: ١٤ -١٥] .

فجزاء الاستهزاء بالله ورسوله والمؤمنين ، الله يستهزأ بهم ، يجري عليهم في الدنيا أحكام الإسلام من الزواج والإرث ، ونحوها ، احترامًا لإعلانهم الإيمان في الظاهر ، ولكن يوم القيامة لا يكون المنافق في النار فحسب ، بل في الدرك الأسفل من النار : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال:٣٠] .

فالمنافق أشد عذابًا من الكافر ؛ لأنه استغل في الدنيا بالإيمان واستفاد منه ، وهو كاذب فيعوض عن ذلك يوم القيامة ذلة الكفر : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[النساء:١٤٥] .

والمؤمن أعقل الناس يريد أن يحافظ على ذاتيته الأصيلة : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

فالمؤمن يريد أن يحافظ على ذاتيته الأصيلة وهي الإيمان ، وعلى ذاتيته الوكيلة وهي الخلافة في الأرض :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾[البقرة:٣٠]

والدعوة إلى الله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

أما الكافر فيريد أن يحافظ على ذاتيته الطارئة ، وهي الكفر ، فإن كان كفره بسبب الجهل ، زال بالدعوة إلى الله ، وإن كان كفره بسبب مصلحة والكبر زال ذلك بالجهاد الذي شرعه الله ليكون الدين كله لله ، فالأولى حق ، والثانية حمق ، والحمق يزال أولًا باللين والدعوة ، فإذا لم يستجب الإنسان أزيل ذلك بالشدة والقسوة ، قطعًا لدابر الشر عن الناس : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٣] .

فالإيمان والكفر كالنور والظلام ، طرفان متقابلان ، وأهل كل واحد يدع الآخر إلى صفه : ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣]

الله ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم ،وابتلاه بثلاثة أشياء :

١- ابتلاه بالشهوات الحيوانية .

٢- وبالأوامر الإلهية .

٣- وبالمصائب القدرية .

- **والنفوس البشرية نوعان :**

الأول : نفوسٌ طيبةٌ طاهرةٌ مشرقة ، خيرة علوية يصدر عنها أفعالٌ فاضلةٌ كريمة ، فهذه نفوسٌ مشرقة بالإيمان ، صافيةٌ يظهر فيها من القرآن نورٌ على

نور ، في أقوالها ، وأفعالها ، وأخلاقها : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:١٢٢] .

النوع الثاني : نفوسٌ كدرةٌ ، نذلةٌ ، خبيثةٌ ، مظلومةٌ ، مضلة ، يصدر عنها أفعالٌ خسيسة فاسدة ، فهذه نفوسٌ كدرةٌ مظلمة ، يظهر فيها من القرآن ضلالٌ على ضلال في أقوالها وأفعالها وأخلاقها ونكالٌ على نكال : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء:٨٢] .

وشأن الإنسان أنه إذا فاز بمحبوبه ووصل إلى مطلوبة اغتر بنفسه وماله ، وصار غافلًا عن عبادة ربه الذي أنعم عليه ، فأقبل على معصيته ، وأعرض عن طاعته ، كما قال سبحانه : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾﴾ [العلق:٦-٨] .

وكل ما زاد الله عليه نعمه اغتر بها ، فنسي ذكر الله ، وأعرض عن عبادة ربه ، وإن مسه فقرٌ أو مرضٌ أو ابتلاء كان يؤوسًا شديد اليأس من رحمة الله ، واستولى عليه الأسف والحزن على الدنيا ، ولم يتفرغ لذكر الله تعالى : ﴿۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج : ١٩-٢٢]

فهذا شأن الإنسان الذي لم يؤمن بربه ، محرومٌ أبدًا من ذكر الله ، ومن ذكر رحمته ، سواءٌ أعطي ، أو منع : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا

مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء: ٨٣ – ٨٤]

فليس العطاء ، أو المنع المادي دليلٌ على رضا الله على العبد ، بل رضاه سبحانه مقرونٌ بعبادته وحده لا شريك له وطاعته : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفجر:١٥-٢٠] .

ولا سعادة للإنسان أبدًا إلا بالإيمان بالله ، ودوام ذكره ، والعمل بشرعه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

وهذه النفوس المؤمنة المطمئنة تعود إلى ربها يوم القيامة راضيةً مرضية : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر:٢٧ -٣٠] .

والأصل في الإنسان الجهل ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل:٧٨] .

والأصل في الإنسان الضلال ، كما قال سبحانه في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ » . أخرجه مسلم[1] .

والإنسان ظلومٌ جهول ، فلابد من الجود عليه ، ليكون مؤمنًا بعد كفره ، عالمًا بعد جهله ، عادلًا بعد ظلمه ، رحيمًا بعد قسوته : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢] .

والله ﷻ فطر الناس على التوحيد ، ولكن الشياطين جاءتهم واجتالتهم عن دينهم : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠] .

وقال النبي ﷺ: « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ » أخرجه مسلم[2] .

ولهذا بعث الله الأنبياء لسقي هذه الفطرة ، وحمايتها من كل شيءٍ يفسدها : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦] .

وكمال الإنسان بأمرين :

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٥٨).

١ - أن يعرف الحق لذاته .

٢- ويعرف الخير لأجل العمل به .

واستكمال القوة النظرية بالعلم : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] .

واستكمال القوة العملية بفعل الخيرات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

والقوة النظرية أشرف من القوة العملية والقوة العملية ثمرة القوة العلمية :﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

واستكمال القوة النظرية بالمعارف الإلهية، كما قال سبحانه : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ ﴾[البقرة:٢٨٥].

واستكمال القوة العملية بالأعمال الصالحة والطاعة الكاملة، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

شرف الله الإنسان ، وخصه بكرماتٍ دون غيره من المخلوقات : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء:٧٠] .

فالمخلوقات العظيمة في هذا الكون ستة أجناس ، الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، والإنس ، والجن ، والملائكة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢] .

والإنسان أشرف هذه المخلوقات ، وقد خصه الله بكرمات ، فخلقه سبحانه بيديه ، وخلق جميع المخلوقات بأمره .

الثالثة : أن الله نفخ فيه من روحه .

والرابعة : أن الله علمه أسماء كل شيء .

والخامسة : أن الله لا يرضى أن يسجد أحدٌ لغيره ، وأسجد جميع الملائكة الذين هم أشرف المخلوقات للإنسان تشريفًا له .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤] .

السادسة : أن الله خلق جميع المخلوقات قبل الإنسان ، وسخرها لخدمة الإنسان ، فكلها خادمةٌ للإنسان ، والإنسان مخدوم .

قال الله تَعَالىَ : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان:٢٠] .

السابعة : أن الله خلق الإنسان ليكون خليفةً في الأرض في الدنيا ، وليكون جليسه في الجنة في الآخرة .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

الثامنة : أن في الجنة نعيمٌ أعظم من الجنة ، وهو رؤية الله وسماع كلامه ، والقرب منه ورضوانه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢ - ٢٣] .

وقال الله ﷻ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٨] .

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

فمقصود خلق الإنسان أن يكون جليس ربه في الجنة ، والوسيلة لذلك في الدنيا هي الإيمان بالله ، وعبادته وحده لا شريك له ، والخلافة في الأرض بما جاء عن الله عز وجل ، وبسبب ذلك يدخل الإنسان الجنة ، وينال رضوان الله ومحبته : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢]

والله عز وجل هو الخلاق العليم خلق هذا الإنسان يركب طبقًا بعد طبق ، كما قال سبحانه : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾[الانشقاق:١٩]

وينتقل من محلٍ إلى محل ، فأول ابتدائه من التراب ، ثم انتقل من أصل التراب إلى أصل النطفة ، ثم إلى العلقة ، ثم إلى المضغة ، ثم إلى العظام ، ثم كسا الله العظام لحمًا ، ثم أنشأه الله خلقًا آخر ، ثم أخرجه إلى الدنيا ، ثم ينتقل إلى القبر ، ثم إلى المحشر ، ثم إلى دار القرار في الجنة أو النار : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾[نوح:١٣ -١٤] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾[الحج:٥] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾[الروم:١٤-١٦] .

والله عز وجل خلق آدم من تراب ، ثم خلق منه زوجته حواء ، ثم خلق الناس منهما بواسطة النطفة المجتمعة من ماء الذكر والأنثى في الرحم ، كما

قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[النساء:١]

فخلق الناس كلهم بواسطة النطفة المجتمعة من ماء الذكر والأنثى في الرحم ، ثم يكون علقة ، ثم مضغة ، ثم يكون طفلًا يخلقه الله في ظلماتٍ ثلاث ، ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، ظلمة المشيمة ، فيركب الله عز وجل من تلك النطفة عظام الإنسان بعضها فوق بعض ، ثم يكسوها لحمًا ، وجعل في ذلك اللحم ، والعروق ، والأعصاب ، وفتح مجال البول والغائط ، وفتح العيون والآذان ، والأفواه ، والفم ، وفرق الأصابع ، وشد رؤوسها بالأظفار ، وكل هذا في الظلمات الثلاث : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[المؤمنون:١٢-١٦] .

٣- الخزانة الثالثة

- **عجائب خلق الإنسان :**

الإنسان مخلوقٌ عظيم ، خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسجد له ملائكته ، فخلقه الله لمقصدٍ عظيم ، هو أن يكون في الدنيا خليفةً يعبد ربه ، ويدعو الناس إلى ربه ، وفي الآخرة يكون في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

وفي خلق هذا الإنسان عجائب تبهر العقول ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، ومن أعظم ذلك أن الله عز وجل صب الإنسان صبةً واحدة ، فجعل الرأس في الأعلى ، والقدمين في الأسفل ، واليدين في الوسط ، وجعل الأنف هنا ، والفم هنا ، والعينين هنا ، ولم يتفق منا اثنان ولو جاءت الملاين مضروبةً في الملايين لكل واحدٍ صورته ، وهيأته مخالفة لصورة لآخر في الحجم ، واللون ، والطول ، والصوت ، وآثار الأقدام ، وبصمات الأصابع ، ورائحة الجلد ، ونحو ذلك من الفوار :﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾[التين:٤-٦] .

وفي خلق كل عضو من العجائب والغرائب ما يبهر العقول ، فالعينين خلقهما الله شحمةً لئلا يجففها الهواء ، وجعل ماء العين ملحًا لئلا تنتن

الشحمة ، وأخرج منها النور الذي يشع فيبصر به الإنسان الألوان ، والأحجام ، والأجناس والأشخاص ، وفتح له الفم ، وجعل فيه عينًا عذبة من الريق تحت اللسان ليسهل بها أكل الطعام ، فلو جف ريقه ، لما قدر أن يبلع شيئًا ، يجم ريقه عند الأكل ، ويجف إذا فرغ لئلا يتعبه التفل .

وخلق اللسان في الفم يتكلم به ويقلب به الطعام ، ولو جعل الله العينين في القدمين ما رأى شيئًا ، ولو جعل سبحانه الأنف في يده لتعب ، ولو جعل الفم في رجله لشق عليه الأكل ، ولو جعل سبحانه أصابع الإنسان ملتصقةٌ كالبعير لما استطاع أن يأخذ ويعطي ، وخلق سبحانه الأنف ، وجعله مجرى للنفس ، وجعل فيه حاسة الشم ، وخلق اللسان ، وجعل فيه حاسة الذوق ، وخلق العينين وجعل فيهما حاسة البصر ، وخلق الأذنين ، وجعل فيهما حاسة السمع : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل:٧٨] .

وخلق الأصابع ، وجعل فيها حاسة اللمس ، فسبحان الخلاق العليم الذي خلق القلب في محله ، والكبد في محلها ، والكلية في محلها ، المعدة في محلها ، والمخ في محله ، وفتح الشرايين ليدور الدم ، ومفتح مجال البول والغائط ، وفتح منافذ السمع والبصر والأكل والكلام ، والكل يقوم بوظيفته بتدبير الجسم ، وكل واحدٍ منا دخل رحم أمه نطفة ليس فيه يدٌ ولا رجلٌ ولا رأسٌ ولا عين ، ثم صوره الله إنسانًا وخلقه في ظلماتٍ ثلاث : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[آل عمران:٦] .

وتجري في بدنه آلاف العمليات وأمه لاهية تفرح وتمرح لا تدري عما يفعل في بطنها ربها من عجائب صنع الله ، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك :﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل:٨٨] .

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق الإنسان في ظاهره وباطنه في أحسن قويم ، في جسده وعقله ، وشهوته وصورته وشكله ، فليعبد ربه الذي خلقه فصوره ، فرزقه وهداه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾[الانفطار:٦ -٨] .

فإن لم يستجب فسيرده الله إلى أسفل سافلين إذا غير فطرته ، وكفر بربه ، وأشرك به غيره ، وعبد سواه وسفل في أخلاقه وشهواته ، وأقواله وأعماله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾[التين:٤-٦] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر/ ١-٣].

فلا أسفه ممن أعرض عن عبادة الله ، ولا أسفل ممن أشرك بالله ، ولا أسفل ممن يعتقد ألوهية الأحجار والأشجار والحيوانات ، وينكر وجود الخالق ، وهو يشاهد مخلوقاته ، ويتنعم بنعمه فهذا في أسفل سافلين اعتقادًا ، وتعبدًا ، ومصيرًا .

وآثار الطاعات والمعاصي ظاهرةٌ على كل إنسان ، فللحسنة نورٌ في القلب وضياءٌ في الوجه ، وسعةٌ في الرزق ، وقوةٌ في البدن ، ومحبةٌ في قلوب الخلق ، والسيئة سوادٌ في الوجه ، وظلمةٌ في القلب ، ووهنٌ في البدن ، ونقصٌ في الرزق ، وبغضٌ في قلوب الخلق ، وتبقى هذه الآثار مع الإنسان في حياته وبعد مماته ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٦-١٠٧] .

- **حقيقة الإنسان :**

خلق الله ﷻ الإنسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسجد له ملائكته ، فهو مركب من عنصرين مختلفين ، وهما الجسد والروح ، وجعل لكل منهما غذاءً لا تستقيم حياته إلا به : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة:١٧٢] . ، غذاء الجسد .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] . ، غذاء الروح .

وقال الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:٢٨] . ، غذاء الروح .

فللجسد متطلبات لا تقوم بها طلبات الروح ، وللروح متطلبات لا تغني عنها طلبات الجسد ، وهذا الإنسان لابد أن يسعى سعيًا مزدوجًا لتحقيق متطلبات الروح ، ومتطلبات الجسد ، وإهمال متطلبات الجسد فسادٌ لأجساد البشر وهلاكهم : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[النساء:٢٩] .

وإهمال متطلبات الروح أعظم وأخطر فهو الولاية الكبرى على العالم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الجمعة:٩] . ، هذه متطلبات الروح .

وقال الله ﷻ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الجمعة:٩-١٠] . ، هذه متطلبات الجسد والروح معًا .

وقد حصل في عصرنا هذا أمرًا عظيمًا ، فقد خدم الإنسان من حيث أنه جسد بخدماتٍ هائلة ، في مطعمه ومشربه وملبسه ، ومركبه ، ومسكنه ، ولكنه زاد شقاؤه وخوفه ؛ لأنه لم يخدم من الجهة الثانية فأفلس كل الإفلاس من الناحية الروحية ؛ لأنه حُرم التربية الروحية السماوية ، فانحطت أخلاقه في أغلب دول العالم ، وتمرد على أوامر الله ؛ لأن تلك الأرواح غير متربية على ضوء الوحي الإلهي ، وإهمال هذه التربية الروحية يهدد العالم كله بخطرٍ دامي : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى

هُدَى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .

وقال الله ﷻ: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

وبسبب العناية بالجسد فقط ، وإهمال الروح حصل الرعب في العالم وصاروا يتفكرون ، ويعقدون الاجتماعات للتخلص من القوة التي صنعوا ويدمروها ولكنهم عجزوا ، وما ذلك إلا أنها تدبرها أرواحٌ خبيثةٌ ليست مرباةٌ على ضوء القرآن والسنة : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء:٦٦-٧٠] .

فأعظم المعارف أن يعرف العبد ربه ، وما يجب له ، فيقر بالجهل في العلم ، والتقصير في العمل ، والعيوب في النفس ، التفريط في حق الله ، والظلم في معاملته ، فهذا العارف حقًا : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] .

هذا العارف حقًا إن عمل حسنة رآها منةً عليه من الله ، فإن قبلها فمنةٌ ثانية ، فإن ضعافها فكرمٌ منه ، وإن ردها فلكون مثلها لا يصح أن يواجه به الله عز وجل ، وإن عمل هذا العبد سيئةً رآها من تخلي ربه عنه ، إمساك عصمته عنه ، إن آخذه بذنوبه رأى عجزه ، وإن لم يؤاخذ به رأى فضله ، وإن غفرها فمن محض إحسانه وكرمه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر: ٢٢] .

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة:١٤٣] .

وهذا الإنسان مخلوقٌ عجيب ، إذا غلب صبره بعث الهوى والشهوة التحق بالملائكة : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

وإذا غلب الهوى والشهوة صبره التحق بالشياطين : ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٧] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص:٥٠] .

وإن غلب باعث طبعه من الأكل والشرب والجماع صبره التحق بالبهائم : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ

لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩] .

وقال الله تَعَالَىَ : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[الفرقان:٤٤] .

- **آباء البشر :**

أكرم الله ﷻ جميع بني آدم ، فخلق أباهم آدم ﷺ بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وجعل الأنبياء والرسل من ذريته .

- **وآباء البشر ثلاثة :**

الأول : آدم ﷺ.

الثاني : نوحٌ ﷺ.

الثالث : إبراهيم ﷺ.

آدم ﷺ أبو الآباء وعمود العالم ، والبشر كلهم ذريته ، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

ونوح ﷺ الأب الثاني للناس ، وأهل الأرض كلهم من بعده من ذريته ، كما قال عز وجل : ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ

نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الصافات:٧٥-٨٢] .

- **وكان لنوح ﷺ زوجة وأربعة أولاد هم :**

سام .. وحام .. ويافث .. وكنعان .

فأغرق الله زوجة نوح وابنه كنعان لكفرهما مع من أهلك من كفار قوم نوح ، وأنجى الله نوحًا وأبناءه الثلاثة المؤمنين : سام وحام ويافث .

فجميع من في الدنيا بعد نوح من نسله ، فهو أبو البشرية الثاني بعد آدم ، فابنه سام من نسله العرب والفرس والروم ، وحام من نسله القبط والسودان والبربر ، ويافث من نسله الصقالبة والترك ويأجوج ومأجوج ، فجميع أهل الدنيا بعد نوح من نسله .

هؤلاء الثلاثة، كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الصافات:٧٧] .

وإبراهيم ﷺ الأب الثالث ، وهو إمام الحنفاء ، وأبو الأنبياء من بعده ، الذي اتخذه الله خليلًا ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١]

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء:١٢٥] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحديد:٢٦] .

وإبراهيم بالسريانية معناه : أبٌ رحيم ، وخير بنيه سيد ولد آدم محمدٌ ﷺ ، وقد أمر الله رسوله محمدًا ﷺ وأمته بإتباع ملة إبراهيم وهي التوحيد ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، والدعوة إلى الله عز وجل كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٣] .

- **الأحوال التي يمر بها الإنسان :**

الإنسان من جهة مادة خلقه أربعة أنواع :

١- فقد خلق الله آدم ﷺ من غير أبٍ ولا أم ، خلقه من تراب .

٢- وخلق حواء من أبٍ بلا أم من أحد أضلاع آدم .

٣- وخلق عيسى ﷺ من أمٍ بلا أب .

٤- وخلق الله سائر البشر من أمٍ وأب .

وذلك إظهارًا لقدرته جل جلاله في خلق آدم كما قال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [السجدة:٦-٩] .

والإنسان من جهة جنس الخلق أربعة أنواع :

١- فمن الناس من يرزقه الله الإناث .

٢- ومنهم من يرزقه الذكور .

٣- ومنهم من يرزقه الذكور والإناث .

٤- ومنهم من يجعله عقيمًا لا يُولدُ له .

قال الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾ [الزمر:٦٢ -٦٣] .

فالله سبحانه هو الوهاب الذي يهب من خلقه ما يشاء من الأولاد والبنات ، ومن الذكور والإناث : ﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٥٠ ﴾ [الشورى:٤٩-٥٠] .

- **والإنسان من جهة الدور التي يمر بها له أربع دور :**

الأولى : بطن أمه .

- **والحكمة من بقائه في بطن أمه أمران :**

١- تكميل الأعضاء الداخلية .

٢- وتكميل الجوارح الخارجية .

والثانية : دار الدنيا ، والحكمة من بقائه فيها عبادة الله عز وجل ، وتكميل الإيمان والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة .

الثالثة : دار البرزخ في القبر ، والحكمة من بقائه فيها استكمال بقية الخلق من أهل الجنة والنار .

والرابعة : دار القرار في الجنة أو النار ، فيبعث الناس من قبورهم وينصرفون إلى دار مقرهم في دار القرار في الجنة أو النار كلٌ حسب عمله .

وخلق الله الإنسان وجعله يتحول من حالٍ إلى حال ، سواءً كان في الزمان أو المكان أو الأبدان أو القلوب ، ويركب طبقًا بعد طبق كما قال سبحانه : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [الانشقاق:١٩]

وقال عز وجل : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح:١٣ - ١٤] .

فأولًا : أحوال الزمان تتقلب على الإنسان من أمنٍ إلى خوف ، ومن سلمٍ إلى حرب ، ومن مطرٍ إلى قحط ، ومن جدبٍ إلى خصب ، ومن فرحٍ إلى حزن ، ومن عافيةٍ إلى مرض ، ونحو ذلك من التقلبات .

ثانيًا : أحوال المكان ، ينتقل الإنسان كل يوم من منزلٍ إلى منزل ، ومن مكانٍ إلى مكان ، ومن بطن الأم إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى القبر ، ومن القبر إلى أن تنتهي به المنازل في دار القرار ، في الجنة والنار ، حسب عمله .

ثالثًا : أحوال الأبدان ، يركب الإنسان منها طبقًا عن طبق ، فيكون نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم طفلًا ، ثم شابًا ، ثم هرمًا ، ثم ينقص شيئًا فشيئًا حتى يموت .

رابعًا : أحوال القلوب ، أحوال القلوب عجيبة ، فتارة يتعلق القلب بالدنيا ، وتارةً يتعلق بالنساء ، وتارةً يتعلق بالأموال ، وتارةً يتعلق بالقصور

والمنازل ، وتارةً بالمراكب ، وأعظم تعلقات القلب أن يكون متعلقًا بالله عز وجل فيستخدم الدنيا من أجل تحقيق العبودية لله عز وجل : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾[التغابن:١٣] .

وهذه أعظم الأحوال الأربع ، فعلى الإنسان أن يتفقد قلبه ليحفظه من التعلق بغير الله ، ويشغله بذكر الله وطاعته وعبادته : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[الرعد:٢٨] .

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

٤- الخزانة الرابعة

خلق الله عز وجل الإنسان وأكرمه بكراماتٍ كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء:٧٠] .

والمؤمن يمر في أطوارٍ ثلاثة :

الأول : طورٌ يؤدبه ربه فيه على تقصيره وبعض أخطائه كما ربى الله آدم في الجنة ، ثم تاب عليه وهداه ، كما قال سبحانه : ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾** ﴾[النساء:١٢٣] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى:٣٠] .

والطور الثاني : طورٌ يبتلي فيه الله العبد ، ويمتحنه بالسراء والضراء ، والأمن والخوف ، ليعلم الصادق من الكاذب ، فإن صبر وتوكل على الله كفاه من كل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَ�ٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾** ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

الثالث : إذا نجح في هذين الطورين بلغ طور التكريم الخاص ، وأصبحت حياته سلسلةٌ من الإكرامات في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ

عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

والله عز وجل امتن على كل إنسان بقوت الأبدان من الطعام بأنواعه والشراب بأنواعه : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾[هود:٦] .

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وامتن على الإنسان خاصة بقوت القلوب وهو معرفة علام الغيوب ، والإيمان به ، والعمل بشرعه ، وهذا القوت يملأ القلب بالإيمان ، ويملأ النفس بالسكينة والطمأنينة ، ويشغل الجوارح بطاعة من خلقها وسواها : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

وإشباع الجسد لا يغني الروح شيءً فالروح لها قوتٌ خاص بها هو الإيمان والتقوى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٤] .

وكلما كبر الإنسان كانت حاجته إلى قوت القلوب أشد ، فعندما يزيد إيمانه لا يرى سعادةً إلا في مناجاة ربه ، وحينما يفتقر القلب إلى القوت يتضجر لأن الطمأنينة منعدمة ، فلا طمأنينة له إلا بذكر الله عز وجل كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨] .

والله سبحانه هو المقيت الحفيظ لجميع الأقوال والأعمال ، فمن دل غيره على خيرٍ فله منه نصيب ، ومن دله على شر فله منه كفل ، والله حافظٌ ورقيب ، وشاهدٌ وشهيد على كل ذلك : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء:٨٥] .

والناس في القوت مختلفون حسب الإيمان والكفر ، فمنهم من جعل الله قوته في المطعومات فقط ، فهذا يعيش ليأكل : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد:١٢] .

ومنهم من جعل الله قوته في طاعة الله ، فهذا يأكل ليعيش لله ، وقوته أحسن الأقوات وأكملها : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ

حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٣]

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وقال النبي ﷺ: « لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عز وجل إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » . أخرجه مسلم(١) .

فالمشغول بعبادة الله وذكره يطمئن قلبه بذكر ربه ، وينسى غذاءه ويغنيه ذلك عن الإطعام المادي . كما قال النبي ﷺ: « أَيُّكُمْ مِثْلِي ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ » . متفقٌ عليه(٢) .

وقال الله ﷻ عن إبراهيم ﷺ: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الشعراء : ٧٩] .

الله ﷻ خلق الإنسان وخلق فيه مخلوقاتٍ عظيمة وآياتٍ عجيبة ، فليس الإنسان جسدًا وحده ، وليس عقلًا وحده ، وليس قلبًا وحده ، فالإنسان مجموعة طاقاتٍ وملكاتٍ ، فالجسد غذاؤه الطعام والشراب ، والعقل غذاؤه العلم والمعرفة ، والقلب غذاؤه الذكر والإيمان والحب : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات:٢١] .

وقد شرف الله الإنسان بالإيمان بالله وطاعته وعبادته وحده لا شريك له ، فالله هو المجيد العظيم العلي ، ومن آمن به رفعه عاليًا ، وعظمه في قلوب

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٠٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:(٦٨٥١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٠٣).

الناس : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٩] .

وقال الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠] .

وقال الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

وقد يرتفع الإنسان في الدنيا بالباطل والقهر والقوة والاستعلاء والمال والجاه ، ولكن رفعة الدنيا آيلةٌ إلى زوال ، ورفعة الدين باقيةٌ إلى استمرار : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص:٤] .

فالقوي من الناس بلا إيمان مرهوب الجانب مادام حيًا ، فإذا مات جاءته اللعنات من كل جانب لأنه كان يؤذي الناس ويعذبهم ويظلمهم : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٨] .

فهذه رفعة ، وتلك رفعة ، ولكن الأنبياء وأهل الإيمان ملكوا قلوب الناس ، وعبدوا من يستحق العبادة ، والأقوياء ملكوا رقاب الناس ، وأعرضوا عن الله ، وملك الرقاب يزول ، وملك القلوب لا يزول ولو بعد الموت وكلٌ راجعٌ إلى ربه : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣]

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] .

فمن أحبه الله من الناس نشر محبته في أهل السماء والأرض ، وسخّر عدوه لخدمته ، ومن أبغضه الله نشر بغضه في أهل السماء والأرض ، وجعل أقرب الناس إليه يتنكر له : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾[مريم:٩٦] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة:١٦١-١٦٣] .

فما أعظم عناية الرب بخلقه ، وما أعظم رحمته لهم وإحسانه إليهم ، وأفعاله معهم في منتهى الحكمة والرحمة والعدل والإحسان ، آياته كونية تذكر الإنسان بعظمة ربه فيكبره ويعظمه ويطيعه .

ونعمه الظاهرة والباطنة توجب له محبته وحمده وشكره ، والمصائب والآلام والأمراض ، والقهر والزلازل والبراكين توجب له الخوف منه ، فيقبُل على طاعته ويجتنب معصيته ، فالآيات الكونية من أجل أن تعظمه ،

والنعم من أجل أن تحبه ، والمصائب من أجل أن تخافه : ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[الأعراف:١٦٨] .

وجسد هذا الإنسان مملوءٌ بالأجهزة المعقدة ، ولهذا لا يستغني عن خالقه طرفة عين ، فأي جهازٍ يتعطل ، أو أي نسبةٍ تتغير تصبح حياة الإنسان لا تطاق ، فهو شديد الحاجة لربه كل حين ، في بطن أمه ، وفي بطن الدنيا ، وفي القبر وفي دار القرار : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

لو قصّرت الكلية في عملها لزادت نسبة الحموضة في الدم ، فحصل التوتر العصبي العنيف ، وإذا زاد الملح أثر في الدم فزاد الضغط ، وإذا أصبح الدم لزجًا يتجمد فورًا ، والتجمد يعني الشلل أو فقد البصر أو فقد الذاكرة أو الموت : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾[التين:٤-٦] .

فلله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤]

٥- الخزانة الخامسة

- **كرامات الرب للإنسان :**

الله سبحانه خلق كل شيءٍ بأمره ، وخلق آدم ﷺ بيده تكريمًا وتشريفًا له ، وصوره فأحسن صورته ، ثم نفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، ثم أمر الملائكة بالسجود له ، فسجدوا له إلا إبليس امتنع عن السجود له ، فطرد الله إبليس ولعنه ، وأسكن آدم جنته ، وأتم عليه نعمته : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[التين:٤] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤] .

ثم أنزل الله آدم من السماء إلى الأرض بحكمته ، ليكون في الأرض خليفة ، وهيأ له السكن قبل أن ينزل : ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأعراف:٢٤ - ٢٥] .

وجعل الله الأرض وما عليها كلها له : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[البقرة:٢٩] .

وأمره أن ينتفع بخيرات الأرض ويستعين بنعم الله على طاعته : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[البقرة:٢٩] .

وفضل الله الإنسان بالعقل والنطق على ما سواه من الجماد والنبات والحيوان : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء:٧٠] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل:٧٨] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[الرحمن:١-٤] .

خلق الله الإنسان وجعله مركبًا من بدنٍ وروح ، وفطره وهداه إلى الإيمان ، وحب الخير وبغض الشر : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

فجعله سبحانه خليفةً في الأرض ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة:٣٠]

وسخر الله للإنسان ما في السماوات وما في الأرض ، ليكون في مصلحته وخدمته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان:٢٠] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران:٨] .

فهذا العالم كله بأسره كقريةٍ صغيرة ، فيها جميع المخلوقات المختلفة ، والمنافع العظيمة ، والإنسان فيها هو الرئيس ، وسائر الجمادات والنباتات والحيوانات بالنسبة إليه كالعبيد له ، والخدم له ، وهم جميعًا مطيعون له وفي خدمته ، فكم نعم الله عز وجل على هذا الإنسان ؟ وكم أنواع تكريمه له سبحانه ؟ .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤] .

والإنسان أشرف المخلوقات في العالم السفلي ، والعالم العلوي أشرف من العالم السفلي ، وروح الإنسان من جنس العالم العلوي ، وليس في مخلوقات العالم السفلي منه شيء -من العالم العلوي- إلا الإنسان ، لهذا فهو أشرف وأكمل ، لهذا فلا يليق بالإنسان الذي كرمه الله وجعله في الدنيا خليفة ، ويوم القيامة -إن كان مؤمنًا- جليسه ، لا يليق بهذا الإنسان في هذه الدنيا أن يسكن في ملك الله ويأكل من رزق الله ، أن يعبد غير الله مما هو دونه من صنمٍ أو حجرٍ أو شجر ، ويعصي أمر من خلقه وأنعم عليه وهداه بلا حياء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار:٦ -٨] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢]

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل:١٧-١٨] .

فسبحان الله ما أجهل العبد بربه ، وما أجهله بملكه وسلطانه ، وما أجهله بدينه وشرعه وثوابه وعقابه .

- **فالناس أربعة :**

١- رجلٌ يدري ويدري أنه يدري ، فذلك عالمٌ فخذوا عنه .

٢- ورجلٌ يدري ولا يدري أنه يدري ، فذاك ناسٍ فذكروه .

٣- ورجلٌ لا يدري ويدري أنه لا يدري ، فذلك طالب علمٍ فعلموه .

٤- ورجلٌ لا يدري ولا يدري أنه يدري ، فذلك أحمق فارفضوه .

فالناس مختلفون في العقول والأفهام ، والإقبال والإدبار ، والله سبحانه يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران:٧٣] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

- **فضل الله آدم على غيره من الملائكة وغيرهم في أمور :**

فالله سبحانه خلق آدم بيده ، وأسجد له ملائكته ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وجعله خليفةً في الأرض ، وقد بلغ آدم ﷺ في

منصب الخلافة أعلى الدرجات . فالدنيا خلقها الله متعةً لبقائه ، والآخرة مملكة لجزائه ، والملائكة في طاعته ، وإعانته ؛ فبعضهم حافظين له ولذريته ، وبعضهم منزلين لرزقه ، وبعضهم مستغفرين لزلاته ، وصارت الشياطين ملعونين بسبب التكبر عليه .

ومع هذه الكرامات والمناصب العالية يقول الله له :﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥ ﴾[ق: ٣٥] .

فهو في الدنيا خليفة ، ويوم القيامة إذا آمن جليسه : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ٥٥ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾[الإسراء:٧٠] .

فكم من الكرامات أعطاها الله عز وجل لهذا الإنسان خلقه الله في أحسن تقويم ، وأنعم عليه بنعمٍ لا تعد ، ولا تحصى ، وميزه على عقله ، على غيره بالعقل والنطق والعلم .

وكل من عرف شيئًا ؛ فإما أن يكون قادرًا على تعريف غيره به ، أو يكون عاجزًا عن تعريف غيره به .

فالأول : هو الإنسان فإنه يعلم بالأشياء ويمكنه تعريف غيره بكل ما عرفه .

والثاني : هو الحيوان فأنه إذا حصل له ألم أو لذة يعجز عن تعريف غيره به .

والناس يوم القيامة يصدرون للمحاسبة ، ورؤية الأعمال ثم الجزاء عليها ، ويصدرون أشتاتًا : ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦ ﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦] .

فبعضهم يذهب إلى الموقف راكبًا مع الثياب الحسنة وبياض الوجه وهم المؤمنون وهم درجات .

قال الله تَعَالىَ : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾[مريم:٨٥-٨٦] .

ومنهم من يَذهب من يُذهب بهم حفاةً ، عراةً ، سود الوجوه ، مقيدين في السلاسل والأغلال وهم الكفار ، وهم درجات : فيذهب اليهودي مع اليهودي ، والنصراني مع النصراني ، كل فريقٍ مع شكله .

وحسنات الكافر محبِطةٌ ، محبَطةٌ بكفره ، وسيئات المؤمن مغفورةٌ إما ابتداءً ، وإما بسبب اجتناب الكبائر:﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[النساء:٣١] .

وليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرًا أو شرًا إلا أراه الله إياه ، فأما المؤمن فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

وهذا هو الحق والعدل والكرم :

فإن المعصية وإن قلت وصغرت ففيها استخفاف بالملك العظيم الجبار الذي له ملك السماوات والأرض وله من في السماوات والأرض ، وله خزائن السماوات والأرض ، وله غيب السماوات والأرض ، وله جنود السماوات والأرض ، وله ميراث السماوات والأرض ، والكريم القادر على كل شيء الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى لا يحتمل ذلك .

وفي الطاعة تعظيمٌ للملك ، فهذا التعظيم وإن قل فالكريم لا يضيعه ، بل يضاعف أجره : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء:٤٠] .

فكل ذنب مهما كان فهو عظيم ؛ لأنه وقع في حق العظيم سبحانه الذي له الخلق والأمر وبيده مقاليد الأمور .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

ولأنه وقع في مقابلة نعم ربه العظيمة : ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان:٢٠] .

فقه الأرواح :

الأجساد مساكن الأرواح وفي كل جسدٍ روحان :

إحداهما : روح اليقظة :

وهذه الروح هي التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظًا ، فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان ورأت تلك الروح المنامات بعد مفارقة الجسد ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[الزمر:٤٢] .

الثانية : روح الحياة :

وهي الروح التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان حيًا فإذا فارقته مات الجسد ، فإذا رجعت إليه حيي الجسد عند البعث، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾[الواقعة:٨٣-٩٦] .

وهاتان الروحان في باطن الإنسان ولا يُعرف أين مقرهما ، فهما كجنينٍ في بطن امرأةٍ واحدة : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

وكذا في باطن الإنسان روحان أخريان :

١- روحٌ ملكية : تأمر الإنسان بالخير ، وتنهاه عن الشر .

٢- وروحٌ شيطانية : تأمر الإنسان بالشر وتنهاه عن الخير .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾[الناس: ١ – ٦]

وفي الحديث « إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لمَّةً فَأَمَّا لمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ ، وَأَمَّا لمَّةُ المَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ

بِالحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهَّ فَلْيَحْمَدِ اللهَّ وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهَّ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » . صححه ابن حبان[1] .

وفي الحديث « التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ الشَّيْطَانُ » . أخرجه البخاري في الأدب المفرد[2] .

وقال ﷺ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ قَالُوا : وَإِيَّاكَ ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : وَإِيَّايَ ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » أخرجه مسلم[3] .

وماهية الروح ومكانها لا يعلمها ، لا يعلمه إلا الله ، فالله عليمٌ بكل شيء ونحن لا نعلم من العلم إلا قليلًا .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] .

والله عز وجل أظهر أشياء وأخفى أشياء :

١- فأظهر مخلوقاته ، وأخفى نفسه .

٢- وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة .

٣- وأظهر قيمة الأموال والأشياء وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة .

٤- وأظهر سنته وأخفى قدرته .

٥- وأظهر الأجساد وأخفى الأرواح .

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم: (٩٩٧).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٣٢٨٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٨١٤).

قال الله تَعَالىَ : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

والروح : جزءٌ لطيف خفيف يخرج من البدن عند الموت ، ولا يمكن أن نشاهده وإنما يشاهده الميت ، فيشاهد نفسه خرجت من جسده ، كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ » . أخرجه مسلم(١) .

والأرواح يوم القيامة تنتقل إلى أجسادٍ أخرى ؛ فالكافر ضرسه مثل أحد ، وعرقه مثل جبل البيضاء ، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام ومقعده في النار كما بين مكة والمدينة .

وجسد المؤمن كمثل جسد آدم ستون ذراعًا في السماء ، فسبحان الخلاق العليم الذي يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد :﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[الزمر:٦٢ -٦٣] .

وسعادة الدنيا والآخرة تكون بالإيمان والطاعات ، وشقاوة الدنيا والآخرة تكون بالكفر والمعاصي :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة:٣٠]

- **والناس في الجنة نوعان :**

سعيدٌ ، وأسعد .. وسابقون وأبرار .

---

(١) أخرجه مسلم رقم: (٩٢٠).

- **والناس في النار اثنان :**

شقيٌ .. وأشقى .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل:٨٨] .

- **والناس أربعة أصناف :**

أحدها : سعيدٌ في الدنيا والآخرة وهم أهل الإيمان والتقوى ، وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء .

الثاني : شقيٌ في الدنيا والآخرة وهم أهل الكفر والفجور ، وفي مقدمتهم إبليس وفرعون وقارون وأبا جهل وغيرهم من أئمة الكفر .

الثالث : سعيدٌ في الدنيا شقيٌ في الآخرة وهم أغنياء الكفار وإن كانت سعادة دون سعادة .

الرابع : شقي في الدنيا سعيدٌ في الآخرة وهم أهل الفقر والبلاء من المسلمين .

فليتق العبد ربه الذي خلقه ، وصوره وأنعم عليه ، وأكرمه ، وأحسن إليه ، وهداه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢]

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار:٦ -٨] .

٦- الخزانة السادسة

• خلق آدم ﷺ:

أول ما خلق الله تبارك وتعالى العرش ثم خلق القلم وكتب به المقادير قبل كونها، وخلق آدم ﷺ آخر المخلوقات تمهيدًا وتهيئةً للدار قبل نزول الساكن .

ولكرامة آدم على خالقه هيأ الله له مصالحه وحوائجه وأسباب حياته قبل خلقه .

وخلق آدم ﷺ من أعظم الآيات فقد جمع الله ما فرقه في العالم في خلق آدم فهو العالم الصغير ، وفيه ما في العالم الكبير ، وهو خلاصة الوجود وثمرته .

والنفوس تتطلع دائمًا إلى النهايات والله عز وجل أخر أفضل الكتب ، وأفضل الرسل ، وأفضل الشرائع ، وأفضل الأمم إلى آخر الزمان ، وجعل الآخرة خيرًا من الأولى .

فلما افتتح الله عز وجل خلق هذا العالم بالقلم كان من أحسن المناسبة أن يختمه بخلق الإنسان فإن القلم آلة العلم والإنسان هو العالِم ؛ ولهذا أظهر الله فضل آدم على الملائكة بالعلم الذي خصه به دونهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[البقرة:٣١] .

وقد خلق الله عز وجل آدم بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء إظهارًا لشرفه ، وأسكنه جنته .

ولما تم خلقه في أحسن تقويم ، وظهر كمال آدم على غيره جرى قدر الله بالذنب ليتبين أثر العبودية في الذل وما زالت تلك الأكلة من الشجرة تعاوده وتخيفه حتى استولى داؤه على أولاده وهو حب الشهوات ، فأرسل إليهم اللطيف الخبير الدواء على أيدي من اختارهم واصطفاهم واجتباهم من أنبيائه ورسله، كما قال سبحانه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[البقرة:٣٧-٣٨] .

فحماهم الشافي جل جلاله بالمناهي ، وحفظ القوة لهم بالأوامر .

واستفرغ منهم الأخلاق الرديئة بالتوبة فجاءت إليهم العافية من كل ناحية : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء:٧٠] .

وبعث الله عز وجل الأنبياء والرسل لبني آدم فتزينت قلوب من هداهم الله بالإيمان ، وتجملت بالتقوى وتحلت جوارحهم بالطاعات ورضي الله ، ورضي عنهم ربهم ، وصاروا أئمةً في الخير .

ولما سلم لآدم أصل العبودية وهو التوحيد لم يقدح فيه الذنب وحين علم اللطيف الكبير ، واللطيف الخبير أن ذنب عبده لم يكن قصدًا لمخالفته ،

ولا قدحًا في حكمته علمه كيف يعتذر إلى ربه فقال : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:٣٧].

وقال الله ﷻ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣] .

فآدم ﷺ لم يرد بمعصيته مخالفة سيده ، ولا الجرأة على محارمه ، ولكنها غلبان الطبع ، وتزيين النفس والشيطان فألهمه الله التوبة وقبلها منه .

- **وبخلق آدم من الطين سر عجيب :**

فالطين مركبٌ على أصلين الماء الذي جعل الله منه كل شيءٍ حي ، والتراب الذي جعل الله خزانة المنافع والنعم وفي ذلك إشارة إلى أن هذا الإنسان يحمل الهدى الذي به حياة العالم ، ويحمل الدين الذي كله منافع .

ومن كرامة الله لآدم أن خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وجميع المخلوقات خلقها الله بأمره فقال لها كوني فكانت : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢] .

ومن كرامته له كذلك :

أن أسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها دون غيره من الملائكة ، ثم جعل فيه الاستعداد للترقي حتى يصبح كالملائكة، أو الهبوط حتى يكون أسفل من الحيوان فيقضي حياته على طريقة الحيوان من أكلٍ وشربٍ ولهوٍ ولعب .

- **والله تبارك وتعالى عزيزٌ حكيم :**

ما خلق ذرةً في الكون عبثًا ، وقيمة الإنسان ومكانته بين المخلوقات عظيمة ، فمكانته بين السماوات والأرض كمكانة القلب من الجسم ، وبقاء المخلوقات مرهونٌ بوجود الإنسان ، وكما أن القلب إذا فَقد إذا فُقد هلك البدن فكذلك الإنسان إذا فَقد أنهى الله هذا الكون وطواه .

- **وقد خلق الله جميع المخلوقات وجعل لكل مخلوقٍ مقصدًا :**

وأشرف المخلوقات مقصدًا هو الإنسان هو من المخلوقات بمنزلة القلب من البدن ، وقد شاء الله عز وجل أن يخلق آدم ويستخلفه في الأرض فأقدره على أشياء ، وأعجزه على أشياء وعلمه أشياء ، وستر عنه أشياء ، وقهره على أشياء وجعل له الخيار في أشياء ، وذلك ليستكمل مقومات الخلافة ، ولا ينسى أنه غير أصيل فله مرجعٌ يعود إليه ، وقوةٌ أعلى يعود إليها ، ويستعين بها تمده بما شاء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام:١٠٢] .

أرسل الله آدم إلى الأرض ليقيم أمر الله في ذريته ، ولم يرسل الله آدم إلى الأرض ليقيم أمر الله دون تدريبٍ عملي ، بل جعل له تجربةً واقعية يعيش فيها التكليف بأمره ونهيه ، وبمقومات التكليف من الغفلة ، والنسيان ، وإغواء الشيطان ، وتزيينه قبل أن يهبط إلى الأرض فإذا أخطأ رده الله إلى الصواب بلطف .

فأسكنه الله الجنة مع زوجه ، وأمده بكل ما يحتاج بدون تعب ولا نصب كما قال سبحانه : ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ [طه:١١٧-١١٨] .

ثم استقبل آدم ﷺ المنهج من ربه أمرًا ونهيًا : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة:٣٥] .

ثم حذر سبحانه آدم ﷺ من معوقات التكليف خاصةً الشيطان فقال : ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه: ١١٧] .

ثم كان ما كان من الشيطان فأغرى آدم وزوجه بالأكل من الشجرة : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه:١٢٠] .

فأغراهما بالأكل من الشجرة ليحصل لهما الخلود والملك ، وأكد ذلك لهما بصفة الناصح الذي يريد لهما الذي يريد لهما الخير : ﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠-٢١] .

ونسي آدم ﷺ أنه في دور التجربة والتدريب فأكل وزوجه من الشجرة ، فماذا حصل لهما ؟ .

قال الله ﷻ: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ ﴾[الأعراف:٢٢] .

وماذا كان جزاء آدم ﷺ حين نسي أمر ربه ، وأكل من الشجرة ؟ .

كان الجزاء فقط أن يلقنه الله مولاه كيف يرجع إليه ويتوب إليه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[البقرة:٣٧].

واعترف آدم وزوجه بالذنب وسألا ربهما أن يغفره لهما ويرحمهما : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣] .

فاستجاب الله لدعاء آدم ﷺ واجتباه وتاب عليه وهداه كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[طه: ١٢٢] .

وبعد هذه التربية لآدم في الجنة ، وبعدما ظهرت له عداوة الشيطان ، وبعدما علمه الله كيف يتخلص من الذنب أهبط الله آدم إلى الأرض ليقوم وذريته بالخلافة فيها ، وأهبط معه الشيطان ، وحذره منه : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأعراف:٢٤] .

ولما أهبط الله آدم وزوجه إلى الأرض رزقهم الذرية ، وأخبرهما بحال إقامتهم فيها ، وأنه جعل لهم فيها حياةً ، وأنه جعل لهم فيها حياة مشحونةً بالامتحان والابتلاء ثم يتلوها الموت ، وأنهم لا يزالون فيها يرسل الله إليهم رسله ، وينزل عليهم كتبه حتى يأتيهم الموت فيدفنون فيها ثم إذا استكملوا

بعثها الله ، بعثهم الله وأخرجهم منها إلى الدار التي هي الدار حقيقةً التي هي دار المقامة كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأعراف:٢٥] .

ثم امتن عليهم بما يسر لهم من اللباس والطعام والشراب والسكن والمركب مبينًا لهم أن هذا ليس مقصوده ، مقصودًا بالذات ، وإنما أنزله الله ليكون معونةً لهم على عبادته وطاعته ، وأن يعرفوا المنعم فيشكروه ، وأن لباس التقوى خير لباسٍ يلبسه العبد وهو جمال القلب والروح، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[الأعراف:٢٦] .

ثم حذر الله بني آدم أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم آدم فيغريهم بالمعاصي ويزينها لهم ، فينقادون له فليحذروا منه لئلا يقعوا في معصية الله يا بني، قال سبحانه : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الأعراف:٢٧] .

- **فآدم ﷺ أبو البشر :**

البشر فيهم المؤمن والكافر ففي فترة التربية في الجنة كان آدم ﷺ بشرًا عاديًا غفلةً وسهوًا ونسيانًا وضعفًا : ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ ﴾[طه:١١٥] .

وفي الطور الثاني يمثل آدم ﷺ المصطفين الأخيار المبلغين عن الله فيجب أن يكون معصومًا لأنه رسولٌ من الله .

وآدم ﷺ عصى ربه ، وإبليس عصى ربه لكن الفرق أن آدم ﷺ عصى ربه ولم يَرد الأمر على الله بل اتهم نفسه ، وأقر بالظلم وأقر بالظلم والتقصير والغفلة والنسيان : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣] .

أما إبليس فقد رد الأمر على ربه وتكبر وخالف أمر ربه كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤] .

وبسبب هذا الإباء والاستكبار طرده الله ولعنه ، فمن رد الأمر على الله واستكبر عن امتثال أمره ففيه شبهٌ بإبليس ، ومن عصى الله واعتذر وتاب إلى ربه ففيه شبهٌ بآدم ﷺ.

آدم وزوجه حوا لما أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن ، عن الأكل منها بدت لهما سوءاتهما، كما قال سبحانه : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾[طه:١٢١] .

وفي هذا إشارة إلى أن إلى أن الدين حين يُخالف تبدو عورات الناس ، فلا عورة في مجتمع إلا إذا كان أمرٌ من أوامر الله قد خولف ، ولما عصى آدم ﷺ ثم تاب وتاب الله عليه أهبطه إلى الأرض للقيام بالخلافة وتنفيذ أوامر

الله ، وهبط معه إبليس ليظل مجاهدًا في سبيل الله ، ويظهر الله نصرته لوليه ويخذل عدوه .

ثم بدأ المنهج الإلهي في الأرض، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

ومعصية آدم ﷺ ذكرها الله، بقوله سبحانه : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه:١٢١] .

والعصيان قد يكون عمدًا فيكون ذنبًا ، وقد يكون خطئًا أو نسيانًا فيكون زلة ، وهذه معصية آدم ﷺ فمعصيته خطأٌ ونسيان : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾[البقرة:٣٦] .

ومما يدل على أن معصية آدم لم تكن عمدًا ولا قصدًا بل نسيانًا قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه:١١٥] .

ومن ثم فلا مؤاخذة لأن الله لا يؤاخذ على الخطأ والنسيان، كما قال سبحانه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾[البقرة: ٢٨٦] . فقال الله : « قَالَ قَدْ فَعَلْتُ » أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم رقم: (١٢٦).

وإنما اعتبر القرآن النسيان معصية لآدم فذلك لمقام آدم ﷺ الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأسكنه جنته ، وعلمه الأسماء كلها ، والذي شأنه هكذا يجب أن يكون يقظًا كأقوى ما يكون بحيث لا ينسى وصاية الله له .

ولما علم الله منه بان معصيته لم تكن بسبب الكبر بل بسبب الغفلة والنسيان والشهوة وإغواء الشيطان ألهمه الله التوبة ، وتاب عليه كما قال سبحانه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة:٣٧].

وترك الأمر معصية ، وارتكاب النهي فسق ، وارتكاب النهي أخف من ارتكاب أخف من ترك الأمر ، وترك الأمر ذنب إبليس لأن الله أمره بالسجود فامتنع ، وبسبب هذا الكبر أخرج إبليس من رحمة الله ، وارتكاب النهي ذنب آدم ﷺ.

- **وآدم في الجنة أصيب بآفتين :**

النسيان وضعف العزيمة كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه:١١٥] .

وهذان مرضان .

علاج الأول : بالذكر والتذكير ، علاج النسيان بالذكر والتذكير .

علاج الثاني : وهو ضعف العزم يكون بتكوين بيئة الإيمان والأعمال الصالحة .

وآدم في الجنة ليس عنده من يذكره إذا نسي وليس عنده بيئةٌ للأعمال التي تقوي عزيمته إذا ضعف وغلبته الشهوة ، إذا ضعف وغلبته الشهوة ، فسهل التأثير عليه وإغراؤه ، ووقع في ارتكاب النهي وأكل من الشجرة نسيانًا لا عمدًا وهاتان الآفتان لازمتان لكل إنسان وشفاء الإنسان منهما بالتذكير وتكوين بيئة الإيمان والأعمال الصالحة التي تقوى بها العزيمة إذا ضعف الإنسان .

والله سبحانه ابتلى آدم وذريته بأن حبب لكل إنسان حب الخلد وحب المال ، حب الخلد وحب الملك الذي لا يبلى ، وبهما تمكن الشيطان من إغواء آدم ﷺ ولما كان هذا نسيانًا من آدم للعهد ألهمه الله أن يتوب : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[البقرة:٣٧].

وقد من الله على آدم بنعم كثيرة ، وعلمه الإيمان والتوحيد ومعرفة ربه وألهمه اليقين على ذاته وأسمائه وصفاته . وحذره من عدوه الشيطان بقوله : ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه:١١٧] .

وإبليس أول من اجتهد لتغيير اليقين على ذات الله لليقين على الأشياء ، بإغراء آدم بالأكل من الشجرة ليحصل له الملك والخلد

- **فالشيطان أول من أول من أفسد يقين آدم :**

ولا يزال يفسد يقين ذريته فهو جاهدٌ على البشر ليحُول ليُحَوِل يقينهم على ربهم إلى اليقين على المخلوقات ،

ويشغلهم بالأموال والأشياء عن الإيمان والأعمال الصالحة ، ويزين لهم العادات والتقاليد بدل من السنن والحكام ، ويزين لهم الخلود في الدنيا ، وينسيهم ذكر الموت ودار الخلود ، ولكن الله تاب على آدم ، وهداه ، وحذر ذريته من طاعة عدوهم الشيطان الذي غر أباهم حتى وقع في المعصية .

وآدم ﷺ لما طلب الخلود في الجنة من جانب الشجرة التي أغراه الشيطان بالأكل منها عوقب بالخروج منها .

وكذلك يوسف لما طلب الخروج من السجن من جهة صاحب الرؤيا عوقب باللبث فيه بضع سنين ، وذلك كله بإغواء الشيطان وتزيينه الذي زين لآدم ولا زال يزين لذريته معصية الله ، وذلك كله بإغواء الشيطان وتزيينه وحرصه على إفساد يقين العباد ليعصوا ربهم ويطيعوه فيهلكون معه ، وحين خلق الله آدم قال الله للملائكة : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]

فقالت الملائكة : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠]

قال الله لهم : ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠]

فقه خلق آدم ﷺ:

خلق الله آدم ﷺ وأكرمه وأسكنه جنته وابتلاه ليربيه لا ليعذبه ، فسلط الله عليه عدوه بعد أن حذره منه ، ولكن آدم ﷺ ضعُف وعصى ربه فهبطه الله

إلى الأرض ، هبط إلى الأرض ﷺ مؤمنٌ بربه مستغفرٌ من ذنبه مأخوذٌ عليه عهد الخلافة أن يتبع ما يأتيه من ربه ولا يتبع الشيطان والهوى .

ثم مضى بآدم ﷺ الزمن وجاءت ذريته وبث الله من نسله رجالًا كثيرًا ونساءً، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١]

وحل بالإنسان ما حل بأبيه آدم ﷺ من النسيان والضعف وتسلط عليه الشيطان وأغراه بالمعاصي وزينها له كما فعل بأبيه فغلبه الشيطان، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ:٢٠] .

لقد هبط آدم ﷺ إلى الأرض موحدًا مهتديًا تائبًا ، ولكن ها نحن نرى أكثر البشرية ضالًا مفتريًا ظالمًا كذابًا مشركًا معاندًا لرسل ربه، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف:١٠٣] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٠٢] .

فلابد من الإنقاذ مرةٍ أخرى ومن رحمة الله للبشرية أنه كلما انحرفت عن منهج الله بعث الله إليها رسولًا يردها إليه ، فقد أرسل الله مئة وأربعةٌ وعشرون نبيًا ، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر حتى ختمهم بمحمد ﷺ وتسلمت أمته من بعده إبلاغ هذا الدين ، والقيام عليه في أنحاء الأرض إلى

يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

والمنهج هو الهدى الذي أرسل به رسله دعوةٌ إلى التوحيد والإيمان بالله ، والترغيب في الطاعات وتحذيرٌ من المعاصي وأمرٌ بكل خير وتحذيرٌ من كل شر : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾[الأنعام: ١٥٣] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾[النحل:٣٦] .

وقيمة الشيء ترتفع بقدر ما فيه من الصفات ، وكذلك قيمة المسلم عند الله ترتفع بقدر ما يحمل من الإيمان والتقوى ، وما يقوم به من الأعمال الصالحة ، وبنو آدم كثيرون ولكن الله اشترى منهم أحسنهم وأفضلهم وأكملهم وهم المؤمنون فهؤلاء خير الناس وأحسن الناس وأغلى الناس ، والسلعة إذا خفي عليك قدرها وأردت أن تعرف قيمتها ، فانظر إلى المشتري لها من هو ؟ وانظر إلى الثمن المبذول فيها ، وانظر إلى من جار على يديه عقد الشراء ؟

فالسلعة : النفس المؤمنة

والمشتري لها : هو الله الغني عن العالمين ،

وثمنها جنات النعيم،

والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وهو جبريل ﷺ، وخير خلقه من البشر وأكرمهم عليه وهو محمد ﷺ.

وصفات هذه السلعة : الإيمان والأعمال الصالحة : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ﴾[التوبة:١١١] .

والذين اشتراهم الله لهم صفات هي : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة:١١٢] .

لقد خلق الله آدم ﷺ من الأرض ، فمن الطين كون الله كل عناصر جسده فيما عدا سر الحياة الذي لا يدري أحدٌ كيف جاء ؟ ! وفيما عدا تلك النفخة العلوية التي جعلت منه إنسانًا ، ونحن نجهل كنه هذه النفخة وهذه الروح فما أحدٌ يعلمها إلا الله، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

ولكننا نعرف آثارها فآثارها هي التي ميزت هذا الكائن الإنساني على سائر الخلائق في هذه الأرض ، ميزته بالقابلية للرقي العقلي والروحي ، فجعلت عقله ينظر تجارب الماضي ويصمم خطط المستقبل ويتقي ويحذر : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان:٢-٣] .

وجعلت روحه تتجاوز المُدرك بالحواس والمدرك بالعقول ، ليتصل بالغيب المجهول بالحواس والعقول ، وخاصية الالتقاء العقلي والروحي خاصيةٌ إنسانيةٌ بحتة لا يشاركه فيه أحد من الأحياء في هذه الأرض سوى الجن ، لقد نفخ الله عز وجل من روحه في هذا الكائن البشري لأن إرادته اقتضت أن يكون خليفةً في الأرض ويتسلم مقاليد هذا الكوكب في الحدود التي قدرها الله له وهي الخلافة في الأرض، كما قال سبحانه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠]

وقد أودع الله الإنسان القدرة على المعرفة ، ومن يومها وهو يرتقي كلما اتصل بربه واستمد منه منهج الحياة وقام بأمر الخلافة الراشدة : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾[الأنبياء:١٠] .

وما كان لهذا الإسلام الصغير الحجم القصير الأجل المحدود المعرفة أن ينال شيئًا من هذه الكرامة لولا لُطف ربه وكرمه ورحمته : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء:٧٠] .

فلله كم كرامة ؟ وكم نعمة ؟ وكم رحمة ؟

حصلت للبشرية في خلق آدم ﷺ، وفي سجود الملائكة له ، وفي سكنه الجنة ، وفي هبوطه للأرض ، وفي كونه خليفةً في الأرض ، وفي نسله وذريته ، فكم من الأنبياء والرسل الذي أخرجوا من نسله، وكم من العباد والزهاد ، وكم من العلماء والدعاء والمصلحين خرجوا من نسله، فقد أظهر

الله فضل آدم على الملائكة بما خصه من العلم الذي لم تعلمه الملائكة وأمرهم بالسجود له تكريمًا له وإظهارًا لفضله وامتحانه بالسجود لمن زعم أنه يُفسدُ في الأرض ويسفكُ الدماء فاسجدهم له وأظهر فضله عليهم، لما أثنوا على أنفسهم وذموا الخليفة الذي اصطفاه ربهم .

واستخرج سبحانه ما كان كامنًا في نفس إبليس من الكِبر والمعصية ، والذي ظهر عند أمره بالسجود مع الملائكة لآدم ﷺ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤] .

فاستحق إبليس اللعنة والطرد والإبعاد على ما كان كامنًا في نفسه والله يعلم ذلك ، ولكن لم يكن ليعاقبه على ما علمه بل على وقوع المعلومة الذي لم تكن الملائكة تعلمه فلما امتنع من السجود علموا خُبثه ، وسبب معصية إبليس الاستكبار والإباء والكفر بينما ذكر تلك الشبهة عنوةً ، إذ ليس في أمره بالسجود لآدم ما يُناقض الحكمة بوجه ، وشبهة إبليس داحضة أنه قال: أنه خُلِقَ من نار وآدم خُلِقَ من طين والنار خيرٌ من الطين فهو خيرٌ من آدم فكيف يخضع له ، ويسجد له ؟ ! .

كما قال سبحانه لإبليس : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[الأعراف:١٢].

فلما امتنع إبليس من السجود وعصا ربه واستكبر حطه الله من مرتبته العالية إلى أسفل سافلين ، وأهبطه من الجنة لأنها دار الطيبين الطاهرين ، فلا تليق

بأخبث خلق الله وشرهم فأُهبط إلى الأرض ذليلًا مهانًا ملعونًا جزاءً على كبره وعُجبهِ، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[الأعراف: ١٣] .

وقال الله ﷻ : ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[الأعراف:١٨] .

شُبهة إبليس أنه قال : أنه خُلق من نار وآدم ﷺ خُلِقَ من طين ، والنار خيرٌ من الطين ، فهو خيرٌ من آدم كيف يخضع له ؟ ! .

كما قال سبحانه لإبليس : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ ﴾[ص:٧٥-٧٦] .

وشُبهة إبليس باطلةٌ حسًا وعقلًا وشرعًا ، فإن الطين والتراب خيرٌ من النار ، لأن النار طبعها الفساد والإتلافُ والإحراق ، والتراب طبعه النفعُ والإنبات ، والنار طبعها الخفة والطيش ، والتراب طبعه الخفة والسكون ، والتراب يخلق الله فيه أرزاق الحيوان ولباسهم ومساكنهم بخلاف النار التي تحرق كل شيء ، والتراب إذا وُضع فيه الحبة أخرجه أضعافًا كثيرة بخلاف النار التي تأكل كل ما يُوضع فيها ، والأرض وصفها الله بالبركة .

وأما النار فهي مذهبةٌ للبركة ، وأوضع الله في الأرض من المنافع والأقوات والثمار والأشياء والمعادن والعيون والنبات والحيوان وغيرها ما لم يودع في

النار شيءٍ منها : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[البقرة:٢٩] .

فالنار وإن كان فيها بعض المنافع فالشر كامنٌ فيها ، وقد استخرج الله من هذه الخليفة وذريته الأنبياء والرسل والعُباد والعلماء والمجاهدين والمتصدقين والأولياء والمؤمنين والصابرين والصائمين وعمر بهم الجنة ، وميز الخبيث من ذريته من الطيب ، وعمر بهم النار .

وقد خلق الله آدم ﷺ في أحسن تقويم وأكمل صورةٍ وأجملها وأكمل محاسنه الباطنة بالعلم والحلم والوقار ، وتولى ربه خلقه بيده فجاء في أحسن خلق وأجمل صورة طوله في السماء :

ستون ذراعًا قد أُلبس رداء الجمال والحسن والمهابةِ والبهاء : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾[التين:٤-٦] .

فرأت الملائكة منظرًا لم يشاهدوا أحسن منه هو أجمل فوقعوا كلهم سجودًا أمام ربهم عز وجل إلا إبليس فإنه امتنع عن السجود حسدًا، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤] .

والله سبحانه بكمال قدرته خلق خلقه أصنافًا ليُظهر كمال قدرته لعباده ، وخلق سبحانه من خلقه عقولٌ بلا شهوات كالملائكة ، وخلق منهم شهواتٌ

بلا عقول كالحيوانات ، ومنهم من له عقول وشهوة كالإنس والجن ، ومنهم من لا عقل له ولا شهوة كباقي المخلوقات من جمادٍ ونبات ، وقد اقتضت حكمة الله تفضيل بني آدم على كثيرٍ من خلقه فميزهم الله وكرمهم بما شاء ، وجعل عبوديتهم أكمل من عبودية غيرهم ، فهي عبوديةٌ اختيارية تزاحمها المعارضات والموانع والشهوات : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾[الكهف:٢٩] .

أما عبودية غيره من الملائكة فهي عبوديةٌ بلا معارض، إذ هم مجبُلون عليها كما جُبلت الشمس على الإنارة ، وجُبلت الأرض على الإنبات ، والله تبارك وتعالى سبق في علمه أن يجعل في الأرض خليفة وأعلم بذلك ملائكته وأسكنه في الجنة ليُربيه ويريده النعيم الذي أعده الله له ولأولاده، فأمره الله ونهاه وأعلمه بعدوه وحذره منه ووفر له كل ما يحتاجه في الجنة ، وأمره بالأكل من كل شيءٍ في الجنة، ونهوه عن الأكل من شجرةٍ واحدة .

وخلا بينهم وبين عدوهم إبليس ليمتحن إيمانه وطاعته قبل نزوله على ميدان العمل ، ووسوس إليه الشيطان بالأكل فنسي وغلبته الشهوة فأكل ، وخلا بينه وبين نفسه حتى عصا الله، كما قال سبحانه : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[البقرة:٣٥ - ٣٦] .

ثم ألهم الله آدم التوبة فتاب ، وتاب الله عليه ، وبعد أن كملت تربيته وعرف عدوه وعاش في داره ، أهبطه الله عز وجل من دار النعيم إلى دار الابتلاء والعمل ، ليعود إليها ومن آمن من ذريته على أكمل الوجوه ، فكم لله من حكمة من إهباط آدم للأرض تعجز الألسن عن وصفها وتعجز العقول عن إدراكها والإحاطة بها : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون:١٤] .

ومن تلك الحكم :

أن الله أنزل آدم ﷺ ليكون إيمانه وإيمان ذريته تامًا ، وليكون الإيمان قولٌ وعملٌ وجهادٌ وصبرٌ وبذلٌ وترك ، وهذا إنما يكون في دار امتحان لا في جنة النعيم .

ومنها: أن الله خلق آدم وذريته ليستعمرهم في الأرض ، ويجعلهم خلفاء في الأرض فخلقهم سبحانه ليأمرهم وينهاهم ويبتليهم لينالوا بالطاعة أفضل ثوابه ، فإذا وافوا دار النعيم بعد التعب والكد عرفوا قدر تلك الدار وهو أكمل من نعيم من خلق في الجنة من الحور والولدان .

ومنها: أن الله عز وجل أراد أن يتخذ من ذرية آدم رسلًا وأنبياء وشهداء يحبهم ويحبونه وينزل عليهم كتبه يؤثرون محابه ومراضيه على شهواته أنفسهم وما يحبونه فأنزلهم إلى دار الابتلاء والامتحان ليُكملوا مراتب العبودية صبرًا وشكرًا يعبدوه بالسراء والضراء بما تكره نفوسهم ، وهذا لا يحصل إلا في دار النعيم ، وهذا لا يحصل في دار النعيم المطلق الخالية من الابتلاء .

ومنها: أنها سبحانه له الأسماء الحسنى الغفور الرحيم والعزيز والكريم والملك والجبار ، وهذه لها آثار فأنزل الله آدم إلى الأرض ، وجعل له ذرية ليُظهر آثار أسمائه وصفاته فيهم وفيما حوله من المخلوقات .

فإن الله هو الملك العظيم الذي يأمر وينهى ويُعطي ويمنع ويُعز ويُذل ويُثيب ويُعاقب ، فأنزل أبوي الإنس والجن إلى دارٍ تجري عليهم فيها هذه الأحكام ، ثم يعودون إليه مع ذرياتهم فيحاسبهم على ما عملوا ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾[الأنعام:١٣٠] .

والله تبارك وتعالى هو الملك الذي يملك كل شيء له ملك السماوات والأرض وله ملك الدنيا والآخرة وله ملك عالم الغيب والشهادة ، وهو ربنا ونحن عبيده وهو مالك الملك ، ولابد للملك من جنود ، والله له جنود السماوات والأرض من الملائكة وغيرهم : ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١ ﴾[المدثر:٣١]

ولابد للملك من أوامر تصح به أحوال رعيته وهي الكتب السماوية المشتملة على الحث والترغيب والنهي والتحذير ، ولابد له من سفراء بينه وبين خلقه وهم الأنبياء والرسل الذين يبينون للناس ما نُزل إليهم من ربهم ، ولابد أن تكون له محكمة يحاسب فيها من أطاع ومن عصى ، فيجزي على الخير خيرًا وعلى الشر شرًا ، وهي يوم القيامة: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ

أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

ولابد له بعد الحساب أن يكرم على طاعته بما يُسعدهم وهو الجنة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢]

ولابد له أن يُذل ويُهين أهل معصيته بما أعد لهم من العذاب وهي النار ، دار الأشقياء والمشركين والكفار : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة: ٦٨] .

وقال الله ﷻ: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر:٩٨-٩٩] .

٧- الخزانة السابعة

خلق الله تبارك وتعالى الإنسان في أحسن تقويم ، وخلقُ الإنسان من أعظمُ الدلائل على خالقه وفاطره :﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات:٢١] .

وفي الإنسان من العجائب الدالة على عظمة الله وقدرته وكمال علمه وإرادته ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه وتعجز العقول عن إدراك كونه وتعجز الألسنة عن وصفه : ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ﴿١٠﴾ ﴾[الطارق:٥-١٠] .

وقد أمرنا الله عز وجل بالنظر والتدبر والتفكر في خلق الإنسان نظر اعتبارٍ وتفكر وتأملٍ وتدبر، وكما قال سبحانه : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات:٢١] .

ولو فكر الإنسان في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره، كما قال سبحانه : ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [عبس:١٧-٢٢] .

وقد خلق الله آدم من تراب، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الروم:٢٠] .

والتراب إذا أُضيف إليه الماء صار طينة، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون:١٢] .

والطينُ إذا تغير واسود لطول مجاورته للماء فصار حمأً ثم صار مسنونًا ، والمسنون المصور أو المصبوب الذي ييبس، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحجر:٢٦] .

فإذا ييبس الطين واشتد صار صلصالًا ، وهي المرحلة الأخيرة من خلق الإنسان كما خلق الإنسان من صلصال كالفخار أما الإنسان الذرية فقد خلقه الله من نطفة وهي الماء ، فهو سبحانه الذي أحسن كل شيءٍ خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالةٍ من ماءٍ مهين ، وقد بين الله عز وجل أطوار خلق الآدميين من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤] .

وقال النبي ﷺ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ يجُمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ » . متفقٌ عليه[1] .

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٤٣).

وقد وكل الله بالرحم ملكًا فإذا كمل النطفة في الرحم أربعون يومًا وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلودها ولحمها وعظامها وسويٌ أو غيرُ سوي وذكر أو أنثى، كل ذلك حسب أمر ربه لا يزيد الملك على ما أُمر ولا ينقص ، فالملائكة : ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم:٦] .

وقال النبي ﷺ: « يَدْخُلُ المَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ ، أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ؟ فَيُكْتَبَانِ ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى ؟ فَيُكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ » . أخرجه مسلم[1] .

وهذا الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم وجعله أفضل العالمين حلقه الله يبقى أبد الآباد وما سواه يفنى إلا من استثنى من الله عز وجل وكل فردٍ من بني آدم سيظل حيًا وسينتقل من حالٍ إلى حال ومن دارٍ إلى دار ، كما قال سبحانه : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾[الانشقاق:١٩]

فأول طباقه كونه نطفة ثم مضغة ثم علقة ثم جنينًا ثم مولودًا ثم رضيعًا ثم فطيمًا ثم طفلًا ثم شابًا ثم شيخًا ثم هرمًا إلى جميع أحوال الإنسان المختلفة عليه إلى أن يموت ثم يبعث بين يدي الله ثم يحاسب ثم يصير إلى الجنة أو النار حسب عمله ، فهذه ستة عشرة طبقًا : ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٤٤).

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح:١٣ - ١٤] .

ويركب الإنسان أثناء هذه الأحوال أطباق عديدة من حالٍ إلى حال كالصحة والمرض والعافية والبلاء والغنى والفقر والسعادة والشقاء ، وهكذا حتى يستقر في دار القرار في الجنة أو النار فذلك آخر أطباقه التي يعلمها العباد ، سبحان من هذا خلقه وهذا أمره وهذه قدرته : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل:١٧-١٨] .

وقد خلق الله الإنسان في كبدن كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البلد:٤] .

فابن آدم يكابد مصائب الدنيا ، وشدائد الآخرة فلا تلقاه إلا في مشقة ، فالإنسان مخلوق في شدة بكونه في الرحم ثم عند ولادته ثم على خطر عظيم عند بلوغ حال التكليف ومكابدة المعيشة والأمر والنهي والبلاء والامتحان ، ثم مكابدة الموت ثم بعده في البرزخ .

ثم مكابدة أهوال يوم القيامة ، ثم مكابدة العذاب في النار ولا راحة له إلا في الجنة : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

فينبغي لو أن يسعى في عملٍ يريحه من هذه الشدائد ويجلب له الفرح والسرور الدائم في الجنة ، وذلك بالإيمان والأعمال الصالحة : ﴿ مَنْ عَمِلَ

صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل:٩٧] .

فقه خلق الإنسان :

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم كما قال سبحانه : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾﴾[التين:٤] .

وصوره فأحسن صورته : ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾[غافر:٦٤] .

- **وجعل فيه تسعة أبواب :**

بابان للسمع وهما الأذنان ، وبابان للبصر وهما العينان ، وبابان للشم وهما في الأنف ، وبابا لخروج فضلات البول والغائط ، وبابٌ للكلام والنفس والطعام والشراب وهو الفم : ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الذاريات:٢١] .

ونشأة الإنسان كانت كنشأة النبات من عناصرها الأولية يتكون ومن عناصرها الأولية يتغذى فهو نباتٌ من نباتها، كما قال سبحانه : ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾﴾[نوح:١٧-١٨] .

فالإنسان والنبات كلاهما نبات من نبات الأرض ، وكلاهما يرضع من هذه الأم شرابه وطعامه ، وكما أن في النبات الحلو والمر والنافع والضار وفي الأزهار والثمار وذا الشوك والسم ، فكذلك في الإنسان المسلم والكافر والمطيع والعاصي والبر والفاجر ، وذي الإيمان والأعمال الصالحة ، وذي الشر والفساد ، ولكلٍ أجل ولكلٍ عمل ، ولكلٍ مقعدٍ إما في الجنة أو في

النار ، وكلٌ راجعٌ إلى ربه ومحاسبٌ على عمله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦ ﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] .

إن خلق الإنسان بهذا التكوين العجيب ، وبهذه الخصائص الفريدة وبهذه الوظائف اللطيفة المتنوعة الكثيرة تُدهش العقول وتحير الألباب ، ولكننا نسيناها لطول تكرارها ولقربها منا وأُلفنا لها ، إن التركيب العضوي لجارحةٍ واحدة من جوارح الإنسان مسألةٌ تُدير الرأس عجبًا ودهشةً وعبرة ، وفي تركيبه النفسي أشد تركبًا وتعقدًا من تركيبه العضوي : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ ﴾ [ق:١٦] .

إن هذا الإنسان هو العجيبة الكبرى في هذه الأرض ، كما قال سبحانه : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ ﴾[الذاريات:٢١] .

ولكنه يغفل عن قيمته وعن أسراره الكامنة في كيانه حين يغفل القلب عن الإيمان عن ربه ، وحين يحُرمُ نعمة اليقين : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

إن آيات الرب تبارك وتعالى في خلقه وفي مخلوقاته تبصرةً وذكرى يتبصر بها من عمى قلب ، ويتذكر بها من غفلته فيُعظم ويُكبر من خلقه ويحمده

ويشكره : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧] .

فالمضاد للعلم إما عمل قلب وزواله بالتبصر ، وإما غفلته وزواله بالتذكر ، وأعظم وأفضل ما أُنفقت فيه الأنفاس التفكر في آيات الله وعجائب صنعه ، والانتقال منها إلى تعلق القلب بالله وتعظيمه وتوقيره سبحانه دون شيءٍ من مخلوقاته وذلك بتوحيده والإيمان به وطاعته وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦ -٨] .

إن هذا الإنسان عجيبةٌ عظيمة في تكوينه الجسماني في أسرار هذا الجسد ، وعجيبةٌ في تكوين الروح في أسرار هذه النفس ، وحيث ما وقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه التقى بأسرار تدهش وتحير خلق أعضائه وتوزيعها وأشكالها ووظائفها في كل عضو من أعضائه بل في كل جزءٍ من عضو خارقةً تحُير الألباب لو كانت هناك عقول : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات:٢١] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [يس:٧٧] .

وأعجب من هذا أسرار روحه وطاقاتها المعلومة والمجهولة ، إدراكٌ للأشياء ، وطريقة إدراكها وحفظها وتذكرها ، وهذه المعلومات والصور

والكلمات أين خُزنت ؟ وكيف انطبعت ؟ وكيف تستدعى فتجيء ؟ ومن ألف وجمع في المخ ؟ آلاف الآيات والكتاب والحديث والكلمات والقصص والأشعار والصور وغيرها ، ومن حفظها في الذهن كما يحفظ المال في الخزانة ؟ .

ثم أسراره في توالده وتكاثره خليةٌ واحدة تحمل كل رصيد الجنس البشري من الخصائص ، وكل فرض من هذا الإنسان عالمٌ وحده وطبعةٌ خاصة لا تتكرر أبدًا على مدى الدهور ، ولا نظير له بين أبناء جنسه جميعًا لا في شكله وملامحه ولا في عقله ومداركه ولا في روحه ومشاعره ، فكل فرد نموذج خاص وطبعةٌ فريدةٌ لا تتكرر : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون:١٤] .وما أعظم واضع هذه الأعضاء في أماكنها وتمكينها من أداء وظائفها ، وما أعظم وأمتع تلك اللحظات التي يقضيها الإنسان يتأمل وجوه الخلق وسماتهم وحركاتهم بعين العابد السائح الذي يتجول في معرض عظيم في معرض عظيم من إبداع أحسن الخالقين ، ألا ما أعظم الخالق وأعظم صنعه وخلقه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

وما أخطر الجهل وما أسوأ الغفلة ، وما أضل من جهل نفسه وجهل ربه . متى يتفكر الإنسان في نفسه ؟ ومتى ينتبه القلب من رقدته ؟ ومتى يعود العبد إلى ربه ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يس:٧٧-٨٣] .

- **فقه خلق الإنسان :**

إن سبب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة هو الإيمان بالله عز وجل وتقواه وامتثال أوامره واجتناب نواهيه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١-٣].

فسبب الخسران في الدنيا والآخرة الفكر فيما يفنى والجهد في غير محله والجلوس على موائد الشيطان والإعراض عن موائد الرحمن والجهل بالله وبأسمائه وصفاته ودينه وشرعه ووعده وعيده ، إن الرابح حقًا من حجز المقاعد كلها للدين الفكر واللسان والسمع والبصر والقلب والعقل والروح والبدن والوقت وبقية الجوارح : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الطارق:٥-١٠] .

انظر أيها الإنسان إلى النطفة التي خلقها الله إنها تحتوي على أكثر من مئة ألف إنسان قابلٍ للحياة في كل دفقةِ منيٍ من مني من الإنسان ، فسبحان من جمع هذه الخلائق في قطرة ماءٍ مهين ضعيف مستقذر ، لو مرت به ساعة من الزمان فسدت وأنتنت ، وتأمل كيف استخرجها الرب العلي القدير من بين الصلب والترائب منقادةً لقدرةً مطيعةً لمشيئته مع ضيق طرقها واختلاف مجاريها إلى أن ساقها إلى مستقرها في الرحم .

وتأمل كيف جمع الله عز وجل بين الذكر والأنثى وألقى المحبة بينهما ، وكيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة إلى الاجتماع الذي هو سبب تخليق الولد وتكوينه ؟ وكيف قدر سبحانه اجتماع ماء الرجل وماء المرأة وساقهما من أعماق العروق والأعضاء وجعلهما في موضعٍ واحد ، وجعل الله لهما قرارًا مكينًا ينشأ فيه الولد : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [المؤمنون:١٣] .

ثم قلب تلك النطفة أيضًا المشرقة إلى علقةٍ حمراء تضرب إلى السواد ثم جعلها مضغة لحم مخالفةً للعلقة في كونها وشكلها ، ثم جعلها العزيز العليم عظامًا مجردة ولا كسوة عليها مباينةً للمضغة في شكلها وقدرها .

ثم انظر كيف قسم الله تبارك وتعالى تلك الأجزاء المتشابهة إلى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار والأعضاء والأجهزة واليابس واللين ، ثم تأمل كيف ربط سبحانه بعضها ببعض بأقوى رباط وأشده ، وكيف كساها لحمًا

ركبه عليها وجعله وعاءً لها وغشاءً وحافظًا ، وجعله العظام حاملةً له فاللحم قائمٌ بها وهي محفوظةٌ به .

ثم انظر إلى صنع الخالق الباري المصور الخلاق العليم كيف صورها فأحسن صورها ؟ !

وشق لها السمع والبصر والفم والأنف وسائر المنافذ ، ثم تأمل كيف مد اليدين والرجلين كالأعمدة وبسطهما وقسم رؤوسهما إلى أصابع ثم قسمهما إلى أنامل وزودا أطرافها بالأظفار .

ثم انظر كيف خلق سبحانه تلك النطفة ؟ !

الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والأمعاء والمثانة والمرارة وغيرها ، كلٌ منها له قدرٌ يخصه وعملٌ يخصه ومنفعةٌ تخصه وشكلٌ يخصه ومكانٌ يخصه ، فسبحان الخلاق العليم : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[الأعلى: ٢ -٣] .

ثم انظر في حكمة العليم الحكيم في تركيب العظام قوامًا للبدن وعمادًا له ، وكيف قدرها ربه بتقادير مختلفة وأشكالٍ متنوعة ، فمنها الصغير والكبير ، ومنها الطويل والقصير ، والمنحني والمستدير ، والمصمت والمجوف ، وركب بعضها على بعض وربط بعضها ببعض .

وتأمل كيف اختلفت أشكاله باختلاف منافعها ، كالأضراس فإنها لما جُعلت آلةٌ للطحن جُعلت عريضة ، ولما كانت الأسنان آلة للقطع جُعلت مستدقةٌ المحددة ، ولما كان الإنسان محتاجٌ للحركة للتردد في حاجته لم

يجعل عظامه عظمًا واحدًا بل عظامًا متعددة وجعل بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة ، وكان قدر كل واحد منه وشكله على حسب الحركة المطلوبة منه .

وشد سبحانه تلك المفاصل والأعضاء وربط بعضها ببعض بأوتارٍ ورباطات أنبتها من العظم ، وأدخل بعض العظام في بعض : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الإنسان:٢٨] .

فأدخل سبحانه بعض العظام في بعض على شكل الذكر والأنثى ، فإذا أراد الإنسان أن يُحرك جزءً من بدنه لامتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر ذلك عليه ، فسبحان من هذا خلقه وهذه قدرته وهذه حكمته وهذا صنعه : ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[النمل:٨٨] .

وتأمل كيف خلق سبحانه الرأس بكثرة ما فيه من العظام التي تزيد على خمس وخمسين عظمًا مختلفة الأشكال والمقادير والمنافع والأماكن ، وكيف ركبه سبحانه على البدن وجعله عاليًا عليه علو الراكب على ركوبه ، ولما كان الرأس عاليًا على البدن جعل فيه الحواس الخمس وآلات الإدراك كلها من السمع والبصر والشم والذوق واللمس .

وجعل سبحانه حاسة البصر في مقدمته ليكون كالطليعة والحرس والكاشف للبدن عما حوله ، وركب العين بسبع طبقات لكل طبقة وظيفة مخصوصة ، لو فقدت طبقة منها أو زالت عن موضعها لتعطلت العين عن الإبصار : ﴿

وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ [النحل:٧٨] .

ثم وضع سبحانه بداخل تلك الطبقات السبع خلقًا عجيبًا وهو إنسان العين بقدر العدسة يبصر بها ما بين المشرق والمغرب وما بين الأرض والسماء ، وجعل سبحانه من العين بمنزلة القلب من الإنسان ، وجعل سبحانه إنسان العين بمنزلة القلب من الإنسان ، فهو مالكها وتلك الطبقات والأجفان والأهداب خدمٌ لها حجابٌ وحراس ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وانظر إلى عجيب صنع الله كيف حسن شكل العينين وهيئتهما ومقدارهما ! !

ثم جملهما بالأجفان غطاءٌ لهما وسترٌ وحفظ وزينة ، فهما يحفظانهما من الحر والبرد ، ويتلقيان عن العين الأذى والقذى والغبار ، ثم غرس في أطراف الأجفان الأهداب جمالًا وزينة ومنافع أخرى : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ [الذاريات:٢١] .

ثم أودع سبحانه العينين ذلك النور الباصر والضوء الباهر الذي يخرق ما بين السماء والأرض فسبحان من أودع هذا السر العجيب في هذا المقدار الصغير بحيث تنطبع فيه صورة السماوات العلا والأرض على عظمتها ، وللعين قدرة على حفظ نصف مليون صورة ملونة يوميًا ، فسبحان الخلاق العليم الذي خلق كل شيءٍ وقدره تقديرًا .

كما شق الله ﷻ للإنسان العينين ليبصر بهما ، كذلك شق له سبحانه الأذنين ليسمع بها الأصوات، وخلق الأذن أحسن خلقة، فجعلها مجوفة كالصدفة، لتجمع الصوت فتؤديه إلى الصماخ، وليحس بدبيب الحشرات فيها فيبادر إلى إخراجه والتخلص منه ، وجعل في الأذن تجاويف واعوجاج تمسك الهواء والصوت الداخل ، فتكسر حدته ثم تؤديه إلى الصماخ .

وجعل الحكيم العليم ماء الأذن مرًا في غاية المرارة ، فلا يجاوزه الحيوان إلى باطن الأذن ، بل إذا وصل إليه أعمل الحيلة في رجوعه عنه ، فسبحان الخلاق العليم ، وجعل ماء الفم عذبًا حلوًا ، ليدرك به طعوم الأشياء على ما هي عليه ، إذ لو كان على غير هذه الصفة لأحالها إلى طبيعته ، وجعل سبحانه ماء العين مالحًا ليحفظها ، فهي شحمةٌ قابلةٌ للفساد ، فكانت ملوحة مائها صيانةً لها وحفظًا ، فسبحان من خلق هذه المياه وجعل كلًا فيما يناسبه ويصلح له .

ونصب سبحانه للإنسان قصبة الأنف في الوجه ، فأحسن شكله وهيئته ، وفتح فيه المنخرين ، وحجز بينهما بحاجز ، وأودع فيهما حاسة الشم التي تدرك بها أنواع الروائح الطيبة والخبيثة ، والنافعة والضارة ، ويستنشق بها الإنسان الهواء فيوصله إلى القلب ، فيتروح به ويتغذى .

فسبحان ربنا الخلاق العليم ، وجعله سبحانه مستقيمًا لئلا يمسك الرائحة ، مصبًا تنحدر إليه فضلات الدماغ ، فتجتمع فيه ثم تخرج منه ، فلا إله إلا الله ، ما أعظم خلقه ، وما أعظم قدرته ، وجعل أعلى الأنف أدق من أسفله

لأن أسفله تجتمع فيه الفضلات فكان واسعًا لتخرج منه بسهولة ، ولأنه يأخذ من الهواء ملئه ثم يصعد في مجراه قليلًا قليلًا ، حتى يصل إلى القلب في هدوء .

ثم فصل بين المنخرين بحاجزٍ بينهما حكمةً منه ورحمة ، لأنه مجرى النفس ومنحدر فضلات الرأس ، فيكون أحدهما غالبًا للنفس ، والآخر لخروج الفضلات ، وإما أن تجري الفضلات فيهما فينقسم ، فلا يفسد الأنف جملةً ، بل يبقى فيه مدخلٌ للنفس ، ربما أصيب أحدهما فيبقى الثاني يؤدي وظيفته ، فاقتضت الحكمة تعدادهما كالأذنين والعينين : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون:١٤] .

وشق سبحانه للعبد الفم في أحسن موضع وأليَقه به ، وأودع فيه من المنافع وآلات الذوق والقطع والطحن والكلام ما يبهر العقول عجائبه ، فأودعه اللسان الذي هو أحد آياته الدالة عليه ، وجعله ترجمانًا لملك الأعضاء وهو القلب مبينًا مؤديًا عنه ، كما جعل الأذن رسولًا مؤديًا إليه العلوم والأخبار ، والعين رسولًا مؤديًا إليه المرئيات والمبصَرات ، واللسان بريده ورسوله الذي يؤدي عنه ما يريد .

وانظر إلى حكمة العليم الحكيم الذي جعل اللسان محفوظًا مستورًا غير مكشوف كالأذن والأنف ، لأن هذه الأعضاء لما كانت تؤدي من الخارج إليه جُعلت بارزةً ظاهرة ، ولما كان اللسان مؤديًا من القلب إلى الخارج جعله مستورًا لعدم الفائدة إبرازه .

وأيضًا لما كان اللسان أشرف الأعضاء بعد القلب ومنزلته منه منزلة ترجمانه ووزيره ، ضُرب عليه سرادقان لستره وصيانته وحفظه ، أحدهما الأسنان ، والآخر الشفتان ، وجُعل في ذلك السرادق كالقلب في الصدر . وأيضًا هو من ألطف الأعضاء وألينها وأشدها رطوبة ، وهو لا يتصرف إلا بواسطة الرطوبة المحيطة به ، فلو كان باردًا صار عرضةً للحرارة واليبوسة المانعة له من التصرف وسهولة الحركة والكلام .

ثم زين سبحانه الفم وزينه بالأسنان ، وجعلها بيضاء مصفوفة ، فزادته جمالًا ، وجعل بها قوام العبد وغذاؤه ، وجعل بعضها آلة القطع ، وبعضها آلة الكسر ، وبعضها آلة للطحن ، وأحكم سبحانه أصولها وحدد رؤوسها وبيض لونها ورتب صفوفها ، فكأنها الدر المنظوم بياضًا وصفاءً وحسنًا .

وأحاط جل وعلا الأسنان بحائطين ، وهما الشفتان ، حسن شكلهما ولونهما وجعلهما غطاءً للفم وطبقًا له ، وجعلهما إتمامًا لمخارج الحروف ونهايةً له ، كما جعل أقصى الحلق بدايةً له ، واللسان وسطًا له ، ولهذا كان أكثر العمل فيها له ، إذ هو الواسطة : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون:١٤] .

وجعل سبحانه الشفتين لحمًا صرفًا لا عظم فيه ، ليتمكن بهما الإنسان من مص الشراب ويسهل عليه فتحهما وإغلاقهما ، وخص سبحانه الفك الأسفل بالتحريك ، لأن تحريك الأخف أيسر وأحسن ، فإن الرأس يشتمل على الأعضاء الشريفة ، فلم يخاطر بها في الحركة .

وخلق سبحانه الحناجر مختلفةً في الضيق والسعة ، والليونة والخشونة ، والصلابة والرطوبة ، والطول والقصر ، فاختلفت بذلك الأصوات أعظم اختلاف .

وزين الله تبارك وتعالى لرأس بالشعر وجعله لباسًا له ، لاحتياجه إليه ، وزين الوجه بما أثبت فيه من الشعور مختلفة الأشكال والمقادير، فزينه بالحاجبين وجعلهما وقايةً مما يتحول من بشرة الرأس إلى العينين ، وزين أجفان العينين بالأهداب، وزين الوجه باللحية، وجعلها كمالًا ووقارًا ومهابةً للرجل ، وزين الشفتين بما أنبت فوقهما من الشارب وما تحتهما من العنفقة .

وخلق سبحانه اليدين التين هما آلة العبد وسلاحه ، ورأس مال معاشه ، فطوّلهما بحيث يصلان إلى ما شاء من بدنه ، وعرض الكف ليتمكن من القبض والبسط ، وقسم فيه الأصابع الخمس ، وقسم كل أصبع بثلاث أنامل ، والإبهام بأنملين اثنتين ، ووضع الأصابع الأربعة في جانب والإبهام في جانب لتدور الإبهام على جانب الجميع ، فهي بمنزلة الراعي من الرعية والإمام من المأمومين : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون:١٤] .

وجاءت اليد بتدبير الحكيم العليم على أحسن حال ، وصلحت للقبض والبسط ومباشرة الأعمال المختلفة ، إن شئت جعلتها مطرقة ، أو مغرفة ، أو آخذة ، أو معطية ، أو جاذبة أو دافعة ، أو للربط أو للحل ، أو للكتابة ، أو للرفع أو للوضع ، أو للسحب أو للذبح أو للكنس أو للمسح أو للمشط ، أو

للأكل أو عير ذلك من المنافع التي لا يحصيها إلا الذي خلقها ، فتبارك من أودعها هذه المنافع وغيرها : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾[الذاريات:٢١] .

وركب فيها سبحانه الأظفار على رؤوسها زينةً لها وعمادًا ووقاية ، وليلتقط بها الإنسان الأشياء الدقيقة التي لا ينالها جسم الأصابع ، وجعلها سلاحًا لغيره من الحيوان أو الطير ، وآلةً لمعاشه ، وليحك الإنسان بها بدنه عند الحاجة .

وجعل سبحانه عظام أسفل القدم غليظةً قوية ، لأنها أساسٌ له ، وعظام أعاليه دونها في الثخانة والصلابة لأنها محمولة .

٨- الخزانة الثامنة

- **فقه خلق الإنسان :**

ثم إن الله ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وتأمل كيف جعل سبحانه الرقبة مركبًا للرأس ، وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات ، ثم طبق بعضها على بعض حتى كأنها خرزةٌ واحدة ، ثم ركب الرقبة على الظهر والصدر ، ثم ركب الظهر من أعلى إلى منتهى العجز من أربعٍ وعشرين خرزة ، وركب بعضها في بعض ، هي مجموع أضلاعه والتي تمسكها أن تنحل أو تنفصل . فسبحان الخلاق العليم .

ثم وصل الحكيم الخبير تلك العظام ببعضها ببعض ، ووصل عظام الرأس بعظام الرقبة ، وعظام الرقبة بعظام الظهر ، وعظام الظهر بعظام الصدر ، وعظام الكتفين بعظام العضدين ، وعظام العضدين بالذراعين ، والذراعين بالكفين ، والكفين بالأصابع ، ووصل عظام الظهر بالعجز ، ووصل عظام العجز بالفخذين ، والفخذين بالساقين ، والساقين بالقدمين ، والقدمين بالأصابع : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون:١٤] .

ثم تأمل حكمة اللطيف الخبير كيف كسا العظام العريضة كعظام الظهر والرأس كسوةً من اللحم تناسبها، والعظام الدقيقة كسوةً تناسبها كالأصابع ، والمتوسطة كذلك ، كعظام الذراعين والعضدين ، فالإنسان مركبٌ على ثلاثمائة وستين عظمة ، فلو زادت واحدة أو نقصت واحدة لاختل تركيب الجسم ونظامه ، واضطربت حركة الإنسان .

ثم إنه سبحانه ربط تلك الأعضاء والأجزاء بالرباطات ، فشد بها أسرها لتمسكها وتحفظها ، حتى بلغ عددها خمسمائة وتسعةٍ وعشرين رباطًا ، وهي مختلفة الطول والقصر ، والغلظة والدقة ، بحسب اختلاف مواضعها ووظائفها ، فجعل منها أربعةٍ وعشرين رباطًا آلة لتحريك العين ، وفتحها وضمها وإبصارها ، لو نقص منها رباطٌ واحدٌ لاختل أمر العين .

وهكذا لكل عضوٍ من الأعضاء رباطات ، هن له كالآلات التي بها يتحرك ويتصرف ، وذلك كله صنع الرب الحكيم ، وتقدير العزيز العليم ، في قطرةٍ من ماءٍ مهين ، فويلٌ للمكذبين ، وبعدًا للجاحدين فتبارك الله أحسن الخالقين : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف:٥٤] .

ومن عجائب خلقه سبحانه ، أنه جعل في الرأس ثلاث خزائن ، في مقدمته ، وفي وسطه ، وفي مؤخرته ، وأودع تلك الخزائن من الأسرار ما أودع ، من التذكر والتفكر والتعقل والحفظ ، ومن عجائب خلق الإنسان ما فيه من الأمور الباطنة ، التي لا تشاهد ، كالقلب والكبد والطحال ، والأمعاء والرئة والمعدة ، والمثانة والحرارة والمرارة ، وسائر ما في بطنه من الآلات العجيبة : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الذاريات:٢١] .

أما القلب فهو الملك ، المستغل لجميع آلات البدن ، المستخدم لها ، فهو مخدومٌ مستقرٌ في الوسط ، وهو أشرف أعضاء البدن ، وبه قوام الحياة : «

أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ » . متفقٌ عليه[1] .

والقلب معدن العقل والعلم، والحلم والشجاعة، والمروءة والكرم، والصبر والحب، والرضا والغضب ، والإيمان والكفر ، والتقوى والفجور ، وسائر صفات الكمال ، وجميع الأعضاء الظاهرة والباطنة وقواها إنما هي جندٌ من أجناد القلب، فالعين طليعته ورائده الذي يكشف له المرئيات والمبصرات، والأذن رسوله المؤدي له جميع المسموعات، واللسان ترجمانه المخبر عنه ، وجعل الله سبحانه الرئتين كالمروحة، تروح عليه دائمًا لأنه أكثر الأعضاء عملًا ، وأشدها حرارةً ، وأعظمها إدارةً وحركة .

هذا خلق الله في قطرةٍ واحدة من ماءٍ مهين ، فكم خلق الله من قطرةٍ في العالم ، وكم جعل في هذه القطرة من الأحياء ؟

هذا في عالم الإنسان ، فكم من العجائب في خلق الحيوانات والطيور والزواحف والحشرات ، وغيرها من المخلوقات من الجمادات والنباتات والحيوانات ، والإنس والجن والملائكة ، وغيرها مما لا نعلمه أو نعلم بعضه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام:١٠٢] .

فسبحان الخلاق العليم الذي تولى خلق هذه النطفة ، وجعل منها إنسانًا سويًا سميعًا بصيرًا : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[الإنسان:٢-٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩).

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[غافر:٦٢] .

فما أعظم قدرة الله ، وما أعظم صنعه في هذه النطفة ، كيف جعلها إنسانًا ، وبث منها البشرية المنتشرة على وجه الأرض ، فمن هذه عظمته ، وهذه نعمه ، وهذا صنعه ، كيف لا يعبده الإنسان ويطيعه وهو الذي خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ؟

أما يخاف هذا الإنسان يومًا عبوسًا قمطريرًا : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾[غافر:٥٢] .

إن الإنسان إذا نظر إلى غذائه في مدخله ومستقره ومخرجه رأى فيه العبر والعجائب ، كيف جعل الله له آلة يتناول بها ، ثم بابًا يدخل منه ، ثم آلةٌ تقطعه صغارًا ، ثم طاحونٌ يطحنه ، ثم أُعين بماء يعجنه ، ثم جعل له مجرى وطريقًا إلى جانب النفَس ، ينزل هذا ويصعد هذا ، فإذا وصل الطعام إلى المعدة التي هي خزانته ، ولها بابان ، بابٌ أعلى يدخل منه الطعام ، وبابٌ أسفل يخرج منه تفله .

والباب الأعلى أوسع من الأسفل ، والأسفل منطبقٌ دائمًا ، فإذا انتهى الهضم انفتح ذلك الباب لخروج الفضلات ، وقد أحاط الله المعدة من داخلها وخارجها بحرارةٍ نارية ، ربما تزيد على حرارة النار ، ينضج بها الطعام فيها كما ينضج الطعام في القدر بالنار .

فإذا أذابته المعدة وطبخته على صفوه إلى فوق ، ورسا كدره إلى أسفل ، ومن المعدة عروقٌ متصلة بسائر البدن يُبعث فيها نصيب كل عضو وقوامه بحسب استعداده وقبوله ، فيبعث ألطف ما يتولد من الغذاء وأخفه وأشرفه

إلى الأرواح ، وينبعث إلى الدماغ منه ما يناسبه في اللطافة والاعتدال ، وينبعث منه إلى العظام والشعر والأظافر ما يغذيها ويحفظها ، وينبعث من الباقي إلى بقية الأعضاء كلٌ بحسبه .

ولما كان الغذاء يستحيل في المعدة إلى دم ، ومرةٍ سوداء ومرةٍ صفراء وبلغم ، اقتضت حكمة العزيز الحكيم أن جعل لكل واحدٍ من هذه الأخلاط مصرفًا يُصبُّ إليه ، ويجتمع فيه ، ولا ينبعث للأعضاء الشريفة إلا أكمله .

فوضع الله سبحانه المرارة مصبًا للمرة الصفراء ، ووضع الطحال مقرًا للمرة السوداء ، والكبد تمتص أشرف ما في ذلك وهو الدم ، ثم تصفيه وتبعثه إلى جميع البدن ، من عرقٍ واحد ينقسم إلى مجارٍ كثيرة ، يوصل إلى كل واحدٍ من العروق والأعصاب والعظام والشعور ما يكون به قوامه .

سبحان الملك الحق ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، وإذا كان هذا صنعه في قطرة ماءٍ مهين ، فكيف صنعه في ملكوت السماوات والأرض ؟ وكيف شأن الكرسي الكريم ؟ وكيف شأن عرشه العظيم ؟ وكم تكون عظمة الرب جل جلاله ؟ وكم تكون عظمة الجنة التي خلقها ، والنار التي سعرها ؟ وكيف عظمته وجلاله وكبرياؤه ؟ .

قال الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر:٦٤] .

من عجائب خلق الإنسان ما خلق الله فيه من الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك ، ورتبها بحكمته سبحانه ، فأولها حاسة اللمس ، وهو أول حس

يُخلق للحيوان ، وأقل درجاته أن يحس بما يلاصقه ، وخلق الله للبعيد حسًا آخر تدرك به ما يبعد عن الإنسان .

فخلق لك الشم تدرك به الرائحة من بعد ، ولكن لا تدري من أي ناحيةً جاءت الرائحة ، فخلق الله لك البصر تدرك به ما بعُد عنك وتدرك جهته ، فتقصدها بعينها ، إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصًا ، إذ لا تدرك بذلك ما وراء الجدار والحجاب ، فقد يقصدك عدوٌ بينك وبينه حجاب ، وقرُب منك قبل أن يُكشف الحجاب فتعجز عن الهرب .

فخلق الله سبحانه السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الحجرات ، عند جريان الحركات ، ولا يكفي ذلك لو لم يخُلق لك حس الذوق ، الذي تعلم به ما يوافقك وما يضرك ، وتعلم به الطعوم وأحوالها من حلوٍ وحامض ، ومرٍ ومالح ، وحارٍ وبارد .

ثم أكرمك الله تبارك وتعالى بصفة أخرى هي أشرف من الكل ، وهي العقل الذي تدرك به معرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته ، وعظمته وقدرته ، وآلائه وإحسانه ، وهذا أعلى فوائد العقل : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وأدناها ما تدرك به الأطعمة وما ينفعك وما يضرك ، ثم انظر إلى حكمة ربك الخلاق العليم في خلق القدرة والإرادة في الإنسان ، فلو خلق لك البصر حتى ترى به الطعام ، ولم يخلق لك في الطبع شوقٌ إليه وشهوةٌ له تستحثك على القصد إليه لكان البصر معطلًا ، فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له ، ولا يقدر على تناوله لسقوط شهوته .

فخلق لك الرحيم شهوة الطعام ، وسلطها عليك لتأكل فتبقى ، ثم هذه الشهوة لو لم تسكن عند أخذ مقدار الحاجة من الطعام لأسرفت وأهلكت نفسك ، فخلق -العليم- الكراهية للطعام عند الشبع ، لتترك الأكل بها .

وكذلك خلق شهوة الجماع لحكمة بقاء النسل ، وقد خلق الله عز وجل كل حيوانٍ ورزقه ، والرزق والأجل قرينان ، فما دام الأجل باقيًا كان الرزق آتيا ، وإذا سد الله على العبد بحكمته طريقًا من طرق الرزق فتح الله له برحمته طريقًا أنفع له منه ، لأنه الرحمن الرحيم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾[الحج:٦٥] .

فانظر إلى الجنين في بطن أمه ، يأتيه غذاؤه وهو الدم من طريقٍ واحدة وهو حبل السرة، فلما خرج من بطن الأم وانقطعت تلك الطرق فتح الله له طريقين اثنين وهما الثديان ، وأخرج الله له فيهما رزقًا أطيب وألذ من الأول، لبنًا خالصًا سائغًا يناسب حال المولود ، فلما تمت مدة الرضاع وانقطعت الطريقان بالفطام ، فتح له المولى الكريم طرقًا أربعة أكمل منها تناسب حاله ، وهما طعامان وشرابان :

- **فالطعامان** :

النبات .. والحيوان .

- **والشرابان** :

المياه ، وما يتصل بها من الألبان والعسل ونحوها من المنافع والملاذّ .

فإذا مات الإنسان انقطعت عنه هذه الأربعة ، لكنه سبحانه فتح له -إن كان سعيدًا- طرقًا ثمانية وهي أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء ، ليجد

نعيمًا لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٧] .

فأي نعيمٍ فوق هذا ؟ وأي كرمٍ من ربنا علينا فوق هذا ؟

إن الرب جل وعلا لا يمنع عبده المؤمن شيئًا من الدنيا إلا ويؤتيه ما هو أفضل منه وأنفع له ، وليس ذلك لغير المؤمن : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

فإنه سبحانه يمنع الحظ الأدنى ولا يرضى له به ، ليعطيه الحظ الأعلى : ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[الضحى:٤] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الشورى:٣٦] .

ولكن العبد لجهله بربه ، وجهله بكرمه ، وجهله لحكمته ولطفه ، وجهله بمصالح نفسه لا يعرف التفاوت بين ما منع منه وبين ما ادخر له ، بل هو مولعٌ بحب العاجل وإن كان دنيئًا فانيًا قليلًا ، فبقلة الرغبة في العاجل وإن كان عليًا باقيًا .

ولو تأمل العبد وفكر لعلم أن غضب الله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها أعظم من غضبه عليه فيما آتاه من ذلك ، فما منعه إلا ليعطيه ، ولا ابتلاه إلا ليعافيه ، ولا أماته إلا ليحييه ، وما أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب للقدوم عليه ، ويسلك الطريق الموصلة إليه ، وهي طريق الإيمان والتقوى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ

عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦] .

ركب الله ﷻ في الإنسان قوتين ، هما قوة الشهوة وقوة الغضب ، وهاتان القوتان بمنزلة صفاته الذاتية لا ينفك عنهما ، وبهما وقعت المحنة والابتلاء ، وبهما ينال العبد منازل الأبرار ، أو ينحط تحت أقدام الأشرار في أسفل سافلين : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

فمن شهوته مصروفة إلى ما أعد الله له في دار النعيم ، وغضبه حميةً لدين الله ولكتابه ولرسوله ولدينه ، فهذا في الدرجات العلى والنعيم والمقيم : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

ومن كانت شهوته مصروفةٌ في هواه وأمانيه العاجلة ، وغضبه مقصورٌ على حظه ، ولو انتهكت محارم الله وحدوده وشرائعه ، وهو ملحوظٌ بعين الاحترام والتقدير ونفوذ الكلمة ، فهذا في أسفل سافلين .

• **ولن يجمع الله بين الصنفين في دارٍ واحدة :**

الأول : صعد بشهواته وغضبه إلى أعلى عليين فهو في الجنة ، فمحبوباته : ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة:١١٢] .

فهذا وعده الله بقوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢]

والثاني : هبط بالشهوة والغضب إلى أسفل سافلين ، فهو في النار : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء : ١٤] .

وقال الله ﷻ: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[آل عمران:١٦٢-١٦٣]

فسبحان من خلق هذا الإنسان من تراب ، وجعل نسله من ماءٍ مهين ، ووكل بخلقه من هذا الماء ملائكة تنفذ أمر الله فيه ، فهم المدبرات أمرًا ، فهذه النطفة بمجرد استقرارها في الرحم تتولاها ملائكةٌ بأمر الله ، فتنقسم إلى خلايا ، يلهمها الله ماذا تفعل وماذا تريد وأين تكون .

وكل خلية من هذه الخلايا مكلفةٌ بأمر الله ببناء ركنٍ من أركان هذه العمارة الهائلة ، عمارة الجسم الإنساني العجيب ، فتنطلق مجموعةٌ منها لتنشئ بأمر الله الهيكل العظمي ، وأخرى تنشئ الجهاز الهضمي ، وأخرى تبني الجهاز

العصبي ، وأخرى تبني الجهاز الدموي ، وأخرى تبني الجهاز التناسلي ، وأخرى تبني الجهاز التنفسي ، إلى آخر بقية الأركان في العمارة الإنسانية العظيمة : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات:٢١] .

وهذه العمارة دقيقة الصنع ، عجيبة التركيب ، متنوعة الوظائف ، وكل خليةٍ مأمورةٍ تقوم بنوعٍ معين من العمل في الركن المخصص لها من العمارة ، يأمرها الملك ، فتنطلق بأمر الله وهي تعرف طريقها وتعرف إلى أين هي ذاهبة ، وما هو مطلوبٌ منها ، ولا تخطئ واحدةٌ منها الخلايا المكلفة من تصنع العين تعرف أين مكانها ، وتعرف أين العين ، وتعرف أن العين ينبغي أن تكون في الوجه .

ولا يجوز أن تكون في البطن أو الظهر أو القدم ، مع أنه يمكن أن تنمو في أي مكان ، فمن ترى قال لها إن هذا الجهاز يحتاج إلى عين في هذا المكان دون سواه ، فلا إله إلا الله ، ما أعظم خلقه ، إنه العلي الأعلى الذي خلقها وهداها إلى طريقها في المتاهة التي لا هادي فيها إلا الله وحده : ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[الأعلى: ١ -٣] .

وكما أودع الله في الأرض ودائع بالجهد عليها تظهر هذه الودائع وتنفع الناس ، كما هو الحديد والذهب والفضة وسائر المعادن ، كذلك وضع الله في الآدمي ودائع ، إذا اجتهدنا عليها في المنهج الصحيح ظهرت هذه الودائع وخدمت الدين ، وإلا نجتهد عليها يضيع هذا الاستعداد بين شهوات البهائم أو غضب السباع ، أو كيد الشياطين : ﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الفرقان:٤٤] .

فكل جوارح الإنسان خلقت للعبادة ، وخدمة الدين والقيام بالدين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

فالعين عندها استعداد النظر ، والأذن عندها استعداد السمع ، والقلب عنده استعداد الإيمان ، والعقل عنده استعداد الفكر ، واللسان عنده استعداد الكلام ، واليد عندها استعداد البطش بالأعداء ، والرجل عندها استعداد المشي والكر والفر ، وهكذا بقية الجوارح : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل:٧٨] .

فأين الذي استفاد منها حسب أمر الله ؟ .

قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

وقد خلق الله اللسان ، وجعل فيه استعداد الكلام ، حيث يحدث الصوت من هواءٍ ساذج ، يخرج من الصدر حتى يصل إلى الحلق واللسان والشفتين والأسنان ، فيحدث منه الكلام و الصوت ، نظمه ونثره ، وخطبه ومواعظه ، لينه وخشنه ، والضحك والبكاء ، والترغيب والترهيب ، والسؤال والجواب ، والإبلاغ والتبشير ، والنداء والدعاء ، والحمد والذم ، والتسبيح والاستغفار ، وغير ذلك مما يمكن حصره من أنواع الكلام الذي ينطق به الإنسان بإذن الله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[الرحمن:١-٤] .

فسبحان القدير الذي أخرج كل ذلك من هواءٍ ساذج يخرج من الصدر ، ولا يدري ما يراد به ، ولا أين ينتهي ، ولا أين مستقره ، فهو بحرٌ من الهواء يقلبه الله إلى بحرٍ من الكلمات والجمل التي تحمل المعاني وأعجب من هذا اختلاف الألسنة والأصوات واللغات : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم:٢٢] .

فيجتمع خلقٌ من الناس من بلادٍ شتى وكلٌ يتكلم بلغته ، ولا يدري كلٌ منهم ما يقول الآخر ، مع أن الهواء واحد واللسان واحد والحلق واحد ، والأضراس واحدة والشفتان واحدة : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الشعراء:٨] .

فمثل اللسان مثل الأرض ، تسقى بماءٍ واحد ، وتخرج نباتات مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والأحجام ، من الأشجار والأزهار والحبوب والثمار ، مع أن التراب واحد والماء واحد : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد:٤] .

قال الله ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

ومن عجائب خلق الإنسان عملية تحويل الغذاء في الجسم إلى دم ، وتغذية كل خلية بالمواد التي تحتاج إليها من مواد هذا الدم المختلفة ، إنها عمليةٌ عجيبةٌ فائقة العجب ، وهي بقدرة الله وتدبيره ، تتم في الجسم في كل ثانية ، كما تتم عملية الاحتراق كما تتم عملية التنفس .

وفي كل لحظة تتم في جسم الإنسان عمليات هدمٍ وبناء مستمرة ، لا تكف حتى تفارق الروح الجسد .

ولا يملك الإنسان أمام هذه المخلوقات العظيمة وهذه العمليات العجيبة إلا أن تهتف كل ذرةٍ فيه بتسبيح الخالق المبدع لهذا الكون والإنسان .

والله خلق الإنسان وزوده بآلات العلم والمعرفة ، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، فأي نعمةٍ فوق هذه النعم : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤]

فمتى يشكر الإنسان ربه على هذه النعم الظاهرة والباطنة ؟ .

قال الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل:٧٨] .

وأول الشكر وأعظمه الإيمان بالله الواحد الأحد ، وعبادته وحده لا شريك له ، وطاعته فيما أمر ونهى ، والدعوة إليه والإحسان إلى خلقه ، ألا ما أعظم فضل الله على الإنسان في خلقه وحُسن صورته الخَلْقيّة والخُلُقِيّة ، وحسن صورته الشعورية .

فالإنسان أكمل الأحياء في الأرض من ناحية تكوينه الجثماني ، كما أنه أرقاها من ناحية تكوينه الشعوري واستعداده الروحي ، ومن ثم وُكلت إليه الخلافة في الأرض ، وأقيم خليفةٍ في هذا الملك العارية إلى يوم الدين : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾[البقرة:٣٠]

٩- الخزانة التاسعة

- **إن الله عز وجل خلق الإنسان من نطفة وجعله يمر بمراحل :**

المرحلة الأولى : في بطن الأم ومدتها تسعة أشهر تقريبًا ، والحكمة من وجوده هذه المدة شيئان :

١- تكميل الأعضاء الداخلية من الكبد والقلب والرئتين ونحو ذلك .

٢- وتكميل لأعضاء الخارجية ، كالرأس واليدين والرجلين ونحوهما .

المرحلة الثانية : في بطن الدنيا ومدتها من يوم الولادة إلى الموت ، والحكمة من وجوده في الدنيا شيئان ، تكميل الإيمان والأعمال الصالحة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

وقال الله تَعَالىَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[البقرة: ٢١ - ٢٢]

المرحلة الثالثة : في القبر ومدتها من الموت إلى قيام الساعة ، والحكمة من وجوده في القبر انتظار قيام الساعة ، وهو في هذه الفترة إما في عذاب وإما في نعيم ، حسب عمله سواءً دفن أو لم يدفن .

المرحلة الرابعة : في دار القرار في الجنة أو النار ، ومدتها من دخول الجنة أو النار إلى أبد الآباد ، والحكمة من وصوله إلى هذه الدار بلوغ كمال

النعيم ، والتمتع برؤية ربه إن كان مؤمنًا ، والخلود في الجنة ؛ أما الكافر فيصل إلى كمال العذاب جزاءً على عمله السيئ في الدنيا وكفره بالله ، ثم يخلد في النار .

والله حكيمٌ عليم ، خلق الإنسان ضعيفًا ، ومع ضعفه علمه قليل ، فمهما علم من العلم فلن يعرف كل شيء : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

والإنسان مع ضعفه وقلة علمه عجول ، ومع عجلته كان أكثر شيءٍ جدلًا ، ومع جدله كان خصيمًا وقتورًا وهلوعًا: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[المعارج : ١٩-٢٢]

فوق ذلك كان ظلومًا جهولًا ، فوق ذك كان مختالًا فخورًا ، وفوق ذلك كان كفورًا : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[الزخرف:١٥] .

إن أعطي لم يشكر ، وإن ابتلي لم يصبر ، وإن أساء لم يستغفر : « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ » أخرجه مسلم[1] .

فالإنسان بحاجةٍ إلى الوحي ، وبحاجة إلى الدين ، وبحاجةٍ إلى قدوةٍ حسنة ، ولذلك بعث الله إليه خيار الناس وهم الأنبياء والرسل ، ليقتدي بهم ، فمن تبعهم وسار على هديهم أفلح ونجا في الدنيا والآخرة ، ومن خالفهم وسار على هواه ضل وخسر في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧).

كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

فسبحان ربنا العليم الحكيم ، السميع البصير ، الذي خلق الإنسان ورعاه ورباه وهو جنينٌ في بطن أمه ، وجعله في موضعٍ صغير لا يد تناله ولا بصر يدركه ، ويبحان من أجرى له الدم من الأم يتغذى به كما يتغذى النبات بالماء فينمو تدريجيًا حتى يصير بشرًا سويًا ، وسبحان من قلب ذلك الدم بعد الولادة لبنًا خالصًا ، حتى إذا كمل خلقك ، وقوي بدنك على مباشرة الهواء واتسع صدرك لملاقاة الضياء ، وصلُبت عظامك على مباشرة الأيدي ، هاج الطلق بأمك بأمر العزيز الحكيم ، وجاءت الأوامر بخروجك : ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [عبس:٢٢-٢٢] .

فخرجت من الظلمات إلى النور ، ومن دار الأمن إلى عالم الابتلاء ، فبينما الرحم مبتهجٌ بحملك ، صار يعج إلى ربك من ثقلك ، فسبحان الذي فتح لك بابه حتى ولجت ، ثم ضمه عليك وحفظك فيه حتى كملت ، ثم فتح لك الباب والسعة حتى خرجت منه كلمح البصر ، لم يخنقك ضيقه ، ولم تحبسك صعوبة طريقه : ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ﴾[عبس:٢٠] .

وسبحان من صرّف ذلك اللبن الذي كنت تغذى به في بطن أمك إلى خزانتين معلقتين على صدرها تحمله بذلك على صدرها كما حملتك في

بطنها ، وساقه إلى تلك الخزانتين أعظم سوقٍ وألطفه ، فهي بئرٌ مملوءةٌ بالحليب ، تشرب منها كلما ظمئت وجعت لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين .

تبارك الكريم الذي خلقه وصفاه وأطاب طعمه ، وحسن لونه ، وأحكم طبخه ، ليس بالحار المؤذي ولا البارد القارس ، ولا المالح ، ولا الكريه الطعم والرائحة ، بل هو أحسن ما يكون ، وجعله في أعلى مكان ليناسب حالك ، فإذا اشتهيت اللبن در لكح الثدي بإذن ربه . ولسهولة وصوله إليك جعل الله في رأس الثدي حلمة هي بمقدار صغر فمك فلا يضيق عنها ولا يتعب بالتقامها :﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾[الجاثية:٦] .

ثم نقب سبحانه في رأس الحلمة نقبًا صغيرًا يناسب حالك ، لم يوسعه فتختنق باللبن ، ولم يضقه فتمصه بكلفة ، فسبحان من عطف قلب الأم على مولودها ووضع فيه الحنان العجيب ، والرحمة الباهرة ، تسهر من أجلك ، وتأثرك بكل شيء وهي منقادةٌ مسرورة ، حتى إذا قوي بدنك واتسعت أمعاؤك وخشنت عظامك ، واحتجت إلى طعامٍ يشتد به عظمك ويقوى عليه لحمك .

أنبت في فيك آلة القطع والطحن من الأسنان والأضراس فسبحان الذي حبسها وقت الرضاعة رحمةً بك وبأمك ، ثم أعطاكها أيام أكلك ، رحمةً بك ولطفًا بك وبأمك ، وكلما ازدادت قوة الحاجة إلى الأسنان في أكل الطعام زيد لك في تلك الأسنان شيءً فشيءً حتى تنتهي إلى النواجذ ،

فتطيق نهش اللحم وقطع الخبز ثم إذا ازددت قوة زيد لك فيها حتى تنتهي إلى الطواحين التي هي آخر الأضراس .

من رحمة الله عز وجل بالإنسان أن أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئًا ، فإنه على ضعفه لا يحتمل العقل والفهم والمعرفة ، وإنما يُعطَى ذلك تدريجيًا كما ينمو تدريجيًا رحمةً من ربه العزيز الرحيم .

فلا يزال يتزايد فيه العقل وتزداد المعرفة شيئًا فشيئًا ، حتى يعرف الأشياء ويتمرن عليها ويستقبلها بحسن التصرف فيها وحسن التدبير لها .

وخص سبحانه الذكر بأن جمّل وجهه باللحية وقارًا وهيبةً له ، وجمالًا وزينة ، وفصلًا له عن سن الصبا وفرقًا بينه وبين الإناث ، وبقيت الأنثى على حالها لما خلقت له من استمتاع الذكر بها ، فبقي وجهها على حاله ونضارته ليكون أهيج للرجل على الشهوة وأكمل للذة الاستمتاع .

فسبحان الخلاق العظيم ، الماء واحد ، والوعاء واحد ، واللقاح واحد ، والنتاج مختلف ، سبحان الذي أعطى الذكر الذكورية والأنثى الأنوثية ، وجعل لكل ذلك حكمة : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى:٤٩-٥٠] .

وجعل سبحانه المعدة خزانةً يستقر فيها الغذاء فتطبخه كالطباخ ، وتسلمه لمن ينتفع به ، فالإنسان يطبخ الطعام في الخارج حتى يظن أنه قد كمل ، وطبّاخه من الداخل يعاني من موجه وطبخه مالا تهتدي إليه ولا تقدر عليه ، فهو يوقد عليه نيرانًا تذيب الحصى وتذيب مالا تذيبه النار ، وهي في ألطف

موضعٍ منك ، لا تحرقك ولا تلتهب عليك ، وهي أشد حرارة من النار .
وجعل سبحانه في بدنك المنافذ والأبواب لإدخال ما ينفعك وإخراج ما يضرك ، فهل من عاقل ؟ وهل من ذاكر ؟ وهل من شاكر ؟ وهل من متفكر ؟ .
قال الله تَعَالىَ : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾[البقرة:١٥٢] .
فسبحان الخلاق العليم ، الذي خلق لك الحواس الخمس ، وجعلها في الرأس كالمصابيح فوق المنارة لتتمكن بها من مطالعة الأشياء ، وجعل سبحانه الخواص خمسة في مقابلة المحسوسات الخمس كي لا يبقى شيء من المحسوسات لا يناله بحاسة ، فجعل البصر في مقابلة المبصرات ، وجعل السمع في مقابلة الأصوات ، وجعل الشم في مقابلة الروائح ، وجعل الذوق في مقابلة المذوقات ، وجعل اللمس في مقابلة الملموسات ، فأي محسوسٍ بقي بلا حاسة ؟ .
وأُعينت هذه الحواس بمخلوقاتٍ أُخر لتكمل بها منفعتها ، فأعينت حاسة البصر بالضياء والنور ، وأعينت حاسة السمع بالهواء الذي ينقل الأصوات ، وأعينت حاسة الشم بالنسيم اللطيف ، وأعينت حاسة الذوق بالريق المتحلل في الفم ، وأعينت حاسة اللمس خاصة بقوةٍ جعلها الله فيها تدرك بها الملموسات ، ولم تحتج إلى شيءٍ من خارج .
فسبحان من أخرج الكلام من هواءٍ ساذج في باطن الإنسان ، وأخرج من الحروف والكلمات والجمل أنواع الكلام ، من أمرٍ ونهي ، ونثرٍ ونظم ، ومضحكٍ ومبكي ، ومسلٍ ومحزن ، وما يولد الخوف وما يولد الأمل ،

ومنه ما يسقم الصحيح ومنه ما يبرئ السقيم .
ومنه ما يزيد النعم ومنه ما يحل النقم ، ومنه ما يستدفع به البلاء ومنه ما يجلب النعماء ، ومنه ما يؤلف القلوب ومنه ما يفرق القلوب ، ومن ما يهدي ومنه العالي ومنه السافل ، ومنه الحسن ومنه القبيح .
فسبحان من أخرج هذا الكلام المتنوع من هواءٍ ساذجٍ يخرج من الصدر : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الشعراء:٨-٩] .
سبحان من أخرج من هواءٍ واحد ما لا يحصيه إلا الله من الحروف والكلمات والأصوات والأنغام ، وأخرج بماءٍ واحد ما لا يحصيه إلا الله من النباتات والأشجار والأزهار والثمار ، وأخرج بلسانٍ واحد ما لا يحصيه إلا الله من اللغات واللهجات والحروف والكلمات ، فالحلق يمر به هواءٌ واحد ، والأرض تسقى بماءٍ واحد ، والمواليد من هذه وهذه مختلفة ، لا يحصي أنواعها إلا الله الذي لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[يس:٨٢] .
وما أعظم نعمة الله في الحفظ والنسيان والذي خص به نوع الإنسان ، وما أعظم ما فيهما من الحِكَم وما للعبد فيهما من المصالح ، فإنه لولا القوة الحافظة التي خص الله بها الإنسان لدخل عليه الخلل في أموره كلها ، ولم يعرف ما له وما عليه ، ولما أخذ ولا ما أعطى ، ولا ما سمع وما رأى ، ولا ما قال ولا ما قيل ، ولا ذكر من أحسن إليه ولا من أساء إليه ، ولا من نفعه فيقرب منه ولا من ضره فينأى عنه ، ولا يعرف علمًا ولو درسه مرارًا ، ولا

يهتدي إلى الطريق الذي سلكه أول مرة ولو سلكه مرارًا ، ولا ينتفع بتجربة ولا يعرف من عامله من الخلق .

ومن أعجب النعم عليه نعمة النسيان ، فلولا النسيان لما سلا أبدًا ، ولا انقضت له حسرة ، ولا تعزى عن مصيبة ، ولا ارتفع عنه حزن ، ولا بطل له حقد ، ولا استمتع بشيءٍ من الدنيا مع تذكر الآفات ، ولا نام من تذكر المصائب والبليات ، فما أعظم نعمة الله على العبد في الحفظ والنسيان مع ترددهما: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣] .

الله عز وجل هو الخلاق العليم ، وهو على كل شيءٍ قدير ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ولا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء ، خلق آدم بلا أبٍ ولا أم ، وخلق زوجه من أبٍ بلا أم ، وخلق عيسى من أمٍ بلا أب ، وخلقنا من أبٍ وأم ؛ خلق آدم من تراب ، وخلق زوجه من أحد أضلاعه ، وخلق عيسى من نفخة جبريل في درع مريم ، وخلق البشر من اجتماع ماء الرجل والمرأة .

فسبحان من خلق من هذا الماء بشرًا سويًا يقوم ويقعد ويأكل ويشرب ، ويفرح ويغضب، ويصلي ويتعبد، ويعدل ويظلم، ويتكلم ويسكت، ويرحم ويبطش ، سبحان من جعل من نسله الذكر والأنثى، والأسود والأبيض، والطويل والقصير، والمؤمن والكافر، والعاقل والمجنون، والعرب والعجم.

وسبحان من هيأ هذا الإنسان للإيمان والكفر ، وللطاعة والمعاصي ، والخير والشر ، والإحسان والإساءة ، والهدى والضلالة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾[التغابن:٢] .

وسبحان من ملأ الأرض من نسل هذا الآدمي ، فهذا يولد وهذا يموت ، حتى يأكلوا أرزاقهم ويستكملوا آجالهم ، والله يوالي عليهم نعمه ، ويرسل إليهم رسله ، وهم يعملون بما يسر الله لهم ، ويغدون ويروحون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فما أعظم خلق هذه النفوس ، وما أعجب ما فيها من الآيات والعبر ، والشواهد والحِكم ، وما دل على قدرة باريها وفاطرها ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الذاريات:٢٠-٢٢] .

وقال الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

وهذا الإنسان الذي خلقه الله وركبه من ستة أشياء وهي :

١- بدنه الجثماني .

٢- ونفسه الشهوانية .

٣- ونفسه الغضبية .

٤- ونفسه الشيطانية .

٥- وروحه الملكية .

٦- وجوهره العقلي .

والذي يملك السمع والأبصار هو الله ، فهو خالقها وحده ، وهو الذي يهبها القدرة على أداء وظائفها أو يحرمها ويعافيها ، أو يبلغها ويسمعها ويريها ما تحب أو ما تكره .

وفي تركيب العين وأعصابها وكيفية إدراكها للمرئيات : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الشعراء:٨] .

وفي تركيب الأذن وأجزائها وطريقة إدراكها للذبذبات ، في ذلك كله عجائب تذهل العقول وتدير الرؤوس :﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

إن كثيرًا من الناس يمرون غافلين بالبدائع الإلهية في الكون وفي أنفسهم كأنهم لا يبصرون ولا يدركون :﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[يونس:٩٢] .

فنعوذ بالله من الجهل والغفلة وقلة المعرفة .

والذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي هو الله وحده ، ألا ما أعظم الرب الخالق سبحانه وما أعظم قدرته وما أتقن صنعه ، وإن وقفةً واحدة أمام هذه الحبة والنواة تخرج منهما النبتة والنخلة ، أو أمام البيضة والبويضة ، يخرج منهما الفرخ والإنسان ، إن ذلك لكافٍ لاستغراق حياة الإنسان في التأمل والارتعاش إجلالًا لعظمة الله الخلاق العليم ، وكمال قدرته وسعة علمه ، وجميل صنعه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

فسبحان العليم القدير ، أين كانت تكمن السنبلة في الحبة ؟ وأين كان

يكمن العود ؟ وأين كانت تلك البذور والساق والأوراق والثمار ؟ وأين في النواة كان يكمن اللب واللحاء والساق والعراجين ؟ .

وأين كان يكمن الطعم والنكهة واللون والرائحة والحجم ؟ وأين كان يكمن البلح والتمر والرطب والبسر ؟ وأين في البيضة كان الفرخ ؟ وأين تكمن تلك العظام واللحوم والزغب والريش ؟ وأين كان يكمن في البويضة ذلك الكائن البشري العجيب ؟ وأين كان يكمن لحمه وعظامه ، وعروقه وأعصابه وسمعه وبصره ورأسه وأطرافه وأفكاره وأعماله وكلامه وحركاته ؟ .

قال الله تَعَالىَ : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾[لقمان: ١١] .

وإن تحول الطعام الذي يموت بالطهي والنار إلى دمٍ حيٍ في الجسم الحي ، وتحول هذا الدم إلى فضلاتٍ ميتة بالاحتراق لأعجوبةٌ يتسع العجب منها كلما ازداد العلم بها وهي بعد كائنة في كل لحظة آناء الليل وأطراف النهار ، إن هذه الكائنات الحية لا تكون إلا من إلهٍ حي ، يهب الحياة لكل حي.

قال الله تَعَالىَ : ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥] .

١٠- الخزانة العاشرة

- **فقه خلق الروح :**

الله عز وجل هو الذي سوى النفس كما سوى البدن ، وأخبر أنه سوى البدن بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾[الانفطار:٦ -٨] .

وأخبر سبحانه أنه سوى النفس بقوله : ﴿ **وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨** ﴾ [الشمس:٧-٨] .

فالله عز وجل هو الذي خلق النفس وسواها وألهمها فجورها وتقواها ، والإنسان مجموع الروح والبدن كما قال سبحانه : ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ ﴾ [ص:٧١-٧٢] .

وباجتماع الروح مع البدن تصير النفس فاجرةً أو تقية ، وإلا فالروح بدون البدن لا فجور لها . وقد أفلح من زكى نفسه بحملها على طاعة الله ، وخاب من أهلكها وحملها على معصية الله :﴿ **وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠** ﴾ [الشمس:٧-١٠] .

والعبد إنما يزكي نفسه بعد تزكية الله لها بتوفيقه وإعانته ، ويدسيها بعد تدسية الله لها بخذلانه والتخلية بينه وبين نفسه حينما أعرض عن ربه .

والله عز وجل هيأ الإنسان لقبول الكمال فيما أعطاه الله من الأهلية والاستعداد التي جعلها كامنةً فيه كمون النار في الزناد .

فألهمه ربه ومكنه وعرفه وأرشده وأرسل إليه رسله وأنزل عليه كتبه لاستخراج تلك القوة التي أهله بها لكماله إلى الفعل ، فالنفس قابلةٌ للتقوى وقابلةٌ للفجور لحكمة الابتلاء :﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان:٢-٣] .

ثم خص الله سبحانه وتعالى بالفلاح من زكاها ونماها وعلاها بطاعة الله ، فذلك المتقي ، ثم حكم بالشقاء على من دساها ، فأخفاها وحقرها وصغرها وقمعها بالفجور ، فذلك الشقي ، فالطاعة والبر تكبر النفس وتعزها وتعليها حتى تصير أشرف شيء وأكبره وأزكاه وأعلاه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى:١٤-١٥] .

والمعصية تذل النفس وتصغرها وتحقرها ، فما أصغر النفس مثل معصية الله ، وما كبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة الله ، والبدن كالقالب بالنسبة للنفس ، وهي تأخذ من بدنها صورةً تتميز بها عن غيرها ويكتسب البدن الطيب والخبث من طيب النفس وخبثها ، وتكتسب النفس الطيب والخبث من طيب البدن وخبثه ، ولهذا يقال لها عند مفارقة البدن : « أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ أيتها النفس » . أخرجه أحمد وأبو

داود بسندٍ صحيح[1] .

والأرواح جنودٌ مجندة وأنواعٌ مختلفة كما قال النبي ﷺ: « الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ » . متفقٌ عليه[2] .

وتميز الروح عن الروح بصفاتها أعظم من تميز البدن عن البدن بصفاته ، فالمؤمن والكافر قد يتشابهان كثيرًا وبين روحيهما أعظم التباين ، وقل أن ترى بدنًا قبيحًا إلا وجدته مركبًا على نفسٍ تشاكله ، وقل أن ترى آفةً في بدن إلا وفي روح صاحبه آفة تناسبها ، وقل أن ترى شكلًا جميلًا وصورة حسنة إلا وجدت الروح المتعلق به مناسبةٌ له حسنةٌ مثله . وإذا كانت الأرواح العلوية وهم الملائكة متميزٌ بعضهم عن بعض من غير أجسامٍ تحملهم ، وكذلك الجن ، فتميز الأرواح البشرية أولى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾[التغابن:٢] .

وأرواح الموتى تتلاقى وتتزاور ، وأرواح الأحياء والأموات تتلاقى في النوم ويكلم بعضها بعضًا كما تلتقي أرواح الأحياء وكما تلتقي أرواح الموتى، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[الزمر:٤٢] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٨٥٣٤)، وأخرجه أبي داود برقم: (١٨٥٣٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٣٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٣٨).

فالروح جسمٌ قائمٌ بنفسه ، مخالفٌ جوهره جوهر البدن ، وهي مخلوقةٌ مدبرة ، وأرواح الأحياء والأموات تتلاقى في البرزخ فتجتمع وتتحدث ، ويرسل الله أرواح الأحياء لتستكمل أرزاقها وآجالها ، ويمسك أرواح الأموات ، وموت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها ، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت ، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدمًا محضًا فهي لا تموت بهذا الاعتبار: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران:١٨٥] .

فالأرواح باقيةٌ بعد خلقها ، مفارقةٌ أجسادها في نعيمٍ أو عذاب حتى يردها الله إلى أجسادها عند البعث ، وموت الأنبياء أنهم غُيّبوا عنا حيث لا ندركهم ، فهم أحياء في قبورهم يصلون كالملائكة أحياء موجودون ولا نراهم .

وإذا تقرر أنهم أحياء وكذلك الشهداء ، فحياتهم تختلف عن حياتهم في الدنيا ، وواهب الحياة وحده أعلم بكيفية تلك الحياة ، فإذا نُفخ في الصور نفخة الصعق صعِق الأنبياء ، فالأظهر أنه غشيه ، فإذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حَيَا ، ومن غُشي عليه أفاق .

ولذلك قال ﷺ: « لاَ تخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ

صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي ، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ » . متفقٌ عليه[1] .

وقد وصف الله النفس بالدخول والخروج والقبض والتوفي والرجوع والصعود إلى السماء ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر:٢٧ -٣٠] .

الروح تعاد إلى الميت في قبره وقت سؤال الملكين له في القبر : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

والروح تتعلق بالبدن وإن بلي وتمزق ولكنها لا تستقر فيه ، وسر ذلك أن **الروح لها مع البدن خمسة أحوال** :

أحدها : تعلقها بالجنين في بطن أمه .

والثاني : تعلقها بالبدن بعد خروجه للأرض .

والثالث : تعلقها بالبدن في حال النوم ، فلها به تعلقٌ من وجهه ، ومفارقةٌ من وجه .

الرابع : تعلقها به في البرزخ ، فإنه وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًا بحيث لا يبقى لها التفاتٌ إليه البتة ، فترد إليه عند السؤال في القبر ، ووقت سلام المسلمين عليه ، وهذا الرد لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة .

الخامس : تعلقها بالبدن يوم القيامة وهو أكمل أنواع تعلقها ، ولا نسبةً لما قبله من أنواع التعلق إليه .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٧٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٧٣).

والنبي ﷺ رأى الأنبياء في السماوات ، ورأى موسى ﷺ يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة ، ورأى إبراهيم ﷺ في السماء السابعة مسندًا ظهره إلى البيت المعمور ، وقبورهم وأبدانهم في الأرض ، ولا تنافي في ذلك ، فإن الروح كانت هناك في السماء ولها اتصالٌ بالبدن في القبر وإشرافٌ عليه وتعلقٌ به ، بحيث يصلي في قبره ويرد السلام وهي في الرفيق الأعلى ، فلا تنافي بين الأمرين .

إن شأن الأرواح غير شأن الأبدان ، فصعودها ونزولها وحركتها أخف من حركة البدن وأسرع ، والنعيم والعذاب في القبر على البدن والروح معًا ، تنعم الروح وتعذب مفردة عن البدن ، وتنعم وتعذب متصلةٌ بالبدن .

وعذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحقٌ للعذاب ناله نصيبه منه ، قُبر أو لم يقبر ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادًا ، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب أو النعيم ما يصل إلى المقبور ، فإن قيل، وقد قيل، وما قيل إلا بسبب الجهل بالله ودينه وشرعه ، عذاب القبر ونعيمه ، سعته وضيقه ، كونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ، قد كشفنا القبر وما رأينا ذلك ، ولا رأينا الملائكة التي تعذب الكفار ، ووجدنا القبر كما حفرناه وقبرناه لم يزد ولم ينقص .

وكيف يسع القبر الميت مع من يعذبه أو يجلسه أو يسأله ؟ ونرى المصلوب على خشبة لا يتحرك ولا يُسأل ولا يجيب ، وكذلك من أكلته السباع ومن احترق ومن تفرقت أجزاؤه ، وكيف يسأل من تفرقت أجزاؤه في الرياح

والبحار والثرى ؟ .

فيقال لهؤلاء وأمثالهم : كتاب الله تنزيلٌ من حكيمٍ عليم ، ورسل لم تأتِ بما تحيله العقول وتقطع باستحالته .

- **بل ما جاء من الرسل قسمان :**

أحدهما : ما تشهد به العقول والفطر .

والثاني : ما لا تدركه العقول بمجردها كأمور الغيب التي أخبروا بها عن البرزخ واليوم الآخر كالصراط والميزان والجنة والنار ونحو ذلك .

ولا يكون خبر الرسل محالًا في العقول أصلًا ، وكل خبر يُظن أن العاقل يحيله فلا يخلو من أمرين :

الأول : إما أن يكون الخبر كذب عليه ، ويكون ذلك العقل فاسدًا يرى الحق باطلًا والباطل حقًا، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦ ﴾[سبأ:٦] .

الثاني : أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده بغير غلوٍ ولا تقصير ، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ، ولا يقصر به عن مراده مما قصده من الهدى والبيان ، وقد حصل بسببهما إهمال ذلك كل بدعةٍ وضلالةٍ ومعصيةٍ مع حسن القصد أو سوء القصد ، وما ذلك إلا بسبب سوء الفهم عن الله ورسوله ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩] .

وقال الله ﷻ :﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ

﴿٧٩﴾ [آل عمران:٧٩] .

والله سبحانه خلق هذا الكون العظيم وخلق البشر وشرع لعباده الدين الحق وجعل الدور ثلاثًا :

دار الدنيا .. ودار البرزخ .. ودار الآخرة .

وجعل سبحانه لكل دارٍ أحكامٍ تخصها وتناسب أحوالها ، وركب هذا الإنسان من بدن وروح ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبعٌ له ، ولهذا جعلت أحكام الشريعة مرتبةٌ على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح ، وإن أضمرت النفوس خلافها .

وجعلت أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعٌ لها ، فالأبدان في الدنيا ظاهرة والأرواح خفية ، والأبدان كالقبور لها .

والأرواح هناك في القبور ظاهرة ، والأبدان خفية في قبورها ، تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيمًا أو عذابًا كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان وتسري إلى الأرواح عذابًا ونعيمًا .

وذلك واقعٌ في الدنيا في النوم ، فإنما يجري الإنسان في نومه من عذابٍ أو نعيم يجري على روحه أصلًا ، والبدن تابعٌ له ، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن ، فيرى في نومه أنه قد ضُرب فيقوم وأثر الضرب في جسمه ، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت لاستيقظ وأحس .

فإذا كان يوم حشر الأجساد وقام الناس من قبورهم لرب العالمين صار

الحكم والنعيم والعذاب على الأجساد والأرواح معًا ظاهرًا باديًا في كلٍ منهما .

والله عز وجل جعل أمر الآخرة وما كان متصلًا به في البرزخ غيبًا وحجب ذلك عن إدراك المكلفين في هذه الدار ، وذلك من كمال حكمته ورحمته ، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم ، فالملائكة تنزل على المحتضر ، وتجلس قريبًا منه فيشاهدهم عيانًا وقد يسلمون على المحتضر ، وقد يرد عليهم بإشارةٍ أو نحوه .

وكذلك النار التي في القبر ليست من نار الدنيا ، والخضرة التي فيه ليست من زرع الدنيا ، إنما ذلك من نار الآخرة وخضرتها ، فلا يحس بها الأحياء في هذه الدار لأنهم محجوبون عنها ، ولو أطلعنا الله على ذلك لزالت حكمة التكليف ولما تدافن الناس كما قال النبي ﷺ: « فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا ، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ » . أخرجه مسلم[1] .

ورؤية هذه النار أو الخضرة في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحيانًا لمن شاء الله أن يريه ذلك كما حصل لبعض الناس .

الله عز وجل هو الخلاق العليم بكل شيء ، قد خلق الروح وأخفى علمنا بها، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

والله عز وجل قد أحدث في هذه الدار ما هو أعجب من أحوال تلك

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٦٧).

الروح ، فجبريل ﷺ كان ينزل على النبي ﷺ في صورة رجل ، ويكلمه بكلامٍ يسمعه ومن إلى جانب النبي ﷺ لا يراه ولا يسمعه ، والجن يتحدثون بيننا بالأصوات المرتفعة ونحن لا نسمعهم ولا نراهم ، وقد نسمع كلامهم ولا نراهم ، كما إذا دخلوا في بعض الإنس وتكلموا ، الله رءوفٌ بالعباد يخلق حوادث ومخلوقات يصرف عنها أبصار الناس حكمةً منه ورحمةً بهم ، فإنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها :﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣] .

والعبد أضعف بصرًا وسمعًا وتحملًا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر ، وإذا كان العبد يستطيع أن يوسع القبر ويستره على الناس فلا يعلمون منه إلا ما شاء ، فكيف يعجز رب العالمين أن يوسعه على من يشاء ويضيقه على من يشاء ويستر ذلك عمن يشاء ويظهره لمن يشاء ؟ .

والسر في ذلك كله أن النار والخضرة والضيق والسعة في القبر ليس من المعهود بهذا العالم ، فلا يمكننا إدراكه ، والله سبحانه إنما أشهد بني آدم في هذه الدار ما كان فيها ومنها ، فأما أمر الآخرة فقد أسدل عليه الغطاء ليكون الإيمان به والإقرار سببًا لنجاتهم وسعادتهم .

ولا يمتنع على من هو على كل شيءٍ قدير أن يرد الروح إلى المصلوب والغريق والحريق ونحن لا نشعر به ، وكذلك من تفرقت أجزاؤه لا يمتنع على الذي لا يعجزه شيء أن يجعل للروح اتصالًا بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقرب ، فإنه سبحانه جعل للجمادات شعورًا ، فهي تسبح بحمد

ربها ، وتسقط الحجارة من خشية الله سبحانه : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤] .

وعذاب القبر ونعيمه اسمٌ لعذاب البرزخ ونعيمه ، فهما بين الدنيا والآخرة ، وهذا البرزخ يشرف أهله على الدنيا والآخرة ، وسمي عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أو حفرة باعتبار غالب الخلق ، وإلا فإن للغريق والحريق والمصلوب ومن أكلته السباع والطيور من عذاب القبر ونعيمه ما للمقبور ، ولو عُلّق الميت على رؤوس الأشجار في مهب الرياح لأصاب جسده نصيبه من عذاب القبر ونعيمه بقدرة العزيز العليم الذي لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء .

الله تبارك وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين : ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم:٣١] .

فالبعث الأول : مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأولى في القبر ، وهو الحشر الأول .

والبعث الثاني : يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى مستقرها في الجنة أو في النار ، وهو الحشر الثاني .

فالأول برزخٌ بين الدنيا والآخرة ، يتنعم فيه المطيعون ، ويعذب العاصون ، من حين موتهم إلى يوم يبعثون ، كما قال سبحانه : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون:١٠٠] .

والثاني مكان كمال النعيم وكمال العذاب في الجنة أو النار ، فجعلهما الله دار الجزاء للمحسن والمسيء ، ولكن توفية الجزاء ما يكون يوم المعاد الثاني في دار القرار ، في الجنة أو النار كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران:١٨٥] .

وقال سبحانه عن الكفار : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[غافر: ٤٦] .

وقد اقتضت حكمة الله وعدله ، وأوجبت أسماؤه الحسنى وكماله تنعيم أبدان أوليائه وأرواحهم وتعذيب أبدان أعدائه وأرواحهم ، ولما كانت هذه الدار دار تكليفٍ وامتحان لا دار جزاء ، لم يظهر فيها ذلك جليًا .

وأما البرزخ فأول دار جزاء ، وأول منازل الآخرة فظهر فيه من ذلك ما يليق بتلك الدار وتقتضي الحكمة إظهاره . فإذا كان يوم القيامة الكبرى ، وفّى الله أهل الطاعة وأهل المعصية ما يستحقون من نعيم الأرواح والأبدان وعذابهما ، فعذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ، ونعيمها وهو مشتقٌ منه ، وواصلٌ إلى أهل البرزخ هناك كما قال النبي ﷺ في المؤمن إذا مات وقُبر : « فينادي منادٍ من السماء : أنْ قد صَدَقَ عبدي ، فأفرشُوه من الجنة ، وافتَحُوا له باباً إلى الجنّة ، وألبسُوه من الجنة" قال : "فيأتيه من رَوحِها وطيبها قال : "ويُفتح له فيها مدَّ بصرِه » أخرجه أبو داود [1] .

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٥٣).

وقال في الكافر إذا مات وقُبر : « وإن الكافر فذكر موته قال : وتُعادُ روحُه في جَسده ، ويأتيه مَلَكانِ ، فيُجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فيقولان له : ما دينُك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجلُ الذي بُعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء : أن كَذَبَ ، فافرشوه من النار ، وألبسُوه من النار ، وافتحُوا له باباً إلى النار ، قال : "فيأتِيه من حَرِّها وسَمُومِها قال : ويُضيّقُ عليه قَبرُهُ حتى تختلفَ فيه أضلاعُه » . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح[1] .

فإذا كان يوم القيامة دخل كل إنسان في دار مقامه الأبدي في الجنة أو النار ، فسبحان من له الخلق والأمر وحكمته منتظمةٌ أكثر انتظام في الدور الثلاث :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الروم:١٤-١٨] .

الأسباب التي يعذب بها أهل القبور :

أهل القبور يعذبون على جهلهم بالله ، وإضاعتهم لأمره ، وارتكابهم لمعصيته ، فلا يعذب الله روحًا عرفته وأحبته وأطاعته ، ولا بدنًا كانت فيه

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٥٣)، وأخرجه أحمد برقم: (١٨٥٣٤).

أبدًا : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار:١٣-١٤] .

فإنّ عذاب الدنيا وعذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على من عصاه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء :١٣-١٤] .

ومن أغضب الله وأسخطه في الدنيا ومات ولم يتب كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فمستقلٌ ومستكثرٌ ومصدقٌ ومكذبٌ ومطيعٌ وعاص وشقيٌ وسعيد ، وسؤال الملكين الميت في قبره عامٌ لكل الناس المسلم والكافر والمنافق ، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء، كما قال سبحانه : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[إبراهيم: ٢٧]

وهو كذلك عامٌ في هذه الأمة وما قبلها من الأمم ، وسؤال الملكين لا يشمل الأطفال الذين لا تمييز لهم ، فإنه لا يُسأل عما لم يتمكن من معرفته والعلم به وهذا بخلاف امتحانهم في الآخرة ، ولكن قد يراد بعذاب القبر الأثر الذي يسري أثره على الطفل فيتألم به ولهذا شُرع للمصلي أن يسأل الله أن يقيه ذلك العذاب .

- **وعذاب القبر نوعان :**

دائمٌ .. ومنقطع .

فالدائم هو عذاب الكفار والمنافقين .

والمنقطع هو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه ، كما يعذب بالنار مدةً ثم يزول العذاب عنه وقد ينقطع عنه العذاب بدعاءٍ أو صدقة أو استغفار أو ثواب حجٍ أو نحو ذلك ، ومستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة في السماء ، فروح السعداء عن يمين آدم في السماء الأولى وأرواح الأشقياء عن يساره ، فلا تزال الأرواح هناك حتى تكتمل عدد الأرواح كلها ثم يعيدها الله إلى الأجساد ثانية كما قال النبي ﷺ في قصة الإسراء والمعراج : « فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا آدَمُ ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ ، فَأَهْلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى » . متفقٌ عليه[1] .

والأرواحُ البشرية متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ، فأرواح الأنبياء في أعلى عليين ، وهم متفاوتون في منازلهم ، ومنها أرواح حواصل

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٣).

طير خضر تسرح حيث تشاء وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش وهي أرواح بعض الشهداء ، ومنهم أرواح نسمة طائر يعلق في أشجار الجنة ، ومنهم من يكون محبوسًا على باب الجنة ، ومنهم من يكون محبوسًا في قبره ، ومنهم من يكون محبوسًا في الأرض لأن روحه سفلية أو أرضية ، ومنها أرواحٌ تكون في تنور الزناة والزواني ، ومنها أرواحٌ تسبح في نهرٍ من الدم ، فمقر الأرواح مختلف ، فأرواحٌ أعلى في أعلى عليين وأرواحٌ في أسفل سافلين ، كلٌ بحسب عمله ، والأرواح مع كونها في السماء تتصل بفناء القبر وبالبدن منه وهي أسرع شيء حركةً وانتقالًا وصعودًا وهبوطًا بعضها مرسل وبعضها محبوس .

والروحُ في جسد الإنسان بدار غربة ولها وطنٌ غيره ، فلا تستقر إلا في وطنها ، وقد أمرت بمساكنة هذا الوطن الكثيف وهي تحن إلى وطنها في المحل الأعلى حنين الطيور إلى أوكارها ، وأعظم عذاب الروح انغماسها وتدسيتها في أعماق البدن واشتغالها بملاذه وانقطاعها عن ملاحظة ما خلقت له وما هيئت له وعن وطنها ومحلها ومنزل كرامتها ، ولكنّ سكر الشهوات يحجبها عن مطالعة هذا الألم وهذا العذاب ، فإذا صحت من سكرها تحصلت على ما فاتها من كرامة الله .

فالمؤمن في هذه الدار سبيٌ من دار الجنة والنعيم إلى دار التعب والعناء ثم ضرب عليه الرق فيها فكيف يلام على حنينه إلى دارٍ سبي منها وفرّق بينه وبين ما يحب وجمع بينه وبين عدوه ، فروحه دائمًا معلقة بذلك الوطن ،

وبدنه في الدنيا ولهذا كان المؤمن غريبًا في هذه الدار ، أينما حل منها فهو في دار غربة إلى أن تنقضي ويصير إلى وطنه ومنزله .

والروح نؤمن بوجودها في البدن ولا نعلم كيفيتيها ولا اختصاص للروح بشيء معين في الجسد ، بل هي ساريةٌ في الجسد كله والحياة مشروطةٌ بالروح فما دامت فيه دامت فيه حياة ، وإذا فارقته الروح فارقته الحياة: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

- **وأرواح الموتى قسمان :**

أرواحٌ معذبة .. وأرواحٌ منعمة .

فالأرواح المعذبة في شغل بما هي فيه عن التزاور والتلاقي ، والأرواح المنعمة الموصلة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون منها للدنيا ، والأرواح مخلوقة مع الأجساد ، والملك الموكل بنفخ الروح في الجسد ينفخ فيه الروح إذا مضى عن نطفة أربعة أشهر ، وذلك أول حدوث الروح فيه كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ يجُمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، وَيُقَالُ لَهُ : اكْتُبْ عَمَلَهُ ، وَرِزْقَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ » . متفقٌ عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٤٣).

والمؤمنون تفتّح لأرواحهم عند الموت أبواب السماء ، وتفتح لأجسادهم أبواب الجنة ، وأما الكفار فلا تفتح لأرواحهم أبواب السماء ، ولا تفتح لأجسادهم أبواب الجنة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[الأعراف:٤٠] .

وأهل الإيمان والعمل الصالح لما كانت أبواب السماء مفتوحةً لأعمالهم حتى وصلت إلى الله سبحانه فُتحت لأرواحهم حتى وصلت إليه وقامت بين يديه فرحمها وأمر بكتابة اسمها في عليين كما قال سبحانه : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾[فاطر:١٠] .

وأهل الكفر لم تفتح أبواب السماء لأعمالهم بل أغلقت عنها ، لم تفتح لأرواحهم عند المفارقة بل أغلقت عنها .

- **الفرق بين النفس والروح :**

الفرق بين النفس والروح فرقٌ بالصفات لا بالذات ، ولكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسًا ، فإن العبد كلما نام خرجت منه ، فإذا استيقظ رجعت إليه ، فإذا مات خرجت خروجًا كليًا ، فإذا دُفن عادت إليه ، فإذا سُئل خرجت ، فإذا بُعث رجعت إليه ، ولها اتصالٌ في البدن في القبر .

- **فالنفس واحدة ولها ثلاثة أحوال :**

فتكون أمارةً بالسوء تارة، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣] .

وتكون لوامةً تارة، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ [القيامة: ٢] .

وتكونُ مطمئنة، تارة كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠ ﴾ [الفجر:٢٧ – ٣٠] .

وأغلب الناس الغالب عليهم الأمارة ، واللوامة أقل منها ، وأما المطمئنة فهي أقل النفوس البشرية عددًا وأعظمها عند الله قدرًا ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ۝٢٩ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

والله تبارك وتعالى اقتضت حكمته أنه لابد أن يمتحن النفوس ويبتليها ويطهر بالامتحان والابتلاء طيبها من خبيثها وما يصلح لموالاته وكراماته ومن لا يصلح ، وليمحص النفوس التي تصلح له ويخلصها بكير الامتحان والابتلاء.

قال الله تَعَالىَ : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت:٢-٣] .

إذ النفس في الأصل جاهلةٌ ظالمة ، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم ، فإذا هذّب العبد ونقّي أذن له بدخول الجنة طيبًا طاهرًا .

والنفوس البشرية علويةٌ سفلية ، ومرسلةٌ ومحبوسة ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير ، فهناك الحبس والألم والعذاب والعقاب والمرض والحسرة لبعضها ، وهناك اللذة والراحة والنعيم والطمأنينة والسعادة والسرور للبعض الآخر . وما أشبه حالها في هذا البدن بحال البدن في بطن الأم ، وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من هذا البطن إلى هذه الدار .

- **ولكل نفسٍ أربع دور كل دارٍ أعظم من التي قبلها :**

الأولى : في بطن الأم حيث الحسر والضيق والظلمات الثلاث .

الثانية : دار الدنيا وهي التي ينشأ فيها الإنسان ويكتسب فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة .

الثالثة : هي دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها إليها كنسبة تلك الدار إلى الأولى .

الرابعة : دار القرار وهي الجنة أو النار فلا دار بعدها .

والله جلّ وعلا ينقلها في هذه الدور طبقًا بعد طبقًا حتى يبلغها التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق لها سواها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها إليها : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[السجدة:١٨-٢٠] .

ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدور الأخرى ، وقد ذكر الله عز وجل أحكام الأرواح عند الموت :﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الواقعة:٨٣-٩٦] .

فالناس عند القيامة الصغرى وهي الموت ، وعند القيامة الكبرى بعد البعث ثلاثة أقسام :

القسم الأول : مقربٌ له الروح والريحان وجنة النعيم .

القسم الثاني : مقتصد من أصحاب اليمين ، حكم الله له بالإسلام والسلامة من العذاب فهو في الجنة .

القسم الثالث : ظالم بتكذيبه وضلاله ، فمعذب بنزل من حميم وتصلية جحيم .

وأما ما يؤيد الله به أوليائه من الروح فهو روح أخرى غير هذه الروح، كما قال سبحانه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة:٢٢] .

وكذلك الروح التي يلقيها الله على من يشاء من عباده هي غير الروح التي في البدن كما قال سبحانه : ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥﴾[غافر:١٥] .

فالوحي للقلوب بمنزلة الروح للجسد فكما أن الجسد بدون الروح لا يحيا ولا يعيش فكذلك القلب بدون روحٍ ولا وحي لا يصلح ولا يفلح .

والقوى التي في البدن تسمى أرواحًا فيقال : الروح الباصر ، الروح السامع ، الروح الشامّ ، فهذه الأرواح قوى مودعة في الأبدان تموت بموت الأبدان وهي غير الروح التي لا تموت بموت الأبدان ، ويطلق الروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبته وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته ، ونسبة هذه إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن فإذا فقدت الروح كانت بمنزلة البدن إذا فقد روحه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾[الشورى:٥٢] .

وهذه الروح التي يؤيد الله بها أهل طاعته وأهل ولايته ، ولهذا يقال فلانٌ فيه روح وفلانٌ ليس فيه روح ، فللعلم روح وللإحسان روح وللإخلاص روح وهكذا ، والناس متفاوتون في هذه الأرواح ، فمنهم من تغلب عليه فيصير روحانيًا ومنهم من يفقدها أو يفقد أكثرها فيصير أرضيًا بهيميًا أو إبليسيًا ، فهذه هي الروح وهذه هي أنواع الأرواح وهذا ثوابها أو عقابها : ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾[الإسراء:٨٥] .

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الجزء **الرابع**..... ٥

١٩-خزائن الأخـــــلاق:..... ٧

القسم الأول: ويشتمل على: ٧

١.الخزانة الأولى..... ٨

٢.الخزانة الثانية.....٣٣

٣.الخزانة الثالثة.....٤١

٤.الخزانة الرابعة.....٥٣

٥.الخزانة الخامسة.....٦٦

٦.الخزانة السادسة.....٧٧

٧.الخزانة السابعة.....٩٠

٧.الخزانة الثامنة ١٠٨

٧.الخزانة التاسعة..... ١٣١

١٠. الخزانة العاشرة ١٤٧

القسم الثاني: ويشتمل على: ١٥٥

١.الخزانة الأولى..... ١٥٦

٢.الخزانة الثانية..... ١٧٠

٣.الخزانة الثالثة..... ١٨٢

٤.الخزانة الرابعة..... ١٩١

٥.الخزانة الخامسة..... ٢٠٤

٦.الخزانة السادسة..... ٢١٥

٧.الخزانة السابعة..... ٢٢١

٧.الخزانة الثامنة ٢٢٩

٧.الخزانة التاسعة..... ٢٣٦

١٠. الخزانة العاشرة ٢٥٣

القسم الثالث: ويشتمل على: ٢٦٧

١.الخزانة الأولى..... ٢٦٨

٢.الخزانة الثانية..... ٢٧٤

٣.الخزانة الثالثة..... ٢٧٩

٤.الخزانة الرابعة..... ٢٨٣
٥.الخزانة الخامسة..... ٢٩٢
٦.الخزانة السادسة..... ٣٠٨
٧.الخزانة السابعة..... ٣١٦
٧.الخزانة الثامنة ٣٢٥
٧.الخزانة التاسعة..... ٣٣٢
١٠. الخزانة العاشرة ٣٣٩
٢٠- خزائن الآداب:..... ٣٥٣
وتشتمل على ما يلي: ٣٥٤
١.الخزانة الأولى..... ٣٥٥
٢.الخزانة الثانية..... ٣٧٣
٣.الخزانة الثالثة..... ٣٩٣
٤.الخزانة الرابعة..... ٤١٢
٥.الخزانة الخامسة..... ٤٢٨
٦.الخزانة السادسة..... ٤٣٧

٧.الخزانة السابعة..... ٤٥١
٧.الخزانة الثامنة ٤٦٦
٧.الخزانة التاسعة..... ٤٨٢
١٠. الخزانة العاشرة ٥٠٩
٢١- خزائن الأذكـــار: وتشتمل على: ٥٣٥
١.الخزانة الأولى..... ٥٣٦
٢.الخزانة الثانية..... ٥٤٧
٣.الخزانة الثالثة..... ٥٥٧
٤.الخزانة الرابعة..... ٥٦٨
٥.الخزانة الخامسة..... ٥٨٣
٢٢- خزائن الأدعـــية: وتشتمل على:..... ٥٩٧
١.الخزانة الأولى..... ٥٩٨
٢.الخزانة الثانية..... ٦١١
٣.الخزانة الثالثة..... ٦٢٠
٤.الخزانة الرابعة..... ٦٣٩

٥.الخزانة الخامسة..... ٦٤٨
٦.الخزانة السادسة..... ٦٦٣
٧.الخزانة السابعة..... ٦٨٢
٧.الخزانة الثامنة ٦٩٣
٧.الخزانة التاسعة..... ٧٠٧
١٠. الخزانة العاشرة ٧٢١
٢٣- خزائن الحقوق والواجبات: وتشتمل على:..... ٧٣٧
١.الخزانة الأولى..... ٧٣٨
٢.الخزانة الثانية..... ٧٥٠
٣.الخزانة الثالثة..... ٧٦٥
٤.الخزانة الرابعة..... ٧٧٥
٥.الخزانة الخامسة..... ٧٨٤
٢٤- خزائن العهود والأمانات: وتشتمل على: ٧٩٥
١.الخزانة الأولى..... ٧٩٦
٢.الخزانة الثانية..... ٨٠٥

٣.الخزانة الثالثة..... ٨١٥
٤.الخزانة الرابعة..... ٨٢٤
٥.الخزانة الخامسة..... ٨٣٥
٢٥- خزائن خلق الجن: وتشتمل على: ٨٤٣
١.الخزانة الأولى..... ٨٤٤
٢.الخزانة الثانية..... ٨٥٨
٣.الخزانة الثالثة..... ٨٧٠
٤.الخزانة الرابعة..... ٨٨٣
٥.الخزانة الخامسة..... ٨٩٧
٢٦- خزائن خلق الإنسان: ويشتمل على:..... ٩٠٩
١.الخزانة الأولى..... ٩١٠
٢.الخزانة الثانية..... ٩٢٢
٣.الخزانة الثالثة..... ٩٣٨
٤.الخزانة الرابعة..... ٩٥١
٥.الخزانة الخامسة..... ٩٥٨

٦.الخزانة السادسة..... ٩٦٧
٧.الخزانة السابعة..... ٩٩٢
٧.الخزانة الثامنة ١٠٠٩
٧.الخزانة التاسعة..... ١٠٢٤
١٠. الخزانة العاشرة ١٠٣٥
فهرس الموضوعات ١٠٥٧